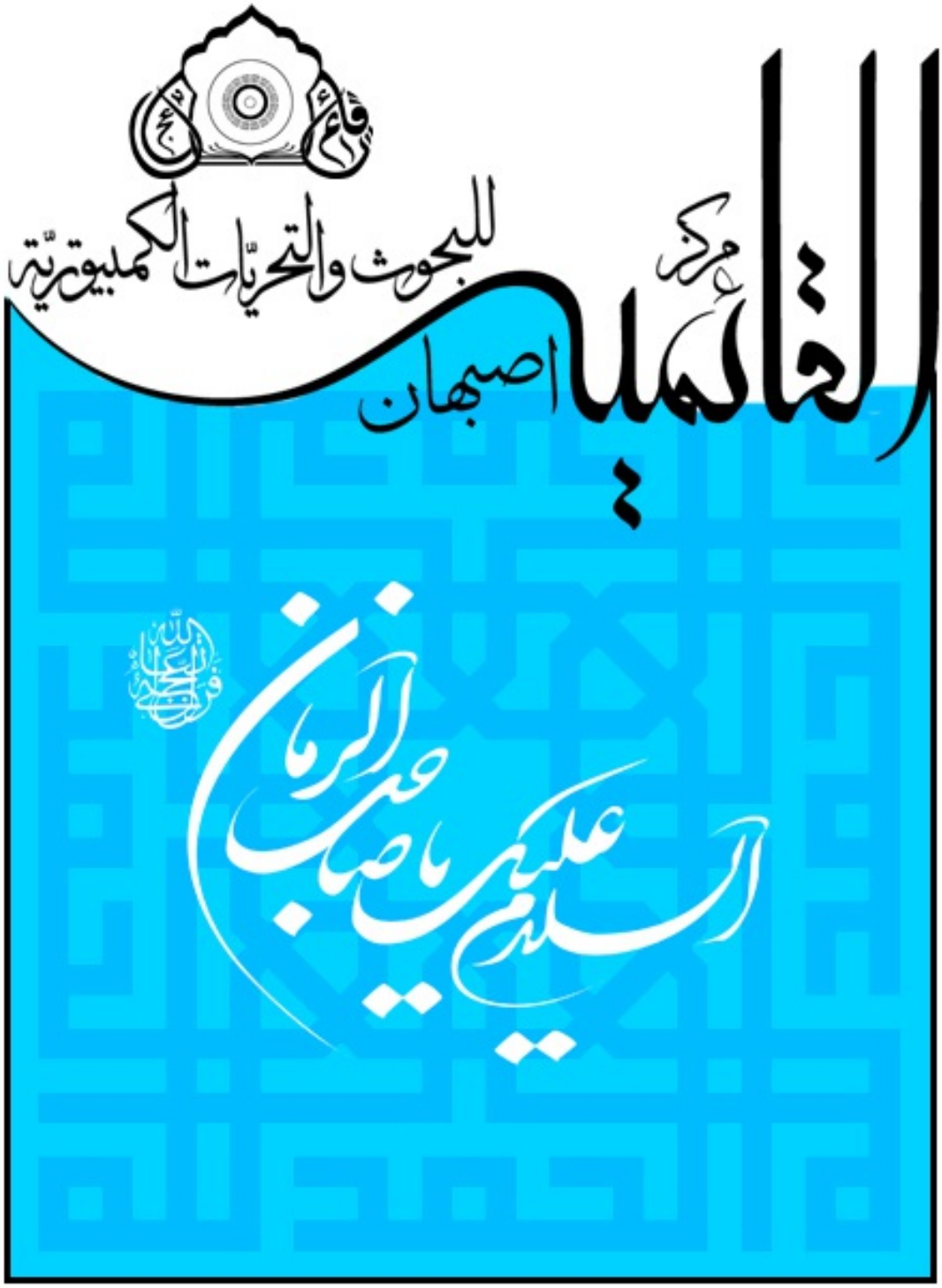

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

الإحاطة
في
أخبار غرناطة

تأليف

أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد السلماني

المعروف بلسان الدين ابن الخطيب

المولود سنة ٧١٣ هـ

تحرير وضبط وتعليق

الأستاذ الدكتور يوسف علي طويل

أستاذ الأدب العربي بجامعة دمشق

والجامعة اللبنانية

تقديم

وضمن الدوريس العامة للكتاب في آخر القرن الرابع

المجلد الأول

مكتبة

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

الاحاطة فى اخبار غرناطة

كاتب:

ابن خطيب، محمد بن عبد الله

نشرت فى الطباعة:

دارالكتب العلمية

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

الفهرس ----- ۵
الاحاطة فی اخبار غرناطة المجلد ۱ ----- ۱۲
اشارة ----- ۱۲
مقدمة المحقّق ----- ۱۲
أولا- مؤلّفاته التاریخیة: ----- ۱۲
ثانیا- مؤلّفاته فی الجغرافیا و الرحلات: ----- ۲۸
ثالثا- مؤلّفاته فی التراجم: ----- ۲۹
رابعا- المؤلّفات الأدبیة (شعرا و نثرا): ----- ۲۹
خامسا- مؤلّفاته فی الشریعة و التّصوّف و الحثّ علی جهاد النفس: ----- ۳۱
سادسا- مؤلّفاته فی السیاسة: ----- ۳۲
سابعا- مؤلّفاته فی الطّبّ و الأغذیة: ----- ۳۳
ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقیق ----- ۳۴
[مقدمة المؤلف] ----- ۴۱
القسم الأوّل فی حلی المعاهد و الأماکن و المنازل و المساکن ----- ۴۵
اشارة ----- ۴۵
فصل فی اسم هذه المدینة و وضعها علی إجمال و اختصار ----- ۴۵
فصل فی فتح هذه المدینة و نزول العرب الشامیین من جند دمشق بها و ما کانت علیه أحوالهم، و ما تعلق بذلک من تاریخ ----- ۴۷
ذکر ما آل إلیه حال من ساکن المسلمین بهذه الکورة من النصاری المعاهدین علی الإیجاز و الاختصار ----- ۴۸
ذکر ما ینسب إلی هذه الکورة من الأقالیم التی نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما یتصل بها من العمالة ----- ۵۰
فصل فیما اشتمل علیه خارج المدینة من القری و الجنّات و الجهات ----- ۵۰
فصل ----- ۵۱
فصل ----- ۵۳
فصل ----- ۵۵

فصل فیمن تداول هذه المدینة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار ----- ۵۷
القسم الثانی فی حلی الزّائر و القاطن و المتحرّک و السّاکن ----- ۵۸
اشارة ----- ۵۸
أحمد بن خلف بن عبد الملک الغسانی القلیعی ----- ۵۸
أحمد بن محمد بن أحمد بن یزید الهمدانی اللخمی ----- ۵۹
أحمد بن محمد بن أضحی بن عبد اللطیف بن غریب ابن یزید بن الشّمر بن عبد شمس بن غریب الهمدانی الإلبیری ----- ۵۹
أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشی ----- ۶۰
أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن یحیی ابن عبد الرحمن بن یوسف بن سعید بن جزیّ الکلبی ----- ۶۲
أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن علی ابن محمد بن سعدة بن سعید بن مسعدة بن ربیعة بن صخر ابن شراحیل بن عامر بن الفضل بن بکر
أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدی ----- ۶۵
أحمد بن محمد بن سعید بن زید الغافقی ----- ۶۶
أحمد بن أبی سهل بن سعید بن أبی سهل الخزرجی ----- ۶۶
أحمد بن عمر بن یوسف بن إدریس بن عبد اللّه ابن ورد التمیمی ----- ۶۶
أحمد بن محمد بن علی بن أحمد بن علی الأموی ----- ۶۷
أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسن بن عمیرة المخزومی ----- ۶۷
أحمد بن عبد الحق بن محمد بن یحیی ابن عبد الحق الجدلی ----- ۶۹
أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصقر الأنصاری الخزرجی ----- ۷۰
أحمد بن إبراهیم بن الزّبیر بن محمد بن إبراهیم بن الحسن ابن الحسین بن الزبیر بن عاصم بن مسلم بن کعب الثّقفی ----- ۷۲
أحمد بن عبد الولی بن أحمد الرعینی ----- ۷۴
أحمد بن علی بن أحمد بن خلف الأنصاری ----- ۷۴
أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه اللّه ----- ۷۵
أحمد بن محمد بن علی بن محمد بن یحیی بن محمد ابن مصادف بن عبد اللّه ----- ۷۷
أحمد بن حسن بن باصة الأسلمی المؤقّت بالمسجد الأعظم بغرناطة ----- ۷۷
أحمد بن محمد بن یوسف الأنصاری ----- ۷۸

أحمد بن محمد الكرنى ----- ۷۸
أحمد بن محمد بن أبى الخليل، مفرّج الأموى ----- ۷۹
أحمد بن عبد الملک بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن ،
اشارة ----- ۸۱
غريبة فى أمره مع حفصة ----- ۸۳
أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى، المعروف بابن فركون ----- ۸۳
أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ----- ۸۴
أحمد بن أيوب اللّمائى ----- ۸۹
أحمد بن محمد بن طلحة ----- ۹۰
أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد ابن خاتمة الأنصارى ----- ۹۲
أحمد بن عباس بن أبى زكريا ----- ۱۰۰
أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطيّة القضاعى ----- ۱۰۱
أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ----- ۱۰۴
أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن حسين بن على بن سليمان بن عرفة اللخمى ----- ۱۰۶
أحمد بن على الملیانى ----- ۱۰۹
أحمد بن محمد بن عيسى الأموى ----- ۱۱۰
أحمد بن الحسن بن على بن الزيّات الكلاعى ----- ۱۱۰
إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشک ----- ۱۱۴
اشارة ----- ۱۱۴
انخلاعه للموحدين عمّا بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها: ----- ۱۱۶
إبراهيم بن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب ابن عبد الحقّ ----- ۱۱۶
إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص عمر ابن يحيى الهنتانى، أبو إسحاق ----- ۱۱۸
اشارة ----- ۱۱۸
إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعىّ الذى قيّضه اللّه لهلاک حينه: ----- ۱۲۰

إبراهيم بن محمد بن أبي القاسم بن أحمد بن محمد ابن سهل بن مالک بن أحمد بن إبراهيم بن مالک الأزدی ----- ۱۲۲
إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولانی ----- ۱۲۲
إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسی ----- ۱۲۳
إبراهيم بن أبی بکر بن عبد اللّه بن موسی الأنصاری ----- ۱۲۴
إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصاری الساحلی ----- ۱۲۵
اشارة ----- ۱۲۵
إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسی ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميری ----- ۱۲۹
إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد اللّه بن عمر ابن فرقد القرشی العامری ----- ۱۳۶
إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزی ----- ۱۳۸
إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبی بکر التّسولیّ ----- ۱۳۹
إبراهيم بن محمد بن علی بن محمد ابن أبی العاصی التّنوخی ----- ۱۴۰
اشارة ----- ۱۴۰
الملوک علی عهده ----- ۱۵۱
أبو بکر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيی المسوفی الصحراوی ----- ۱۵۱
إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علی، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين ----- ۱۵۳
اشارة ----- ۱۵۳
تصيّر الأمر إليه، و جوازه إلی العدوة: ----- ۱۵۴
أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدی سعد ابن بکر بن عفان الإلبيری ----- ۱۵۷
أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد اللّه بن خالد ابن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان ----- ۱۵۷
أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّی ----- ۱۵۸
أبو بکر المخزومی الأعمی المورورى المدوّری ----- ۱۵۸
أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدی ----- ۱۶۰
أبو علی بن هدية ----- ۱۶۰
أم الحسن بنت القاضی أبی جعفر الطّنجالی ----- ۱۶۱

بلكّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى ابن مناد الصّنهاجى ---- ۱۶۱
باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ---- ۱۶۲
اشارة ---- ۱۶۲
ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل بن نغرالة الإسرائيلى: ---- ۱۶۴
مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتية: ---- ۱۶۴
بكرون بن أبى بكر بن الأشقر الحضرمى ---- ۱۶۵
بدر مولى عبد الرّحمن بن معاوية الداخل ---- ۱۶۵
تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة ---- ۱۶۶
ثابت بن محمد الجرجانى ثم الأسترآباذى ---- ۱۶۹
جعفر بن أحمد بن على الخزاعى ---- ۱۷۰
جعفر بن عبد اللّه بن محمد بن سيدبونة الخزاعى ---- ۱۷۱
الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى الفهرى ---- ۱۷۲
الحسن بن محمد بن الحسن النباهى الجذامى ---- ۱۷۲
حسن بن محمد بن حسن القيسى ---- ۱۷۳
حسن بن محمد بن باصة ---- ۱۷۳
الحسن بن محمد بن على الأنصارى ---- ۱۷۴
الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبى ---- ۱۷۵
حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ---- ۱۷۷
الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية ---- ۱۷۷
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن أمية ---- ۱۷۸
حكم بن أحمد بن رجا الأنصارى ---- ۱۷۹
حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه ابن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك ابن سعيد بن عمّار بن ياسر - ۱۷۹
حباسة بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ---- ۱۸۰
حبيب بن محمد بن حبيب ---- ۱۸۰

حمدة بنت زياد المكتّب ----- ۱۸۱
حفصة بنت الحاج الرّكونى ----- ۱۸۲
الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبى العافية ----- ۱۸۳
خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبى خالد البلوى ----- ۱۸۶
داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط اللّه الأنصارى الحارثى الأندى ----- ۱۸۷
رضوان النّصرى الحاجب المعظّم ----- ۱۸۸
اشارة ----- ۱۸۸
ترتيب خدمته و ما تخلّل عن ذلک من محنته: ----- ۱۸۹
زاوى بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ----- ۱۹۰
اشارة ----- ۱۹۰
منصرفه عن الأندلس: ----- ۱۹۲
زهير العامرىّ، فتى المنصور بن أبى عامر ----- ۱۹۲
طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة ----- ۱۹۳
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ----- ۱۹۴
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجى ----- ۱۹۷
اشارة ----- ۱۹۷
من كان على عهده من الملوک بأقطار المسلمين و النصارى: ----- ۱۹۹
محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد ابن محمد بن نصر بن قيس الخزرجى ----- ۲۰۱
اشارة ----- ۲۰۱
ما نقل عنه من الفظاظة و القسوة : ----- ۲۰۲
من كان على عهده من الملوک بالأقطار : ----- ۲۰۳
محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد ابن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى ----- ۲۰۶
اشارة ----- ۲۰۶
من كان على عهده من الملوک: ----- ۲۰۸

و من الأحداث فی أیامه: ----- ۲۰۹
فهرس المحتویات ----- ۲۱۰
اشارة ----- ۲۱۰
إبراهیم بن محمد بن علی بن محمد بن أبی العاصی التّنوخی ۱۹۷ ----- ۲۱۲
إسماعیل بن یوسف بن إسماعیل بن فرج بن نصر ۲۱۴ ----- ۲۱۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۲۱۴

الاحاطة فی اخبار غرناطة المجلد ۱

اشارة

نام کتاب: الإحاطة فی أخبار غرناطة

نویسنده: ابن خطیب، محمد بن عبد الله

تاریخ وفات مؤلف: ۷۷۶ ه. ق

موضوع: شرح حال

زبان: عربی

تعداد جلد: ۴

ناشر: دار الکتب العلمیة

مکان چاپ: بیروت

سال چاپ: ۱۴۲۴ ه. ق

نوبت چاپ: اول

مقدمة المحقّق

أولا- مؤلّفاته التاریخیة:

۱- الإحاطة، فی أخبار غرناطة: تحدّثنا عنه فی أول المقدمة.

۲- أعمال الأعلام، فیمن بویع قبل الاحتلام، من ملوک الإسلام، و ما یجرّ ذلک من شجون الکلام: هو آخر مؤلّف کتبه ابن الخطیب، و قد ألّفه للوزیر أبی بکر بن غازی، القائم بالدولة، و الوصیّ علی الطفل محمد السعید، الذی تولّی الحکم فی المغرب بعد موت والده السلطان عبد العزیز المرینی سنة ۷۷۴ ه. و فیه استأنف حملته علی القاضی أبی الحسن النباهی، و نعته ب «الجعسوس» أی القزم الدمیم. و لم یتح له القدر إکماله، فترکه ناقصا، و الذی کتبه یشتمل علی ثلاثة أقسام: قسم یتناول تاریخ المشرق و مصر و الشام. و الثانی یتناول تاریخ الأندلس حتی أیام ابن الخطیب.

و الثالث یتناول تاریخ المغرب و إفریقیة. نشر منه فقط القسمان الثانی و الثالث.

۳- رقم الحلل، فی نظم الدول: عبارة عن أرجوزة من نظم ابن الخطیب نفسه، أهداها إلی سلطان المغرب فی أثناء إقامته بمدینة سلا فی المدة التی قضاها منفیّا بالمغرب ما بین ۷۶۰ و ۷۶۳ ه. و تدور حول تاریخ الدول الإسلامیة بالمشرق و الأندلس، منذ أیام الرسول الکریم حتی أیام ابن الخطیب، بدءا بالخلفاء الراشدین، و مرورا بدولة بنی أمیة، و بنی العباس، و بنی الأغلب، و الفاطمیین، و بنی أمیة بالأندلس، و انتهاء بدولة بنی نصر بغرناطة و بنی حفص بإفریقیة و بنی مرین بالمغرب.

و هکذا سرد ابن الخطیب التاریخ الإسلامی شعرا، و قام فی الوقت نفسه بشرح ما رواه نظما. و الکتاب، علی حدّ قول المقری، فی غایة الحلاوة و العذوبة و الجزالة، و قد ابتدأه بقوله : [الرجز]

الحمد للّه الذی لا ینکرهمن سرحت فی الکائنات فکره

و هذا الکتاب مطبوع فی تونس. و هو أیضا من منشورات وزارة الثقافة بدمشق، ۱۹۹۰.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۱۵

۴- طرفة العصر، فى دولة بنى نصر: يقع فى ثلاثة أسفار، و يؤرّخ لبنى نصر.

و هو مفقود.

۵- قطع الفلاة، بأخبار الولاة: عبارة عن رسالة قصيرة فى النثر، تمثّل فيها ابن الخطيب بشعر من نظم غيره. و تدور حول ولاة مغاربة أمثال ابن الربيب، أحد خدّام السلطان أبى سالم المرينى، الذى كان مكلّفا بصرف جراية ابن الخطيب فى أثناء إقامته بالمغرب، و والى مكناسة عبد اللّه بن محمد. و الرسالة لا تزيد عن عشر صفحات، و قد أوردها ابن الخطيب فى كتابه «نفاضة الجراب» .

۶- اللّمحة البدريّة، فى الدولة النّصرية: كتاب مختصر لتاريخ بنى نصر بغرناطة، بدأ تدوينه عام ۷۶۳ ه، و انتهى منه أول عام ۷۶۵ ه، و قد توخّى فيه الصدق و بعد النظر فى درك الحقائق. و هو مطبوع.

۷- نفاضة الجراب، فى علالة الاغتراب: هو سجلّ لمذكّرات ابن الخطيب الشخصية عن المدة التى قضاها منفيّا فى مدينة سلا المغربية مع سلطانه الغنى بالله ما بين ۷۶۰ و ۷۶۳ ه. و هو فى أربعة أسفار، طبع منه فقط السّفر الثانى، و فيه يهنّئ سلطان المغرب أبا سالم المرينى بمناسبة فتح تلمسان، و يذكر بعض القصائد و الرسائل التى كتبها فى سلا، و يتحدّث عن حال غرناطة فى عهد السلطان أبى سعيد البرميخو المغتصب، و يرثى زوجته التى توفيت فى عام ۷۶۲ ه. و يأتى من حيث الأهمية بعد كتاب «الإحاطة». و جاء اسم الكتاب فى كتابه «الريحانة» هكذا: «نفاخة الجراب» فى ثلاثة أسفار . و جاء فى مكان آخر من الكتاب نفسه: «نفاضة الجراب» .

الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۱ ؛ ص۳۲۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۷

عمره، وجدّ صيته، و اشتهر فى البلاد ذكره، و عظمت غزواته، و سيمرّ من ذكره ما يدلّ على أجلّ من ذلك إن شاء اللّه.

شعره و توقيعه: وقفت على كثير من شعره، و هو نمط منحطّ بالنسبة إلى أعلام الشعراء، و مستظرف من الملوك و الأمراء. من ذلك، يخاطب وزيره :

[المتقارب]

تذكّر عزيز ليال مضتو إعطاءنا المال بالرّاحتين

و قد قصدتنا ملوك الجهاتو مالوا إلينا من العدوتين

و إذ سأل السّلم منّا اللّعينفلم يحظ إلّا بخفّى حنين

و توقيعه يشذّ عن الإحصاء ، و بأيدى الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك؛ فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرّف فى بعض الشهادات و يلحّ عليها:

[الوافر]

يموت على الشّهادة و هو حىّإلهى لا تمته على الشهاده

و أطال الخطّ عند إلهى إشعارا بالضّراعة عند الدعاء و الجدّ. و يذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المنزلين فى الدّور، و نبزه بالتّعرّض لزوجه:

«يخرج هذا النّازل ، و لا يعوّض بشىء من المنازل».

بنوه: ثلاثة؛ وليّ عهده أبو عبد اللّه المتقدّم الذّكر، و فرج المغتال أيام أخيه، و نصر الأمير بعد أخيه .

بناته: أربع، عقد لهنّ، جمع أبرزهنّ إلى أزواجهنّ، من قرابتهنّ، تحت أحوال ملوكية، و دنيا عريضة، و هنّ: فاطمة، و مؤمنة، و شمس، و عائشة، منهنّ أمّ حفيدة إسماعيل الذى ابتزّ ملك بنيه عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۸

وزيره : كان وزيره، الوزير الجليل الفاضل، أبو سلطان ، لتقارب الشّبه، زعموا فى السّن و الصورة، و فضل الذّات، و متانة الدين، و

صحّة الطبع، و جمال الرّواء، أغنى و حسنت واسطته، و رفعت إليه الوسائل ، و طرّزت باسمه الأوضاع، و اتصلت إلى أيامه أيام مستوزره، ثم صدرا من أيام ولىّ عهده.

كتّابه: ولّى له خطّة الكتابة و الرياسة العليا فى الإنشاء جملة، منهم كاتب أبيه أبو بكر بن أبى عمرو اللّوشى، ثم الأخوان أبوا على الحسن و الحسين، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللّوشى؛ سبق الحسن و تلاه الحسين، و كانا توأمين؛ و وفاتهما متقاربة. ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصارى، آخر الشيوخ، و بقية الصّدور و الأدباء ، أقام كاتبا مدة إلى أن أبرمه انحطاطه فى هوى نفسه، و إيثاره المعاقرة، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه. فأخّره عن الرّتبة ، و أقامه فى عداد كتّابه إلى أن توفى تحت رفده . و تولّى الكتابة الوزير أبو عبد اللّه بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته: تولّى له خطّة القضاء قاضى أبيه الفقيه العدل أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيلى الملقّب بالأشبرون. تولّى قبل ذلك خطة السّوق، فلقى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۲۹

سكران أفرط فى قحته، و اشتدّ فى عربدته ، و حمل على الناس، فأفرجوا عنه؛ فاعترضه و اشتدّ عليه حتى تمكّن منه بنفسه، و استنصر فى حدّه، و بالغ فى نكاله؛ و اشتهر ذلك عنه، فجمع له أمر الشرطة و خطّة السوق، ثم ولّى القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصّرامة، إلى أن هلك؛ فولى خطّة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد اللّه محمد بن هشام من أهل ألش، لحكاية غبطت السلطان بدينه ، و دلّته على محلّه من العدل و الفضل، فاتّصلت أيام قضائه إلى أيام مستقضيه، رحمه اللّه.

جهاده: و باشر هذا السلطان الوقائع، فانجلت ظلماتها عن صبح نصره، و طرّزت مواقعها بطراز جلادته و صبره؛ فمنها وقيعة المطران و غيرها، مما يضيق التأليف عن استقصائه. و فى شهر المحرّم من عام خمسة و تسعين و ستمائة، على تفئة هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش، عاجل الكفّار لحين دهشهم، فحشد أهل الأندلس، و استنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، و تحرّك فى جيش يجرّ الشّوك و الشجر ، و نازل مدينة قيجاطة و أخذ بكظمها، ففتحها اللّه على يديه، و تملّك بسببها جملة من الحصون التى ترجع إليها؛ و كان الفتح فى ذلك عظيما، و أسكنها جيشا من المسلمين، و طائفة من الحامية، فأشرقت العدوّ بريقه.

و فى صائفة عام تسعة و تسعين و ستمائة، نازل مدينة القبذاق فدخل جفنها، و اعتصم من تأخّر أجله بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشأن، الشهيرة فى البلدان، فأحيط بهم، فخذلوا و زلزل اللّه أقدامهم؛ فألقوا باليد، و كانوا أمنع من عقاب الجو؛ و تملّكها على حكمه، و هى من جلالة الوضع، و شهرة المنعة، و خصب السّاحة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۰

و طيب الماء، و الوصول إلى أفلاذ الكفر، و الاطّلاع على عوراته، بحيث شهر.

فكان تيسّر فتحها من غرائب الوجود، و شواهد اللّطف، و ذلك فى صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوّال عام تسعة و تسعين و ستمائة؛ و أسكن بها رابطة المسلمين ، و باشر العمل فى خندقها بيده، رحمه اللّه، [فتساقط الناس، من ظهور دوابّهم إلى العمل، فتمّ ما أريد منه سريعا.

و أنشدنى شيخنا أبو الحسن الجيّاب يهنّئه بهذا الفتح: [الطويل]

عدوّك مقهور و حزبك غالبو أمرك منصور و سهمك صائب

و شخصك مهما لاح للخلق أذعنتلهيبته عجم الورى و الأعارب

و هى طويلة] .

من كان على عهده من الملوك:

كان على عهده بالمغرب، السلطان الجليل، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقّب بالمنصور؛ و كان ملكا صالحا، ظاهر السذاجة،

سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارعا أبواب الدّالّة عليه منهم؛ أشبه بالشيوخ منه بالملوك، فى إخمال اللّفظ، و الإغضاء عن الجفوة، و النداء بالكنية. و هو الذى استولى على ملك الموحّدين، و اجتثّ شجرتهم من فوق الأرض، و ورث سلطانهم، و اجتاز إلى الأندلس، كما تقدّم مرّات ثلاثا أو أزيد منها، و غزا العدوّ، و جرت بينه و بين السلطان المترجم به أمور، من سلم و مناقضة ، و إعتاب، و عتب، [حسبما تدلّ على ذلك القصائد الشّهيرة المتداولة؛ و أولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصّدر، أبو عمرو بن المرابط، فى غرض استنفاد للجهاد: [السريع]

هل من معينى فى الهوى أو منجدىمن متهم فى الأرض أو منجد؟

] و توفى السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء فى عنفوان وحشة بينه و بين هذا السلطان فى محرم خمسة و ثمانين و ستمائة؛ و ولى بعده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۱

ولده ، العظيم الهمّة، القوى العزيمة ، أبو يعقوب يوسف، و جاز إلى الأندلس على عهده، و اجتمع به بظاهر مربلّة ، و تجدّد العهد، و تأكّد الودّ؛ ثم عادت الوحشة المفضية إلى تغلب العدوّ على مدينة طريف، فرضة المجاز الأدنى، و استمرّت أيام السلطان أبى يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم به، و مدة ولده بعده.

و بوطن تلمسان، أبو يحيى يغمور ، و هو يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد بن بندوس بن طاع اللّه بن على بن يمل، و هو أوحد أهل زمانه جرأة و شهامة، و دهاء، و جزالة، و حزما. مواقفه فى الحروب شهيرة، و كانت بينه و بين بنى مرين وقائع، كان عليه فيها الظهور، و ربما ندرت الممانعة؛ و على ذلك فقوىّ الشكيمة، ظاهر المنعة. ثم ولّى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به، و بعضا من دولة ولده.

و بوطن إفريقية، الأمير الخليفة، أبو عبد اللّه بن أبى زكريا بن أبى حفص، الملقّب بالمستنصر، المثل المضروب، فى البأس و الأنفة، و عظم الجبروت ، و بعد الصّيت، إلى أن هلك سنة أربع و سبعين و ستمائة؛ ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحاق و قد تقدّم ذكره. ثم كانت دولة الدّعىّ ابن أبى عمارة المتوثّب على ملكهم؛ ثم دولة أبى حفص مستنقذها من يده، و هو عمر بن أبى زكريا بن عبد الواحد، ثم السلطان الخليفة الفاضل، الميمون النّقيبة، أبو عبد اللّه محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبى عبد اللّه بن الأمير زكريا .

و بوطن النّصارى، بقشتالة، ألفنش بن هراندة، إلى أن ثار عليه ولده شانجه، و اقتضت الحال إجازة سلطان المغرب، و استجار به؛ و كان من لقائه بأحواز الصّخرة من كورة تاكرنّا ما هو معلوم. ثم ملك بعده ولده شانجه، و اتّصلت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۲

ولايته مدة أيام السلطان، و جرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربعة و سبعين و ستمائة. و ولّى بعده ولده هراندة سبعة عشر عاما، و صار الملك إليه، و هو صبىّ صغير، فتنفّس مخنّق أهل الأندلس، و غزا سلطانهم و ظهر إلى آخر مدته.

و برغون، ألفنش بن جايمش بن بطره بن جايمش، المستولى على بلنسية. ثم هلك و ولّى بعده جايمش ولده، و هو الذى نازل مدينة ألمرية على عهد نصر ولده، و استمرّت أيام حياته إلى آخر مدته. و كان لا نظير له فى الدّهاء و الحزم و القوة.

و من الأحداث فى أيامه:

على عهده تفاقم الشّر ، و أعيا داء الفتنة، و لقحت حرب الرؤساء الأصهار من بنى إشقيلولة، فمن دونهم، و طنب سرادق الخلاف، و أصاب الأسر و فحول الثروة الرؤساء، فكان بوادى آش الرئيسان أبو محمد و أبو الحسن ، و بمالقة و قمارش الرئيس أبو محمد عبد اللّه، و بقمارش رئيس آخر هو الرئيس أبو إسحاق. فأما الرئيس أبو محمد فهلك، و قام بأمره بمالقة، ولده، و ابن أخت السلطان المترجم به. ثم خرج عنها فى سبيل الانحراف و المنابذة إلى ملك المغرب، ثم تصيّر أمرها إلى السلطان، على يد و اليها من بنى على . و أما الرئيسان، فصابرا المضايقة، و عزما على النطاق و المقاطعة بوادى آش زمانا طويلا؛ و كان آخر أمرهما الخروج عن وادى آش

إلى ملك المغرب؛ معوّضين بقصر كتامة؛ حسبما يذكر فى أسمائهم؛ إن بلّغنا اللّه إليه.

و فى أيامه كان جواز السلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق؛ إلى الأندلس؛ مغازيا و مجاهدا فى سبيل اللّه؛ فى أوائل عام اثنين و سبعين و ستمائة، و قد فسد ما بين سلطان النصارى و بين ابنه . و اغتنم المسلمون الغرّة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۳

و استدعى سلطان المغرب إلى الجواز؛ و لحق به السلطان المترجم به؛ و جمع مجلسه بين المنتزين عليه و بينه؛ و أجلت الحال عن وحشة. و قضيت الغزاة؛ و آب السلطان إلى مستقرّه.

و فى العام بعده، كان إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم «ذنّونه»، و استئصال شأفته، و حصد شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدوة؛ و احتلّ بمدينة طريف فى أوائل ربيع الأول عام سبعة و سبعين و ستمائة؛ و نازل إشبيلية؛ و كان اجتماع السلطانين بظاهر قرطبة؛ فاتصلت اليد؛ و صلحت الضمائر؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى ملك المغرب على مالقة، بخروج المنتزى بها إليه، يوم الأربعاء التاسع و العشرين لرمضان عام سبعة و سبعين و ستمائة. ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمداخلة من كانت بيده و لنظره، حسبما يأتى بعد إن شاء اللّه.

و على عهده نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء، و أخذ بمخنّقها، و أشرف على افتتاحها، فدافع اللّه عنها، و نفّس حصارها ، و أجاز الرّوم بحرها على يد الفئة القليلة من المسلمين، فعظم المنح ، و أسفر الليل، و انجلت الشّدة، فى وسط ربيع الأول من عام ثمانية و سبعين و ستمائة .

مولده: بغرناطة عام ثلاثة و ثلاثين و ستمائة. و أيام دولته ثلاثون سنة و شهر واحد، و ستة أيام.

وفاته: من كتاب «طرفة العصر» من تأليفنا فى التاريخ، قال: و استمرّت الحال إلى أحد و سبعمائة، فكانت فى ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان فى صلاة العصر، و كان السلطان، رحمه اللّه فى مصلّاه، متوجّها إلى القبلة لأداء فريضته، على أتمّ ما يكون عليه المسلم من الخشية و التأهّب، زعموا أن شرقا كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه، و قد رجمت الظنون فى غير ذلك لتناوله عشيّة يومه كعكا اتخذت له بدار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۴

وليّ عهده، و اللّه أعلم بحقيقة ذلك. و دفن منفردا، عن مدفن سلفه، شرقيّ المسجد الأعظم، فى الجنان المتّصل بداره . ثم ثنى بحافده السلطان أبى الوليد، و عزّز بثالث كريم من سلالته، و هو السلطان أبو الحجاج بن أبى الوليد، تغمّد اللّه جميعهم برحمته ، و شملهم بواسع مغفرته و فضله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۵

فهرس المحتويات

إهداء ۱

مقدمة المحقّق ۳

أولا- مؤلّفاته التاريخية ۱۴

ثانيا- مؤلّفاته فى الجغرافيا و الرحلات ۱۵

ثالثا- مؤلّفاته فى التراجم ۱۶

رابعا- المؤلّفات الأدبية (شعرا و نثرا) ۱۷

خامسا- مؤلّفاته فى الشريعة و التّصوّف و الحثّ على جهاد النفس ۲۰

سادسا- مؤلّفاته فى السياسة ۲۲

سابعا- مؤلّفاته فى الطّبّ و الأغذية ۲۴

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق ۲۷

مقدمة المؤلّف ۳

القسم الأوّل فى حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن فصل فى اسم هذه المدينة و وضعها على إجمال و اختصار ۱۳

فصل فى فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ ۱۸

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار ۲۱

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۶

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العمالة ۲۵

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى و الجنّات و الجهات ۲۵

فصل ۲۸

فصل ۳۱

فصل ۳۶

فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار ۴۰

القسم الثانى فى حلى الزّائر و القاطن و المتحرّك و السّاكن أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى القليعى ۴۵

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمدانى اللخمى ۴۷

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشّمر بن عبد شمس بن غريب الهمدانى الإلبيرى ۴۷

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشى ۴۹

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزىّ الكلبى ۵۲

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سعدة بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكّار بن البدر بن سعيد بن عبد اللّه العامرى ۵۶

أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدى ۵۸

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى ۵۹

أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى ۵۹

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد اللّه بن ورد التميمى ۶۰

أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى ۶۰

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومى ۶۲

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجدلى ۶۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۷

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الخزرجى ۶۸

أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن ۷۱

أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثّقفى ۷۲

أحمد بن عبد الولى بن أحمد الرعينى ۷۵

أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى ۷۶

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه اللّه ۷۷

أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف بن عبد اللّه ۸۰

أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى المؤقّت بالمسجد الأعظم بغرناطة ۸۱

أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى ۸۲

أحمد بن محمد الكرنى ۸۳

أحمد بن محمد بن أبى الخليل، مفرّج الأموى ۸۳

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم ۸۸

غريبة فى أمره مع حفصة ۹۲

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى، المعروف بابن فركون ۹۲

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ۹۳

أحمد بن أيوب اللّمائى ۱۰۱

أحمد بن محمد بن طلحة ۱۰۴

أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ۱۰۸

أحمد بن عباس بن أبى زكريا ۱۲۵

أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطيّة القضاعى ۱۲۷

أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ۱۳۴

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۸

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن على بن سليمان بن عرفة اللخمى ۱۳۸

أحمد بن على المليانى ۱۴۳

أحمد بن محمد بن عيسى الأموى ۱۴۴

أحمد بن الحسن بن على بن الزيّات الكلاعى ۱۴۵

إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشك ۱۵۱

انخلاعه للموحدين عمّا بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها ۱۵۵

إبراهيم بن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ۱۵۵

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص عمر بن يحيى الهنتانى، أبو إسحاق ۱۵۹

إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعيّ الذى قيّضه اللّه لهلاك حينه ۱۶۳

إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدى ۱۶۵

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولانى ۱۶۶

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى ۱۶۸

إبراهيم بن أبى بكر بن عبد اللّه بن موسى الأنصارى ۱۶۸

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الساحلى ۱۷۰

إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميرى ۱۷۸

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد اللّه بن عمر بن فرقد القرشى العامرى ١٩١
إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزى ١٩٣
إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التّسولىّ ١٩۶
إبراهيم بن محمد بن على بن محمد بن أبى العاصى التّنوخى ١٩٧
إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصارى الخزرجى ٢٠٠
إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ٢١۴
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص: ٣٣٩
الملوك على عهده ٢١٨
أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفى الصحراوى ٢١٨
إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين ٢٢٢
تصيّر الأمر إليه، و جوازه إلى العدوة ٢٢٣
أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى سعد بن بكر بن عفان الإلبيرى ٢٢٨
أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد اللّه بن خالد بن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان ٢٢٩
أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّى ٢٣١
أبو بكر المخزومى الأعمى المورورى المدوّرى ٢٣١
أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدى ٢٣۵
أبو على بن هدية ٢٣۶
أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطّنجالى ٢٣٧
بلكّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ٢٣٨
باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ٢۴٠
ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل بن نغرالة الإسرائيلى ٢۴٣
مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتية ٢۴۴
بكرون بن أبى بكر بن الأشقر الحضرمى ٢۴۶
بدر مولى عبد الرّحمن بن معاوية الداخل ٢۴۶
تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة ٢۴٧
ثابت بن محمد الجرجانى ثم الأسترآباذى ٢۵٣
جعفر بن أحمد بن على الخزاعى ٢۵۵
جعفر بن عبد اللّه بن محمد بن سيدبونة الخزاعى ٢۵٧
الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى الفهرى ٢۵٩
الحسن بن محمد بن الحسن النباهى الجذامى ٢۶٠
حسن بن محمد بن حسن القيسى ٢۶١
حسن بن محمد بن باصة ٢۶١
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص: ٣۴٠

الحسن بن محمد بن على الأنصارى ۲۶۲

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبى ۲۶۴

حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۶۷

الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ۲۶۸

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية ۲۶۹

حكم بن أحمد بن رجا الأنصارى ۲۷۱

حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمّار بن ياسر ۲۷۲

حباسة بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۷۳

حبيب بن محمد بن حبيب ۲۷۴

حمدة بنت زياد المكتّب ۲۷۵

حفصة بنت الحاج الرّكونى ۲۷۷

الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبى العافية ۲۸۱

خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبى خالد البلوى ۲۸۶

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط اللّه الأنصارى الحارثى الأندى ۲۸۷

رضوان النّصرى الحاجب المعظّم ۲۸۹

ترتيب خدمته و ما تخلّل عن ذلك من محنته ۲۹۱

زاوى بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۹۳

منصرفه عن الأندلس ۲۹۶

زهير العامرىّ، فتى المنصور بن أبى عامر ۲۹۶

طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة ۲۹۸

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ۳۰۱

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجى ۳۰۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۴۱

من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصارى ۳۱۱

محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجى ۳۱۶

ما نقل عنه من الفظاظة و القسوة ۳۱۸

من كان على عهده من الملوك بالأقطار ۳۲۰

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى ۳۲۶

من كان على عهده من الملوك ۳۳۰

و من الأحداث فى أيامه ۳۳۲

الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۱ ؛ ص۳۲۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۷

عمره، وجدّ صيته، و اشتهر فى البلاد ذكره، و عظمت غزواته، و سيمرّ من ذكره ما يدلّ على أجلّ من ذلك إن شاء اللّه.

شعره و توقيعه: وقفت على كثير من شعره، و هو نمط منحطّ بالنسبة إلى أعلام الشعراء، و مستظرف من الملوك و الأمراء. من ذلك، يخاطب وزيره :

[المتقارب]

تذكّر عزيز ليال مضتو إعطاءنا المال بالرّاحتين

و قد قصدتنا ملوك الجهاتو مالوا إلينا من العدوتين

و إذ سأل السّلم منّا اللّعينفلم يحظ إلّا بخفّى حنين

و توقيعه يشذّ عن الإحصاء ، و بأيدى الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك؛ فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرّف فى بعض الشهادات و يلحّ عليها:

[الوافر]

يموت على الشّهادة و هو حىّإلهى لا تمته على الشهاده

و أطال الخطّ عند إلهى إشعارا بالضّراعة عند الدعاء و الجدّ. و يذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المنزلين فى الدّور، و نبزه بالتّعرّض لزوجه:

«يخرج هذا النّازل ، و لا يعوّض بشىء من المنازل».

بنوه: ثلاثة؛ وليّ عهده أبو عبد اللّه المتقدّم الذّكر، و فرج المغتال أيام أخيه، و نصر الأمير بعد أخيه .

بناته: أربع، عقد لهنّ، جمع أبرزهنّ إلى أزواجهنّ، من قرابتهنّ، تحت أحوال ملوكية، و دنيا عريضة، و هنّ: فاطمة، و مؤمنة، و شمس، و عائشة، منهنّ أمّ حفيدة إسماعيل الذى ابتزّ ملك بنيه عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۸

وزيره : كان وزيره، الوزير الجليل الفاضل، أبو سلطان ، لتقارب الشّبه، زعموا فى السّن و الصورة، و فضل الذّات، و متانة الدين، و صحّة الطبع، و جمال الرّواء، أغنى و حسنت واسطته، و رفعت إليه الوسائل ، و طرّزت باسمه الأوضاع، و اتصلت إلى أيامه أيام مستوزره، ثم صدرا من أيام وليّ عهده.

كتّابه: ولّى له خطّة الكتابة و الرياسة العليا فى الإنشاء جملة، منهم كاتب أبيه أبو بكر بن أبى عمرو اللّوشى، ثم الأخوان أبوا على الحسن و الحسين، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللّوشى؛ سبق الحسن و تلاه الحسين، و كانا توأمين؛ و وفاتهما متقاربة. ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصارى، آخر الشيوخ، و بقية الصّدور و الأدباء ، أقام كاتبا مدة إلى أن أبرمه انحطاطه فى هوى نفسه، و إيثاره المعاقرة، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه. فأخّره عن الرّتبة ، و أقامه فى عداد كتّابه إلى أن توفى تحت رفده . و تولّى الكتابة الوزير أبو عبد اللّه بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته: تولّى له خطّة القضاء قاضى أبيه الفقيه العدل أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيلى الملقّب بالأشبرون. تولّى قبل ذلك خطة السّوق، فلقى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۹

سكران أفرط فى قحته، و اشتدّ فى عربدته ، و حمل على الناس، فأفرجوا عنه؛ فاعترضه و اشتدّ عليه حتى تمكّن منه بنفسه، و استنصر فى حدّه، و بالغ فى نكاله؛ و اشتهر ذلك عنه، فجمع له أمر الشرطة و خطّة السوق، ثم ولّى القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصّرامة، إلى أن هلك؛ فولى خطّة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد اللّه محمد بن هشام من أهل ألش، لحكاية غبطت السلطان بدينه ، و دلّته على محلّه من العدل و الفضل، فاتّصلت أيام قضائه إلى أيام مستقضيه، رحمه اللّه.

جهاده: و باشر هذا السلطان الوقائع، فانجلت ظلماتها عن صبح نصره، و طرّزت مواقعها بطراز جلادته و صبره؛ فمنها وقيعة المطران و غيرها، مما يضيق التأليف عن استقصائه. و فى شهر المحرّم من عام خمسة و تسعين و ستمائة، على تفئة هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش، عاجل الكفّار لحين دهشهم، فحشد أهل الأندلس، و استنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، و تحرّك فى جيش يجرّ الشّوك و الشجر ، و نازل مدينة قيجاطة و أخذ بكظمها، ففتحها اللّه على يديه، و تملّك بسببها جملة من الحصون التى ترجع إليها؛ و كان الفتح فى ذلك عظيما، و أسكنها جيشا من المسلمين، و طائفة من الحامية، فأشرقت العدوّ بريقه.

و فى صائفة عام تسعة و تسعين و ستمائة، نازل مدينة القبذاق فدخل جفنها، و اعتصم من تأخّر أجله بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشأن، الشهيرة فى البلدان، فأحيط بهم، فخذلوا و زلزل اللّه أقدامهم؛ فألقوا باليد، و كانوا أمنع من عقاب الجو؛ و تملّكها على حكمه، و هى من جلالة الوضع، و شهرة المنعة، و خصب السّاحة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۰

و طيب الماء، و الوصول إلى أفلاذ الكفر، و الاطّلاع على عوراته، بحيث شهر.

فكان تيسّر فتحها من غرائب الوجود، و شواهد اللّطف، و ذلك فى صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوّال عام تسعة و تسعين و ستمائة؛ و أسكن بها رابطة المسلمين ، و باشر العمل فى خندقها بيده، رحمه اللّه، [فتساقط الناس، من ظهور دوابّهم إلى العمل، فتمّ ما أريد منه سريعا.

و أنشدنى شيخنا أبو الحسن الجيّاب يهنّئه بهذا الفتح: [الطويل]

عدوّك مقهور و حزبك غالبو أمرك منصور و سهمك صائب

و شخصك مهما لاح للخلق أذعنتلهيبته عجم الورى و الأعارب

و هى طويلة] .

من كان على عهده من الملوك:

كان على عهده بالمغرب، السلطان الجليل، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقّب بالمنصور؛ و كان ملكا صالحا، ظاهر السذاجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارعا أبواب الدّالّة عليه منهم؛ أشبه بالشيوخ منه بالملوك، فى إخمال اللّفظ، و الإغضاء عن الجفوة، و النداء بالكنية. و هو الذى استولى على ملك الموحّدين، و اجتثّ شجرتهم من فوق الأرض، و ورث سلطانهم، و اجتاز إلى الأندلس، كما تقدّم مرّات ثلاثا أو أزيد منها، و غزا العدوّ، و جرت بينه و بين السلطان المترجم به أمور، من سلم و مناقضة ، و إعتاب، و عتب، [حسبما تدلّ على ذلك القصائد الشّهيرة المتداولة؛ و أولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصّدر، أبو عمرو بن المرابط، فى غرض استنفاد للجهاد: [السريع]

هل من معينى فى الهوى أو منجدىمن متهم فى الأرض أو منجد؟

] و توفى السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء فى عنفوان وحشة بينه و بين هذا السلطان فى محرم خمسة و ثمانين و ستمائة؛ و ولى بعده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۱

ولده ، العظيم الهمّة، القوى العزيمة ، أبو يعقوب يوسف، و جاز إلى الأندلس على عهده، و اجتمع به بظاهر مربلّة ، و تجدّد العهد، و تأكّد الودّ؛ ثم عادت الوحشة المفضية إلى تغلب العدوّ على مدينة طريف، فرضة المجاز الأدنى، و استمرّت أيام السلطان أبى يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم به، و مدة ولده بعده.

و بوطن تلمسان، أبو يحيى يغمور ، و هو يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد بن بندوس بن طاع اللّه بن على بن يمل، و هو أوحد أهل زمانه جرأة و شهامة، و دهاء، و جزالة، و حزما. مواقفه فى الحروب شهيرة، و كانت بينه و بين بنى مرين وقائع، كان عليه فيها

الظهور، و ربما نـدرت الممانعـة؛ و على ذلك فقوىّ الشـكيمة، ظاهر المنعة. ثم ولّى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السـلطان المترجم به، و بعضا من دولة ولده.

و بوطن إفريقية، الأمير الخليفة، أبو عبد اللّه بن أبى زكريا بن أبى حفص، الملقّب بالمستنصـر، المثل المضـروب، فى البأس و الأنفة، و عظم الجبروت ، و بعد الصّيت، إلى أن هلك سنة أربع و سبعين و ستمائة؛ ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحاق و قد تقدّم ذكره. ثم كانت دولـة الـدّعىّ ابن أبى عمارة المتوثّب على ملكهم؛ ثم دولـة أبى حفص مسـتنقذها من يده، و هو عمر بن أبى زكريا بن عبد الواحد، ثم السلطان الخليفة الفاضل، الميمون النّقيبة، أبو عبد اللّه محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبى عبد اللّه بن الأمير زكريا .

و بوطن النّصارى، بقشـتالة، ألفنش بن هرانـدة، إلى أن ثار عليه ولـده شانجه، و اقتضت الحال إجازة سـلطان المغرب، و اسـتجار به؛ و كان من لقائه بأحواز الصّخرة من كورة تاكرنّا ما هو معلوم. ثم ملك بعده ولده شانجه، و اتّصلت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۲

ولايته مدة أيام السـلطان، و جرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربعة و سـبعين و ستمائة. و ولّى بعده ولده هراندة سبعة عشر عاما، و صار الملك إليه، و هو صبىّ صغير، فتنفّس مخنّق أهل الأندلس، و غزا سلطانهم و ظهر إلى آخر مدته.

و برغون، ألفنش بن جايمش بن بطره بن جايمش، المسـتولى على بلنسية. ثم هلك و ولّى بعده جايمش ولده، و هو الذى نازل مدينة ألمرية على عهد نصر ولده، و استمرّت أيام حياته إلى آخر مدته. و كان لا نظير له فى الدّهاء و الحزم و القوة.

و من الأحداث فى أيامه:

على عهده تفاقم الشّر ، و أعيا داء الفتنة، و لقحت حرب الرؤساء الأصـهار من بنى إشـقيلولة، فمن دونهم، و طنب سـرادق الخلاف، و أصـاب الأسـر و فحول الثروة الرؤساء، فكان بوادى آش الرئيسان أبو محمـد و أبو الحسن ، و بمالقـة و قمارش الرئيس أبو محمـد عبد اللّه، و بقمـارش رئيس آخر هو الرئيس أبو إسـحاق. فأمـا الرئيس أبو محمـد فهلـك، و قـام بأمره بمالقـة، ولـده، و ابن أخت السـلطان المترجم به. ثم خرج عنها فى سبيل الانحراف و المنابذة إلى ملك المغرب، ثم تصيّر أمرها إلى السلطان، على يد و اليها من بنى على . و أما الرئيسان، فصابرا المضايقـة، و عزما على النطاق و المقاطعة بوادى آش زمانا طويلا؛ و كان آخر أمرهما الخروج عن وادى آش إلى ملك المغرب؛ معوّضين بقصر كتامة؛ حسبما يذكر فى أسمائهم؛ إن بلّغنا اللّه إليه.

و فى أيامه كان جواز السلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق؛ إلى الأندلس؛ مغازيا و مجاهدا فى سبيل اللّه؛ فى أوائل عام اثنين و سبعين و ستمائة، و قد فسد ما بين سلطان النصارى و بين ابنه . و اغتنم المسلمون الغرّة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۳

و اسـتدعى سـلطان المغرب إلى الجـواز؛ و لحق به السـلطان المـترجم به؛ و جمع مجلسه بين المنـتزين عليه و بينه؛ و أجلت الحـال عن وحشة. و قضيت الغزاة؛ و آب السلطان إلى مستقرّه.

و فى العام بعـده، كان إيقاع السـلطان ملك المغرب بالزعيم «ذنّونه»، و استئصال شأفته، و حصد شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدوة؛ و احتلّ بمدينة طريف فى أوائل ربيع الأول عام سـبعة و سـبعين و سـتمائة؛ و نازل إشبيلية؛ و كان اجتماع السلطانين بظاهر قرطبة؛ فاتصلت اليد؛ و صلحت الضمائر؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى ملك المغرب على مالقة، بخروج المنتزى بها إليه، يوم الأربعاء التاسع و العشـرين لرمضان عام سـبعة و سبعين و ستمائة. ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمداخلة من كانت بيده و لنظره، حسبما يأتى بعد إن شاء اللّه.

و على عهـده نازل طاغيـة الروم الجزيرة الخضـراء، و أخذ بمخنّقها، و أشـرف على افتتاحها، فدافع اللّه عنها، و نفّس حصارها ، و أجاز الرّوم بحرها على يـد الفئـة القليلـة من المسـلمين، فعظم المنـح ، و أسـفر الليل، و انجلت الشّـدة، فى وسط ربيع الأول من عام ثمانيـة و سبعين و ستمائة .

مولده: بغرناطة عام ثلاثة و ثلاثين و ستمائة. و أيام دولته ثلاثون سنة و شهر واحد، و ستة أيام.

وفاته: من كتاب «طرفة العصر» من تأليفنا فى التاريخ، قال: و استمرّت الحال إلى أحد و سبعمائة، فكانت فى ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان فى صلاة العصر، و كان السلطان، رحمه اللّه فى مصلّاه، متوجّها إلى القبلة لأداء فريضته، على أتمّ ما يكون عليه المسلم من الخشية و التأهّب، زعموا أن شرقا كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه، و قد رجمت الظنون فى غير ذلك لتناوله عشيّة يومه كعكا اتخذت له بدار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۴

وليّ عهده، و اللّه أعلم بحقيقة ذلك. و دفن منفردا، عن مدفن سلفه، شرقيّ المسجد الأعظم، فى الجنان المتّصل بداره . ثم ثنى بحافده السلطان أبى الوليد، و عزّز بثالث كريم من سلالته، و هو السلطان أبو الحجاج بن أبى الوليد، تغمّد اللّه جميعهم برحمته ، و شملهم بواسع مغفرته و فضله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۵

فهرس المحتويات

إهداء ۱

مقدمة المحقّق ۳

أولا- مؤلّفاته التاريخية ۱۴

ثانيا- مؤلّفاته فى الجغرافيا و الرحلات ۱۵

ثالثا- مؤلّفاته فى التراجم ۱۶

رابعا- المؤلّفات الأدبية (شعرا و نثرا) ۱۷

خامسا- مؤلّفاته فى الشريعة و التّصوّف و الحثّ على جهاد النفس ۲۰

سادسا- مؤلّفاته فى السياسة ۲۲

سابعا- مؤلّفاته فى الطّبّ و الأغذية ۲۴

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق ۲۷

مقدمة المؤلّف ۳

القسم الأوّل فى حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن فصل فى اسم هذه المدينة و وضعها على إجمال و اختصار ۱۳

فصل فى فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ ۱۸

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار ۲۱

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۶

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العمالة ۲۵

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى و الجنّات و الجهات ۲۵

فصل ۲۸

فصل ۳۱

فصل ۳۶

فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار ۴۰

القسم الثانى فى حلى الزّائر و القاطن و المتحرّك و السّاكن أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى القليعى ۴۵

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمدانى اللخمى ۴۷

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشّمر بن عبد شمس بن غريب الهمدانى الإلبيرى ۴۷

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشى ۴۹

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزىّ الكلبى ۵۲

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سعدة بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكّار بن البدر بن سعيد بن عبد اللّه العامرى ۵۶

أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدى ۵۸

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى ۵۹

أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى ۵۹

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد اللّه بن ورد التميمى ۶۰

أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى ۶۰

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومى ۶۲

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجدلى ۶۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۷

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الخزرجى ۶۸

أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن ۷۱

أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثّقفى ۷۲

أحمد بن عبد الولى بن أحمد الرعينى ۷۵

أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى ۷۶

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه اللّه ۷۷

أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف بن عبد اللّه ۸۰

أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى المؤقّت بالمسجد الأعظم بغرناطة ۸۱

أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى ۸۲

أحمد بن محمد الكرنى ۸۳

أحمد بن محمد بن أبى الخليل، مفرّج الأموى ۸۳

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم ۸۸

غريبة فى أمره مع حفصة ۹۲

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى، المعروف بابن فركون ۹۲

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ۹۳

أحمد بن أيوب اللّمائى ۱۰۱

أحمد بن محمد بن طلحة ۱۰۴

أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ۱۰۸

أحمد بن عباس بن أبى زكريا ۱۲۵

أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطيّة القضاعى ۱۲۷

أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ۱۳۴

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۸

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن على بن سليمان بن عرفة اللخمى ۱۳۸

أحمد بن على المليانى ۱۴۳

أحمد بن محمد بن عيسى الأموى ۱۴۴

أحمد بن الحسن بن على بن الزيّات الكلاعى ۱۴۵

إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشك ۱۵۱

انخلاعه للموحدين عمّا بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها ۱۵۵

إبراهيم بن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ۱۵۵

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص عمر بن يحيى الهنتانى، أبو إسحاق ۱۵۹

إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعيّ الذى قيّضه اللّه لهلاك حينه ۱۶۳

إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدى ۱۶۵

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولانى ۱۶۶

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى ۱۶۸

إبراهيم بن أبى بكر بن عبد اللّه بن موسى الأنصارى ۱۶۸

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الساحلى ۱۷۰

إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميرى ۱۷۸

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد اللّه بن عمر بن فرقد القرشى العامرى ۱۹۱

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزى ۱۹۳

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التّسولىّ ۱۹۶

إبراهيم بن محمد بن على بن محمد بن أبى العاصى التّنوخى ۱۹۷

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصارى الخزرجى ۲۰۰

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ۲۱۴

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۹

الملوك على عهده ۲۱۸

أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفى الصحراوى ۲۱۸

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين ۲۲۲

تصيّر الأمر إليه، و جوازه إلى العدوة ۲۲۳

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى سعد بن بكر بن عفان الإلبيرى ۲۲۸

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد اللّه بن خالد بن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان ۲۲۹

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّى ۲۳۱

أبو بكر المخزومى الأعمى المورورى المدوّرى ٢٣١
أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدى ٢٣٥
أبو على بن هديهٔ ٢٣۶
أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطّنجالى ٢٣٧
بلكّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ٢٣٨
باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ٢۴٠
ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل بن نغرالهٔ الإسرائيلى ٢۴٣
مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتيهٔ ٢۴۴
بكرون بن أبى بكر بن الأشقر الحضرمى ٢۴۶
بدر مولى عبد الرّحمن بن معاويهٔ الداخل ٢۴۶
تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوهٔ ٢۴٧
ثابت بن محمد الجرجانى ثم الأسترآباذى ٢۵٣
جعفر بن أحمد بن على الخزاعى ٢۵۵
جعفر بن عبد اللّه بن محمد بن سيدبونهٔ الخزاعى ٢۵٧
الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى الفهرى ٢۵٩
الحسن بن محمد بن الحسن النباهى الجذامى ٢۶٠
حسن بن محمد بن حسن القيسى ٢۶١
حسن بن محمد بن باصهٔ ٢۶١
الإحاطهٔ فى أخبار غرناطهٔ، ج١، ص: ٣۴٠
الحسن بن محمد بن على الأنصارى ٢۶٢
الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبى ٢۶۴
حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ٢۶٧
الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاويهٔ ٢۶٨
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاويهٔ بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أميهٔ ٢۶٩
حكم بن أحمد بن رجا الأنصارى ٢٧١
حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمّار بن ياسر ٢٧٢
حباسهٔ بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ٢٧٣
حبيب بن محمد بن حبيب ٢٧۴
حمدهٔ بنت زياد المكتّب ٢٧۵
حفصهٔ بنت الحاج الرّكونى ٢٧٧
الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبى العافيهٔ ٢٨١
خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبى خالد البلوى ٢٨۶

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط اللّه الأنصارى الحارثى الأندى ۲۸۷
رضوان النّصرى الحاجب المعظّم ۲۸۹
ترتيب خدمته و ما تخلّل عن ذلك من محنته ۲۹۱
زاوى بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۹۳
منصرفه عن الأندلس ۲۹۶
زهير العامرىّ، فتى المنصور بن أبى عامر ۲۹۶
طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة ۲۹۸
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ۳۰۱
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجى ۳۰۶
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۴۱
من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصارى ۳۱۱
محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجى ۳۱۶
ما نقل عنه من الفظاظة و القسوة ۳۱۸
من كان على عهده من الملوك بالأقطار ۳۲۰
محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى ۳۲۶
من كان على عهده من الملوك ۳۳۰
و من الأحداث فى أيامه ۳۳۲

ثانيا- مؤلّفاته فى الجغرافيا و الرحلات:

۱- خطرة الطّيف، و رحلة الشتاء و الصيف: رسالة مسجّعة وصف فيها ابن الخطيب رحلة قام بها برفقة سلطانه أبى الحجاج يوسف النّصرى فى السابع عشر من محرم لعام ۷۴۸ ه، لتفقّد مقاطعات غرناطة الشرقية. وردت ضمن أربع رسائل جمعها الدكتور أحمد مختار العبادى فى كتاب أسماه: «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب و الأندلس» تحت عنوان: «خطرة الطيف، فى رحلة الشتاء و الصيف».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۱۶

۲- معيار الاختبار، فى أحوال المعاهد و الديار: رسالة فى الأدب و الترسّل المسجّع، وصف فيها ابن الخطيب أهم مدن المغرب و الأندلس، و قد دوّنها فى أثناء المدة التى قضاها فى المنفى مع سلطانه الغنى باللّه بين عامى ۷۶۰ و ۷۶۳ ه.

و وردت ضمن أربع رسائل جمعها الدكتور أحمد مختار العبادى فى كتاب أسماه «مشاهدات لسان الدين بن الخطيب فى بلاد المغرب و الأندلس» تحت عنوان:

«معيار الاختبار، فى ذكر أحوال المعاهد و الديار». و العنوان الذى اخترناه من «نفاضة الجراب» حيث جاء فيه أنه «كتاب غريب مصوّر لم يسبق متقدم إلى غرضه» . و جاء العنوان فى «الإحاطة» و «أزهار الرياض» هكذا: «معيار الاختيار» ، و فى «النفح»:

«معيار الأخبار» .

۳- مفاضلة بين مالقة و سلا: عبارة عن رسالة مسجّعة قارن فيها ابن الخطيب بين مدينة مالقة الأندلسية و مدينة سلا المغربية، و قد تحيّز فيها إلى مالقة التى كانت آنذاك تابعة لمملكة غرناطة. و قد وردت ضمن أربع رسائل جمعها الدكتور أحمد مختار العبادى فى

كتاب أسماه: «مشاهدات لسان الدين ...» تحت عنوان «مفاخرات مالقة و سلا». و هذا العنوان اخترناه من كتاب «الإحاطة» ، و هو فى كتاب «الريحانة» هكذا: «مفاخرة بين مالقة و سلا»، و هو عند المقرى : «مفاضلة مالقة و سلا». و نستطيع أن نعدّ هذه الرسالة ضمن الرسائل الأدبية، و بمعنى آخر، فهى رسالة فى أدب الجغرافيا.

ثالثا- مؤلّفاته فى التراجم:

۱- الإكليل الزاهر، فيما فضل عند نظم التاج من الجواهر: هو تتمة لكتابه «التاج المحلّى»، كتبه لسلطانه أبى الحجاج يوسف النصرى، و اعتمد فيه أسلوب السّجع فى ترجمة بعض أعلام عصره. و قد ورد العنوان نفسه فى كتابه «ريحانة الكتاب» هكذا: «الإكليل الزاهر، فيمن فضل عند نظم التاج من الجواهر». و هو غير مطبوع، و توجد منه نسخة مخطوطة فى مكتبة الإسكوريال تحت رقم ۵۵۴.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۱۷

۲- التاج المحلّى، فى مساجلة القدح المعلّى: يقع فى سفر، و هو مفقود، و قد كتبه لسلطانه أبى الحجاج يوسف النصرى فى زمان الحداثة، و يترجم لمائة و عشرة شعراء عاشوا فى مملكة غرناطة فى القرن الثامن الهجرى. و قد ورد اسمه فى كتابه «ريحانة الكتاب» هكذا: «التاج المحلّى، و مساجلة القدح المعلّى». و كتاب «القدح المعلّى» الذى يساجله ابن الخطيب هو لابن سعيد الأندلسى.

۳- عائد الصلة: يقع فى سفرين، و هو مفقود، و قد وصل به «صلة الصلة» للأستاذ أبى جعفر بن الزبير، المتوفّى سنة ۷۰۸ ه. و يترجم لطائفة من الأعلام الذين لم يرد ذكرهم فى كتاب ابن الزبير.

۴- الكتيبة الكامنة، فى من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة: كتبه فى جمادى الآخرة من عام ۷۷۴ ه، بعد وفاة السلطان أبى فارس عبد العزيز المرينى بثلاثة أشهر. و فيه يحمل بشدّة على القاضى أبى الحسن النباهى و ينعته بأقسى النعوت. و يترجم لمائة و ثلاثة من أدباء و شعراء و فقهاء الأندلس المعاصرين له. ذكره فى ثبت كتبه، الذى أورده فى كتابه «الإحاطة» تحت عنوان: «الكتيبة الكامنة، فى أدباء المائة الثامنة». و كذا أورده المقرى . و أورده فى مكان آخر هكذا : «الكتيبة الكامنة، فى شعراء المائة الثامنة». و نحن اعتمدنا العنوان الذى اعتمده محقّق الكتاب، الدكتور إحسان عباس، طبعة دار الثقافة، بيروت، ۱۹۶۳. و العنوان نفسه ذكره ابن الخطيب فى مقدمة الكتاب المذكور . و ينسب إليه كتاب عنوانه: «تحفة ذوى الأدب، فى مشكل الأسماء و النسب، فى ضبط ما وقع فى الموطإ و الصحيحين من الأسماء و النسب». و الكتاب نشره تروغرتمان فى ليدن، سنة ۱۹۰۵، و يقع فى إحدى و سبعين و مائتى صفحة .

رابعا- المؤلّفات الأدبية (شعرا و نثرا):

۱- أبيات الأبيات: مفقود، اختاره ابن الخطيب من مطالع ما له من الشعر، و ذكره ضمن مؤلّفاته التى كتبها فى بادئ الأمر . كما ذكره المقرى فى كتابيه «النفح» و «الأزهار» ، دون أن يزيد شيئا عمّا جاء به ابن الخطيب.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۱۸

۲- تافه من جمّ، و نقطة من يمّ: مفقود، و هو عبارة عن مجموعة رسائل اقتضبها ابن الخطيب من نثر شيخه أبى الحسن على بن محمد الأنصارى، المعروف بابن الجيّاب، على حدّ قول ابن الخطيب نفسه فى ترجمة شيخه المذكور فى المجلد الرابع من كتابه «الإحاطة». و ذهب المقرى إلى أن ابن الخطيب جمع فى هذا الكتاب نثر ابن الجيّاب . و أضاف أنه دوّن أيضا شعر شيخه ابن الجيّاب .

۳- تخليص الذهب، فى اختيار عيون الكتب: مفقود، و أغلب الظن أنه يدور حول ثلاثة كتب أدبية، لم يذكر اسمها.

۴- جيش التوشيح: كتاب فى سفرين؛ السّفر الأول مطبوع بتونس، سنة ۱۹۶۷، و فيه مائة و خمس و ستون موشحة لستة عشر وشّاحا عاشوا فى القرن السادس الهجرى، و من ضمنها خمس عشرة موشحة خرجاتها عجمية (الإسبانية القديمة).

و السفر الثانی مفقود، و یدور حول وشّاحی القرن السابع الهجری و النصف الأول من القرن الثامن الهجری.

۵- خلع الرّسن، فی أمر القاضی ابن الحسن: مفقود، و قد ألّفه للسلطان أبی فارس عبد العزیز المرینی، بعد أن فرّ من الأندلس إلی المغرب، و فیه یهجو خصمه اللدود القاضی أبا الحسن علی بن عبد اللّه ابن الحسن النباهی، صاحب کتاب «المرقبة العلیا». و ورد اسمه فی مکان آخر بهذا الاسم : «خلع الرّسن، فی التعریف بأحوال ابن الحسن».

۶- الدرر الفاخرة، و اللّجج الزاخرة، مفقود، جمع فیه ابن الخطیب دیوان شعر أبی جعفر أحمد بن إبراهیم ابن صفوان المالقی، المتوفّی سنة ۷۶۳ ه، أیام مقامه بمالقة عند توجّهه بصحبة السلطان أبی الحجاج إلی نجدة الجزیرة الخضراء عام ۷۴۴ ه، حسبما یذکر فی ترجمة ابن صفوان المذکور، فی الجزء الأول من کتاب الإحاطة.

۷- ریحانة الکتّاب، و نجعة المنتاب: یقع فی ثمانیة أسفار، و فیه طائفة کبیرة من الرسائل السلطانیة و السیاسیة، یتعلق بعضها بوصف الغزوات و الوقائع الحربیة التی جرت فی إشبیلیة و جیان و الجزیرة الخضراء و جبل طارق، و بعضها یطلب فیها الإنجاد و العون من سلاطین المغرب. کما یحتوی علی مخاطبات ملوک النصاری الإسبان.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۱۹

و هو مطبوع فی مجلدین، بتحقیق الأستاذ محمد عبد اللّه عنان، مکتبة الخانجی بالقاهرة، ۱۹۸۱.

۸- السّحر و الشّعر: عبارة عن مختارات شعریة لمشارقة و أندلسیین أمثال أبی العتاهیة، و ابن الرومی، و ابن رشیق، و المعتمد بن عباد، و ابن عمّار، و ابن اللبانة، تعالج موضوعات شتی، من ضمنها الوصایا و النقد. توجد منه نسخة مخطوطة فی مکتبة الإسکوریال تحمل الرقم ۴۵۶، و نسخة أخری بخزانة الرباط العامّة ذات الرقم D۱۲۹۵ .

۹- الصّیّب و الجهام، و الماضی و الکهام: عنوان الدیوان الذی جمع فیه ابن الخطیب معظم شعره، و یقع فی سفرین، و یعالج معظم أغراض الشعر. السفر الأول حقّقه الدکتور محمد الشریف قاهر، الجزائر، ۱۹۷۳. و السفر الثانی مفقود.

۱۰- طلّ الغمام، المقتضب من الصّیّب و الجهام: أغلب الظنّ أنه مختصر دیوان شعر ابن الخطیب، السابق الذّکر، إذ لم یذکره ابن الخطیب ضمن مؤلّفاته، کما لم یذکره ممّن ترجم له، و انفرد ابن القاضی بذکره .

۱۱- فتات الخوان، و لقط الصّوان: مفقود، و یقع فی سفر واحد، و یتضمن فقط مقطوعات شعریة.

۱۲- کناسة الدّکّان، بعد انتقال السّکّان: کتاب أدب و ترسّل، یدور حول العلاقات السیاسیة بین مملکتی غرناطة و المغرب فی القرن الثامن الهجری. و یضمّ مجموعة من الرسائل السلطانیة التی کتبها کلّ من أبی الحجّاج یوسف و ولده الغنی باللّه إلی سلطان المغرب أبی عنان فارس، و قد جمعها ابن الخطیب عند إقامته بمدینة سلا المغربیة، بعد التجائه مع سلطانه الغنی باللّه إلی المغرب. و هو مطبوع بالقاهرة، ۱۹۶۶.

۱۳- المباخر الطیبیة، فی المفاخر الخطیبیة: مفقود، ألّفه للسلطان أبی فارس عبد العزیز المرینی، بعد هروبه إلی المغرب سنة ۷۷۳ ه. یدور موضوعه حول الرّدّ علی خصومه الذین انتقصوا من منزلة بنی الخطیب؛ یذکر فیه نباهة سلفه و ما لهم من المجد، و یردّ علی من جاهر له بالعداوة و قدح فی فخر أسلافه.

۱۴- مثلی الطریقة، فی ذمّ الوثیقة: عبارة عن رسالة صغیرة یعرّض فیها ابن الخطیب بالموثقین و العدول، و قد أوجبها محاورة صدرت فی ذلک بینه و بین بعض

الإحاطة فی أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۲۰

شیوخ تلک الطریقة، تضمّنت نظما و نثرا، و فقها و حکایة . و هذه الرسالة منشورة ضمن: دراسات و وثائق، المؤسسة الوطنیة للکتاب، الجزائر، ۱۹۸۳، بتحقیق الدکتور عبد المجید الترکی.

۱۵- مساجلة البیان: لم یرد ذکره فی أیّ من المصادر التی ترجمت لابن الخطیب، کما أنه لم یرد اسمه ضمن مؤلّفات ابن الخطیب،

التى ذكرها بنفسه.

و انفرد التطوانى بذكره فى كتابه: «ابن الخطيب من خلال كتبه» . و أغلب الظن أنه يدور حول علم البيان، و هو واحد من علوم البلاغة العربية؛ علم البيان، و علم البديع، و علم المعانى.

۱۶- النّفاية، بعد الكفاية: مفقود، كذا ورد اسمه فى كتاب «الإحاطة»، و جاء فيه أنه فى نحو «قلائد العقيان» و «مطمح الأنفس» لابن خاقان . و هو عند المقرى : «النّقاية» بالقاف. و لابن الخطيب كتاب فى غرض الهجاء، مفقود، و يوجد منه قسم فى الخزانة العامّة بالرباط تحت رقم ۱۲۳۳، أوله: الباب الثالث و الأربعون .

خامسا- مؤلّفاته فى الشريعة و التّصوّف و الحثّ على جهاد النفس:

۱- استنزال اللّطف الموجود، فى سرّ الوجود: كذا ورد اسمه فى الإحاطة، و نفح الطيب و أزهار الرّياض . و جاء فى «ريحانة الكتاب» «أسرار» بدل «سرّ»، كما يقول ابن الخطيب نفسه: «و ثبتّ فى صدر كتابى المسمّى ب «استنزال اللّطف الموجود، فى أسرار الوجود، و هو ما جمعته لهذا العهد ...» . و هذا المؤلّف عبارة عن رسالة صغيرة فى التصوّف، توجد منه نسخة مخطوطة فى المكتبة العامّة بتطوان تحمل الرقم ۳۵۳.

۲- أنشدت على أهل الرّدّ: عبارة عن رسالة فى الشعر، مفقودة، يدور موضوعها حول الرّدّ على أصحاب الآراء المضلّة و أهل الزندقة، و قد ذكرها ابن الخطيب فى ترجمة الغنى بالله محمد بن يوسف النصرى، و هى أول ترجمة فى الجزء الثانى من كتابه «الإحاطة».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۲۱

۳- الحلل المرقومة، فى اللّمع المنظومة: عبارة عن أرجوزة من ألف بيت فى أصول الفقه . توجد منه نسخة مخطوطة فى خزانة القرويين بفاس، تحمل الرقم ۷۸ .

۴- حمل الجمهور، على السّنن المشهور: عبارة عن رسالة مفقودة، يدور موضوعها حول السّنن المشهور، كجهاد النّفس، و إخماد البدع، و الاشتداد على أهل الزّيغ و الزندقة، الذين أضاقوا الشريعة بأضاليلهم. و قد ذكرها ابن الخطيب فى ترجمة الغنى بالله، فى أوّل الجزء الثانى من كتابه «الإحاطة» .

۵- رجز الأصول: هو أرجوزة مفقودة تبحث فى أصول الفقه، و قد شرحها ابن خلدون، صاحب كتاب العبر، و صرّح ابن الخطيب نفسه بأنّ له خمس أراجيز من نظمه فى أصول الفقه، نظمها بمدينة سلا .

۶- الرّدّ على أهل الإباحة: هو كتاب مفقود، يردّ فيه ابن الخطيب على من أباح ما لم يبح.

۷- الرّميمة: أغلب الظّنّ أنه مقالة مفقودة تدور حول أصول الدين و الدّفاع عن الشريعة، و قد ورد ذكرها فقط فى كتاب الإحاطة .

۸- روضة التعريف، بالحبّ الشريف: كتاب فى التصوّف، موضوعه المحبة الروحية و الإلهية، عارض به «ديوان الصبابة» لأبى العباس أحمد بن يحيى بن أبى حجلة التّلمسانى، و تكلّم فيه على طريقة أهل الوحدة المطلقة. و جعله خصومه وثيقة اتّهام وجّهوها إليه فنسبوه إلى مذهب الحلول و غيره، ما أدّى إلى نكبته التى ذهبت فيها نفسه. نشره الأستاذ عبد القادر أحمد عطا، بدار الفكر العربى بالقاهرة، سنة ۱۹۶۸.

۹- الزّبدة الممخوضة: نعتقد أنّه مقالة مفقودة تدور حول أصول الدين، ورد ذكرها فقط فى كتاب الإحاطة .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۲۲

۱۰- سدّ الذريعة، فى تفضيل الشريعة: كتاب مفقود، يبحث فى أصول الدين.

۱۱- كتاب المحبة: مفقود، و يقع فى سفرين، و موضوعه المحبة الإلهية.

۱۲- الغيرة، على أهل الحيرة: رسالة مفقودة يدور موضوعها حول الغيرة على الدين، و تغيّر أحوال الملحدين، و هو ما وقع به العمل

على إذهاب الآراء المضلّة، و قد ذكرها ابن الخطيب فى ترجمة الغنى بالله، فى أوّل الجزء الثانى من كتابه «الإحاطة» .

سادسا- مؤلّفاته فى السياسة:

۱- الإشارة إلى أدب الوزارة: هو كتاب فى السياسة، ذكره ابن الخطيب بهذا الاسم فى كتابه «الريحانة»، و ذكر منه ما يقارب خمس صفحات تتناول الوزير و الوزارة . و اكتفى فى الإحاطة بذكره باسم: «الإشارة» ، و كذا ذكره المقرى .

و ذكره الدكتور أحمد مختار العبادى باسم: «الإشارة، إلى أدب السياسة فى الوزارة» . نشره الأستاذ عبد القادر زمامة بدمشق، ۱۹۷۲.

۲- بستان الدول: كتاب مفقود، يدور حول السياسة و الحرب و القضاء و أهل الحرف و المهن، لم يكن يسمع بمثله قبل أن يؤلّف. يشتمل على عشر شجرات:

أولها شجرة السلطان، ثمّ شجرة الوزارة، ثمّ شجرة الكتابة، ثمّ شجرة القضاء، ثمّ شجرة الشرطة و الحسبة، ثمّ شجرة العمل، ثمّ شجرة الجهاد (أسطول و خيول)، ثمّ شجرة ما يضطر باب الملك إليه من الأطباء، و البيازرة و البياطرة، و الشعراء، ثمّ شجرة الرعايا. كذا ذكر ابن الخطيب أنها عشر شجرات، و لكنه لم يورد منها إلّا تسعا . و هذا الكتاب لم يكمل، كتب منه ابن الخطيب فقط نحو ثلاثين جزءا تقارب الأسفار.

۳- تخصيص الرياسة، بتلخيص السياسة: الكتاب مفقود، كذا أورده ابن الخطيب فى كتابه «نفاضة الجراب»، و قال: هذا المؤلّف أرجوزة نظمتها فى فنّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج ۱، ص: ۲۳

السياسة، فى نحو ستمائة بيت . ثمّ أورده فى الكتاب المذكور باسم: «السياسة» .

و قد يكون هو نفسه الذى ذكره الدكتور أحمد مختار العبادى باسم: «قصيدة فى السياسة»، و قال: توجد من هذه القصيدة نسخة مخطوطة فى خزانة الرباط تحت رقم (د ۷۷۴۰) . و ذكره ابن الخطيب فى كتاب الإحاطة باسم: «رجز السياسة». ثمّ ذكره باسم: «السياسة المدنية».

۴- رسالة السياسة: أوردها ابن الخطيب فى آخر كتابه «الإحاطة» ضمن ترجمته الشخصية، فقال: «و لنختتم هذا الغرض ببعض ما صدر عنى فى السياسة، و كان إملاؤها فى ليلة واحدة» . كذلك أوردها فى كتابه «ريحانة الكتاب» . و هى رسالة قصيرة تقع فى أقلّ من عشرين صفحة، بطلها الخليفة هارون الرشيد، و تدور حول الوزير، و الجند، و العمّال، و الولد، و الخدم، و الحرم.

۵- رسالة فى السياسة: هى رسالة قصيرة، ذكرها الدكتور أحمد مختار العبادى فقال : لابن الخطيب رسالة فى السياسة مكتوبة باللغة القشتالية (الإسبانية القديمة) و موجّهة إلى ملك قشتالة بدرو المعروف بالقاسى، نشرها المؤرّخ الإسبانى لوبث دى أيالا Lopez De Ayala فى كتابه: «حوليات ملوك قشتالة»

Gronica de los Reyes de Castilla, Tomo I. pp. ۳۸۴- ۳۹۴, Madrid, ۱۷۷۶

. ۶- رسالة فى أحوال خدمة الدولة و مصائرهم، و تنبيههم على النظر فى عواقب الرياسة بعيوب بصائرهم: وجّهها ابن الخطيب إلى الخطيب أبى عبد اللّه محمد بن أحمد ابن مرزوق، و توجد منها نسخة مخطوطة فى خزانة الرباط تحت رقم (د. ۰۹۷۲ د. ۱۴۲۱) .

۷- كتاب الوزارة: يبحث فى شؤون الوزارة. ذكره ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة دون أن يتحدّث عنه بشىء. و مثله فعل المقرى .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج ۱، ص: ۲۴

۸- مقامة السياسة: كذا أدرجها ابن الخطيب فى كتابه الإحاطة ، دون أن يتحدّث عنها. و بهذا الاسم أيضا أوردها المقرى . و أوردها الدكتور أحمد مختار العبادى تحت اسم «رسالة فى غرض السياسة» و قال : هى مقامة توجد منها نسخة مخطوطة فى خزانة الرباط

تحت رقم (د. ۱۰۹۲ د. ۱۴۲۱).

سابعا- مؤلّفاته فى الطّبّ و الأغذية:

۱- أرجوزة فى فن العلاج من صنعة الطب: عدد أبياتها نحو ألف و ستماية بيت، تتضمّن ذكر جميع الأمراض الكلية و الجزئية، و ذكر أسبابها و علاماتها و تدبيرها و جلب العلاج بحسب أحوالها. توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة القرويين، ضمن رسائل ابن الخطيب الطبيّة . و قد أورد ابن الخطيب اسمها فى الإحاطة هكذا:

«رجز الطب». و كذا أوردها المقرى فى أزهار الرياض .

۲- الأرجوزة المعلومة: مفقودة، و هى أرجوزة طبيّة موضوعها الرتبة و علاج السموم. و قد صرّح ابن الخطيب بأنه كتبها ليعارض بها من جهة أرجوزة أبى على بن سينا الطبية، الموسومة ب «الأرجوزة المجهولة» التى موضوعها العلاج من الرأس إلى القدم، و لتكتمل بها، من جهة ثانية، صناعة الطب كمالا لا يشينه نقص .

۳- البيطرة: مفقود، و يقع فى سفر واحد يجمع لما يرجع إلى البيطرة من محاسن الخيل و غير ذلك من علاج الحيوانات.

۴- البيزرة: مفقود، و يقع فى مجلد يبحث فى أحوال الجوارح من الطيور.

۵- الرجز فى عمل التّرياق الفاروقى: مفقود، و يدور حول الترياق الفاروقى، و هو دواء مركّب يدفع السموم، و هو أجلّ المركّبات؛ لأنه يفرّق بين المرض و الصّحّة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج ۱، ص: ۲۵

۶- رسالة تكوين الجنين: مفقودة، و تتناول، كما يبدو من عنوانها، مراحل الحمل. كذا ورد اسمها فى الإحاطة . و جاء فى النفح و أزهار الرياض : «تكون بدل «تكوين».

۷- رسالة الطاعون: كذا ورد اسمها فى الإحاطة و أزهار الرياض . ثم ورد فى الإحاطة و نفح الطيب اسم آخر هو: «الكلام على الطاعون المعاصر». و أغلب الظن أنهما رسالة واحدة تتحدّث عن علاج مرض الطاعون الذى اجتاح الأندلس و غيرها من البلدان الإسلامية غير مرة. و قد تكون هى نفسها: «مقنعة السائل، عن المرض الهائل»، و هى الرسالة الصّحّيّة التى تتحدّث عن مرض الطاعون الذى دهم الأندلس فى سنة ۷۴۹ ه. و قد نشرت بألمانيا مع ترجمة لها بالألمانية فى مجلة أكاديمية العلوم سنة ۱۸۶۳، Bayerische Akademic Der Wissens haft .

۸- عمل من طبّ، لمن حبّ: كتاب ضخم يقع فى سفر، و يبحث فى مختلف الأمراض و كيفية علاجها، و قد ألّفه ابن الخطيب لسلطان المغرب أبى سالم إبراهيم بن أبى الحسن المرينى، فى أثناء إقامته بسلا بعد أن خلع سلطانه الغنى بالله فى عام ۷۶۱ ه. توجد منه نسخة مخطوطة بخزانة القرويين بفاس تحمل الرقم ۶۰۷/۴۰، كذلك فى المكتبة الوطنية بمدريد برقم ۲۱۱، و المكتبة الأهلية بباريس برقم ۳۰۱۱.

۹- المسائل الطبيّة: مفقود، و هو عبارة عن رسالة طبيّة و صحيّة تقع فى سفر واحد.

۱۰- المعتمدة فى الأغذية المفردة: كذا ورد اسم هذا المؤلّف فى الإحاطة و نفح الطيب . و كان ابن الخطيب و المقرى قد ذكراه أيضا باسم «رجز الأغذية».

و هو عبارة عن أرجوزة من نظم ابن الخطيب، تتحدّث عن منافع الأغذية و مضارّها.

توجد منها نسخة مخطوطة بخزانة القرويين الكبرى .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج ۱، ص: ۲۶

۱۱- الوصول، لحفظ الصّحّة فى الفصول: يبحث فى الحمية، و قد فرغ ابن الخطيب من تأليفه سنة ۷۷۱ ه. توجد منه نسخة مخطوطة فى

الخزانة العامّة برباط الفتح تحت رقم ۱۲۹۹D .

۱۲- اليوسفى فى صناعة الطب: كذا ورد اسمه فى الإحاطة و النفح . و كان ابن الخطيب و المقرى قد ذكراه أيضا باسم: «اليوسفى فى الطب». و الكتاب مفقود، و هو ممتع، يقع فى سفرين كبيرين، ألّفه ابن الخطيب لسلطانه أبى الحجاج يوسف، و نسبه إليه اقتداء بالرازى الطبيب المشهور فى كتابه «المنصورى».

كذلك ألّف فى الموسيقى، و قد أشار نفسه إلى ذلك فى كتابه «الإحاطة» دون أى إضافة. و مثله فعل المقرى .

و له مؤلّفات مفقودة لا نعلم عنها شيئا هى:

۱- تقرير الشّبه، و تحرير المشبّه: ذكره ابن الخطيب، ضمن ترجمته لنفسه فى آخر كتابه «الإحاطة» ، دون أن يتحدّث عنه بشىء. كذلك ذكره المقرى فى كتابيه «النفح» و «الأزهار» ، و جاء فيهما أنه: «تقرير الشبه، و تحرير الشّبه».

۲- قطع السلوك: ذكره ابن الخطيب، ضمن ترجمته لنفسه، فى آخر كتابه الإحاطة دون ذكر أىّ شىء آخر.

و أخيرا نقدّم شكرنا الحارّ للحاج محمد على بيضون، صاحب دار الكتب العلمية؛ لتشجيعه إيّانا على القيام بهذا العمل الشّاقّ، فبذلنا الاستطاعة و الجهد، و ما يكلّف الإنسان إلّا ما تصل قدرته إليه. حرسنا اللّه تعالى من التردّى فى مهاوى الغواية، و جعل لنا من العرفان بأقدارنا أمنع وقاية، و ستر عيوبنا بكرمه الضافى، و لا كدّر علينا ما منحنا من مشرع إغضائه النمير الصافى.

كفر كلا فى الثالث و العشرين من تموز ۲۰۰۲ أ. د. يوسف على طويل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۲۷

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق

۱- قرآن كريم.

۲- أخبار مجموعة فى فتح الأندلس و ذكر أمرائها لمجهول. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ۱۹۸۱.

۳- أخبار و تراجم أندلسية مستخرجة من معجم السّفر للسلفى. تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ۱۹۶۳.

۴- اختصار القدح المعلّى، فى التاريخ المحلّى لابن سعيد. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى، دار الكتاب اللبنانى، بيروت، ۱۹۸۰.

۵- الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة للدكتور أحمد هيكل. دار المعارف بمصر، ۱۹۷۹.

۶- أزهار الرياض، فى أخبار عياض للمقرى (۱- ۳). تحقيق الأساتذة مصطفى السقا و إبراهيم الأبيارى و عبد الحفيظ شلبى. مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر. القاهرة، ۱۹۳۹- ۱۹۴۲.

۷- أزهار الرياض، فى أخبار عياض للمقرى (۴- ۵). تحقيق الأساتذة سعيد أحمد أعراب و محمد بن تاويت و عبد السلام الهراس. الرباط، ۱۹۷۸- ۱۹۸۰.

۸- الاستقصاء، لأخبار المغرب الأقصى للناصرى (۱- ۹). تحقيق الأستاذين جعفر الناصرى و محمد الناصرى. دار الكتاب، الدار البيضاء، ۱۹۵۴.

۹- الإشارة، إلى أدب الوزارة لابن الخطيب. نشره الأستاذ عبد القادر زمامة.

دمشق، ۱۹۷۲.

۱۰- الأعلام للزّركلى (۱- ۸). دار العلم للملايين. بيروت، ۱۹۸۰.

۱۱- أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام لابن الخطيب.

القسم الثانى، تحقيق الأستاذ إ. ليثقى بروقنسال. دار المكشوف، بيروت، ۱۹۵۶.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۲۸

۱۲- أعمال الأعلام، فيمن بويع قبل الاحتلام، من ملوك الإسلام لابن الخطيب.

القسم الثالث، تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى و الأستاذ محمد إبراهيم الكتانى. دار الكتاب، الدار البيضاء، ۱۹۶۴.

۱۳- الأغانى لأبى فرج الأصفهانى (۱- ۲۵). شرحه الدكتور يوسف طويل، و الأستاذان عبد على مهنا و سمير جابر. دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۸۶.

۱۴- إنباه الرواة، على أنباه النحاة للقفطى (۱- ۳). تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم. دار الكتب المصرية، ۱۹۵۰.

۱۵- الأنيس المطرب، بروض القرطاس، فى أخبار ملوك المغرب، و تاريخ مدينة فاس. عنى بتصحيحه و طبعه الأستاذ كارول تورنبرغ. دار الطباعة المدرسية بمدينة أو بسالة، ۱۸۴۳.

۱۶- البداية و النهاية فى التاريخ لابن كثير (۱- ۱۴). مكتبة المعارف، بيروت، ۱۹۷۹- ۱۹۸۰.

۱۷- برنامج شيوخ الرعينى، تحقيق الأستاذ إبراهيم شبّوح. وزارة الثقافة بدمشق، ۱۹۶۲.

۱۸- بغية الروّاد، فى ذكر الملوك من بنى عبد الواد ليحيى بن محمد ابن خلدون (۱- ۲). الجزائر، ۱۹۰۳.

۱۹- بغية الملتمس فى تاريخ رجال أهل الأندلس للضبى. دار الكاتب العربى، القاهرة، ۱۹۶۷.

۲۰- بغية الوعاة، فى طبقات اللغويين و النحاة للسيوطى. دار المعرفة، بيروت.

۲۱- البيان المغرب، فى أخبار الأندلس و المغرب لابن عذارى المراكشى (۱- ۴).

تحقيق الأساتذة ج. س. كولان و إ. ليقى بروقنسال و إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت.

۲۲- البيان المغرب لابن عذارى المراكشى (قسم الموحدين). تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتانى و محمد بن تاويت و محمد زنيبر و عبد القادر زمامة. دار الثقافة ببيروت، دار الغرب الإسلامى ببيروت، الدار البيضاء، ۱۹۸۵.

۲۳- تاج المفرق، فى تحلية علماء المشرق، المعروف ب (رحلة البلوى) للشيخ خالد البلوى. مخطوط رقم ۱۰۵۳ جغرافية بدار الكتب.

۲۴- تاريخ ابن الوردى، المسمّى تتمة المختصر فى أخبار البشر (۱- ۲). تحقيق الأستاذ أحمد رفعت البدراوى. دار المعرفة، بيروت، ۱۹۷۰.

۲۵- تاريخ افتتاح الأندلس لابن القوطية. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب اللبنانى. بيروت، ۱۹۸۲.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۲۹

۲۶- تاريخ الأندلس لابن الكردبوس. تحقيق الدكتور أحمد مختار العبادى. معهد الدراسات الإسلامية بمدريد، ۱۹۷۱.

۲۷- تاريخ الفكر الأندلسى لأنجل جنثالث بالنثيا. نقله إلى العربية الدكتور حسين مؤنس. القاهرة. ۱۹۵۵.

۲۸- تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحقّ القضاء و الفتيا لابن الحسن النباهى. تحقيق الدكتورة مريم قاسم، دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۹۵.

۲۹- تاريخ المنّ بالإمامة لابن أبى صاحب الصلاة. تحقيق الدكتور عبد الهادى التازى. دار الأندلس، بيروت، ۱۹۶۴.

۳۰- تتمة المختصر: انظر تاريخ ابن الوردى.

۳۱- تذكرة الحفاظ للذهبى (۱- ۴). الهند، حيدر آباد الدكن، ۱۹۵۵.

۳۲- التعريف بابن خلدون و رحلته شرقا و غربا لابن خلدون. تحقيق الأستاذ محمد بن تاويت الطنجى. طبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، القاهرة، ۱۹۵۱.

۳۳- تقويم البلدان لأبى الفداء. تحقيق رينود و ماك كوكين دى سلان. باريس، ۱۸۵۰. يطلب من مكتبة المثنى ببغداد و مؤسسة الخانجى بمصر.

۳۴- التكملة لكتاب الصلة لابن الأبار (۱- ۴). تحقيق الدكتور عبد السلام الهراش.

دار الفكر، بيروت، ۱۹۹۵.

۳۵- تكملة المعاجم العربية لرنيهارت دوزى. نقله إلى العربية الدكتور محمد سليم النعيمى. وزارة الثقافة و الفنون بالعراق.

۳۶- جذوة الاقتباس لابن القاضى. طبعة الرباط، ۱۹۷۳.

۳۷- جذوة المقتبس، فى ذكر ولاة الأندلس للحميدى. الدار المصرية للتأليف و الترجمة، ۱۹۶۶.

۳۸- جغرافية الأندلس و أوروبا من كتاب المسالك و الممالك لأبى عبيد البكرى.

تحقيق الدكتور عبد الرحمن الحجى. دار الإرشاد، بيروت، ۱۹۶۸.

۳۹- جمهرة أنساب العرب لابن حزم. تحقيق الأستاذ عبد السلام محمد هارون. دار المعارف بمصر، ۱۹۶۲.

۴۰- جيش التوشيح لابن الخطيب. تحقيق الأستاذين هلال ناجى و محمد ماضور.

مطبعة المنار بتونس، ۱۹۶۷.

۴۱- حسن المحاضرة، فى تاريخ مصر و القاهرة للسيوطى (۱- ۲). تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم، القاهرة، ۱۹۶۷- ۱۹۶۸.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۳۰

۴۲- الحلّة السّيراء لابن الأبّار (۱- ۲). تحقيق الدكتور حسين مؤنس. الشركة العربية للطباعة و النشر. القاهرة، ۱۹۶۳.

۴۳- الحلل الموشيّة، فى ذكر الأخبار المراكشية للسان الدين بن الخطيب. مطبعة التقدم الإسلامية بتونس، ۱۳۲۹ ه. و هناك طبعة الرباط (۱۹۳۶) بتحقيق الأستاذ علوش مصدّرة بعبارة «مجهول المؤلف»، و هى عبارة صحيحة؛ لأنه لا يصحّ أن ينسب هذا الكتاب إلى ابن الخطيب لأسباب عدّة، منها الصياغة و المضمون. و نحن اعتمدنا طبعة تونس، لعدم توفّر الثانية.

۴۴- خريدة القصر، و جريدة العصر للعماد الكاتب الأصفهانى (قسم شعراء المغرب و الأندلس، الجزء الثانى). تحقيق الأستاذين عمر الدسوقى و على عبد العظيم.

دار نهضة مصر، القاهرة، ۱۹۶۹.

۴۵- ابن الخطيب من خلال كتبه لمحمد بن أبى بكر التطوانى. دار الطباعة المغربية، تطوان، ۱۹۵۴.

۴۶- دائرة المعارف الإسلامية (۱- ۱۵). نقلها إلى العربية الأساتذة أحمد الشنتاوى و إبراهيم خورشيد و عبد الحميد يونس. دار المعرفة ببيروت.

۴۷- دار الطراز فى عمل الموشحات لابن سناء الملك. تحقيق الدكتور جودت الركابى. دار الفكر بدمشق، ۱۹۸۰.

۴۸- درّة الحجال، فى أسماء الرجال لابن القاضى. تحقيق الأستاذ محمد الأحمدى أبو النور. القاهرة، ۱۹۷۰.

۴۹- الدرر الكامنة، فى أعيان المائة الثامنة لابن حجر العسقلانى (۱- ۴). الهند، حيدر آباد الدكن، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، ۱۹۳۰.

۵۰- الديباج المذهّب، فى معرفة أعيان المذهب لابن فرحون. الطبعة الأولى، مصر، ۱۳۵۱ ه.

۵۱- ديوان ابن الحداد الأندلسى. تحقيق الدكتور يوسف على طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۹۰.

۵۲- ديوان الحطيئة. دار صادر، بيروت، ۱۹۶۷.

۵۳- ديوان ابن خفاجة، دار بيروت للطباعة و النشر. بيروت، ۱۹۸۰.

۵۴- ديوان ابن دراج القسطلى. تحقيق الدكتور محمود على مكّى. منشورات المكتب الإسلامى بدمشق، ۱۹۶۱.

۵۵- ديوان ابن عبد ربّه. تحقيق الدكتور محمد رضوان الداية. مؤسسة الرسالة، بيروت، ۱۹۷۹.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۳۱

۵۶- ديوان أبى الأسود الدؤلى. (ضمن نفائس المخطوطات، المجموعة الثانية، ص ۶- ۵۱، من تحقيق الأستاذ محمد آل ياسين،

بغداد، ۱۹۵۴).

۵۷- دیوان أبی تمام. تحقیق الدکتور شاهین عطیة. دار صعب، بیروت.

۵۸- دیوان أبی نواس. تحقیق الأستاذ أحمد عبد المجید الغزالی. دار الکتاب العربی، بیروت، ۱۹۵۳.

۵۹- دیوان امرئ القیس. تحقیق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهیم. دار المعارف بمصر، ۱۹۶۹.

۶۰- دیوان البحتری (۱- ۲). شرحه الدکتور یوسف الشیخ محمد. دار الکتب العلمیة، بیروت، ۱۹۸۷.

۶۱- دیوان بشار بن برد. جمعه و حقّقه السید بدر الدین العلوی. دار الثقافة، بیروت، ۱۹۸۳.

۶۲- دیوان جمیل بثینة. دار بیروت، بیروت، ۱۹۸۴.

۶۳- دیوان أبی الحسن الششتری. تحقیق الدکتور علی سامی النشار. طبعة الإسکندریة، ۱۹۶۰.

۶۴- دیوان الفرزدق (شرح دیوان الفرزدق). تحقیق الأستاذین سیف الدین الکاتب و أحمد عصام الکاتب. دار مکتبة الحیاة، بیروت، ۱۹۸۳.

۶۵- دیوان قیس بن الخطیم. تحقیق الدکتور ناصر الدین الأسد. الطبعة الأولی، القاهرة، ۱۹۶۲.

۶۶- دیوان لبید بن ربیعة العامری. دار صادر، بیروت.

۶۷- دیوان المتنبی (العرف الطّیّب فی شرح دیوان أبی الطّیّب). شرحه الشیخ ناصیف الیازجی. دار القلم، بیروت.

۶۸- دیوان مهیار الدیلمی (۱- ۴). دار الکتب المصریة، القاهرة.

۶۹- دیوان النابغة الذبیانی. تحقیق الأستاذ فوزی عطوی. دار صعب، بیروت، ۱۹۸۰.

۷۰- الذخیرة، فی محاسن أهل الجزیرة لابن بسام الشنترینی (أربعة أقسام فی ثمانیة مجلدات). تحقیق الدکتور إحسان عباس. دار الثقافة، بیروت، ۱۹۷۸- ۱۹۷۹.

۷۱- الذیل و التکملة لابن عبد الملک المراکشی (۱- ۶). تحقیق الأستاذین محمد بن شریفة و إحسان عباس. دار الثقافة، بیروت، ۱۹۶۵- ۱۹۷۳.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۳۲

۷۲- الذیل و التکملة لابن عبد الملک المراکشی. الجزء الثامن. تحقیق الدکتور محمد بن شریفة. مطبوعات أکادیمیة المملکة المغربیة.

۷۳- رایات المبرزین، و غایات المیزین لابن سعید الأندلسی. تحقیق الدکتور محمد رضوان الدایة. دار طلاس، دمشق، ۱۹۸۷.

۷۴- رحلة ابن بطوطة، و تسمّی تحفة النّظّار فی غرائب الأمصار و عجائب الأسفار.

دار بیروت للطباعة و النشر، بیروت، ۱۹۸۰.

۷۵- رحلة البلوی: انظر تاج المفرق.

۷۶- رسائل ابن حزم الأندلسی (۱- ۴). تحقیق الدکتور إحسان عباس. المؤسسة العربیة للدراسات و النشر. بیروت، ۱۹۸۰- ۱۹۸۳.

۷۷- رسائل ابن سبعین لابن سبعین. تحقیق الدکتور عبد الرحمن بدوی. الدار المصریة للتألیف و الترجمة، القاهرة، ۱۹۵۶.

۷۸- رقم الحلل، فی نظم الدول لابن الخطیب. تعلیق الدکتور عدنان درویش.

وزارة الثقافة بدمشق، ۱۹۹۰.

۷۹- روضة التعریف، بالحب الشریف لابن الخطیب. نشره الأستاذ عبد القادر أحمد عطا، دار الفکر العربی بالقاهرة، ۱۹۶۸.

۸۰- الروض المعطار، فی خبر الأقطار للحمیری. تحقیق الدکتور إحسان عباس.

مؤسسة ناصر للثقافة. بیروت، ۱۹۸۰.

۸۱- ريحانة الكتّاب، و نجعة المنتاب لابن الخطيب (۱- ۲). تحقيق الأستاذ محمد عبد اللّه عنان. مكتبة الخانجى بالقاهرة، ۱۹۸۰- ۱۹۸۱.

۸۲- زاد المسافر، و غرّة محيّا الأدب السافر لأبى بحر صفوان بن إدريس التجيبى المرسى. تحقيق الأستاذ عبد القادر محداد. دار الرائد العربى، بيروت، ۱۹۳۹.

۸۳- السفن الإسلامية على حروف المعجم للأستاذ درويش النخيلى. الإسكندرية، ۱۹۷۴.

۸۴- سير أعلام النبلاء للذهبى (۱- ۲۳). تحقيق الأستاذين شعيب الأرنؤوط و إبراهيم الزيبق. مؤسسة الرسالة، بيروت، ۱۹۸۱- ۱۹۸۸.

۸۵- شذرات الذهب، فى أخبار من ذهب للعماد الحنبلى (۱- ۸). نشره القدسى، القاهرة، ۱۳۵۰- ۱۳۵۱ ه.

۸۶- شروح سقط الزند لأبى العلاء المعرى (۱- ۵). دار الكتب المصرية، ۱۹۴۵- ۱۹۴۸.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۳۳

۸۷- الشعر و الشعراء لابن قتيبة (۱- ۲). دار الثقافة، بيروت، ۱۹۶۹.

۸۸- صبح الأعشى، فى صناعة الإنشاء للقلقشندى (۱- ۱۴). شرحه و علّق عليه الأستاذ محمد حسين شمس الدين و الدكتور يوسف على طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۸۷.

۸۹- الصلة لابن بشكوال (۱- ۳). تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب المصرى بالقاهرة، دار الكتاب اللبنانى ببيروت، ۱۹۸۹.

۹۰- صلة الصلة لابن الزبير. تحقيق الأستاذ إ. ليقى بروفنسال. الرباط، ۱۹۳۷.

۹۱- الضّيّب و الجهام، و الماضى و الكهام لابن الخطيب. تحقيق الدكتور محمد الشريف قاهر. الشركة الوطنية للنشر و التوزيع. الجزائر. ۱۹۷۳.

۹۲- الضوء اللامع للسخاوى (۱- ۱۲). طبعة مصر، ۱۳۵۳- ۱۳۵۵ ه.

۹۳- طبقات الشعراء لابن سلام. نشر جوزف هل. دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۸۲.

۹۴- العبر، فى خبر من غبر للذهبى (۱- ۴). تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجد.

الكويت، ۱۹۶۰- ۱۹۶۳.

۹۵- عنوان الدراية، فيمن عرف من العلماء فى المائة السابعة ببجاية لأبى العباس الغبرينى. نشر بعناية الأستاذ محمد بن أبى شنب، الجزائر، ۱۹۱۰.

۹۶- عيون الأنباء، فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة. تحقيق الدكتور نزار رضا.

دار مكتبة الحياة. بيروت، ۱۹۶۵.

۹۷- غاية النهاية فى طبقات القرّاء لابن الجزرى (۱- ۳). تحقيق برجشتراسر.

القاهرة، ۱۹۳۲- ۱۹۳۳.

۹۸- الغصون اليانعة، فى محاسن شعراء المائة السابعة لابن سعيد. تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار المعارف بمصر، ۱۹۷۷.

۹۹- الفلاكة و المفلوكون لشهاب الدين أحمد بن على الدلجى. مكتبة الأندلس ببغداد، ۱۳۸۵ ه.

۱۰۰- الفهرست لابن النديم. ضبطه و شرحه الدكتور يوسف على طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۹۶.

۱۰۱- فهرسة ابن خير لابن خير (۱- ۲). تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبيارى. دار الكتاب المصرى بالقاهرة، دار الكتاب اللبنانى ببيروت، ۱۹۸۹.

۱۰۲- فوات الوفيات لابن شاكر الكتبى (۱- ۵). تحقيق الدكتور إحسان عباس. دار الثقافة، بيروت، ۱۹۷۳- ۱۹۷۴.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۳۴

۱۰۳- قضاة قرطبة للخشنی. تحقیق الأستاذ إبراهیم الأبیاری. دار الکتاب اللبنانی، بیروت، ۱۹۸۲.

۱۰۴- قلائد الجمان، فی التعریف بقبائل عرب الزمان للقلقشندی. تحقیق الأستاذ إبراهیم الأبیاری. دار الکتاب اللبنانی، بیروت، ۱۹۸۲.

۱۰۵- قلائد العقیان، فی محاسن الأعیان لابن خاقان. القاهرة، ۱۲۸۴ ه.

۱۰۶- الکامل فی التاریخ لابن الأثیر (۱- ۱۲). دار صادر، بیروت، ۱۹۸۲.

۱۰۷- کتاب العبر، و دیوان المتبدإ و الخبر لابن خلدون (ثمانیة مجلدات فی أربعة عشر جزءا). دار الکتاب اللبنانی، بیروت، ۱۹۸۱.

۱۰۸- کتاب القوافی للأخفش. تحقیق الدکتور عزّة حسن. دمشق، ۱۹۷۰.

۱۰۹- الکتیبة الکامنة، فی من لقیناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة لابن الخطیب.

تحقیق الدکتور إحسان عباس. دار الثقافة، بیروت، ۱۹۶۳.

۱۱۰- کشف الظنون، عن أسامی الکتب و الفنون لحاجی خلیفة (۱- ۲). إستانبول، ۱۹۴۱- ۱۹۴۳.

۱۱۱- کناسة الدکّان، بعد انتقال السّکّان لابن الخطیب. تحقیق الدکتور محمد کمال شبانة و الدکتور حسن محمود. دار الکاتب العربی للطباعة و النشر، القاهرة، ۱۹۶۶.

۱۱۲- لسان الدین ابن الخطیب، حیاته و تراثه الفکری لمحمد عبد اللّه عنان. مکتبة الخانجی، القاهرة، ۱۹۶۸.

۱۱۳- لسان العرب لابن منظور (۱- ۱۵). دار صادر، بیروت.

۱۱۴- اللمحة البدریة، فی الدولة النصریة لابن الخطیب. دار الآفاق الجدیدة، بیروت، ۱۹۸۰.

۱۱۵- مثلی الطریقة، فی ذمّ الوثیقة لابن الخطیب. تحقیق الأستاذ عبد المجید الترکی، دراسات و وثائق المؤسسة الوطنیة للکتاب. الجزائر، ۱۹۸۳.

۱۱۶- مجمع الأمثال للمیدانی (۱- ۲). تحقیق الأستاذ محمد محیی الدین عبد الحمید. مطبعة السّنّة المحمدیة، ۱۹۵۵.

۱۱۷- محیط المحیط للمعلّم بطرس البستانی. مکتبة لبنان، بیروت، ۱۹۷۷.

۱۱۸- مختار الصّحاح للرازی. مؤسسة الرسالة، دار البصائر، بیروت، ۱۹۸۵.

۱۱۹- المختصر، فی أخبار البشر لأبی الفدا (۱- ۴). المطبعة الحسینیة المصریة، الطبعة الأولی.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، مقدمةج۱، ص: ۳۵

۱۲۰- مدخل إلی الأدب الأندلسی للدکتور یوسف طویل. دار الفکر اللبنانی، بیروت، ۱۹۹۱.

۱۲۱- مذکرات الأمیر عبد اللّه آخر ملوک بنی زیری بغرناطة، المسمّاة بکتاب التبیان.

نشر و تحقیق إ. لیقی بروفنسال. دار المعارف بمصر، ۱۹۵۵.

۱۲۲- مرآة الجنان لأبی محمد الیافعی (۱- ۴). الهند، حیدر آباد الدکن، ۱۳۳۷- ۱۳۳۹ ه.

۱۲۳- المرقبة العلیا. انظر: تاریخ قضاة الأندلس.

۱۲۴- مروج الذهب للمسعودی (۱- ۴) ضبطها الأستاذ یوسف أسعد داغر. دار الأندلس، بیروت، ۱۹۸۱.

۱۲۵- مسالک الأبصار، فی ممالک الأمصار لشهاب الدین ابن فضل اللّه العمری (الجزء الحادی عشر). مخطوطة مصوّرة بالمیکروفیلم فی مکتبة الجامعة الأمیرکیة فی بیروت تحت رقم ۸۰- A- Mic .

۱۲۶- مشاهدات لسان الدین بن الخطیب فی بلاد المغرب و الأندلس (مجموعة من رسائله) لابن الخطیب. نشر و تحقیق الدکتور أحمد مختار العبادی. مؤسسة شباب جامعة الإسکندریة، ۱۹۸۳.

۱۲۷- المطرب، من أشعار أهل المغرب لابن دحیة. تحقیق الأستاذ إبراهیم الأبیاری و الدکتور حامد عبد الحمید و الدکتور أحمد أحمد بدوی. دار العلم للجمیع، بیروت، ۱۹۵۵.

۱۲۸- مطمح الأنفس، و مسرح التأنّس، فی ملح أهل الأندلس لابن خاقان. دراسة و تحقیق الأستاذ محمد علی شوابکة. دار عمار، مؤسسة الرسالة، بیروت، ۱۹۸۳.

۱۲۹- المعجب، فی تلخیص أخبار المغرب لعبد الواحد المراکشی. تحقیق الأستاذ محمد سعید العریان، القاهرة، ۱۹۶۳.

۱۳۰- معجم الأدباء لیاقوت الحموی (۱- ۵). دار الکتب العلمیة، بیروت، ۱۹۹۱.

۱۳۱- معجم البلدان لیاقوت الحموی (۱- ۵). دار صادر، دار بیروت، بیروت، ۱۹۸۴.

۱۳۲- معجم السّفر للسلفی. تحقیق الأستاذ عبد اللّه البارودی. دار الفکر، بیروت، ۱۹۹۳.

۱۳۳- معجم الشعراء للمرزبانی، و معه المؤتلف و المختلف للآمدی. تصحیح الدکتور ف. کرنکو. دار الکتب العلمیة، بیروت، ۱۹۸۲.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، مقدمة ج۱، ص: ۳۶

۱۳۴- المعجم فی أصحاب القاضی الإمام أبی علی الصدفی لابن الأبار. تحقیق الأستاذ إبراهیم الأبیاری. دار الکتاب المصری بالقاهرة، دار الکتاب اللبنانی، بیروت، ۱۹۸۹.

۱۳۵- المغرب، فی حلی المغرب لابن سعید الأندلسی (۱- ۲). تحقیق الدکتور شوقی ضیف. دار المعارف بمصر، ۱۹۶۴.

۱۳۶- المقتبس من أنباء أهل الأندلس لابن حیان القرطبی (تتمة السفر الثانی، و یؤرّخ من سنة ۲۳۲ حتی ۲۶۷ ه). تحقیق الدکتور محمود علی مکی. دار الکتاب العربی، بیروت، ۱۹۷۳.

۱۳۷- المقتبس فی أخبار بلد الأندلس لابن حیان القرطبی (و یؤرّخ من سنة ۳۶۰ حتی ۳۶۴ ه). تحقیق الأستاذ عبد الرحمن الحجی. دار الثقافة، بیروت، ۱۹۶۵.

۱۳۸- المقتبس لابن حیان القرطبی (الجزء الخامس، و یؤرّخ من سنة ۳۰۰ حتی ۳۳۰ ه). نشره ب. شالمیتا و ف. کورنیطی و الدکتور محمود صبح. المعهد الإسبانی العربی للثقافة. کلیة الآداب بالرباط، مدرید، ۱۹۷۹.

۱۳۹- المقتبس فی تاریخ الأندلس لابن حیان الأندلسی. تحقیق الدکتور عبد الرحمن علی الحجی، بیروت، ۱۹۶۵.

۱۴۰- المقتضب من کتاب تحفة القادم لابن الأبار. اختیار الأستاذ إبراهیم بن محمد البلفیقی، و تحقیق الأستاذ إبراهیم الأبیاری. دار الکتاب اللبنانی، بیروت، ۱۹۸۳.

۱۴۱- الملل و النّحل للشهرستانی (۱- ۲). تحقیق الأستاذ محمد سید کیلانی. دار المعرفة، بیروت.

۱۴۲- مملکة غرناطة فی عهد بنی زیری البربر للدکتورة مریم قاسم. مکتبة الوحدة العربیة بالدار البیضاء، دار الکتب العلمیة ببیروت، ۱۹۹۴.

۱۴۳- المؤنس، فی تاریخ إفریقیا و تونس لابن أبی دینار. تحقیق الأستاذ محمد شمام. المکتبة العتیقة بتونس، ۱۹۶۷.

۱۴۴- نثیر فرائد الجمان، فی نظم فحول الزمان لابن الأحمر. تحقیق الأستاذ محمد رضوان الدایة. دار الثقافة، بیروت، ۱۹۶۷.

۱۴۵- النجوم الزاهرة، فی ملوک مصر و القاهرة لابن تغری بردی (۱- ۱۶). نسخة مصوّرة عن طبعة دار الکتب. وزارة الثقافة، المؤسسة المصریة العامّة للتألیف و الترجمة و الطباعة و النشر.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، مقدمة ج۱، ص: ۳۷

۱۴۶- نخبة الدهر، فی عجائب البر و البحر. طبع بمدینة بطرسبورغ فی مطبعة الأکادیمیة الإمبراطوریة، سنة ۱۸۶۵.

۱۴۷- نزهة المشتاق، فی اختراق الآفاق للشریف الإدریسی (۱- ۲). دار عالم الکتاب، بیروت، ۱۹۸۹.

۱۴۸- نصوص عن الأندلس من کتاب ترصیع الأخبار و تنویع الآثار و البستان فی غرائب البلدان و المسالک إلی جمیع الممالک لأحمد بن عمر العذری، المعروف بابن الدلائی. تحقیق الدکتور عبد العزیز الأهوانی. و طبعة معهد الدراسات الإسلامیة.

۱۴۹- نفاضة الجراب، فی علالة الاغتراب لابن الخطیب. تحقیق الدکتور أحمد مختار العبادی. دار الکاتب العربی للطباعة و النشر

بالقاهرة.
۱۵۰- نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب للمقرى (۱- ۱۰). تحقيق الدكتورة مريم قاسم و الدكتور يوسف طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۹۵.
۱۵۱- نهاية الأندلس و تاريخ العرب المتنصرين للأستاذ محمد عبد اللّه عنان. مطبعة لجنة التأليف و الترجمة و النشر، ۱۹۶۶.
۱۵۲- نيل الابتهاج، بتطريز الديباج لأحمد بابا التنبكتى. طبعة فاس.
۱۵۳- هديّة العارفين أسماء المؤلّفين و آثار المصنّفين من كشف الظنون لإسماعيل باشا البغدادى (۱- ۲). إستانبول، ۱۹۵۱- ۱۹۵۵.
۱۵۴- الوافى بالوفيات لصلاح الدين الصفدى (۱- ۲۲). إستانبول و فيسبادن، ۱۹۳۱- ۱۹۸۳.
۱۵۵- الوفيات لابن قنفذ. تحقيق الأستاذ عادل نويهض. دار الآفاق الجديدة، بيروت، ۱۹۸۳.
۱۵۶- وفيات الأعيان لابن خلّكان (۱- ۵). تحقيق الدكتورة مريم قاسم و الدكتور يوسف طويل. دار الكتب العلمية، بيروت، ۱۹۹۸.
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳

[مقدمة المؤلف]

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم و صلّى اللّه على سيّدنا محمد و آله و صحبه و سلّم قال الشيخ الأديب البارع أبو عبد اللّه محمد بن عبد اللّه بن الخطيب السّلمانى:
أمّا بعد حمد اللّه الذى أحصى الخلائق عددا، و ابتلاهم اليوم ليجزيهم غدا، و جعل جيادهم تتسابق فى ميادين الآجال إلى مدى، و باين بينهم فى الصور و الأخلاق و الأعمال و الأرزاق فلا يجدون بما قسم محيصا و لا فيما حكم ملتحدا ، وسعهم علمه على تباين أفراقهم و تكاثف أعدادهم والدا و ولدا، و نسبا و بلدا، و وفاة و مولدا، فمنهم النّبيه و الخامل، و الحالى و العاطل، و العالم و الجاهل، و لا- يظلم ربّك أحدا. و جعل لهم الأرض ذلولا- يمشون فى مناكبها و يتّخذون من جبالها بيوتا و من متاعها عددا. و خصّ بعض أقطارها بمزايا تدعو إلى الاغتباط و الاعتمار ، و تحثّ على السكون و الاستقرار، متبوّءا فسيحا، و هواء صحيحا، و ماء نميرا، و امتناعا شهيرا، و رزقا رغدا. فسبحان من جعل التّفاضل فى المساكن و السّاكن، و عرّف العباد عوارف اللطف فى الظاهر و الباطن، و لم يترك شيئا سدى.
و الصلاة و السلام على سيّدنا و مولانا محمد الذى ملأ الكون نورا و هدى، و أوضح سبيل الحق و كانت طرائق قددا ، أعلى الأنام يدا، و أشرف الخلق ذاتا و أكرمهم محتدا، الذى أنجز اللّه به من نصر دينه الحقّ موعدا، حتى بلغت دعوته ما زوى له من هذا المغرب الأقصى فرفعت بكل هضبة معلما و بنت بكل قلعة مسجدا. و الرّضى على آله و أصحابه الذين كانوا لسماء سنّته عمدا، ليوث العدا،
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۴
و غيوث النّدى، ما أقل ساعد يدا، و عمر فكر خالدا، و ما صباح بدا، و أورق شدا، فإن اللّه، عزّ وجهه، جعل الكتاب لشوارد العلم قيدا، و جوارح اليراع تثير فى السهول الرّقاع صيدا. و لو لا ذلك لم يشعر آت فى الخلق بذاهب، و لا اتصل شاهد بغائب، فماتت الفضائل بموت أهلها، و أفلت نجومها عن أعين مجتليها، فلم يرجع إلى خبر ينقل، و لا- دليل يعقل، و لا- سياسة تكتسب، و لا أصالة إليها ينتسب، فهدى سبحانه و ألهم، و علّم الإنسان بالقلم، علم ما لم يكن يعلم، حتى ألفينا المراسم بادية، و المراشد هادية، و الأخبار منقولة، و الأسانيد موصولة، و الأصول محرّرة، و التواريخ مقرّرة، و السير مذكورة، و الآثار مأثورة، و الفضائل من بعد أهلها باقية خالدة، و المآثر ناطقة شاهدة، كأنّ النهار القرطاس، و الليل المداد، ينافسان الليل و النهار، فى عالم الكون و الفساد، فمهما طويا شيئا، و لعا هما بنشره، أو دفنا ذكرا دعوا إلى نشره.
فلو أنّ لسان الدهر نطق، و تأمّل هذه المناقضة و تحقّق، لأتى بما شاء من عتب و لوم، و أنشده: [الوافر]

أعلّمه الرماية كل يوم و لمّا كان الفنّ التاريخى مأرب البشر، و وسيلة إلى ضمّ النشر، يعرفون به أنسابهم فى ذلك شرعا و طبعا ما فيه، و يكتسبون به عقل التجربة فى حال السكون و التّرفيه ، و يستدلّون ببعض ما يبدى به الدهر و ما يخفيه، و يرى العاقل من تصريف قدرة اللّه تعالى ما يشرح صدره بالإيمان و يشفيه، و يمرّ على مصارع الجبابرة فيحسبه بذلك واعظا و يكفيه، و كتاب اللّه يتخلّله من القصص ما يتمّم هذا الشاهد لهذا الفن و يوفّيه. و قال اللّه تعالى : وَ كُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۵

بِهِ فُؤادَكَ . و قال عزّ و جلّ : نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِما أَوْحَيْنا إِلَيْكَ هذَا الْقُرْآنَ وَ إِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغافِلِينَ (۳) .

الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۱ ؛ ص۵

ضح سبيل مبين، و ظهر أن القول بفضله يقتضيه عقل و دين، و أن بعض المصنّفين ممّن ترك نومه لمن دونه، و أنزف ماء شبابه مودعا إياه بطن كتابه يقصده الناس و يردونه، اختلفت فى مثل هذا الباب أغراضهم؛ فمنهم من اعتنى بإثبات حوادث الزمان، و منهم من اعتنى برجاله بعد اختيار الأعيان، عجزا عن الإحاطة بهذا الشأن، عموما فى أكثر الأقطار و خصوصا فى بعض البلدان، فاستهدف إلى التعميم فرسان الميدان، و توسّعوا بحسب مادة الاطّلاع و جهد الإمكان، و جنح إلى التخصيص من أثر الأولوية بحسب ما يخصّه من المكان، و يلزمه من حقوق السكان، مغرما برعاية عهود وطنه و حسن العهد من الإيمان، بادئا بمن يعوله كما جاء فى الطّرق الحسان. فتذكرت جملة من موضوعات من أفرد لوطنه تاريخا هزّ إليها- علم اللّه- وفاء و كرم، و دار عليها بقول اللّه من رحمته الواسعة حرم، كتاريخ مدينة بخارى لأبى عبد اللّه محمد بن أحمد بن سليمان الفخار. و تاريخ أصبهان لأبى نعيم أحمد بن عبد اللّه الحافظ صاحب الحلية. و تاريخ أصبهان أيضا لأبى زكريا يحيى بن عبد الوهاب بن قندة الحافظ. و تاريخ نيسابور للحاكم أبى عبد اللّه بن البيع، و ذيله لعبد الغافر بن إسماعيل. و تاريخ همذان لأبى شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه محمد بن فنا خسرو الديلمى. و تاريخ طبقات أهل شيراز لأبى عبد اللّه محمد بن عبد العزيز بن القصار. و تاريخ هراة، أظنه لأبى عبد اللّه الحسن بن محمد الكتبى.

و أخبار هراة أيضا و من نزلها من التابعين و غيرهم من المحدّثين لأبى إسحاق أحمد بن ياسين الحداد. و تاريخ سمرقند لعبد الرحمن بن محمد الأردسى. و تاريخ نسف لجعفر بن المعبر المستغفرى. و تاريخ جرجان لأبى القاسم حمزة بن يوسف بن إبراهيم السهمى. و تاريخ الرّقّة لأبى على محمد بن سعيد بن عبد الرحمن القشيرى.

و تاريخ بغداد للخطيب أبى بكر بن ثابت، و ذيله لأبى سعيد عبد الكريم بن محمد بن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۶

منصور السمعانى. و أخبار بغداد لأحمد بن أبى طاهر. و تاريخ واسط لأبى الحسين على بن الطيب الخلافى. و تاريخ من نزل حمص من الصحابة و من دخلها، و من ارتحل عنها، و من أعقب، و لم يعقّب، و حدّث و لم يحدّث، لأبى القاسم عبد الصمد بن سعيد القاضى. و تاريخ دمشق لأبى القاسم على بن الحسن بن عساكر.

و تاريخ مكة للأزرقى. و تاريخ المدينة لابن النجّار. و تاريخ مصر لعبد الرحمن بن أحمد بن نواس. و تاريخ الإسكندرية لوجيه الدين أبى المظفر منصور بن سليمان بن منصور بن سليم الشافعى. و تاريخ طبقات فقهاء تونس لأبى محمد عبد اللّه بن إبراهيم بن أبى العبّاس بن خلف التميمى. و عنوان الدّراية فى ذكر من كان فى المائة السابعة ببجاية، لأبى العباس بن الغبرينى. و تاريخ تلمسان لابن الأصفر، و تاريخها أيضا لابن هديّة. و تاريخ فاس لابن عبد الكريم، و تاريخها أيضا لابن أبى زرع.

و تاريخ فاس أيضا للقونجى، و تاريخ سبتة، المسمّى بالفنون السّتّة، لأبى الفضل عياض بن موسى بن عياض، تركه فى مسوّدته. و تاريخ بلنسية لابن علقمة. و تاريخ إلبيرة لأبى القاسم محمد بن عبد الواحد الغافقى الملّاحى. و تاريخ شقورة لابن إدريس. و تاريخ مالقة لأبى عبد اللّه بن عسكر، تركه غير متمّم، فتمّمه بعد وفاته ابن أخيه أبو بكر خمسين. و الإعلام بمحاسن الأعلام من أهل مالقة، لأبى العباس أصبغ بن العباس. و الاحتفال فى أعلام الرجال، لأبى بكر الحسن بن محمد بن مفرّج القيسى. و تاريخ قرطبة، و منتخب

كتاب الاحتفال، و تاريخ الرؤساء و الفقهاء و القضاة بطليطلة، لأبى جعفر بن مظاهر، و منتخبه لأبى القاسم بن بشكوال. و تاريخ فقهاء قرطبة لابن حيّان. و تاريخ الجزيرة الخضراء لابن خمسين. و تاريخ قلعة يحصب، المسمّى بالطالع السّعيد، لأبى الحسن بن سعيد. و تاريخ بقيرة، لأبى عبد اللّه بن المؤذن. و الدّرّة المكنونة فى أخبار أشبونة، لأبى بكر بن محمد بن إدريس الفرابى العالوسى. و مزيّة ألمريّة لأبى جعفر أحمد بن خاتمة، من أصحابنا. و تاريخ ألمرية و باجة، لشيخنا نسيج وحده أبى البركات بن الحاج، متّع اللّه بإفادته، و هو فى مبيّضته، لم يرمها بعد.

فداخلتنى عصبيّة لا تقدح فى دين و لا منصب، و حميّة لا يذمّ فى مثلها متعصّب، رغبة أن يقع سؤالهم و ذكرهم من فضل اللّه جناب مخصب، و رأيت أن هذه الحضرة التى لا خفاء بما وفّر اللّه من أسباب إيثارها، و أراده من جلال

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۷

مقدارها، جعلها ثغر الإسلام و متبوّأ العرب الأعلام، قبيل رسوله، عليه أفضل الصلاة و أزكى السلام، و ما خصّها به من اعتدال الأقطار، و جريان الأنهار، و انفساح الاعتمار ، و التفاف الأشجار. نزلها العرب الكرام عند دخولهم مختطّين و مقتطعين ، و هبّوا بدعوة فضلها مهطعين ، فعمروا و أولدوا، و أثبتوا المفاخر و خلّدوا، إلى أن صارت دار ملك، و لبّة سلك، فنبه المقدار و إن كان نبيها، و ازدادت الخطّة ترفيعا ، و جلب إلى سوق الملإ بما نفق فيها. فكم ضمّت جدرانها من رئيس يتّقى الصباح هجومه، و يتخوّف اللّيل طروقه و وجومه، و يفتقر الغيث لنوافله الممنوحة و سجومه، و عالم يبرز للفنون فيطيعه عاصيها، و يدعو بالمشكلات فيأخذ بنواصيها، و عالم بالله قد وسم السجود جبينه، و أشعث أغبر لو أقسم على اللّه لأبرّ يمينه، و بليغ قد أذعنت لبراعة خطّه و شيجة الخط، يغوص على درر البدائع، فيلقيها من طرسه الرائع على الشّط، لم يقم بحقها ممتعض حقّ الامتعاض، و لا فرّق بين جواهرها و بين الأغراض. هذا و سمر الأقلام مشرعة، و مكان القول و الحمد للّه ذو سعة، فهى الحسناء التى عدمت الذّام، و زيّنت الليالى و الأيام. و الهوى إن قيل كلفت بمغانيها، و قصرت الأيام على معانيها، فعاشق الجمال عذره مقبول ، و للّه درّ أبى الطيب حيث

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸

يقول : [الوافر]

ضروب الناس عشّاق ضروبافأعذرهم أشفّهم حبيبا

فلست ببدع ممّن فتن بحب وطن، و لا بأول ما شاقه منزل فألقى بالعطن، فحبّ الوطن معجون بطينة ساكنه، و طرفه مغرى بإتمام محاسنه، و قد نبّه على بن العباس على السّبب، و جاء فى التماس التّعليل بالعجب، حيث يقول: [الطويل]

و حبّب أوطان الرجال إليهمآرب قضّاها الشّباب هنالكا

إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهمعهود الصّبا فيها فحنّوا لذلكا

و رميت فى هذا المعنى بسهم سديد، و ألمحت بغرض إن لم يكنه فليس ببعيد:

[الطويل]

أحبّك يا مغنى الجلال بواجبو أقطع فى أوصافك الغرّ أوقات

تقسّم منك التّرب قومى و جيرتىففى الظّهر أحياء و فى البطن أموات

و قد كان أبو القاسم الغافقى من أهل غرناطة، قام من هذا الغرض بفرض، و أتى من كله ببعض، فلم يشف من غلّة، و لا سدّ خلّة، و لا كثّر قلّة، فقمت بهذا الوظيف، و انتدبت فيه للتأليف، و رجوت على نزارة حظّ الصّحة، و ازدحام الشواغل الملحّة، أن أضطلع من هذا القصد بالعبء الذى طالما طأطأت له الأكتاد، و أقف منه الموقف الذى تهيّبته الأبطال الأنجاد، فاتخذت الليل جملا لهذه الطّيّة ، و انتضيت

غارب العزم و نعمت المطيّة، بحيث لا مؤانس إلّا ذبال يكافح جيش الدّجى، و دفاتر تلفح الحجا، و خواطر تبتغى إلى سماء الإجادة

معرجا؛ و إذا صحب العمل صدق النّيّة، أشرقت من التّوفيق كلّ ثنيّة، و طلعت من السّداد كلّ غرّة سنيّة، و قد علم اللّه أنى لم أعتمد منها دنيا أستمنحها، و لا نسمة جاه يستنشق ريحها؛ و إنما هو صبح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹

تبيّن، و حقّ رأيته علىّ قد تعيّن، بذلت فيه جهدى، و أقطعته جانب سهدى، لينظم هذا البلد بمثله، مما أثير كامنه، و سطّرت محاسنه، و أنشر بعد الممات جانبه :

[الوافر]

و ما شرّ الثلاثة أمّ عمروبصاحبك الذى لا تصبحينا

فلم أدع واحدة إلّا استنجدتها، و لا حاشية إلّا احتشدتها، و لا ضالّة إلّا نشدتها؛ و المجتهد فى هذا الغرض مقصّر، و المطيل مختصر، إذ ما ذكر لا نسبة بينه و بين ما أغفل، و ما جهل أكثر مما نقل، و بحار المدارك مسجورة ، و غايات الإحسان على الإنسان محجورة؛ و من أراد أن يوازن هذا الكتاب بغيره من الأوضاع فليتأمّل قصده، و يثير كامنه، و يبدى خبائنه ، تتّضح له المكرمة، و لا تخفى عليه النّصفة، و يشاهد مجزى السّيّئة بالحسنة، و الإغراب عن الوصمة و الظّنّة، إذ الفاضل فى عالم الإنسان، من عددت سقطاته، فما ظنّك بمفضوله. و للمعاصر مزية المباشرة، و مزيد الخبرة، و داعى التشفّى و المقارضة؛ وسع الجميع السّتر، و شملهم البرّ، و نشرت جنائزهم لسقى الرحمة، و مثنى الشفاعة، إلّا ما شذّ من فاسق أباح الشرع حماه، أو غادر وسمه الشؤم الذى جناه، فتختلّ عرضه عن تخليد مجد، و تدوين فخر، و إبقاء ذكر، لمن لم يهمّه قطّ تحقيق اسم أبيه، و لم يعمل لما بعد يومه، فكم خلف مما ذكر فيه يجده بين يديه، شفيعا فى زلّة، أو آخذا بضبع إلى رتبة، أو قائما عند ضيم بحجّة؛ أو عانس يقوم لها مقام متاع و نحلة، أو غريب يحلّ بغير قطره فيفيده نحلة، صاعد خدم قاعدا و نائما. و قد رضينا بالسلامة عن الشكر، و الإصغاء عن المثوبة، و النّصفة عوض الحسرة، إذ الناس على حسب ما سطّر و رسم، و لا حول و لا قوّة إلّا بالله العلىّ العظيم.

و الترتيب الذى انتهت إليه حيلتى، و صرفت فى اختياره مخيلتى، هو أنى ذكرت البلدة ، حاطها اللّه، منبّها منها على قديمها، و طيب هوائها و أديمها، و إشراق علاها، و محاسن حلاها، و من سكنها و تولّاها، و أحوال أناسها، و من دال بها من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۰

ضروب القبائل و أجناسها، و أعطيت صورتها، و أزحت فى الفخر ضرورتها، و ذكرت الأسماء على الحروف المبوّبة، و فصلت أجناسهم بالتراجم المترتّبة، فذكرت الملوك و الأمراء، ثم الأعيان و الكبراء، ثم الفضلاء، ثم القضاة، ثم المقرئين و العلماء، ثم المحدّثين و الفقهاء، و سائر الطلبة النجباء، ثم الكتّاب و الشعراء، ثم العمّال الأثراء، ثم الزّهّاد و الصّلحاء، و الصوفيّة و الفقراء، ليكون الابتداء بالملك، و الاختتام بالمسك، و لينظم الجميع انتظام السّلك، و كلّ طبقة تنقسم إلى من سكن المدينة بحكم الأصالة و الاستقرار، أو طرأ عليها مما يجاورها من الأقطار، أو خاض إليها و هو الغريب أثباج البحار، أو ألمّ بها و لو ساعة من نهار؛ فإن كثرت الأسماء نوّعت و توسّعت، و إن قلت اختصرت و جمعت. و آثرت ترتيب الحروف فى الأسماء، ثم فى الأجداد و الآباء، لشرود الوفيات و المواليد، التى رتّبها الزمان عن الاستقصاء، و ذهبت إلى أن أذكر الرجل و نسبه و أصالته و حسبه، و مولده و بلده، و مذهبه و أنحاله؛ و الفنّ الذى دعا إلى ذكره، و حليته و مشيخته، إن كان ممّن قيّد علما أو كتبه؛ و مآثره إن كان ممّن وصل الفضل بسببه؛ و شعره إن كان شاعرا؛ و أدبه و تصانيفه، إن كان ممّن ألّف فى فن أو هذّبه؛ و محنته إن كان ممّن بزّه الدهر شيئا أو سلبه؛ ثم وفاته و منقلبه، إذ استرجع اللّه من منحه حياته ما وهبه.

و جعلت هذا الكتاب قسمين، و مشتملا على فنّين: القسم الأول؛ «فى حلى المعاهد و الأماكن، و المنازل و المساكن». القسم الثانى؛ «فى حلى الزّائر و القاطن، و المتحرّك و السّاكن».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۱

القسم الأوّل فى حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن

اشارة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳

فصل فى اسم هذه المدينة و وضعها على إجمال و اختصار

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم يقال غرناطة، و يقال إغرناطة ، و كلاهما أعجمى، و هى مدينة كورة إلبيرة، فبينهما فرسخان و ثلثا فرسخ . و إلبيرة من أعظم كور الأندلس، و متوسّطة ما اشتمل عليه الفتح من البلاد، و تسمّى فى تاريخ الأمم السالفة من الرّوم، سنام الأندلس، و تدعى فى القديم بقسطيليّة. و كان لها من الشّهرة و العمارة، و لأهلها من الثروة و العدّة، و بها من الفقهاء و العلماء، ما هو مشهور. قال أبو مروان بن حيّان: كان يجتمع بباب المسجد الجامع من إلبيرة خمسون حكمة ، كلها من فضّة لكثرة الأشراف بها. و يدلّ على ذلك آثارها الخالدة، و أعلامها الماثلة، كطلل مسجدها الجامع، الذى تحامى استطالة البلى، كسلت عن طمس معالمه أكفّ الرّدى، إلى بلوغ ما فسح له من المدى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴

بناه الأمير محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، أمير المؤمنين الخليفة بقرطبة، رحمه اللّه، على تأسيس حنش بن عبد اللّه الصّنعانى الشافعى، رحمه اللّه، و على محرابه لهذا الوقت: «بسم اللّه العظيم، بنيت للّه؛ أمر ببنائها الأمير محمد بن عبد الرحمن، أكرمه اللّه، رجاء ثوابه العظيم؛ و توسيعا لرعيته؛ فتمّ بعون اللّه على يدى عبد اللّه بن عبد اللّه، عامله على كورة إلبيرة فى ذى قعدة سنة خمسين و مائتين».

و لم تزل الأيام تخيف ساكنها، و العفاء يتبوّأ مساكنها، و الفتن الإسلامية تجوس أماكنها، حتى شملها الخراب، و تقسّم قاطنها الاغتراب، و كلّ الذى فوق التّراب تراب. و انتقل أهلها مدة أيام الفتنة البربريّة سنة أربعمائة من الهجرة، فما بعدها، و لجأوا إلى مدينة غرناطة، فصارت حاضرة الصّقع، و أمّ المصر، و بيضة ذلك الحقّ، لحصانة وضعها، و طيب هوائها، و درور مائها، و وفور مدتها، فأمن فيها الخائف، و نظم النّشر، و رسخت الأقدام، و تأثّل المصر، و هلمّ جرّا. فهى بالأندلس، قطب بلاد الأندلس، و دار الملك، و قرى الإمارة، أبقاها اللّه متبوّأ الكلمة إلى أن يرث اللّه الأرض و من عليها بقدرته.

من «كتاب إلبيرة» ، قال: بعد ذكر إلبيرة، و قد خلفها بعد ذلك كله مدينة غرناطة من أعظم مدنها و أقدمها، عندما انقلبت العمارة إليها من إلبيرة، و دارت أفلاك البلاد الأندلسية، فهى فى وقتنا هذا قاعدة الدّنيا، و قرارة العليا، و حاضرة السلطان، و قبّة العدل و الإحسان. لا يعدلها فى داخلها و لا خارجها بلد من البلدان، و لا يضاهيها فى اتّساع عمارتها، و طيب قرارتها، وطن من الأوطان. و لا يأتى على حصر أوصاف جمالها، و عدّ أصناف جلالها، قلم البيان. أدام اللّه فيها العزّ للمسلمين و الإسلام، و حرسها و من اشتملت عليه من خلفائه، و أنصار لوائه، بعينه التى لا تنام، و ركنه الذى لا يرام.

و هذه المدينة من معمور الإقليم الخامس ، يبتدئ من الشرق، من بلاد يأجوج و مأجوج، ثم يمرّ على شمال خراسان، و يمرّ على سواحل الشام، ممّا يلى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۵

الشمال، و يمرّ على بلاد الأندلس، قرطبة و إشبيلية و ما والاها إلى البحر المحيط الغربى. و قال صاعد بن أحمد فى كتاب «الطّبقات»: إنّ معظم الأندلس فى الإقليم الخامس، و طائفة منها فى الإقليم الرابع، كمدينة إشبيلية، و مالقة، و غرناطة، و ألمريّة و مرسية.

و ذكر العلماء بصناعة الأحكام أنّ طالعها الذى اختطّت به السّرطان، و نحلوها، لأجل ذلك، مزايا، و حظوظا من السعادة، اقتضاها

تسيير أحكام القرانات الانتقاليّة على عهد تأليف هذا الموضع.

و طولها سبع و عشرون درجة و ثلاثون دقيقة ، و عرضها سبع و ثلاثون درجة و عشر دقائق. و هى مساوية فى الطول بأمر يسير لقرطبة، و ميورقة، و ألمريّة؛ و تقرب فى العرض من إشبيلية، و ألمريّة، و شاطبة و طرطوشة، و سردانية، و أنطاكية، و الرّقة. كل ذلك بأقلّ من درجة. فهى شاميّة فى أكثر أحوالها، قريبة من الاعتدال، و بينها و بين قرطبة، أعادها اللّه تعالى، تسعون ميلا. و هى منها بين شرق و قبلة. و بحر الشام يحول و يحاجز بين الأندلس و بلاد العدوة ، و بين غرب و قبلة على أربعة برد . و الجبال بين شرق و قبلة، و البراجلات بين شرق و جوف ، و الكنبانيّة بين غرب و قبلة، و بين جوف و غرب، فهى لمكان جوار السّاحل، ممارة بالبواكر السّاحلية، طيبة البحار، و ركاب لجهاد البحر، و لمكان استقبال الجبال، المقصودة بالفواكه المتأخّرة اللحاق، معلّلة بالمدّخرات،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۶

و لمكان استدبار الكنبانيّة و اضطبار البراجلات؛ بحر من بحور الحنطة، و معدن للحبوب المفضلة، و لمكان شلير، جبل الثلج ، أحد مشاهير جبال الأرض، الذى ينزل به الثلج شتاء و صيفا، و هو على قبلة منها على فرسخين؛ و ينساب منه ستة و ثلاثون نهرا من فوّهات الماء، و تنبجس من سفوحه العيون، صحّ منها الهواء، و اضطردت فى أرجائها و ساحاتها المياه، و تعدّدت الجنّات بها و البساتين، و التفّت الأدواح، و شمّر الرّوّاد على منابت العشب فى مظانّ العقار مستودعات الأدوية و التّرياقيّة. و بردها لذلك فى المنقلب الشتوى شديد، و تجمد بسببه الأدهان و المائعات، و يتراكم بساحاتها الثلج فى بعض السنين، فجسوم أهلها لصحّة الهواء صلبة، و سحانهم خشنة، و هضومهم قويّة، و نفوسهم لمكان الحرّ الغريزى جريّة .

و هى دار منعة و كرسى ملك، و مقام حصانة. و كان ابن غانية يقول للمرابطين فى مرض موته، و قد عوّل عليها للامتساك بدعوتهم: الأندلس درقة، و غرناطة قبضتها؛ فإذا جشّمتم يا معشر المرابطين القبضة، لم تخرج الدرقة من أيديكم.

و من أبدع ما قيل فى الاعتذار عن شدّة بردها، ما هو غريب فى معناه، قول شيخنا القاضى أبى بكر بن شبرين رحمه اللّه : [الطويل]

رعى اللّه من غرناطة متبوّءايسرّ كئيبا أو يجير طريدا

تبرّم منها صاحبى عندما رأىمسارحها بالبرد عدن جليدا

هى الثّغر صان اللّه من أهلت بهو ما خير ثغر لا يكون برودا؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۷

و قال الرّازى عند ذكر كورة إلبيرة: و يتصل بأحواز قبرة كورة إلبيرة، و هى بين الشّرق و القبلة، و أرضها سقى غزيرة الأنهار، كثيرة الثّمار، ملتفّة الأشجار، أكثرها أدواح الجوز، و يحسن فيها قصب السّكر؛ و لها معادن جوهرية من ذهب، و فضة، و رصاص، و حديد. و كورة إلبيرة أشرف الكور، نزلها جند دمشق. و قال: لها من المدن الشريفة مدينة قسطيليّة، و هى حاضرة إلبيرة، و فحصها لا يشبّه بشىء من بقاع الأرض طيبا و لا شرفا إلّا بالغوطة؛ غوطة دمشق.

و قال بعض المؤرّخين : و من كرم أرضنا أنها لا تعدم زريعة بعد زريعة؛ و رعيا بعد رعى، طول العام؛ و فى عمالتها المعادن الجوهرية من الذهب، و الفضة، و الرّصاص، و الحديد، و التوتيا. و بناحية دلاية من عملها، عود اليلنجوج ، لا يفوقه العود الهندى ذكا و عطر رائحة. و قد سيق منه لخيران صاحب ألمرية أصل كان منبته بين أحجار هناك. و بجبل شلير منها سنبل فائق الطّيب، و به الجنطيانا، يحمل منه إلى جميع الآفاق، و هو عقير رفيع، و مكانه من الأدوية التريا‌قية مكانه. و به المرقشينة على اختلافها، و اللّازورد. و بفحصها و ما يتصل به القرمز. و بها من العقّار و الأدوية النّباتية و المعدنية ما لا يحتمل ذكرها الإيجاز. و كفى بالحرير الذى فضلت به فخرا وقيتة، و غلّة شريفة، و فائدة عظيمة، تمتاره منها البلاد، و تجلبه الرفاق، و فضيلة لا يشاركها فيها إلّا البلاد العراقية. و فحصها الأفيح، المشبّه بالغوطة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۸

الدمشقية ، حديث الرّكاب، و سمر الليالى، قد دحاه اللّه فى بسيط سهل تخترقه المذانب، و تتخلّله الأنهار جداول، و تتزاحم فيه القرى و الجنّات، فى ذرع أربعين ميلا- أو نحوها، تنبو العين فيها عن وجهه؛ و لا- تتخطّى المحاسن منها إلّا مقدار رقعة الهضاب، و الجبال المتطامية منه بشكل ثلثى دارة ، قد عرت منه المدينة فيما يلى المركز لجهة القبلة، مستندة إلى أطواد سامية، و هضاب عالية، و مناظر مشرفة؛ فهى قيد البصر، و منتهى الحسن، و معنى الكمال، أضفى اللّه عليها، و على من بها من عباده المؤمنين جناح ستره، و دفع عنهم عدوّ الدّين بقدرته.

فصل فى فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ

قال المؤلّف: اختلف المؤرّخون فى فتحها؛ قال ابن القوطيّة : إن يليان الرّومى الذى ندب العرب إلى غزو الأندلس طلبا لوتره من ملكها لذريق بما هو معلوم، قال لطارق بن زياد مفتتحها عندما كسر جيش الرّوم على وادى لكّه: قد فضضت جيش القوم و دوّخت حاميتهم، و صيّرت الرّعب فى قلوبهم، فاصمد لبيضتهم؛ و هؤلاء أدلّاء من أصحابى، ففرّق جيوشك فى البلدان بينهم ، و اعمد أنت إلى طليطلة بمعظمهم، و أشغل القوم عن النظر فى أمرهم ، و الاجتماع إلى ولىّ رأيهم.

قال : ففرّق طارق جيوشه من إستجّة؛ فبعث مغيثا الرّومى، مولى الوليد بن عبد الملك بن مروان إلى قرطبة؛ و بعث جيشا آخر إلى مالقة ؛ و أرسل

جيشا ثالثا إلى غرناطة مدينة إلبيرة؛ و سار هو فى معظم الناس إلى كورة جيّان يريد طليطلة. قال : فمضى الجيش الذى وجّه طارق إلى مالقة ففتحها، و لجأ علوجها إلى جبال هناك ممتنعة. ثم لحق ذلك الجيش بالجيش المتوجّه إلى إلبيرة، فحاصروا مدينتها، و فتحوها عنوة؛ و ألفوا بها يهودا ضمّوهم إلى قصبة غرناطة؛ و صار لهم ذلك سنّة متّبعة، متى وجدوا بمدينة فتحوها يهودا، يضمّونهم إلى قصبتها، و يجعلون معهم طائفة من المسلمين يسدّونها. ثم مضى الجيش إلى تدمير.

و كان دخول طارق بن زياد الأندلس يوم الاثنين لخمس خلون من رجب سنة اثنتين و تسعين . و قيل فى شعبان، و قيل فى رمضان، بموافقة شهر غشت من شهور العجمية.

و ذكر معاوية بن هشام و غيره : أن فتح ما ذكر تأخّر إلى دخول موسى بن نصير فى سنة ثلاث و تسعين. فتوجّه ابنه عبد الأعلى فى جيش إلى تدمير فافتتحها، و مضى إلى إلبيرة فافتتحها، ثم توجّه إلى مالقة.

قال المؤلّف رحمه اللّه: و لمّا استقرّ ملك الإسلام بجزيرة الأندلس، و رمى إلى قصبتها الفتح، و اشرأبّ فى عرصاتها الدّين، و نزلت قرطبة و سواها العرب، فتبوّؤوا الأوطان، و عمروا البلدان، فالدّاخلون على يد موسى بن نصير يسمّون بالبلديّين، و الداخلون بعضهم مع بلج بن بشر القشيرى، يسمّون بالشّاميين. و كان دخول بلج بن بشر القشيرى بالطّالعة البلجيّة سنة خمس و عشرين و مائة.

و لمّا دخل الشاميّون مع أميرهم بلج، حسبما تقرّر فى موضعه، و هم أسود الشّرى عزّة و شهامة، غصّ بهم السابقون إلى الأندلس، و هم البلديّون، و طالبوهم بالخروج عن بلدهم الذى فتحوه، و زعموا أنه لا يحملهم و إياهم، و اجتمعوا لغزوهم، فكانت الحروب تدور بينهم، إلى أن وصل الأندلس أبو الخطّار حسام بن ضرار الكلبى، عابرا إليها البحر من ساحل تونس، و أظلّ على قرطبة على حين غفلة، و قد

ستر خبر نفسه، و الحرب بينهم، فانقاد إليه الجميع بحكم عهد مدينه حنظلة بن صفوان والى إفريقية ، و قبض على وجوه الشاميّين عازما عليهم فى الانصراف حسبما هو مشهور؛ و رأى تفريق القبائل فى كور الأندلس، ليكون أبعد للفتنة، ففرّقهم، و أقطعهم ثلث أموال أهل الذّمّة، الباقين من الرّوم، فخرج القبائل الشاميون عن قرطبة.

قال أبو مروان: أشار على أبى الخطار، أرطباس قومس الأندلس، و زعيم عجم الذمّة ، و مستخرج خراجهم لأمراء المسلمين- و كان هذا القومس شهير العلم و الدهاء- لأول الأمر، بتفريق القبائل الشاميين العلمين عن البلد، عن دار الإمارة قرطبة، إذ كانت لا تحملهم، و إنزالهم بالكور، على شبه منازلهم التى كانت فى كور شامهم، ففعل ذلك على اختيار منهم؛ فأنزل جند دمشق كورة إلبيرة، و جند الأردن كورة جيّان، و جند مصر كورة باجة، و بعضهم بكورة تدمير؛ فهذه منازل العرب الشاميين؛ و جعل لهم ثلث أموال أهل الذّمّة من العجم طعمة؛ و بقى العرب و البلديّون و البرابر شركاؤهم؛ فلمّا رأوا بلدانا شبه بلدانهم بالشام، نزلوا و سكنوا و اغتبطوا و كبروا و تموّلوا، إلّا من كان قد نزل منهم لأول قدومه فى الفتوح على عنائهم موضعا رضيّا، فإنه لم يرتحل عنه، و سكن به مع البلديّين.

فإذا كان العطاء أو حضر الغزو و لحق بجنده، فهم الذين كانوا سمّوا الشّادّة حينئذ.

قال أحمد بن موسى: و كان الخليفة يعقد لواءين، لواء غازيا، و لواء مقيما؛ و كان رزق الغازى بلوائه مائتى دينار. و يبقى المقيم بلا رزق ثلاثة أشهر؛ ثم يدال بنظيره من أهله أو غيرهم. و كان الغزاة من الشّاميين مثل إخوة المعهود له أو بنيه أو بنى عمّه، يرزقون عند انقضاء غزاته عشرة دنانير؛ و كان يعقد المعقود له مع القائد؛ يتكشّف عمّن غزا، و يستحقّ العطاء، فيعطى على قوله تكرمة له؛ و كانت خدمتهم فى العسكر، و اعتراضهم إليه؛ و كان من الشّاميين غازيا من غير بيوتات العقد، ارتزق خمسة دنانير عند انقضاء الغزو. و لم يكن يعطى أحد من البلديين شيئا غير المعقود له؛ و كان البلديّون أيضا يعقد لهم لواءان؛ لواء غاز، و لواء مقيم؛ و كان يرتزق الغازى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۱

مائة دينار وازنة؛ و كان يعقد لغيره إلى ستة أشهر، ثم يدال بنظيره من غيرهم؛ و لم يكن الدّيوان و الكتبة إلّا فى الشّاميين خاصّة؛ و كانوا أحرارا من العشر، معدّين للغزو، و لا يلزمهم إلّا المقاطعة على أموال الرّوم التى كانت بأيديهم؛ و كان العرب من البلديين يؤدّون العشر، مع سائر أهل البلد، و كان أهل بيوتات منهم يغزون كما يغزو الشاميّون، بلا عطاء، فيصيّرهم إلى ما تقدّم ذكره. و إنما كان يكتب أهل البلد فى الغزو؛ و كان الخليفة يخرج عسكرين، إلى ناحيتين، فيستنزلهم؛ و كانت طائفة ثالثة يسمّون النّظراء من الشاميين و البلديين، كانوا يغزون كما يغزو أهل البلد من الفريقين.

و قد بيّنّا نبذة من أحوال هؤلاء العرب. و الاستقصاء يخرج كتابنا عن غرضه، و الإحاطة للّه سبحانه.

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار

قال المؤلّف: و لمّا استقرّ بهذه الكورة الكريمة أهل الإسلام، و أنزل الأمير أبو الخطار قبائل العرب الشاميّين بهذه الكورة، و أقطعهم ثلث أموال المعاهدين، استمرّ سكناهم فى غمار من الروم؛ يعالجون فلاحة الأرض، و عمران القرى، يرأسهم أشياخ من أهل دينهم، أولو حنكة و دهاء و مداراة، و معرفة بالجباية اللازمة لرؤوسهم.

و أحدهم رجل يعرف بابن القلّاس، له شهرة وصيت، و جاه عند الأمراء بها. و كانت لهم بخارج الحضرة، على غلوتين ، تجاه باب إلبيرة فى اعتراض الطريق إلى قولجر، كنيسة شهيرة، اتخذها لهم أحد الزعماء من أهل دينهم، استركبه بعض أمرائها فى جيش خشن من الروم، فأصبحت فريدة فى العمارة و الحلية؛ أمر بهدمها الأمير يوسف بن تاشفين ، لتأكّد رغبة الفقهاء، و توجّه فتواهم. قال ابن الصّيرفى: خرج أهل الحضرة لهدمها يوم الاثنين عقب جمادى الآخرة من عام اثنين و تسعين و أربعمائة، فصيّرت للوقت قاعا، و ذهبت كلّ يد بما أخذت من أنقاضها و آلاتها.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۲

قلت: و مكانها اليوم مشهور، و جدارها ماثل ينبئ عن إحكام و أصالة، و على بعضها مقبرة شهيرة لابن سهل بن مالك، رحمه اللّه.

و لمّا تحرّكت لعدو اللّه الطّاغية ابن رذمير ريح الظّهور، على عهد الدولة المرابطيّة، قبل أن يخضد اللّه شوكته على إفراغة بما هو مشهور، أملت المعاهدة من النصارى لهذه الكورة إدراك الثّرة، و أطمعت فى المملكة، فخاطبوا ابن رذمير من هذه الأقطار، و توالت

عليه كتبهم و تواترت رسلهم، ملحّة بالاستدعاء مطمعة فى دخول غرناطة ، فلمّا أبطأ عنهم، وجّهوا إليه زماما يشتمل على اثنى عشر ألفا من أنجاد مقاتليهم، لم يعدّوا فيها شيخا و لا غرّا، و أخبروه أنّ من سمّوه، ممّن شهرت أعينهم لقرب مواضعهم، و بالبعد من يخفى أمره، و يظهر عند ورود شخصه، فاستأثروا طمعه و ابتعثوا جشعه، و استفزّوه بأوصاف غرناطة، و ما لها من الفضائل على سائر البلاد و بفحصها الأفيح، و كثرة فوائدها من القمح و الشّعير، و الكتّان، و كثرة المرافق، من الحرير و الكروم، و الزيتون، و أنواع الفواكه، و كثرة العيون و الأنهار، و منعة قبّتها و انطباع رعيّتها، و تأتى أهل حاضرتها، و جمال إشرافها و إطلالها، و أنّها المباركة التى يمتلك منها غيرها، المسمّاة سنام الأندلس عند الملوك فى تواريخها، فرموا حتى أصابوا غربه، فانتخب و أحشد، و تحرّك أول شعبان من عام خمسة عشر و خمسمائة و قد أخفى مذهبه، و كتم أربه، فوافى بلنسية، ثم إلى مرسية، ثم إلى بيرة، ثم اجتاز بالمنصورة ثم انحدر إلى برشانة، ثم تلوّم إلى وادى ناطلة. ثم تحرّك إلى بسطة، ثم إلى وادى آش، فنزل بالقرية المعروفة بالقصر و صافح المدينة بالحرب، و لم يحل بطائل، فأقام عليها شهرا.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۳

قال صاحب كتاب «الأنوار الجليّة» : فبدأ بحث المعاهدة بغرناطة فى استدعائه، فافتضح تدبيرهم باجتلابه، و همّ أميرها بتثقيفهم ، فأعياهم ذلك، و جعلوا يتسلّلون إلى محلّته على كل طريق، و قد أحدقت جيوش المسلمين من أهل العدوة و الأندلس بغرناطة، حتى صارت كالدّائرة، و هى فى وسطها كالنّقطة، لمّا أنذروا بغرضه؛ و تحرّك من وادى آش فنزل بقرية دجمة ؛ و صلّى الناس بغرناطة صلاة الخوف، يوم عيد النّحر من هذه السنة فى الأسلحة و الأبّهة؛ و بعيد الظهر من غده، ظهرت أخبية الرّوم بالقيل شرق المدينة، و توالى الحرب على فرسخين منها، و قد أجلى السّواد، و تزاحم الناس بالمدينة، و توالى الجليد، و أظلّت الأمطار. و أقام العدو بمحلّته بضع عشرة ليلة لم تسرح له سارحة، إلّا أنّ المعاهدة تجلب له الأقوات؛ ثم أقلع و قد ارتفع طعمه عن المدينة، لأربع بقين من ذى الحجة عام عشرين ، بعد أن تفرّغ مستدعيه إليها، و كبيره يعرف بابن القلّاس، فاحتجّوا ببطئه و تلوّمه حتى تلاحقت الجيوش، و أنهم قد وقعوا مع المسلمين فى الهلكة، فرحل عن قرية مرسانة إلى بيش، و من الغد إلى السكة من أحواز قلعة يحصب ثم اتصل إلى لدوبيانة، و نكب إلى قبرة و اللسّانة ، و الجيوش المسلمة فى أذياله.

و أقام بقبرة أياما، ثم تحرّك إلى بلاى و العساكر فى أذياله، و شيجة فى فحص الرّنيسول مكافحة فى أثنائها، مناوشة، و ظهورا عليه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴

و لمّا جنّ الليل، أمر أميرهم برفع خبائه من و هدة كان فيها إلى نجدة، فساءت الظنون، و اختلّ الأمر، ففرّ الناس و أسلموا، و تهيّب العدو المحلّة، فلم يدخلها إلّا بعد هدأة من الليل و استولى عليها. و تحرّك بعد الغد منها إلى جهة الساحل فشقّ العمامة الآمنة من الإقليم و الشّارّات ، فيقول بعض شيوخ تلك الجهة:

إنه اجتاز بوادى شلوبانية المطلّ الحافّات، و المتحصّن المجاز، و قال بلغته: أىّ قبر هذا لو ألفينا من يصبّ علينا التراب! ثم عرّج يمنة حتى انتهى إلى بلّش، و أنشأ بها جفنا صغيرا يصيد له حوتا، أكل منه كأنه نذر كان عليه، وفّى به، أو حديث أراد أن يخلّد عنه، ثم عاد إلى غرناطة، فاضطرب بها محلته بقرية ذكر، على ثلاثة فراسخ منها قبلة، ثم انتقل بعد ذلك بيومين إلى قرية همدان ، و برز بالكتب جاعرسطة من المدينة، و كان بينه و بين عساكر المسلمين مواقعة عظيمة؛ و لأهل غرناطة بهذا الموضع حدثان ينظرونه من القضايا المستقبلة.

قال ابن الصّيرفى: و قد ذكر فى بعض كتب الجفر: «هذا الفحص، بخراب يجبى عن يتامى و أيامى». و كان هذا اليوم معرّضا لذلك، فوقى اللّه؛ و انتقل بعد يومين إلى المرج مضيّقا عليه و الخيل تحرجه، فنزل بعين أطسة، و الجيوش محدقة به، و هو فى نهاية من كمال التّعبئة، و أخذ الحذر، بحيث لا تصاب فيه فرصة؛ ثم تحرّك على البراجلات، إلى اللقوق، إلى وادى آش، و قد أصيب كثير من حاميته؛ و طوى المراحل إلى الشرق؛ فاجتاز إلى مرسية، إلى جوف شاطبة، و العساكر فى كل ذلك تطأ أذياله، و التّناوش يتخطّر به، و

الوباء يسرع إليه، حتى لحق بلاده، و هو ينظر إلى قفاه، مخترما، مفلولا من غير حرب، يكاد الموت يستأصل محلّته و جملته.

و لمّا بان للمسلمين من مكيدة جيرانهم المعاهدين، ما أجلت عنه هذه القضية، أخذهم الإرجاف، و وغرت لهم الصّدور. و وجّه إلى مكانهم الحزم، و وجّه القاضى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۵

أبو الوليد بن رشد الأجر، و تجشّم المجاز ، و لحق بالأمير على بن يوسف بن تاشفين بمرّاكش، فبيّن له أمر الأندلس، و ما منيت به من معاهدها، و ما جنوه عليها من استدعاء الرّوم، و ما فى ذلك من نقض العهد، و الخروج عن الذّمة، و أفتى بتغريبهم، و إجلائهم عن أوطانهم و هو أخفّ ما يؤخذ به من عقابهم؛ و أخذ بقوله، و نفّذ بذلك عهده، و أزعج منهم إلى برّ العدوة، فى رمضان من العام المذكور، عدد جمّ، أنكرتهم الأهواء، و أكلتهم الطرق، و تفرّقوا شذر مذر، و أصاب كثير من الجلاء جمعتهم من اليهود؛ و تقاعدت بها منهم طائفة، هبّت لها بممالأة بعض الدول ريح، فأمّروا و أكثروا إلى عام تسعة و خمسين و خمسمائة، و وقعت فيهم وقيعة احتشّتهم، إلّا صابة لهذا العهد قليلة، قديمة المذلّة، و حالفت الصّغار. جعل اللّه العاقبة لأوليائه.

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العمالة

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى و الجنّات و الجهات

قال المؤلّف رحمه اللّه: و يحفّ بسور هذه المدينة المعصومة بدفاع اللّه تعالى، البساتين العريضة المستخلصة، و الأدواح الملتفّة، فيصير سورها من خلف ذلك كأنّه من دون سياج كثيفة، تلوح نجوم الشّرفات أثناء خضرائه، و لذلك ما قلت فيه فى بعض الأغراض : [الكامل]

بلد تحفّ به الرّياض كأنّهوجه جميل و الرّياض عذاره

و كأنّما واديه معصم غادةو من الجسور المحكمات سواره

فليس تعرى عن جنباته من الكروم و الجنّات جهة، إلّا ما لا عبرة به مقدار غلوة، أما ما حازه السّفل من جوفيه، فهى عظيمة الخطر، متناهية القيم، يضيق جدّه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶

من عدا أهل الملك، عن الوفاء بأثمانها، منها ما يغلّ فى السنة الواحدة نحو الألف من الذّهب، قد غصّت الدكاكين بالخضر الناعمة، و الفواكه الطيّبة، و الثمر المدّخرة، يختصّ منها بمستخلص السلطان ، المرور طوقا على ترائب بلده ما بينهن منية؛ منها الجنّة المعروفة بفدّان الميسة، و الجنة المعروفة بفدّان عصام، و الجنة المعروفة بالمعروى، و الجنة إلى المنسوبة إلى قدّاح بن سحنون، و الجنة المنسوبة لابن المؤذّن، و الجنة المنسوبة لابن كامل، و جنة النّخلة العليا، و جنة النخلة السفلى، و جنة ابن عمران، و الجنة التى إلى نافع، و الجرف الذى ينسب إلى مقبل، و جنّة العرض، و جنة الحفرة، و جنة الجرف، و مدرج نجد، و مدرج السّبيكة ، و جنّة العريف : كلها لا نظير لها فى الحسن و الدّمانة و الربيع، و طيب التربة، و غرقد السّقيا، و التفاف الأشجار، و استجادة الأجناس، إلى ما يجاورها و يتخلّلها، ممّا يختصّ بالأحباس الموقفة، و الجنّات المتملّكة، و ما يتصل بها بوادى سنجيل ما يقيّد الطّرف، و يعجز الوصف، قد مثلث منها على الأنهار المتدافعة العباب، المنارة و القباب، و اختصّت من أشجار العاريات ذات العصير الثانى بهذا الصّقع، ما قصرت عنه الأقطار. و هذا الوادى من محاسن هذه الحضرة، ماؤه رقراق من ذوب الثلج، و مجاجة الجليد، و ممرّه على حصى جوهرية، بالنبات و الظّلال محفوفة، يأتى من قبلة علام البلد إلى غربه، فيمرّ بين القصور النّجدية، ذوات المناصب الرفيعة، و الأعلام الماثلة.

و لأهل الحضرة بهذه الجنّات كلف، و لذوى البطالة فوق نهره أريك من دمث الرمل، و حجال من ملتفّ الدّوح، و كان بها سطر من

شجر الحور؛ تنسب إلى مامل ، أحد خدّام الدولة البادیسیة، أدركنا المكان، یعرف بها.

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۷

قال أبو الحجاج یوسف بن سعید بن حسّان: [الطویل]

أحنّ إلی غرناطة كلما هفّتنسیم الصّبا تهدی الجوی و تشوق

سقی اللّه من غرناطة كل منهلبمنهل سحب ماؤهنّ هریق

دیار یدور الحسن بین خیامهاو أرض لها قلب الشّجیّ مشوق

أغرناطة العلیا باللهِ خبّریأ للهائم الباكی إلیك طریق؟

و ما شاقنی إلا نضارة منظرو بهجة واد للعیون تروق

تأمّل إذا أمّلت حوز مؤمّلو مدّ من الحمرا علیك شقیق

و أعلام نجد و السّبیكة قد علتو للشّفق الأعلی تلوح بروق

و قد سلّ شنّیل فرندا مهنّدانضی فوق درّ ذرّ فیه عقیق

إذا نمّ منه طیب نشر أراكهأراك فتیت المسك و هو فتیق

و مهما بكی جفن الغمام تبسّمتثغور أقاح للرّیاض أنیق

و لقد ولعت الشعراء بوصف هذا الوادی، و تغالت الغالات فیه، فی تفضیله علی النیل بزیادة الشّین ، و هو ألف من العدد، فكأنه نیل بألف ضعف، علی عادة متناهی الخیال الشعری؛ فی مثل ذلك.

و لقد ألغزت فیه لشیخنا أبی الحسن بن الجیّاب ، رحمه اللّه، و قد نظم فی المعنی المذكور ما عظم له استطرابه و هو: [البسیط]

ما اسم إذا زدته ألفا من العددأفاد معناه لم ینقص و لم یزد

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۸ و إنما ائتلفا من بعد ما اختلفامعنی بشین و من نزر و من بلد

ثم یتصل بالحسن العادی البدیع، و هو علی قسمین، خمس من محكم الكدان فی نهایة الإبداع و الإحكام، یتّصل به بناء قدیم محكم، و یستقبل الملعب، العیدی، ما بین ذنابی الجسر إلی جدار الرابطة، و ملعب بدیع الشكل، عن یمینه جناح بدیع، عن میدانه عدوات النهر، و عن یساره الجنّات، و یفضی بعد انتهائه إلی الرّابطة، إلی باب القصر المنسوب إلی السّید ، و سیأتی ذكره؛ و یرتفع من هذا النهر الزّلال جداول، تدور بها أعداد من الأرحیّ لا نظیر لها استعدادا و إفادة.

فصل

و ترتكب ما ارتفع من هذه المدینة من جهاتها الثلاث، الكروم البدیعة، طوقا مرقوما، یتصل بما وراءها من الجبال، فتعمّ الرّبی و الوهاد، و تشمل الغور و النّجد، إلّا ما اختصّ منها بالسّهل الأفیح، متّصلا بشرقی باب إلبیرة، إلی الخندق العمیق، و هو المسمّی «بالمشایخ»، بسیط جلیل، و جوّ عریض، تغمی علی العدّ أمراجه و مصانیعه، تلوح مبانیها، ناجمة بین الثّمار و الزیتون، و سائر ذوات الفواكه، من اللّوز و الإجاص و الكمثری، محدقة من الكروم المسحّة، و الریاحین الملتفّة، ببحور طامیة تأتی البقعة الماء؛ ففیها كثیر من البساتین و الرّیاض، و الحصون، و الأملاك المتّصلة السكنی، علی الفصول؛ و إلی هذه الجهة یشیر الفقیه القاضی، أبو القاسم بن أبی العافیة، رحمه اللّه، فی قصیدة، یجیب بها عروس الشعراء، الأدیب الرّحّال أبا إسحاق السّاحلی، و كان ممّن نیطت علیه بهذا العهد، التّمائم: [الكامل]

یا نازحا لعب المطیّ بكورهلعب الرّیاح الهوج بالأملود

و رمت به للطّیة القصوی التیما وردها لسواه بالمورود

هلّا حننت إلى معاهدنا التى كنت الحلىّ لنحرها و الجيد؟

و رياض أنس بالمشايخ طارحت‌فيه الحمائم صوت سجع العود

و مبيتنا فيها و صفو مدامناصفو المودّة لابنة العنقود

و العيش أخضر و الهوى يدنى جنى‌زهرات ثغر أو ثمار نهود

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۹ و القضب رافلة يعانق بعضهابعضا إذا اعتنقت غصون قدود

لهفى على ذاك الزمان و طيبه‌و على مناه و عيشه المحسود

تلك الليالى لا ليالى بعدهاعطّلن إلّا من جوى و سهود

كانت قصارا ثم طلن ففيها تأتى على المقصور و الممدود

و أما ما استند إلى الجبل، فيتصل به البيازين فى سفح الجبل، المتصل بالكدية ابن سعد، متّصلا بالكدية المبصلة، المنسوبة لعين الدّمع ، منعطفة على عين القبلة، متصلة بجبل الفخّار ، ناهلة فى غمر الماء المجلوب على ذلك السّمت؛ أوضاع بديعة، و بساتين رائقة، و جنّات لا نظير لها، فى اعتدال الهواء، و عذوبة الماء، و الإشراف على الأرجاء، ففيها القصور المحروسة، و المنارة المعمورة، و الدّور العالية، و المبانى القصبيّة ، و الرياحين النّضيرة، قد فضّ فيها أهل البطالة، من أولى الحبرة، الأكياس، و أرخصوا على النفقة عليها، غالى النّشب ، تتنازع فى ذلك غير الخادمين، من خدّام الدولة على مرّ الأيام، حتى أصبحت نادرة الأرض، و المثل فى الحسن. و لهذه البقعة ذكر يجرى فى المنظومات على ألسنة البلغاء من ساكنيها و زوّارها؛ فمن أحسن ما مرّ من ذلك قول شيخنا أبى البركات : [الطويل]

ألا قل لعين الدمع يهمى بمقلتى‌لفرقة عين الدمع وقفا على الدّم

و ذكرته فى قصيدة فقلت: [الكامل]

يا عهد عين الدمع، كم من لؤلؤللدمع جاد به عساك تعود!

تسرى نواسمك اللّدان بليلةفيهزّنى شوق إليك شديد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۰

و قلت من أبيات تكتب فى قبّة بقصرى الذى اخترعته بها: [الطويل]

إذا كان عين الدمع عينا حقيقةفإنسانها ما نحن فيه و لادع

فدام لخيل الأنس و اللّهو ملعباو لا زال مثواه المنعّم مرتع

تودّ الثّريّا أن تكون له ثرى‌و تمدحه الشّعرى و تحرسه ألمع

و قال صاحبنا الفقيه أبو القاسم بن قطبة من قصيدة: [الطويل]

أجل إنّ عين الدمع قيد النّواظرفسرّح عيونا فى اجتلاء النّواظر

و عرّج على الأوزان إن كنت ذا هوى‌فإنّ رباه مرتع للجآذر

و صافح بها كفّ البهار مسلّماو قبّل عذار الأنس بين الأزاهر

و خذها على تلك الأباطح و الرّبى‌معتّقة تجلو الصّدا للخواطر

مدامة حان أنسى للدهر عمرهافلم تخش أحداث الدّهور الدّوائر

تحدّث عن كسرى و ساسان قبله‌و تخبر عن كرم يخلّد داثر

و هى طويلة. و قال أيضا من قصيدة طويلة: [الطويل]

و ليلا بعين الدمع وصلا قطعته‌و أنجمه بين النّجوم سعود

ترى الحسن منشور اللواء بسرّهو ظلّ الأمانى فى رباه مديد

فبتنا و من روض الخدود أزاهرلدينا و من ورد الرّياض خدود

و تفّاحنا وسط الرّياض مورّدو رمّاننا وسط الصّدور نهود

و قد عرفت نصّ الهوى و ذميله‌تهائم من أكبادنا و نجود

و قال من قصيدة: [البسيط]

و مل بنا نحو عين الدمع نشربهاحيث السّرور بكأس الأنس يسقينى

حيث المنى و فنون اللّهو راتعةو الطّير من طرب فيها تناجينى

و جدول الماء يحكى فى أجنّته‌صوارما جرّدت فى يوم صفّين

و أعين الزهر فى الأغصان جاحظةكأنها بهوى الغزلان تغرينى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۱

و من ذلك: [الطويل]

سهرت بعين الدمع أرعى ربوعهو حسبى من الأحباب رعى المنازل

ينافحنى عرف إذا هبّت الصّباو يقنعنى طيف الحبيب المراسل

و الأقاويل فى ذلك أكثر من أن يحاط بها كثرة، و ما سوى هذه الجهة فغير لاحق بهذه الرّتبة، مما معوّله على محض الفائدة و صريح العائدة. و تذهب هذه الغروس المغروسة قبلة، ثم يفيض تيارها إلى غرب المدينة، و قد تركت بها الجبال الشّاهقة، و السّفوح العريضة، و البطون الممتدة، و الأغوار الخائفة، مكلّلة بالأعناب، غاصّة بالأدواح، متزاحمة بالبيوت و الأبراج، بلغ إلى هذا العهد عددها فى ديوان الخرص ، إلى ما يناهز أربعة عشر ألفا، نقلت ذلك من خطّ من يشار إليه فى هذه الوظيفة؛ و قاها اللّه مضرّة السنين، و دفع عنها عباب القوم الظّالمين، و عدوان الكافرين.

فصل

و يحيط بما خلف السّور من المنى، و الجنّات، فى سهل المدينة، العقار الثمين، العظيم الفائدة، المتعاقبة الغلّة، الذى لا يعرف الجمام، و لا يفارق الزّرع من الأرض البيضاء، ينتهى ثمن المرجع منها العلى، إلى خمسة و عشرين دينارا من الذهب العين، لهذا العهد فيه مستخلص السلطان، ما يضيق عنه نطاق القيمة، ذرعا و غبطة و انتظاما؛ يرجع إلى دور ناجمة، و بروج سامية، و بيادر فسيحة، و قصاب للحمائم و الدّواجن ماثلة، منها فى طوق البلد، و حمى سورها، جملة؛ كالدّار المنسوبة إلى هذيل، و الدار المنسوبة إلى أم مرضى، و الدار البيضاء، و الدار المنسوبة إلى السّنينات، و الدار المعروفة بنبلة و وتر؛ و بالمرج ما يساير جرية النّهر كقرية و كروبها حصن خريز، و بستان و بشر عيون، و الدار المنسوبة إلى خلف، و عين الأبراج، و الحشّ المنسوب إلى الصّحاب؛ و قرية رومة و بها حصن و بستان، و الدار المنسوبة إلى العطشى، و بها حصن؛ و الدار المنسوبة لابن جزى، و الحشّ المنسوب لأبى على؛ و قرية ناجرة، و منها فضل بن مسلمة الحسنى، و بها حصن، و حوله

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲

ربض، فيه من الناس أمّة؛ و قرية سنيانة و فيها حصن؛ و قرية أشكر؛ و قريتى بيبش و واط، و بهما حصنان؛ و قرية واط عبد الملك بن حبيب. و فى هذه القرى الجمل الضخمة من الرجال؛ و الفحول من الحيوان الحارث لآثار الأرض؛ و علاج الفلاحة؛ و فى كثير منها الأرحى و المساجد. و ما سوى هذه من القرى، المستخلص من فضلة الإقطاع، و قصرت به الشّهرة عن هذا النّمط، فكثير.

و يتخلّل هذا المتاع الغبيط الذى هو لباب الفلاحة، و غير هذه المدرة الطيّبة؛ سائر القرى التى بأيدى الرّعيّة، مجاورة لهذه الحدود، و

بنات لهذه الأمهات.

منها ما انبسط و تمدّد، فاشترك فيه الألوف من الخلق، و تعدّدت منه الأشكال؛ و نحن نوقع الاسم منه على البقعة من غير ملاحظة للتّعدّد. و منها ما انفرد بمالك و اثنين فصاعدا، و هو قليل؛ و تنيف أسماؤها على ثلاثمائة قرية ما عدا ما يجاور الحضرة من كثير من قرى الإقليم أو ما استضافته حدود الحصون المجاورة . فمن ذلك:

حوز الساعدين و فيه القرى. و حوز وتر ، و منها إبراهيم بن زيد المحاربى.

و قرية قلجار . و قرية ياجر الشاميّين. و قرية ياجر البلديين . و قرية قشتالة ، و منها قاسم بن إمام من أصحاب سحنون، و نزل بها جدّه عطية بن خالد المحاربى. و قرية أججر . و قرية أرملة الكبرى. و قرية أرملة الصغرى . و قرية رقاق و همدان ، منها الغريب بن يزيد الشّمر، جدّ بنى أضحى. و قرية الغيضون. و قرية لسّانة .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳

و حارة الجامع. و حارة الفراق. و قرية غرليانة. و حشّ البكر . و غدير الصغرى و غدير الكبرى، من إقليم البلاط، منها يربوع بن عبد الجليل، و نزل بها جدّه يربوع بن عبد الملك بن حبيب. و قرية قولر . و قرية جرليانة . و قرية حارة عمروس .

و حشّ الطّلم . و قرية المطار. و قرية الصّرمورتة . و قرية بلسانة . و قرية الحبشان. و قرية الشوش . و قرية عرتقة. و قرية جيجانة . و قرية السّيجة. و قنب قيس . و قرية برذنار . و قرية دوير تارش. و قرية آقلة . و قرية أحجر .

و قرية تجرجر . و قرية والة. و قرية أنقر. و قرية الغروم . و قرية دار و هدان.

و قرية بيرة . و قرية القصيبة. و قرية أنطس. و قرية فنتيلان . و قرية سنبودة.

و حش زنجيل. و قرية أشتر. و قرية غسّان ، منها مطر بن عيسى بن الليث. و قرية شوذر . و قرية سنتشر . و قرية ابن ناطح. و قرية الملّاحة ، و منها محمد بن عبد الواحد الغافقى أبو القاسم الملاحى. و قرية القمور، منها أصبغ بن مطرّف. و قرية نفجر و غرنطلة . و قرية بيرة، و بها مسجد قراءة ابن حبيب. و قرية قولجر ، منها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۴

سهل بن مالك. و قرية شون ، منها محمد بن هانىء الأزدى الشاعر المفلق، و محمد بن سهل، جدّ هذا البيت، بنى سهل بن مالك. و قرية بليانة . و قرية برقلش . و قرية ضوجر. و قرية البلّوط . و قرية أنتيانة . و قرية مرسانة .

و قرية الدّوير. و قرية الشّلان. و قرية طغنر ، منها الطّغنرى صاحب الفلاحة.

و قرية حش الدجاج. و قرية حش نوح. و قرية حش خليفة. و حش الكوبانى.

و حش المعيشة. و حش السلسلة. و قرية الطرف . و قرية إلبيرة . و قرية الشّكروجة ، و منها عيسى بن محمد بن أبى زمنين. و عين الحورة. و حش البومل. و قرية بلومال . و قرية رقّ المخيض. و قرية الغيضون الحورة. و قرية أشقطمر. و قرية الدّيموس الكبرى. و قرية الديموس الصغرى . و قرية دار الغازى. و قرية سويدة. و حش قصيرة. و قرية الرّكن. و قرية ألفنت ، و منها صخر بن أبان. و قرية الكدية . و قرية لاقش . و قرية قربسانة . و قرية برسانة برياط. و قرية الولجة. و قرية ماس. و حش على. و حش بنى الرّسيلية.

و حش رقيب. و حش البلّوطة. و حش الرّوّاس. و حش مرزوق. و قرية قبالة .

و قرية نبالة. و قرية العيران. و برج هلال . و قرية قلتيش . و قرية

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۵

القنار . و قرية أربل. و قرية بربل. و قرية قرباسة. و قرية أشكن. و قرية قلنبيرة .

و قرية سعدى. و قرية قلقاجج . و قرية فتن . و قرية مرنيط. و قرية ددشطر. و قرية شتمانس . و قرية أرنالش . و قرية و ابشر . و قرية قققولش . و قرية النّبيل .

و قرية الفخّار . و قرية القصر ، و منها محمد بن أحمد بن مرعياز الهلالى. و قرية بشر. و قرية بنوط . و قرية كورة. و قرية لص. و قرية بيش . و قرية قنتر .

و قرية دور. و قرية قلنقر. و قرية غلجر ، و منها هشام بن عبد العظيم بن يزيد الخولانى. و قرية ذرذر . و قرية ولجر. و قرية قنالش . و قرية إبتايلس. و قرية سج. و قرية منشتال . و قرية الوطا . و قرية وانى. و قرية قريش. و قرية الزّاوية .

و قد ذكرنا أن أكثر هذه القرى أمصار، فيها ما يناهز خمسين خطبة، تنصب فيها للّه المنائر، و ترفع الأيدى، و تتوجّه الوجوه.

و جملة المراجع العلمية المرتفعة فيها، فى الأزمنة، فى العام بتقريب، و معظمها السقى الغبيط السّمين، العالى، مائتا ألف و ثنتان و ستون ألفا، و ينضاف إلى ذلك مراجع الأملاك السلطانية، و مواضع أحباس المساجد، و سبل الخير، ما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۶

ينيف على ما ذكر، فيكون الجميع باحتياط، خمسمائة ألف و ستّون ألفا، و المستفاد فيها من الطعام المختلف الحبوب للجانب السلطانى، ثلاثمائة ألف قدح و يزيد، و يشتمل سورها و ما وراءه من الأرحاء الطّاحنة بالماء، على ما ينيف على مائة و ثلاثين رحى ، ألحفها اللّه جناح الأمنة، و لا قطع عنها مادّة الرحمة، بفضله و كرمه.

فصل

و قد فرغنا من ذكر رسوم هذا القطر و معاهده، و فرغنا من تصويره و تشكيله، و ذكر قراه و جنّاته ، و قصوره و متنزّهاته، فنحن الآن نذكر بعضا من سير أهله، و أخلاقهم، و غير ذلك من أحوالهم بإجمال و اختصار، فنقول :

أحوال هذا القطر فى الدّين و صلاح العقائد أحوال سنيّة، و النّحل فيهم معروفة ؛ فمذاهبهم على مذهب مالك بن أنس، إمام دار الهجرة جارية، و طاعتهم للأمراء محكمة، و أخلاقهم فى احتمال المعاون الجبائيّة جميلة.

و صورهم حسنة، و أنوفهم معتدلة غير حادّة، و شعورهم سود مرسلة، و قدودهم متوسطة معتدلة، إلى القصر، و ألوانهم زهر مشربة بحمرة، و ألسنتهم فصيحة عربية، يتخلّلها غرب كثير، و تغلب عليهم الإمالة، و أخلاقهم أبيّة فى معانى المنازعات، و أنسابهم عربيّة، و فيهم من البربر و المهاجرة كثير. و لباسهم الغالب على طرقاتهم ، الفاشى بينهم، الملفّ المصبوغ شتاء، و تتفاضل أجناس البزّ بتفاضل الجدّة، و المقدار، و الكتّان و الحرير، و القطن، و المرعزّى، و الأردية الإفريقيّة، و المقاطع التونسية، و المآزر المشفوعة صيفا، فتبصرهم فى المساجد، أيّام الجمع، كأنّهم الأزهار المفتّحة، فى البطاح الكريمة، تحت الأهوية المعتدلة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۷

و أنسابهم حسبما يظهر من الإسترعات ، و البيعات السلطانية و الإجازات، عربية: يكثر فيها القرشى، و الفهرى، و الأموى، و الأمّى، و الأنصارى، و الأوسى، و الخزرجى، و القحطانى، و الحميرى، و المخزومى، و التّنوخى، و الغسّانى، و الأزدى، و القيسى، و المعافرى، و الكنانى، و التّميمى، و الهذلى، و البكرى، و الكلابى، و النّمرى، و اليعمرى، و المازنى، و الثّقفى، و السّلمى، و الفزارى، و الباهلى، و العبسى، و العنسى، و العذرى، و الحججى، و الضّبّى، و السّكونى، و التّيمى، و العبشمى، و المرّى، و العقيلى، و الفهمى، و الصّريحى، و الجزلى، و القشيرى، و الكلبى، و القضاعى، و الأصبحى، و الهوارى، و الرّعينى، و اليحصبى، و التّجيبى، و الصّدفى، و الحضرمى، و الحيّ، و الجذامى، و السّلولى، و الحكمى، و الهمدانى، و المذحجى، و الخشنى، و البلوى، و الجهنى، و المزنى، و الطّائى، و الغافقى، و الأسدى، و الأشجعى، و العاملى، و الخولانى، و الأيادى، و اللّيثى، و الخثعمى، و السّكسكى، و الزّبيدى، و التّغلبى، و الثّعلبى، و الكلاعى، و الدّوسى، و الحوارى، و السّلمانى.

هذا، و يرد كثير فى شهادتهم، و يقلّ من ذلك السّلمانى نسبا، و كالدّوسى، و الحوارى، و الزّبيدى؛ و يكثر فيهم، كالأنصارى، و الحميدى، و الجذامى، و القيسى، و الغسّانى، و كفى بهذا شاهدا على الأصالة، و دليلا على العروبيّة.

و جندهم صنفان؛ أندلسى و بربرى؛ و الأندلسى منها يقودهم رئيس من القرابة أو حصىّ من شيوخ الممالك. و زيّهم فى القديم شبه زىّ أقتالهم و أضدادهم من جيرانهم الفرنج، إسباغ الدّروع، و تعليق التّرسة، و حفا البيضات، و اتخاذ عراض الأسنّة، و بشاعة قرابيس السروج، و استركاب حملة الرّايات خلفه ؛ كلّ منهم بصفة تختصّ بسلاحه، و شهرة يعرف بها. ثم عدلوا الآن عن هذا الذى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۸

ذكرنا ، إلى الجواشن المختصرة، و البيضات المرهفات ، و السّروج العربية، و البيت اللّمطية، و الأسل العطفية .

و البربرى منه، يرجع إلى قبائله المرينيّة، و الزّناتية، و التّجانية، و المغراوية و العجيسية، و العرب المغربية إلى أقطاب و رؤوس، يرجع أمرهم إلى رئيس، على رؤسائهم، و قطب لعرفائهم، من كبار القبائل المرينيّة، يمتّ إلى ملك المغرب بنسب.

و العمائم تقلّ فى زىّ أهل هذه الحضرة، إلّا ما شاد فى شيوخهم و قضاتهم و علمائهم، و الجند العربى منهم. و سلاح جمهورهم العصىّ الطويلة، المثنّاة بعصىّ صغار ذوات عرى فى أواسطها ، تدفع بالأنامل عند قذفها تسمّى «بالأمداس»؛ و قسىّ الإفرنجة يحملون على التّدريب بها على الأيام.

و مبانيهم متوسطة، و أعيادهم حسنة، مائلة إلى الاقتصاد؛ و الغنى بمدينتهم فاش، حتى فى الدكاكين التى تجمع صنائعها كثيرا من الأحداث، كالخفّافين و مثلهم.

و قوتهم الغالب، البرّ الطيّب، عامّة العام ، و ربما اقتات فى فصل الشتاء الضّعفة و البوادى و الفعلة فى الفلاحة، الذّرة العربية، أمثل أصناف القطانى الطيبة.

و فواكههم اليابسة عامّة العام، متعددة؛ يدّخرون العنب سليما من الفساد إلى شطر العام؛ إلى غير ذلك من التّين، و الزّبيب، و التفاح، و الرّمّان، و القسطل ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۹

و البلّوط، و الجوز، و اللّوز، إلى غير ذلك ممّا لا ينفد ، و لا ينقطع مدده إلّا فى الفصل الذى يزهد فى استعماله.

و صرفهم فضّة خالصة، و ذهب إبريز طيّب محفوظ ، و درهم مربّع الشّكل، من وزن المهدى القائم بدولة الموحّدين، فى الأوقية منه سبعون درهما، يختلف الكتب فيه. فعلى عهدنا، فى شقّ: «لا إله إلّا اللّه، محمد رسول اللّه»؛ و فى شقّ آخر: «لا غالب إلّا اللّه، غرناطة». و نصفه و هو القيراط، فى شقّ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) . و فى شقّ: وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ . و نصفه و هو الرّبع، فى شقّ: هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدى . و فى شقّ: وَ الْعاقِبَةُ لِلتَّقْوى .

و دينارهم فى الأوقية منه، ستة دنانير و ثلثا دينار؛ و فى الدينار الواحد ثمن أوقية و خمس ثمن أوقية. و فى شقّ منه: قُلِ اللَّهُمَّ مالِكَ الْمُلْكِ ... بِيَدِكَ الْخَيْرُ .

و يستدير به قوله تعالى: وَ إِلهُكُمْ إِلهٌ واحِدٌ لا إِلهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمنُ الرَّحِيمُ (۱۶۳) .

و فى شقّ: «الأمير عبد اللّه محمد بن يوسف بن أمير المسلمين أبى الحجّاج بن أمير المسلمين أبى الوليد إسماعيل بن نصر، أيّد اللّه أمره». و يستدير به شعار هؤلاء الأمراء: «لا غالب إلّا اللّه». و لتاريخ تمام هذا الكتاب، فى وجّه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَ صابِرُوا وَ رابِطُوا وَ اتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (۲۰۰) .

و يستدير به: «لا غالب إلا اللّه». و فى وجه: «الأمير عبد اللّه الغنى بالله، محمد بن يوسف بن إسماعيل بن نصر، أيّده اللّه و أعانه». و يستدير بربع: «بمدينة غرناطة حرسها اللّه».

و عادة أهل هذه المدينة الانتقال إلى حلل العصير أوان إدراكه، بما تشتمل عليه دورهم، و البروز إلى الفحوص

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۴۰

بأولادهم ، معوّلين فى ذلك على شهامتهم و أسلحتهم، و على كثب دورهم ، و اتّصال أمصارهم بحدود أرضه. و حليهم فى القلائد،

و الدّمالج، و الشّنوف ، و الخلاخل الذّهب الخالص، إلى هذا العهد، فى أولى الجدّة؛ و اللجين فى كثير من آلات الرّجلين، فيمن عداهم. و الأحجار النفيسة من الياقوت، و الزّبرجد و الزّمرّد و نفيس الجوهر، كثير ممّن ترتفع طبقاتهم المستندة إلى ظلّ دولة، أو أصالة معروفة موفّرة.

و حريمهم، حريم جميل، موصوف بالسحر ، و تنعّم الجسوم، و استرسال الشّعور، و نقاء الثّغور، و طيب النّشر ، و خفّة الحركات، و نبل الكلام، و حسن المحاورة، إلّا أن الطّول يندر فيهنّ. و قد بلغن من التّفنّن فى الزينة لهذا العهد، و المظاهرة بين المصبغات، و التّنفيس بالذّهبيّات و الدّيباجيّات، و التّماجن فى أشكال الحلى، إلى غاية نسأل اللّه أن يغضّ عنهنّ فيها، عين الدهر، و يكفكف الخطب، و لا يجعلها من قبيل الابتلاء و الفتنة، و أن يعامل جميع من بها بستره، و لا يسلبهم خفىّ لطفه؛ بعزّته و قدرته.

فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار

قال المؤلّف : أول من سكن هذه المدينة سكنى استبداد، و صيّرها دار ملكه و مقرّ أمره، الحاجب المنصور أبو مثّنى زاوى بن زيرى بن مناد، لمّا تغلّب جيش البربر مع أميرهم سليمان بن الحكم على قرطبة، و استولى على كثير من كور الأندلس عام ثلاثة و أربعمائة فما بعدها، و ظهر على طوائف الأندلس، و اشتهر أمره، و بعد صيته. ثم اجتاز البحر إلى بلد قومه بإفريقية، بعد أن ملك غرناطة سبع سنين، و استخلف ابن أخيه حبّوس بن ماكسن، و كان حازما داهية، فتوسّع النظر إلى أن مات الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ١ ؛ ص ۴۰

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ۴١

سنة تسع و عشرين و أربعمائة . و ولى بعده حفيده عبد اللّه بن بلكّين بن باديس، إلى أن خلع عام ثلاثة و ثمانين و أربعمائة، و تصيّر أمرها إلى أبى يعقوب يوسف بن تاشفين ملك لمتونة عند تملّكه الأندلس، ثم إلى ولده علىّ بن يوسف. و تنوّب إمارتها جملة من أبناء الأمراء اللمتونيين و قرابتهم كالأمير أبى الحسن على بن الحاجّ و أخيه موسى، و الأمير أبى زكريا يحيى بن أبى بكر بن إبراهيم، و الأمير أبى الطّاهر تميم، و الأمير أبى محمد مزدلى، و الأمير أبى بكر بن أبى محمد، و أبى طلحة الزّبير بن عمر، و عثمان بن بدر اللّمتونى، إلى أن انقرض أمرهم عام أربعين و خمسمائة.

و تصيّر الأمر للموحّدين، و إلى ملكهم أبى محمد عبد المؤمن بن على ، فتناوبها جملة من بنيه و قرابته، كالسيّد أبى عثمان ابن الخليفة؛ و السّيّد أبى إسحاق ابن الخليفة؛ و السّيّد أبى إبراهيم ابن الخليفة؛ و السيد أبى محمد ابن الخليفة؛ و السيد أبى عبد اللّه، إلى أن انقرض منها أمر الموحّدين.

و تملّكها المتوكّل على اللّه أمير المؤمنين أبو عبد اللّه محمد يوسف بن هود فى عام ستة و عشرين و ستمائة، ثم لم ينشب أن تملّكها أمير المسلمين الغالب بالله محمد بن يوسف بن نصر الخزرجى، جدّ هؤلاء الأمراء الكرام موالينا، رحم اللّه من درج منهم، و أعان من خلفه، إلى أن توفى عام أحد و سبعين و ستمائة. ثم ولى الأمر بعده ولده و سميّه محمد بن محمد، فقام بها أحمد قيام، و توفى عام أحد و سبعمائة.

ثم ولى بعده سميّه محمد إلى أن خلع يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة، و توفى عام أحد عشر و سبعمائة فى ثالث شوّال منه. ثم ولى بعده أخوه نصر بن مولانا أمير المسلمين أبى عبد اللّه، فأرتب أمره، و طلب الملك اللّاحق به مولانا أمير المسلمين أبو الوليد إسماعيل بن فرج، فغلب على الإمارة، ثانى عشر ذى القعدة من عام ثلاثة عشر و سبعمائة؛ و انتقل نصر إلى وادى آش مخلوعا، موادعا بها إلى أن مات عام اثنين و عشرين و سبعمائة. و تمادى ملك السلطان أمير المسلمين أبى الوليد إلى السادس و العشرين من رجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة، و وثب عليه بعض قرابته فقتله،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ۴٢

و عوجل بالقتل مع من حضر منهم. و تولّى الملك بعده ولده محمد، و استمرّ سلطانه إلى ذى الحجة من عام أربعة و ثلاثين و

سبعمائة، و قتل بظاهر جبل الفتح . و ولى بعده أخوه مولانا السلطان أبو الحجاج لباب هذا البيت، و واسطة هذا العقد، و طراز هذه الحلية، ثم اغتاله ممرور من أخابيث السّوقة، قيّضه اللّه إلى شهادته، و جعله سببا لسعادته، فأكبّ عليه فى الرّكعة الآخرة من ركعتى عيد الفطر، بين يدى المحراب، خاشعا، ضارعا، فى الحال الذى أقرب ما يكون العبد من ربّه، و هو ساجد، و ضربه بخنجر مهيّئ للفتك به، فى مثل ذلك الوقت، كان، زعموا، يحاول شحذه منذ زمان، ضربة واحدة، على الجانب الأيسر من ظهره، فى ناحية قلبه، فقضى عليه، و بودر به فقتل.

و ولى الأمر بعده محمد ، ولده أكبر بنيه، و أفضل ذويه، خلقا و خلقا و حياء و جودا، و وقارا و سلامة و خيريّة، و دافع دولته من لا يعبأ اللّه به ؛ ثم تدارك الأمر سبحانه، و قد أشفى، و دافع و كفى، بما يأتى فى محلّه إن شاء اللّه. و هو أمير المسلمين لهذا العهد، متّع اللّه به، و أدام مدته، و كتب سعادته، و أطلق بالخير يده، و جعله بمراسيم الشريعة من العاملين، و لسلطان يوم الدين من الخائفين، المراقبين، بفضله.

و قد أتينا بما أمكن من التعريف بأحوال هذه الحضرة على اختصار. و يأتى فى أثناء التّعريف برجالها كثير من تفصيل ما أجمل، و تتميم ما بدأ، و إيضاح ما خفى بحول اللّه تعالى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۴۳

القسم الثانى فى حلى الزّائر و القاطن و المتحرّك و السّاكن

اشارة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۴۵

بسم اللّه الرّحمن الرّحيم

أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى القليعى

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، من جلّة أعيانها، تنسب إليه الساقية الكبرى المجاورة لطوق الحضرة إلى إلبيرة، و ما والاها.

حاله: قال ابن الصّيرفى: كان الفقيه أبو جعفر القليعى، من أهل غرناطة، فريد عصره، و قريع دهره، فى الخير و العلم و التّلاوة؛ و له حزب من اللّيل، و كان سريع الدّمعة، كثير الرّواية؛ و هو المشار إليه فى كل نازلة، و له العقد و الحلّ و التقدّم و السّابقة، مع منّة فى جلائل الأمور، و النّهضة بالأعباء و سموّ الهمّة.

غريبة فى شأنه: قال: كان باديس بن حبّوس أمير بلده يتفرّس فيه أن ملك دولته ينقرض على يديه، فكان ينصب لشأنه أكلبا، و يتملّظ بسيفه إلى قتله، فحماه اللّه منه بالعلم، و غلّ يده، و أغمد سيفه، ليقضى اللّه أمرا كان مفعولا.

مشيخته: روى عن أبى عمر بن القطّان، و أبى عبد اللّه بن عتّاب، و أبى زكريا القليعى، و أبى مروان بن سراج؛ و كان ثقة صدوقا، أخذ عنه الناس.

محنته: و لمّا أجاز أمير لمتونة يوسف بن تاشفين البحر مستدعى إلى نصر المسلمين، ثانى حركاته إلى الأندلس، و نازل حصن أليط ، و سارع ملوك الطوائف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۴۶

إلى المسير فى جملته، كان ممّن وصل إليه الأمير عبد اللّه بن بلكّين بن باديس، صاحب غرناطة، و وصل صحبته الوزير أبو جعفر بن القليعى، لرغبته فى الأجر مع شهرة مكانه، و علوّ منصبه، و لنهوض نظرائه من زعماء الأقطار إلى هذا الغرض.

و كان مضرب خيام القليعى قريبا من مضرب حفيد باديس، و لمنزلته عند الأمير يوسف بن تاشفين، و له عليها الحفوف و له به استبداد و انفراد كثير و تردّد كثير، حتى نفى بذلك حفيد باديس، و أنهم عينه. قال المؤرّخ: و كيفما دارت الحال، فلم يخل من نصح للّه و لأمير المسلمين.

قلت: حفيد باديس كان أدرى بدائه، قصّر اللّه خطانا من مدارك الشّرور. فلمّا صدر حفيد باديس إلى غرناطة، استحضره و نجهه، و قام من مجلسه مغضبا، و تعلقت به الخدمة، و حفّت به الوزعة و الحاشية، و همّوا بضربه؛ إلّا أن أمّ عبد اللّه تطارحت على ابنها فى استحيائه، فأمر بتخليصه، و سجنه فى بعض بيوت القصر؛ فأقبل فيه على العبادة و الدعاء و التّلاوة؛ و كان جهير الصوت، حسن التّلاوة، فأرتج القصر، و سكنت لاستماعه الأصوات، و هدأت له الحركات، و اقشعرّت الجلود.

و خافت أم عبد اللّه على ولدها، عقابا من اللّه بسببه، فلاطفته حتى حلّ عقاله، و أطلقه من سجنه. و لمّا تخلّص أعدّها غنيمة. و كان جزلا، قوىّ القلب، شديد الجزم؛ فقال الصّيد بغراب أكيس؛ فاتخذ الليل جملا؛ فطلع له الصباح بقلعة يحصب، و هى لنظر ابن عبّاد ، و حثّ منها السّير إلى قرطبة؛ فخاطب منها يوسف بن تاشفين بملء فيه، بما حرّكه و أطمعه؛ فكان من حركته إلى الأندلس، و خلع عبد اللّه بن بلكّين من غرناطة، و استيلائه عليها، ما يرد فى اسم عبد اللّه و فى اسم يوسف بن تاشفين، إن شاء اللّه. و بدا لحفيد باديس فى أمر أبى جعفر القليعى، و رأى أنه أضاع الحزم فى إطلاقه، فبحث عنه من الغد، و تقصّت عنه البلدة، فلم يقع له خبر، إلى أن اتّصل به خبر نجاته، و لحاقه بمأمنه. فرجع باللائمة على أمّه، ولات حين مندم. و لم يزل أبو جعفر مدّته فى دول الملوك، من لمتونة، معروف الحقّ، بعيد الصّيت و الذّكر، صدر الحضرة، و المخصوص بعلوّ المرتبة إلى حين وفاته .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۴۷

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمدانى اللخمى

من أهل غرناطة.

حاله: كان فقيها وزيرا جليلا حسيبا حافلا.

وفاته: توفى بإلبيرة قبل الثلاثين و أربعمائة.

ذكره أبو القاسم الغافقى فى تاريخه و ابن اليسر فى مختصره و أثنى عليه.

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشّمر بن عبد شمس بن غريب الهمدانى الإلبيرى

من نزلاء قرية همدان؛ ذكره ابن حيّان، و الغافقى، و ابن مسعدة، و غيرهم؛ فقال جميعهم: كان من أهل البلاغة، و البيان، و الأدب، و الشعر البارع.

مناقبه: قدم على الخليفة أبى مطرّف عبد الرحمن ، فقام خطيبا بين يديه، فقال : الحمد للّه المحتجب بنور عظمته، عن أبصار بريّته، و الدّال بحدوث خلقه على أوّليّته، و المنفرد بما أتقن من عجائب دهره و منن صمديّته، و أشهد أن لا إله إلّا اللّه وحده، لا شريك له، إقرارا بوحدانيته ، و خضوعا لعزّه و عظمته. و أشهد أن محمدا عبده و رسوله ، انتخبه من أطيب البيوتات، و اصطفاه من أطيب البيوتات، حتى قبضه اللّه إليه، و اختار له ما لديه. و قد قبل سعيه، و أدّى أمانته، فصلّى اللّه عليه و سلّم تسليما. ثم إنّ اللّه لمّا أن بعثه من أكرم خلقه، و أكرمه برسالته و أنزل عليه محكم تنزيله، و اختار له من أصحابه و أشياعه مخلفا ، جعل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۴۸

منهم أئمّة يهدون بالحق، و به يعدلون؛ فجعل اللّه الأمير، أعزّه اللّه، وارث ما خلّفوه من معاليهم ، و بانى ما أسّسوه من مشاهدهم، حتى أمّن المسالك، و سكن الخائف، رحمة من اللّه، ألبسه كرامتها، و طوّقه فضيلتها ، وَ اللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشاءُ وَ اللَّهُ ذُو الْفَضْلِ

الْعَظِيم : [الرجز]

اللّه أعطاك التى لا فوقهاو قد أراد الملحدون عوقها

عنك و يأبى اللّه إلّا سوقهاإليك حتى قلّدوك طوقها

ثم أردف قوله بهذه الأبيات : [الطويل]

أيا ملكا ترمى به قضب الهندإذا لمعت بين المغافر و الزّرد

و من بأسه فى منهل الموت واردإذا أنفس الأبطال كلّت عن الورد

و من ألبس اللّه الخلافة نعمةبه فاقت النّعمى و جلّت عن الحدّ

فلو نظمت مروان فى سلك فخرهالأصبح من مروان واسطة العقد

تجلّى على الدّنيا فأجلى ظلامهاكما انجلت الظّلماء عن قمر السّعد

إمام هدى أضحت به العرب غضّة ملبّسة نورا كواشية البرد

كفانى لديه أن جعلت و سائلى ذماما شآمىّ الهوى مخلص الودّ

يؤكّد ما يدلى به من متانة خلوص أبيه عبدك الفارس النّجد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۴۹ تأمّل رواه و الرّماح شواجرو خيل إلى خيل بأبطالها تردى

رأى أسدا وردا يخفّ إلى الوغىو ربّتما أربى على الأسد الورد

فأنعم عليه اليوم يا خير منعمبإظهار تشريف و عقد يد عندى

و لا تشمت الأعداء أن جئت قاصداإلى ملك الدّنيا فأحرم من قصدى

فعند الإمام المرتضى كلّ نعمةو شكرا لما يلحيه من نعمة عندى

فلا زال فى الدّنيا سعيدا مظفّراو بوّىء فى دار العلى جنّة الخلد

و كان من بيت سماحة و فصاحة و خطابة، فعلا شرفه بهذه الخصال؛ فسجّل له على أرحية؛ و حصن نبيل ببنى هود و غير ذلك، فانقلب مرعىّ الوسائل، و مقضىّ الرّسائل .

قال المؤلّف: أرى ابن فركون قبل الست عشرة و الثلاثمائة.

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشى

من أهل غرناطة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن فركون.

أوليته: و كفى بالنسب القرشى أوّليّة.

حاله من عائد الصلة: كان من صدور القضاة بهذا الصّقع الأندلسى، اضطلاعا بالمسائل و معرفة بالأحكام من مظانّها، كثير المطالعة و الدّروب،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۵۰

و حىّ الإجهاز فى فصل القضايا، نافذ المقطع، كثير الاجتهاد و النّظر، مشاركا فى فنون، من عربيّة، و فقه، و قراءة، و فرائض، طيّب النّغمة بالقرآن، حسن التّلاوة، عظيم الوقار، بين طبع و مكسوب، فائق الأبّهة، مزريا بمن دونه من الفقهاء، و عاقدى الشروط، مسقطا للكنى و التّجلّات، يعامل الكهول معاملة الأحداث، و يتهاون بتعاملات ذلك فيجعلها دبر أذنيه، و يسترسل فى إطلاق عنان النّادرة الحارة، فى مجالس حكمه، فضلا عن غيرها؛ وجد ذلك من يحمل عليها سببا للغرض منه.

نباهته: ترشّح بذاته، و باهر أدواته، إلى قضاء المدن النّبيهة، و الأقطار الشهيرة، كرندة، و مالقة، و غيرهما. ثم ولّى قضاء الجماعة، فى

ظلّ جاه، و ضمن حرمة.

غريبة فى أمره: حدث أنه كان يقرأ فى شبيبته على الأستاذ الصالح أبى عبد اللّه بن مستقور بكرم له خارج الحضرة، على أميال منها فى فصل العصير. قال: وجّهنى يوما بغلّة من الرّبّ لأبيعه بالبلد، فأصابنى مطر شديد، وعدت إليه بحال سيّئة، بعد ما قضيت له وطره؛ و كان له أخ أسنّ منه، فعاتبه فى شأنى، و قال له: تأخذ صبيّا ضعيفا يأتيك لفائدة يستفيدها، و تعرّضه لمثل هذه المشقّة، فى حقّ مصلحتك، ليس هذا من شيم العلماء، و لا من شيم الصّالحين. فقال له: دعه، لا بدّ أن يكون قاضى الجماعة بغرناطة؛ فكان كذلك، و صدقت فراسته، رحمه اللّه تعالى.

مشيخته: قرأ بالقرية على الأستاذ أبى القاسم بن الأصفر؛ و بغرناطة على العالم القاضى أبى الحسن محمد بن يحيى بن ربيع الأشعرى، و على الشيخ المفتى أبى بكر محمد بن أبى إبراهيم بن مفرّج الأوسى بن الدبّاغ الإشبيلى، و على الخطيب الزاهد أبى الحسن العدّال، و على الأستاذ النّحوى أبى الحسن على بن محمد بن على بن يوسف بن الصّايغ؛ بالصاد المهملة، و الغين المعجمة، و على الأستاذ أبى الحسن الأبّدى ؛ و أبى عبد اللّه محمد بن إبراهيم الطائى، عرف بابن مستقور.

و لمّا دالت الدولة، كان له فى مشايعة مخلوعها أمور اقتضتها منه أريحيّة و حسن وفاء، أوجبت عليه الخمول بعد استقرار دائلها السلطان أبى الوليد، رحمه اللّه؛

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۵۱

و أصابته أيام الهيج محن، و نسبت إليه نقائص زوّرتها حسدته، فصرف عن القضاء؛ و بقى مدّة مهجور الفناء، مضاع المكان، عاطل الدّولة، منتبذا فى مليك له؛ خارج الحضرة، ينحنى على خرثىّ ساقط القيمة، و دفاتر ساقطة الثمن، يتعلّل بعلالتها، و يرجى الوقت ببسيرها.

حدّثنى الوزير أبو بكر بن الحكيم، قال: زرته فى منزله بعد عزله، و نسبة الأمور التى لا تليق بمثله، فأنشدنى بما ينبئ عن ضجره و ضيق صدره:

[المجتث]

أنا من الحكم تائبو عن دعاويه هارب

بعد التّفقّه عمرى و نيل أسنى المراتب

و بعد ما كنت أرقىعلى المنابر خاطب

أصبحت أرمى بعارللحال غير مناسب

أشكو إلى اللّه أمرىفهو المثيب المعاقب

و ثبت اسمه فى التاريخ المسمّى «بالتاج» تأريخى بما نصّه:

شيخ الجماعة و قاضيها، و منفّذ الأحكام و ممضيها، و شايم سيوفها الماضية و منتضيها، رأس بفضيلة نفسه، و أحيا دارس رسم القضاء بدرسه، و أودع فى أرض الاجتهاد، بذر السّهاد، فجنى ثمرة غرسه؛ إلى وقار يودّ رضوى رجاحته، و صدر تحسد الأرض الغبيطة ساحته، و نادرة يدعوها فلا تتوقّف، و يلقى عصاها فتتلقّف؛ و لم يزل يطمح بأمانيه، و يضطلع بما يعانيه، حتى رفع إلى الرّتبة العالية، و حصل على الحال الحالية؛ و كان له فى الأدب مشاركة، و فى قريض النظم حصّة مباركة. انتهى إلىّ قوله يهنّئ السلطان أبا عبد اللّه بن نصر ، بالإبلال من مرض فى اقتران بعيد و فتح، و ذلك : [الطويل]

شفاؤك للملك اعتزاز و تأييدو برؤك مولانا به عندنا عيد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۵۲ مرضت فلم تأو النّفوس لراحةو لا كان للدّنيا قرار و تمهيد

و لم تستطع عينى تراك مؤلّما و لازمها طول اعتلالك تسهيد

و شعره مختلف عن نمط الإجادة التى تناسب محلّه فى العلم، و طبقته فى الإدراك فاختصرته.

مولده: عام تسعة و أربعين و ستمائة.

وفاته: فى السادس عشر لذى القعدة عام تسعة و عشرين و سبعمائة. ذكرته فى كتاب «عائد الصّلة» قاضيا، و فى كتاب «التّاج المحلى» قاضيا أديبا. و ذكره أبو بكر بن الحكيم فى كتاب «الفوائد المستغربة، و الموارد المستعذبة» من تأليفه.

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يحيى ابن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزيّ الكلبى

من أهل غرناطة، و يعرف بابن جزيّ. أوليّته معروفة، و أصالته شهيرة، تنظر فيما مرّ من ذلك عند ذكر سلفه، و فيما يأتى فى ذلك، بحول اللّه و قوته.

حاله: من أهل الفضل و النّزاهة، و الهمّة، و حسن السّمة، و استقامة الطّريقة، غرب فى الوقار، و مال إلى الانقباض، و ترشّح إلى رتب سلفه. له مشاركة حسنة فى فنون، من فقه و عربيّة، و أدب، و حفظ، و شعر، تسمو ببعضه الإجادة، إلى غاية بعيدة.

مشيخته: قرأ على والده الخطيب أبى القاسم، و لازمه، و استظهر ببعض موضوعاته، و تأدّب به؛ و قرأ على بعض معاصرى أبيه، و روى، و استجلب له أبوه كثيرا من أهل صقعة و غيرهم.

نباهته: ثم أرسم فى الكتابة السلطانية لأوّل دولة السابع من الملوك النّصريين، منفق سوق الحلية من أبناء جنسه، أبى الحجاج بن نصر، فورى زنده، و درّت أحلاب قريحته، و صدر له فى مدائحه شعر كثير. ثم تصرّف فى الخطط الشّرعية، فولّى القضاء ببرجة، ثم بأندرش، و هو الآن قاضى مدينة وادى آش، مشكور السّيرة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۵۳

معروف النّزاهة، أعانه ذلك و سوّده، و بلغ به رتبة سلفه. و جرى ذكره فى كتاب التّاج بما نصّه:

«فاضل تحلّى بالسكينة و الوقار، فمدّت إليه رقاب سلفه يد الافتقار، ما شئت من هدوء و سكون، و جنوح إلى الخير و ركون، عنى بالمحافظة على سمته من لدن عقل، و لزم خدمة العلم فما عاد و لا انتقل، و وجد من أبيه رحمه اللّه مرعى خصيبا فابتقل، و عمل على شاكلة سلفه فى سلامة الجانب، و فضل المذاهب، و تحلّى بتلك المآثر و توشّح، و تأهّل إلى الرّتب فى سنّن الشّبيبة و ترشّح؛ و له مع ذلك فى لجّة الفقه سبح، و على بعض موضوعات أبيه شرح؛ و أدبه ساطع، و كلامه حسن المقاطع. فمن ذلك ما كتب به إلىّ، و قد خاطبت ما أمكن من نظمه : [المتقارب]

فديتك يا سيّدى مثلمافداك الزمان الذى زنته

و قوله فى المقطوعات من ذلك فى معنى التورية : [الخفيف]

كم بكائى لبعدكم و أنينى من ظهيرى على الأسى من معينى

جرّح الخدّ دمع عينى و لكنعجب أن يجرّح ابن معين

و قال فى الغنى : [الطويل]

أرى الناس يولون الغنىّ كرامةو إن لم يكن أهلا لرفعة مقدار

و يلوون عن وجه الفقير وجوههمو إن كان أهلا أن يلاقى بإكبار

بنو الدّهر جاءتهم أحاديث جمّةفما صحّحوا إلّا حديث ابن دينار

و من بديع ما صدر عنه، قوله ينسج على منوال امرئ القيس فى قصيدته الشهيرة : [الطويل]

أقول لحزمى أو لصالح أعمالى(ألا عم صباحا أيها الطّلل البالى)

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۵۴ أما واعظى شيب سما فوق لمّتى(سموّ حباب الماء حالا على حال)

أنار به ليل الشّباب كأنه(مصابيح رهبان تشبّ لقفّال)

نهانى عن غىّ و قال متبّها(أ لست ترى السّمّار و الناس أحوالى)؟

يقولون غيّره لتنعم برهة(و هل يعمن من كان فى العصر الخالى)؟

أغالط دهرى و هو يعلم أننى(كبرت و أن لا يحسن اللّهو أمثالى)

و مؤنس نار الشّيب يقبح لهوه(بآنسة كأنّها خطّ تمثال)

أ شيخا و تأتى فعل من كان عمره(ثلاثين شهرا فى ثلاثة أحوال)

و تشغفك الدّنيا و ما إن شغفتها(كما شغف المهنوءة الرجل الطّالى)

ألا إنّها الدنيا إذا ما اعتبرتها(ديار لسلمى عافيات بذى خال)

فأين الذين استأثروا قبلنا بها(لناموا فما إن من حديث و لا صال)

ذهلت بها غيّا فكيف الخلاص من(لعوب تنسّينى إذا قمت سربالى)

و قد علمت منى مواعيد توبتى(بأنّ الفتى يهذى و ليس بفعّال)

و مذ وثقت نفسى بحبّ محمد(هصرت بغصن ذى شماريخ ميّال)

و أصبح شيطان الغواية خاسئا(عليه قتام سيّء الظّنّ و البال)

ألا ليت شعرى هل تقول عزائمى(لخيلى كرّى كرّة بعد إجفال)

فأنزل دارا للنّبىّ نزيلها(قليل هموم ما يبيت بأوجال)

فطوبى لنفس جاورت خير مرسل(بيثرب أدنى دارها نظر عالى)

و من ذكره عند القبول تعطّرت(صبا و شمأل فى منازل قفّال)

جوار رسول اللّه مجد مؤثّل(و قد يدرك المجد المؤثّل أمثالى)

و من ذا الذى يثنى عنان السّرى و قد(كفانى، و لم أطلب، قليلا من المال)

أ لم تر أنّ الظّبية استشفعت به(تميل عليه هونة غير مجفال)

و قال لها عودى فقالت له نعم(و لو قطّعوا رأسى لديك و أوصالى)

فعادت إليه و الهوى قائل لها(و كان عداء الوحش منى على بالى)

رثى لبعير قال أزمع مالكى(ليقتلنى و المرء ليس بفعّال)

و ثور ذبيح بالرسالة شاهد(طويل القرا و الرّوق أخنس ذيّال)

و حنّ إليه الجذع حنّة عاطش(لغيث من الوسمىّ رائده خالى)

و أصلين من نخل قد التأما له(فما احتبسا من لين مسّ و تسهال)

و قبضة ترب منه ذلّت لها الظّبا(و مسنونة زرق كأنياب أغوال)

و أضحى ابن جحش بالعسيب مقاتلا(و ليس بذى رمح و ليس بنبّال)

و حسبك من سيف الطّفيل إضاءة(كمصباح زيت فى قناديل ذبّال)

و بذّت به العجفاء كلّ مطهّم(له حجبات مشرفات على الفال)

و يا خسف أرض تحت باغيه إذ علا(على هيكل نهد الجزارة جوّال)

و قد أخمدت نار لفارس طالما(أصابت غضى جزلا و كفّت بأجزال)

أبان سبيل الرّشد إذ سبل الهدى(يقلن لأهل الحلم ضلّا بتضلال)

لأحمد خير العالمين انتقيتها(و رضت فذلّت صعبة أىّ إذلال)

و إنّ رجائى أن ألاقيه غدا(و لست بمقلىّ الخلال و لا قالى)

فأدرك آمالى و ما كلّ آمل(بمدرك أطراف الخطوب و لا والى)

و لا خفاء ببراعة هذا النّظم، و إحكام هذا النّسج، و شدّة هذه العارضة. و له تقييد فى الفقه على كتاب والده، المسمّى بالقوانين الفقهية، و رجز فى الفرائض يتضمّن العمل. و إحسانه كثير. و تقدم قاضيا بحضرة غرناطة، و خطيبا بمسجد السلطان، ثامن شوّال من عام ستين و سبعمائة. ثم انصرف عنها، و أعيد إليها فى عام ثلاثة و ستين، موصوفا بالنّزاهة و المضاء.

مولده: فى الخامس عشر من جمادى الأولى عام خمسة عشر و سبعمائة، و هو الآن بقيد الحياة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۵۶

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على ابن محمد بن سعدة بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر ابن شراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكّار بن البدر ابن سعيد بن عبد اللّه العامرى

يكنى أبا جعفر، من أهل غرناطة.

أوّليته: عامر الذى ينتسبون إليه، عامر بن صعصعة بن هوازن بن منصور بن عكرمة بن حفصة بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان.

و من مناقبهم: ميمونة أم المؤمنين، زوج رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، و عمرو بن عامر من أصحابه، و عاصم بن عبد اللّه الجعلى، و يزيد بن الحميرى، و غيرهم، منزل جدّهم الداخل إلى الأندلس، و هو بكر بن بكّار بن البدر بن سعيد بن عبد اللّه، قرية طغنر من إقليم براجلة ابن خريز من إلبيرة.

قال ابن الصيرفى فى تاريخه الصغير: منزل بنى مسعدة، موضع كرم و محمدة، ينتسبون فى عامر، و هم أعيان علية، فرسان أكابر، و حجّاب و كتّاب و وزراء، و لهم سابقات و مفاخر، و أوائل و أواخر. و منهم على القدم جليل و نبيه، و منهم كان و ضيع بن جرّاح الفقيه، لم يدخل أحد منهم فى الفتنة يدا، و لا تأذّى مسلما، و لا معاهدا ، على قدرتهم على ذلك، و كفى به فخرا لا ينقطع أبدا. و دخل جدّهم الأندلس بعقد بنى مروان له، سنة أربع و تسعين من الهجرة. و يأتى من ذكر أعلامهم ما يدلّ على شرف بيتهم، و أصالته، و علوّه و جلالته.

حاله: كان صدرا جليلا، فقيها مضطلعا، من أهل النّظر السّديد و البحث، قائما على المسائل، مشاركا فى كثير من الفنون، جزلا مهمّا، جاريا على سنن سلفه، ريّان من العربية. و ختم سيبويه تفقّها، و قرأ الفقه، و استظهر كتاب التّلقين، و درس الأحكام الجيدة، و عرضها فى مجلس واحد، و قرأ أصول الفقه، و شرح المستصفى شرحا حسنا، و قرأ الإرشاد و الهداية، و كان صدرا فى الفرائض و الحساب، و ألّف تاريخ قومه و قرابته.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۵۷

ولايته: ولّى القضاء بمواضع من الأندلس كثيرة من البشارات ، أقام بها أعواما خمسة؛ ثم لوشة، و أقام بها ثلاثة أعوام؛ ثم بسطة و برشانة. ثم انتقل إلى مالقة و أقام بها أعواما خمسة. نبّهت على مقدار الإقامة لما فى ضمن طول سنى الولاية من استقامة أمر الوالى. و كان له من أمير المسلمين بالأندلس حظوة لطيفة لم تكن لغيره، استنزلها بسحر التلطّف، و خطبها بلسان التّملّق حتى استحكمت له أسبابها.

حدّثنى بعض أشياخى ممّن كان يباشر مال السلطان يومئذ، قال: وجّه ابن مسعدة ابنه من مالقة، بكتاب فى بعض الأغراض الضرورية، ثم رغب فيه أن ينعم على ولده بالمشافهة لإلقاء أمر ينوب عنه فيه، فلما حضر تناول رجل السلطان فقبّلها، و قال: أمرنى أبى أن أنوب

فى تعفير الوجه، فى هذه الرّجل الكريمة الجهاديّة عنه خاصّة؛ لبعد عهده بها، إلى أمثال هذا مما اقتضت الانتفاع بعاجل من الدّنيا زهيد، لا يدرى ما اللّه صانع فيه، و الإبقاء بما تجاوز الإفراط فى تقدّمه بمالقة، بعده دار الأعلام، و ديوان العقد، و هو حدث خلىّ من العلم، قريب العهد بالبلوغ، فكانت على أنها غاية الصّدور ملعبا، إلى أن ضرب الدهر ضرباته، و انتقلت الحال.

مشيخته: أولهم قاضى الجماعة أبو الحسن بن أبى عامر بن ربيع، و ثانيهم القاضى أبو عامر يحيى بن عبد الرحمن بن ربيع، و ثالثهم أبو يحيى بن عبد المنعم الخزرجى، و رابعهم العدل الرّاوية أبو الوليد العطّار، و خامسهم أبو إسحاق بن إبراهيم بن أحمد الخشنى، و سادسهم الأستاذ أبو الحسن الكنانى الإشبيلى، و سابعهم محمد بن إبراهيم بن مفرّج الأوسى الدبّاغ، و ثامنهم أبو جعفر أحمد بن على الرّعينى، و تاسعهم أبو على بن أبى الأحوص.

وصمته: فروى الناس أنه وجد بخزانته بعد وفاته زمام يشتمل على مثالب أهل غرناطة، مما يحدث على الأيام فى أفرادهم من فلتات يجريها عدم الاتّصاف بالعصمة. استقرّ عند ولده الفضل، زعموا، ثم خفى أثره، ستر اللّه عيوبنا برحمته.

وفاته: توفى بمالقة قرب صلاة المغرب، يوم الأحد الموفّى عشرين لذى الحجة عام تسعة و تسعين و ستمائة، و دفن بخارج باب قبالة فى مالقة المذكورة بمقربة من رابعة بنى عمّار، و بالروضة المنسوبة لبنى يحيى، نقلت من خط ولده الفضل.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۵۸

أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدى

يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن قعنب.

أوّليّته: ذكر الأستاذ ابن الزّبير فى «صلته» و غيره، أن قوما بغرناطة يعرفون بهذه المعرفة، فإن كان منهم، فله أوّليّة لا بأس بها.

حاله: كان من شيوخ كتّاب الشّروط معرفة بالمسائل، و اضطلاعا بالأحكام، و انفرد بصحّة الوثيقة، باقعة من بواقع زمانه، و عيّابة فى مشايخ قطره، يألف النّادرة الحارّة فى ملاء من النّوك و الغفلة، فلا يهتزّ لموقع نادرة، و لا يضحك عقب عقد صرعة، لقلقه غير ما مرة، غير مجلس من مجالس القضاء من بنى مسعود المزراة أحكامهم، المرميّة بتهكّمه و إزرائه، فتقتّع فى طريق حكمهم خطى منفسحة، غير مكترث بهوانه، و لا غاصّ بلسانه. و ربما قال لبعض الوزعة من قادته بمحبسه، و قد توقّفوا به فى بعض الطريق، توقّعا لسكون غضب قاضيهم، ابعثوا بعضهم إلى هذا المحروم، لنرى ما عزم عليه، بكلام كثير الفتور و الاستكانة، له فى هذا الباب شهرة.

ذكر بعض نزعاته: حدّثنى ملازمه، وقف عليه، أبو القاسم بن الشيخ الرئيس أبى الحسن بن الجيّاب، و قد أعمل والده، رحلة إلى مالقة لزيارة شيخه الذى تلمذ له، و شهر بالتشيّع فيه، أبى عبد اللّه السّاحلى، صاحب الأتباع و الطريقة، و كان مفرط الغلوّ فيه، و استصحب ولده الصغير، فسأله عن سفر أبيه و سعيه، فقال: نعم، و احتمل أخى، فقال: أظنه منذر ولد كان غير مغتطس، فحمله الشيخ، فغطّسه، و استغرب كلّ من حضر ضحكا، فلم يبتسم هو كأنه لا شعور عنده بما ذهب إليه، فكانت إحدى الطّوام عند الشيخ.

و حدّثنى، قال: جاءت امرأة تخاصم ميّارا ، أوصلها من بعض المدن، فى أمر نشأ بينهما، و بيده عقد، فقال بعض جيرانه، من نصّه حاكيا: «و أنه جامعها من موضع كذا إلى كذا» و لم يرسم المدّ على ألف «جا»، فقال الشيخ للمرأة: أ تعرفين أن هذا الميّار جامعك فى الطريق أى فعل بك، فقالت: معاذ اللّه، و نفرت من ذلك،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۵۹

فقال: كذا شهد عليك الفقيه، و أشار إلى جاره. و مثل ذلك كثير. ولّى القضاء بأماكن عديدة كلوشة، و بسطة، و المسند، و برجة، و أرجبة، و غير ذلك.

مشيخته: يحمل عن الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و الخطيب الصالح أبى عبد اللّه بن فضيلة، و أبى محمد بن سماك، و أبى الحسن بن مستقور.

مولده: عام سبعين و ستمائة. توفى قاضيا ببرجة بعد علّة سدكت به فى السادس عشر من شعبان من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة، و انتقل منها فى وعاء خشب.

و دفن بمقبرة إلبيرة، تجاوز اللّه عنه و رحمه.

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى

من أهل غرناطة، و جلّة بيوتها، و يأتى من ذكر ذلك ما فيه كفاية.

حاله: هذا الرجل ممّن صرفت إلى اللّه رجعاه، و خلصت له معاملته، و خلص إليه انقطاعه. نازع فى ذلك نفسا جامحة فى الحزم، عريقة فى الغفلة، فكتب اللّه له النصر عليها دفعة، فشمّر و فوّت الأصول للحضرة فى باب الصّدقة، و نبذ الشواغل، و حفظ كتاب اللّه على الكبرة، و استقبل المحراب، ملغيا سواه، درأ به، فاتّفق على فضله، و غبط فى حسن فيئته. و له ديوان نبيل يتضمّن كثيرا من فقه النفس و البدن، دلّ على نبله، و هو بحاله الموصوفة إلى هذا العهد. نفعه اللّه تعالى.

مولده: بغرناطة عام تسعين و ستمائة.

أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى

من أهل الحمّة ، يكنى أبا جعفر.

حاله: من أهل الخير و العفاف و الطهارة و الانقباض، و الصحة و السّلامة، أصيل البيت، معروف القدم ببلده، حرّ النادرة، قرأ بالحضرة، و اجتهد، و حصّل؛ و لازم الأستاذ أبا عبد اللّه الفخّار و غيره من أهل عصره. و ولّى القضاء ببلدة الحمّة، ثم بغربى مالقة. و هو الآن قاض بها، مشكور السّيرة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ۶۰

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد اللّه ابن ورد التميمى

من أهل ألمريّة. يكنى أبا القاسم، و يعرف بابن ورد.

حاله: قال الملّاحى: كان من جلّة الفقهاء المحدّثين. قال ابن الزّبير كذلك، و زاد: موفور الحظّ من الأدب و النحو و التاريخ، متقدّما فى علم الأصول و التّفسير، حافظا متقنا، و يقال إن علم المالكيّة انتهت إليه الرياسة فيه، و إلى القاضى أبى بكر بن العربى، فى وقتهما، لم يتقدّمهما فى الأندلس أحد بعد وفاة أبى الوليد بن رشد.

قال: أخبرنى الثّقة أبو عبد اللّه بن جوبر عن أبى عمر بن عات، قال: حديث ابن العربى، اجتمع بابن ورد، و تبايتا ليلة، و أخذا فى التّناظر و التذاكر، فكانا عجبا. يتكلّم أبو بكر فيظن السامع أنه ما ترك شيئا إلّا أتى به، ثم يجيبه أبو القاسم بأبدع جواب ينسى السامعين ما سمعوا قبله. و كانا أعجوبتى دهرهما. و كان له مجلس يتكلّم فيه على الصّحيحين، و يخصّ الأخمسة بالتفسير.

حلوله غرناطة: قال المؤرّخون: ولّى قضاء غرناطة سنة عشرين، فعدل و أحسن السّيرة، و به تفقّه طلبتها إذ ذاك.

مشيخته: روى عن أبى على الغسّانى، و أبى الحسن بن سراج، و أكثر عنه، و أبى بكر بن سابق الصقيلى، و أبى محمد بن عبد اللّه بن فرج، المعروف بالعسّال الزّاهد، و لازمه، و هو آخر من روى عنه. و رحل إلى سجلماسة، و ناظر عند ابن العوّاد. و روى أيضا عن أبى الحسن المبارك، المعروف بالخشّاب، و كان الخشّاب يحمل عن أبى بكر بن ثابت الخطيب و غيره.

من روى عنه: و روى عنه جماعة كأبى جعفر بن الباذش، و أبى عبيد اللّه، و ابن رفاعة، و ابن عبد الرحيم، و ابن حكيم و غيرهم. و آخر من روى عنه، أبو القاسم بن عمران الخزرجى بفاس.

وفاته: توفى بألمريّة فى الثانى عشر لرمضان سنة أربعين و خمسمائة.

أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى

يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن برطال، أصله من قرية تعرف بحارة البحر من وادى طرّش نصر، حصن منتماس من شرقى مالقة، من بيت خير و أصالة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۶۱

و انتقل سلفه إلى مالقة، فتوشّجت لهم بها عروق، و صاهروا إلى بيوتات نبيهة.

حاله: كان من أهل الخير، و كان على طريقة مثلى من الصّمت، و السّمت، و الانقباض، و الذكاء، و العدالة و التخصّص، محوّلا فى الخير، ظاهر المروءة، معروف الأصالة، خالص الطّعمة، كثير العفّة، مشهور الوقار و العفاف، تحرّف بصناعة التوثيق على انقباض.

دخوله غرناطة: تقدّم قاضيا بغرناطة، بعد ولاية القضاء ببلده، و انتقل إليها، و قام بالرّسم المضاف إلى ذلك، و هو الإمامة بالمسجد الأعظم منها، و الخطابة بجامع قلعتها الحمراء؛ و استقلّ بذلك إلى تاسع جمادى الثانية من عام أحد و أربعين و سبعمائة، على قصور فى المعارف، و ضعف فى الأداة، و كلال فى الجدّ، و لذلك يقول شيخنا أبو البركات بن الحاج : [الرمل]

إنّ تقديم ابن برطال دعاطالب العلم إلى ترك الطّلب

حسبوا الأشياء عن أسبابهافإذا الأشياء عن غير سبب

إلّا أنه أعانته الدربة و الحنكة على تنفيذ الأحكام، فلم تؤثر عنه فيها أحدوثة، و استظهر بجزالة أمضت حكمه، و انقباض عافاه عن الهوادة، فرضيت سيرته، و استقامت طريقته.

مشيخته: لقى والده، شيخ القضاة، و بقيّة المحدّثين، و له الرواية العالية، و الدرجة الرفيعة، حسبما يأتى فى اسمه، و لم يؤخذ عنه شىء فيما أعلم.

شعره: أنشدنى الوزير أبو بكر بن ذى الوزارتين أبى عبد اللّه بن الحكيم، قال: أنشدنى القاضى أبو جعفر بن برطال لنفسه، مودّعا فى بعض الأسفار :

[الكامل]

أستودع اللّهمّ من لوداعهمقلبى و روحى إذ دنى لوداعى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۶۲ بانوا و طرفى و الفؤاد و مقولىباك و مسلوب العزاء وداع

فتولّ يا مولاى حفظهم و لاتجعل تفرّقنا فراق وداع

وفاته: توفى، رحمه اللّه و عفا عنه، أيام الطاعون الغريب بمالقة، فى منتصف ليلة الجمعة خامس صفر عام خمسين و سبعمائة ، و خرجت جنازته فى اليوم التالى، ليلة وفاته فى ركب من الأموات، يناهز الألف، و ينيف بمائتين، و استمرّ ذلك مدة، و كان مولده عام تسعة و ثمانين و ستمائة، رحمه اللّه تعالى.

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومى

بلنسى شقورى الأصل، يكنى أبا مطرّف.

أوّليّته: لم يكن من بيت نباهة؛ و وقع لابن عبد الملك فى ذلك نقل، كان حقه التجافى عنه، لو وفّق.

حاله: قال ابن عبد الملك : كان أوّل طلبه العلم شديد العناية بشأن الرواية، فأكثر من سماع الحديث و أخذه عن مشايخ أهله، و تفنّن فى العلوم، و نظر فى العقليّات و أصول الفقه، و مال إلى الأدب فبرع فيه براعة عدّ بها من كبار مجيدى النّظم. و أما الكتابة، فهو علمها

المشهور، و واحدها الذى عجزت عن ثانيه الدّهور، و لا سيما فى مخاطبة الإخوان، هنالك استولى على أمد الإحسان، و له المطوّلات المنتخبة، و القصار المقتضبة، و كان يملح كلامه نظما و نثرا بالإشارة إلى التاريخ ، و يودعه إلماعات بالمسائل العلمية

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۶۳

منوّعة المقصد . قلت: و على الجملة، فذات أبى المطرّف فيما ينزع إليه، ليست من ذوات الأمثال، فقد كان نسيج وحده، إدراكا و تفنّنا، بصيرا بالعلوم، محدّثا، مكثرا، راوية ثبتا، سجرا فى التاريخ و الأخبار، ريّان، مضطلعا بالأصلين، قائما على العربية و اللغة، كلامه كثير الحلاوة و الطّلاوة، جمّ العيون، غزير المعانى و المحاسن، وافد أرواح المعانى، شفّاف اللفظ، حرّ المعنى، ثانى بديع الزمان، فى شكوى الحرفة، و سوء الحظ، و رونق الكلام، و لطف المأخذ، و تبريز النثر على النظم، و القصور فى السّلطانيات.

مشيخته: روى عن أبى الخطاب بن واجب، و أبى الربيع بن سالم، و أبى عبد اللّه بن فرج و أبى على الشّلوبين، و أبى عمر بن عات، و أبى محمد بن حوط اللّه، لقيهم، و قرأ عليهم، و سمع منهم، و أجازوا له؛ و أجاز له من أهل المشرق أبو الفتوح نصر بن أبى الفرج و غيره.

من روى عنه: روى عنه ابنه القاسم، و أبو بكر بن خطّاب، و أبو إسحاق البلقينى الحفيد، و الحسن بن طاهر بن الشّقورى، و أبو عبد اللّه البرّى. و حدّث عنه أبو جعفر بن الزّبير، و ابن شقيف، و ابن ربيع، و غيرهم مما يطول ذكره.

نباهته: صحب أبا عبد اللّه بن عبد العزيز بن عبد اللّه بن خطّاب قبل توليته ما تولّى من رياسة بلده، و انتفع به كثيرا؛ و كتب عن الرئيس أبى جميل زيّان بن سعد و غيره من أمراء شرق الأندلس. ثم انتقل إلى العدوة ، و استكتبه الرشيد أبو محمد عبد الواحد بمراكش، مدة يسيرة؛ ثم صرفه عن الكتابة و ولّاه قضاء مليانة من نظر مرّاكش الشرقى، فتولّاه قليلا، ثم نقله إلى أقصى رباط الفتح. و توفى الرشيد، فأقرّه على ذلك الوالى بعده، أبو الحسن المعتضد أخوه؛ ثم نقله إلى قضاء مكناسة الزّيتون؛ ثم لمّا قتل المعتضد لحق بسبتة، و جرى عليه بطريقها ما يذكر فى محنته. ثم ركب البحر منها متوجّها إلى إفريقية، فقدم بجاية على الأمير أبى زكريا يحيى بن الأمير أبى زكريا. ثم توجّه إلى تونس فنجحت بها وسائله، و ولّى قضاء مدينة الأرش. ثم انتقل إلى قابس، و بها طالت مدة ولايته؛ و استدعاه المستنصر بالله محمد بن أبى زكريا، و لطف محلّه منه، حتى كان يحضر مجالس أنسه، و داخله بما قرفته الألسن بسببه حسبما يذكر فى و صمته.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۶۴

مناقبه: و هى الكتابة و الشعر؛ كان يذكر أنه رأى فى منامه النبىّ، صلى اللّه عليه و سلم، فناوله أقلاما، فكان يروى له أن تأويل تلك الرّؤيا، ما أدرك من التّبريز فى الكتابة، و شياع الذكر، و اللّه أعلم.

و من بديع ما صدر عنه، فيما كتب فى غرض التّورية، قطعة من رسالة، أجاب بها العبّاس بن أمية، و قد أعلمه باستيلاء الروم على بلنسية، فقال:

«باللّه أىّ نحو ننحو، أو مسطور نثبت أو نمحو؛ و قد حذف الأصل و الزّائد، و ذهبت الصّلة و العائد؛ و باب التعجّب طال، و حال اليأس لا تخشى الانتقال؛ و ذهبت علامة الرّفع، و فقدت نون الجمع؛ و المعتلّ أعدى الصّحيح و المثلّث أردى الفصيح؛ و امتنعت الجموع من الصّرف، و أمنت زيادتها من الحذف؛ و مالت قواعد الملّة، و صرنا جمع القلّة؛ و ظهرت علامة الخفض، و جاء بدل الكلّ من البعض».

و من شعره فى المقطوعات التى ورّى فيها بالعلوم قوله : [الخفيف]

قد عكفنا على الكتابة حيناو أتت خطّة القضاء تليها

و بكلّ لم يبق للجهد إلّامنزلا نابيا و عيشا كريها

نسبة بدّلت و لم تتغيّرمثل ما يزعم المهندس فيها

و كقوله مما افتتح به رسالة : [البسيط]

يا غائبا سلبتنى الأنس غيبتهفكيف صبرى و قد كابدت بينهما؟

دعواى أنّك فى قلبى فعارضها شوقى إليك فكيف الجمع بينهما؟

و فى مثل ذلك استفتاح رسالته أيضا : [الكامل]

إن الكتاب أتى و ساحة طرسهروح موشّى بالبديع مرتّع

و له حقوق ضاق وقت وجوبهاو من الوجوب مضيّق و موسّع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۶۵

و فى مثل ذلك فى استفتاح رسالة أيضا : [الكامل]

كبّرت بالبشرى أتت و سماعهاعيدى الذى لشهوده تكبيرى

و كذلك الأعياد سنّة يومهامختصّة بزيادة التّكبير

و فى أغراض أخر : [الخفيف]

بايعونا مودّة هى عندىكالمرآة بيعها بالخداع

فسأقضى بردّها ثم أقضىبعدها من مدامعى ألف صاع

و له فى معنى آخر : [الطويل]

شرّطت عليهم عند تسليم مهجتىو عند انعقاد البيع قربا يواصل

فلمّا أردت الأخذ بالشّرط أعرضواو قالوا يصحّ البيع و الشّرط باطل

تصانيفه: له تأليف فى كائنة ميرقة و تغلّب الرّوم عليها، نحى فيه منحى العماد الأصفهانى، فى الفتح القدسى ؛ و كتابه فى تعقيبه على فخر الدين بن الخطيب الرّازى فى كتاب المعالم فى أصول الفقه منه؛ و ردّه على كمال الدين أبى محمد بن عبد الكريم السّماكى فى كتابه المسمّى بالتّبيان فى علم البيان؛ و اقتضابه النبيل فى ثورة المريدين ، إلى غير ذلك من التعاليق و المقالات، و دوّن الأستاذ أبو عبد اللّه بن هانىء السّبتى كتابته و ما يتخلّلها من الشّعر فى سفرين بديعين أتقن ترتيبهما، و سمّى ذلك «بغية المستطرف، و غنية المتطرّف، من كلام إمام الكتابة ابن عميرة أبى المطرّف».

دخوله غرناطة: قال شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب: عمير أخبر بذلك من شيوخه، و الرجل ممّن يركن إليه فى أخباره فيما أحقّوا على سبيل الرواية و الإخبار، من شرّق الأندلس إلى غرناطة، إلى غربها إلى غير ذلك، عند رحلته، و هو الأقرب، و قال: قال المخبر: عهدى به طويلا، نحيف الجسم، مصفرّا، أقنى الأنف؛ أصيب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۶۶

بمالقة ما أحوج ما كان إليه، و قد استقبل الكبرة ، و نازعه سوء الحظّ. قال الشيخ أبو الحسن الرّعينى: إنه كتب إليه يعلمه بهذه الحادثة عليه، و أن المنهوب من ماله يعدل أربعة آلاف دينار عشرية، و كان ورقا و عينا و حليّا و ذلك أنه لمّا قتل المعتضد، اغتنم الفطرة، و فصل عن مكناسة، قاصدا سبته، فلقى الرفقة التى كان فيها جمع من بنى مرين، سلبوه و كلّ من كان معه.

مولده: بجزيرة شقر ، و قيل ببلنسية، فى رمضان اثنتين و ثمانين و خمسمائة.

وفاته: توفى بتونس ليلة الجمعة الموفية عشرين ذى الحجة عام ستة و خمسين و ستمائة . قال ابن عبد الملك : و وهم ابن الزبير فى وفاته، إذ جعلها فى حدود الخمسين و ستمائة أو بعدها.

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى ابن عبد الحق الجدلى

من أهل مالقة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن عبد الحق.

حاله: من صدور أهل العلم و التفنّن فى هذا الصّقع الأندلسى، نسيج وحده فى الوقار و الحصافة، و التزام مثلى الطريقة، جمّ التّحصيل، سديد النظر، كثير التخصّص، محافظ على الرسم، مقبوض العنان فى التّطفيف فى إيجاب الحقوق لأهلها، قريب من الاعتدال فى معاملة أبناء جنسه، مقتصد مع ثروته، مؤثر للترتيب فى كافّة أمره، متوقّد الفكرة مع سكون، ليّن العريكة مع مضاء؛ مجموع خصال حميدة مما يفيد التجريب و الحنكة؛ مضطلع بصناعة العربية، حائز قصب السّبق فيها، عارف بالفروع و الأحكام، مشارك فى فنون من أصول، و طبّ، و أدب، قائم على

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ۶٧

القراءة ، إمام فى الوثيقة، حسن الخطّ، مليح السّمة و الشيبة، عذب الفكاهة، حسن العهد، تامّ الرجولية.

نباهته: تصدّر للإقراء ببلده على وفور أهل العلم، فكان سابق الحلبة، و مناخ الطيّة، إمتاعا، و تفنّنا، و حسن إلقاء. و تصرّف فى القضاء ببلّش و غيرها من غربى بلده، فحسنت سيرته، و اشتهرت طريقته، و حمدت نزاهته. ثم ولّى خطّة القضاء بمالقة، و النظر فى الأحباس بها، على سبيل من الحظوة و النّباهة، مرجوعا إليه فى كثير من مهمّات بلده، سائمة وجوه السعادة، ناطقة ألسن الخاصّة و العامّة بفضله، جمّاعة نزاهته، آويا إلى فضل بيته. و اتّصلت ولايته إيّاها إلى هذا العهد، و هى أحد محامد الوالى، طول مدة الولاية، لا سيما القاضى، ممّا يدلّ على الصبر، و قلّة القدح، و سدّ أبواب التّهم، و اللّه يعينه، و يمتّع به بمنّه.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى عبد اللّه بن بكر، و هو نجيب حلبته، و السّهم المصيب من كنانته، لازمه، و به تفقّه و انتفع، و تلا القرآن عليه و على محمد بن أيوب، و على أبى القاسم بن درهم علمى وقتهما فى ذلك، و على غيرهما، و تعلّم الوثيقة على العاقد القاضى أبى القاسم بن العريف. و روى عن الخطيبين المحدّثين أبى عثمان بن عيسى و أبى عبد اللّه الطّنجالى، و غيرهما.

دخوله غرناطة: تردّد إليها غير ما مرّة، منها فى أمور عرضت فى شؤونه الخاصّة به، و منها مع الوفود الجلّة، من أهل بلده، تابعا قبل الولاية، متبوعا بعدها.

و من شعره قوله فى جدول : [الكامل]

و مقارب الشّطّين أحكم صقله كالمشرفىّ إذا اكتسى بفرنده

فحمائل الدّيباج منه خمائلو معانق فيها البهار بورده

و قد اختفى طرف له فى دوحةكالسّيف ردّ ذبابه فى غمده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ۶٨

و قوله فى شجر نارنج مزهر : [الكامل]

و ثمار نارنج نرى أزهارهامع ناتئ النّارنج فى تنضيد

فإذا نظرت إلى تألّفها أتتكمباسم أومت للثم خدود

وفاته: فى زوال يوم الجمعة السابع و العشرين لرجب عام خمسة و ستين و سبعمائة.

مولده: ثامن شوّال عام ثمانية و تسعين و ستمائة.

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الصقر الأنصارى الخزرجى

يكنى أبا العباس، من أهل الثّغر الأعلى.

أوّليته: من سرقسطة ، حيث منازل الأنصار هنالك؛ انتقل جدّ أبيه عبد الرحمن بابنه الصغير منها لحدوث بعض الفتن بها إلى بلنسية، فولد له ابنه عبد الرحمن أبو العباس هذا؛ ثم انتقل أبوه إلى ألمريّة، فولد أبو العباس بها، و نقله أبوه إلى سبتة فأقام بها مدّة .

حاله: كان محدّثا مكثرا ثقة، ضابطا، مقرئا، مجوّدا، حافظا للفقه، ذاكرا للمسائل ، عارفا بأصولها ، متقدّما فى علم الكلام، عاقدا

للشروط، بصيرا بعللها؛ حاذقا بالأحكام، كاتبا بليغا، شاعرا محسنا، أتقن أهل عصره خطّا، و أجلّهم منزعا، ما اكتسب قطّ شيئا من متاع الدّنيا، و لا تلبّس بها، مقتنعا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۶۹

باليسير، راضيا بالدّون، مع الهمّة العليّة، و النفس الأبيّة، على هذا قطع عمره، و كتب من دواوين العلم و دفاتره، ما لا يحصى كثرة، بجودة و ضبط و حسن خطّ؛ و عنى به أبوه فى صغره، فأسمعه كثيرا من الشروح، و شاركه فى بعضهم.

نفعه اللّه.

نباهته: استدعاه أبو عبد اللّه بن حسّون، قاضى مرّاكش، إلى كتابته، إلى أن صرف، و استقرّ هو متولّى حكمها و أحكامها، و الصلاة فى مسجدها، ثم ترك الأحكام، و استقرّ فى الإمامة. و لمّا تصيّر الأمر إلى الموحّدين، ألحقه عبد المؤمن منهم، بجملة طلبة العلم، و تحفّى به، و قدّمه إلى الأحكام بحضرة مرّاكش، فقام بها مدّة، ثم ولّاه قضاء غرناطة، ثم نقله إلى إشبيلية قاضيا بها مع وليّ عهده. و لمّا صار الأمر إلى يعقوب ، ألزمه خدمة الخزانة العلمية و كانت عندهم من الخطط التى لا يعيّن لها إلّا كبار أهل العلم و عليّهم، و كانت مواهب عبد المؤمن له جزلة، و أعطياتهم مترافهة كثيرة.

مشيخته: قرأ القرآن على أبيه، و أكثر عنه، و أجاز له، و على أبى الحسن التطيلى، قال: و هو أول من قرأت عليه.

من روى عنه: روى عنه أبو عبد اللّه، و أبو خالد يزيد بن يزيد بن رفاعة، و أبو محمد بن محمد بن على بن وهب القضاعى.

دخوله غرناطة: صحبة القاضى أبى القاسم بن جمرة، و نوّه به و استخلفه إذ وليها، و قبض عليه بكلتى يديه، ثم استقضى بها أبو الفضل عياض بن موسى، فاستمسك به، و اشتمل عليه؛ لصحبة كانت بينهما و قرابة، إلى أن صرف عنها أبو الفضل عياض، فانتقل إلى وادى آش، فتولّى أحكامها و الصلاة بها، ثم عاد إلى غرناطة سنة ست و ثلاثين، إلى أن استقضى بغرناطة فى دولة أبى محمد بن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۷۰

عبد المؤمن بن على؛ فحمدت سيرته، و شكر عدله، و ظهرت نزاهته، و دام بها حتى ظنّ من أهلها.

شعره: و شعره فى طريقة الزهد، و هى لا ينفذ فيها إلّا من قويت عارضته، و توفّرت مادّته : [الطويل]

إلهى لك الملك العظيم حقيقةو ما للورى مهما منعت نقير

تجافى بنو الدنيا مكانى فسرّنىو ما قدر مخلوق جداه حقير

و قالوا فقير و هو عندى جلالةنعم صدقوا إنى إليك فقير

و شعره فى هذا المعنى كثير، و كله سلس المقادة، دالّا على جودة الطبع. و من شعره قوله : [الكامل]

أرض العدو بظاهر متصنّعإن كنت مضطرّا إلى استرضائه

كم من فتى ألقى بوجه باسموجانحى تنقدّ من بغضائه

تصانيفه: له تصانيف مفيدة تدلّ على إدراكه و إشرافه، كشرحه «الشّهاب»، فإنه أبدع فيه، و كتابه «أنوار الأفكار، فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزّهّاد و الأبرار»، ابتدأ تأليفه، و توفى دون إتمام غرضه فيه، فكمّله عبد اللّه ابنه.

محنته: كان ممّن وقعت عليه المحنة العظمى بمرّاكش يوم دخول الموحّدين إياها، يوم السبت لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوّال عام أحد و أربعين و خمسمائة، على الوجه المشهور فى استباحة دماء كل من اشتملت عليه من الذّكور البالغين؛ إلّا من تسترّ بالاختفاء فى سرب أو غرفة أو مخبأ. و تمادى القتل فيها ثلاثة أيام، ثم نودى بالعفو عمّن أشارته الفتكة الكبرى، فظهر من جميع الخلق بها، ما يناهز السبعين رجلا، و بيعوا بيع أسارى المشركين، هم و ذراريهم، و عفى عنهم، فكان أبو العباس ممّن تخطّته المنيّة، و استنقذه من الرّقّ العفو، و حسبك بها محنة، نفعه اللّه، و ضاعت له فى ذلك و فى غيره كتب كثيرة بخطّه و بغير خطّه، مما تجلّ عن القيمة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۷۱

مولده: بألمريّة فى أواخر شهر ربيع سنة اثنتين و خمسمائة.

وفاته: توفى بمرّاكش بين صلاة الظهر و العصر، فى يوم الأحد لثمان خلون من جمادى الأولى سنة تسع و خمسين و خمسمائة . و دفن يوم الاثنين بعده عقب صلاة الظهر، و صلّى عليه القاضى أبو يوسف حجاج؛ و كانت جنازته عظيمة المحفل، كثيرة الجمع؛ برز إليها الرجال و النساء و رفعوا نعشه على الأيدى، رحمه اللّه.

و مما رثاه به جاره و صديقه أبو بكر بن الطفيل ، و هو بإشبيلية، بعث بها إلى ابنه مع كتاب فى غرض العزاء : [الوافر]

لأمر ما تغيّرت الدّهورو أظلمت الكواكب و البدور

و طال على العيون الليل حتى كأنّ النّجم فيه لا يغور

أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن

يعرف بابن القبّاب، من أهل فاس، و يكنى أبا العباس.

حاله: هذا الرجل، صدر عدول الحضرة الفاسيّة، و ناهض عشّهم، طالب، فقيه، نبيه، مدرك، جيّد النظر، سديد الفهم؛ حضر الدرس بين يدى السلطان، و ولّى القضاء بجبل الفتح ، متّصفا فيه بجزالة و انتهاض. تعرّفت به بمدينة فاس، فأعجبتنى سيمته؛ و وصل مدينة سلا فى غرض اختبار و استطلاع الأحوال السلطانية؛ و استدعيته فاعتذر ببعض ما يقبل، فخاطبته بقولى : [الوافر]

أبيتم دعوتى إمّا لشأو و تأبى لومه مثلى الطريقه

و بالمختار للناس اقتداءو قد حضر الوليمة و العقيقه

و غير غريبة أن رقّ حرّعلى من حاله مثلى رقيقه

و إمّا زاجر الورع اقتضاهاو يأبى ذاك دكان الوثيقه

و غشيان المنازل لاختباريطالب بالجليلة و الدّقيقه

شكرت مخيلة كانت مجازالكم و حصلت بعد على الحقيقه

و تفرّع الكلام على قولى: «و يأبى ذاك دكان الوثيقه»، بما دعى إلى بيانه بتصنيفى فيه الكتاب المسمّى «بمثلى الطريقة فى ذمّ الوثيقه».

دخوله غرناطة: فى عام اثنين و ستين و سبعمائة، موجّها من قبل سلطان المغرب أبى سالم بن أبى الحسن لمباشرة صدقة عهد بها لبعض الرّبط ؛ و هو إلى الآن، عدل بمدينة فاس، بحال تجلّة و شهرة. ثم تعرّفت أنه نسك و رفض العيش من الشهادة ككثير من الفضلاء.

أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثّقفى

يكنى أبا جعفر.

أوّليته: كعب الذى ذكر، هو كعب بن مالك بن علقمة بن حباب بن مسلم بن عدى بن مرّة بن عوف بن ثقيف؛ أصله من مدينة جيّان، منزل قنّسرين، من العرب الداخلين إلى الأندلس؛ و نسبه بها كبير، و حسبه أصيل، و ثروته معروفة. خرج به أبوه عند تغلّب العدوّ عليها عام ثلاثة و أربعين و ستمائة، و لأبيه إذ ذاك إثراء وجدة أعانته على طلب العلم، و إرفاد من أحوجته الأزمة فى ذلك الزمان من جالية العلماء عن قرطبة و إشبيلية كأبى الحسن الصائغ و غيره، فنصحوا له، و حطبوا فى حبله.

حاله: كان خاتمة المحدّثين، و صدور العلماء و المقرئين، نسيج وحده، فى حسن التعليم، و الصبر على التّسميع، و الملازمة للتدريس، لم تختلّ له، مع تخطّى

الثمانين، و لا لحقته سآمة، كثير الخشوع و الخشية، مسترسل العبرة، صليبا فى الحق، شديدا على أهل البدع، ملازما للسّنّة، جزلا، مهيبا،

معظّما عند الخاصّة و العامّة، عذب الفكاهة، طيّب المجالسة، حلو النّادرة، يؤثر عنه فى ذلك حكايات، لا تخلّ بوقار، و تحلّ بجلال منصب.

فنونه: إليه انتهت الرّياسة بالأندلس فى صناعة العربية، و تجويد القرآن، و رواية الحديث، إلى المشاركة فى الفقه، و القيام على التّفسير، و الخوض فى الأصلين.

مشيخته: أخذ عن الجلّة المقرئين، كالمقرئ أبى عبد اللّه محمد بن إبراهيم بن مستقور الغرناطى الطائى.

نباهته و خططه: ولّى قضاء المناكح، و الخطبة بالحضرة، و بلغ من الشّهرة و الإشادة بذكره، ما لم يبلغه سواه.

تصانيفه: من تأليفه كتاب «صلة الصّلة» لابن بشكوال، التى و صلتها بعده، و سمّيت كتابى ب «عائد الصلة»، و افتتحت أول الأسماء فيه باسمه؛ و كتاب «ملاك التأويل، فى المتشابه اللفظ فى التّنزيل» غريب فى معناه؛ و البرهان فى ترتيب سور القرآن؛ و شرح الإشارة للباجى فى الأصول؛ و سبيل الرّشاد فى فضل الجهاد؛ وردع الجاهل عن اغتياب المجاهل، فى الرد على الشّودية ، و هو كتاب جليل ينبئ عن التفنّن و الاضطلاع؛ و كتاب الزمان و المكان، و هو وصمة، تجاوز اللّه عنه.

شعره: و شعره مختلف عن نمط الإجادة، مما حقّه أن يثبت أو ثبت فى كتاب شيخنا أبى البركات المسمّى «شعر من لا شعر له» مما رواه، ممّن ليس الشعر له بضاعة، من الأشياخ الذى عدّ صدر عنهم هو. فمن شعره : [السريع]

ما لى و للتسئال لا أمّ لىسألت من يعزل أو من يلى

حسبى ذنوب أثقلت كاهلىما إن أرى إظلامها ينجلى الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ١ ؛ ص ٧٣

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧۴ يا ربّ، عفوا إنها جمّةإن لم يكن عفوك لا أمّ لى

محنته: نشأت بينه و بين المتغلب بمالقة من الرؤساء التّجيبيين من بنى إشقيلولة ، وحشة أكّدتها سعاية بعض من استهواهم رجل ممخرق من بنى الشّعوذة، و منتحلى الكرامة، يمتطيها، زعموا إلى النبوّة، يعرف بالفزارى، و اسمه إبراهيم، غريب المنزع، فذّ المآخذ، أعجوبة من أعاجيب الفتن، يخبر بالقضايا المستقبلة، و يتسوّر سور حمى العادة فى التطوّر من التقشّف و الخلابة، تبعه ثاغية و راغية، من العوام الصّمّ البكم، مستفزّين فيه حياته؛ و بعد زمن من مقتله، على يد الأستاذ بغرناطة، قرعه بحقّه، و بادره بتعجيل نكيره، فاستغاث بمفتونه الرئيس، ظهير محاله فاستعصى له؛ و بلغ الأستاذ النياحة، ففرّ لوجهه، و كبس منزله لحينه، فاستولت الأيدى على ذخائر كتبه، و فوائد تقييده عن شيوخه، على ما طالت له الحسرة، و جلّت فيه الرزيّة. و لحق بغرناطة آويا إلى كنف سلطانها الأمير أبى عبد اللّه بن الأمير الغالب بالله بن نصر؛ فأكرم مثواه، و عرف حقّه، و انثال عليه الجمّ الغفير لالتماس الأخذ عنه، إلى أن نالته لديه سعاية، بسبب جار له، من صلحاء القرابة النّصرية، كان ينتابه لنسبة الخيريّة، نميت عنه فى باب تفضيله، و استهالت للأمر كلمة، أوجبت امتحانه، و تخلّل تلك الألقيّة من الشكّ، ما قصر المحنة على إخراجه من منزله المجاور لذلك المتّهم به، و منعه من التصرّف، و التزامه قعر منزل انتقل إليه بحال اعتزال من الناس، محجورا عليه مداخلتهم؛ فمكث على ذلك زمانا طويلا، إلى أن سرّيت عنه النكبة، و أقشعت الموجدة، فتخلّص من سرارها بدره؛ و أقلّ من شكاتها جاهه، و أحسنت أثرها حاله، و كثر ملتمسه، و عظمت فى العالم غاشيته؛ فدوّن و استمع، و روى و درّب، و خرّج و أدّب و علّم، و حلّق و جهر. و كانت له الطّايلة على عدوّه، و العاقبة للحسنى، بعد ثبات أمره، و الظّفر بكثير من منتهب كتبه. و آلت الدولة للأمير أبى عبد اللّه نصر بمالقة، فطالب الفزارىّ المذكور، و استظهر بالشّهادات عليه، و بالغ فى دحض دعوته، إلى أن قتل على يده بغرناطة.

حدّثنا شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، قال: لما أمر بالتأهّب للقتل و هو فى السجن الذى أخرج منه إلى مصرعه، جهر بتلاوة «ياسين»، فقال له أحد الدّعرة، ممّن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٧۵

جمع السجن بينهم «اقرأ قرآنك؛ على أىّ شىء تتطفّل على قرآننا اليوم» أو ما هو فى معناه. فتركها مثلا للوذعيّته.

مولده: ببلده جيّان فى أواخر عام سبعة و عشرين و ستمائة.

وفاته: و توفى بغرناطة فى الثامن لشهر ربيع الأول عام ثمانية و سبعمائة.

و كانت جنازته جنازة بالغة أقصى مبالغ الاحتفال، نفر لها الناس من كل أوب، و احتمل طلبة العلم نعشه على رؤوسهم، إلى جدثه، و تبعه ثناء جميل، و جزع كبير، رحمه اللّه.

و رثاه طائفة من طلبته؛ و ممّن أخذ عنه منهم، القاضى أبو جعفر بن أبى حبل فى قصيدة أولها: [الطويل]

عزيز على الإسلام و العلم ماجدفكيف لعينى أن يلمّ بها الكرى؟

و ما لمآقى لا تفيض شؤونهانجيعا على قدر المصيبة أحمرا؟

فو اللّه ما تقضى المدامع بعض مايحقّ و لو كانت سيولا و أبحرا

حقيق لعمرى أن تفيض نفوسناو فرض على الأكباد أن تتفطّرا

أحمد بن عبد الولى بن أحمد الرعينى

يكنى أبا جعفر؛ و يعرف بالعوّاد، صنعة لأبيه الكاتب الصالح.

حاله: هو من بيت تصاون، و عفاف، و دين، و التزام السّنّة؛ كانوا فى غرناطة فى الأشعار، و تجويد القرآن، و الامتياز بحمله، و عكوفهم عليه، نظراء بنى عظيمة بإشبيلية، و بنى الباذش بغرناطة؛ و كان أبو جعفر هذا، المترجم له ممّن تطوى عليه الخناصر، معرفة بكتاب اللّه، و تحقيقا لحقه، و إتقانا لتجويده، و مثابرة على تعليمه، و نصحا فى إفادته؛ على سنن الصالحين، انقباضا عن الناس، و إعراضا عن ذوى الوجاهة، سنيّا فى قوله و فعله، خاصّيّا فى جميع أحواله، مخشوشنا فى ملبسه، طويل الصّمت إلّا فى دست تعليمه، مقتصرا فى مكسبه، متّقيا لدينه، محافظا على أواده. سأل منه رجل يوما كتب رقعة، ففهم من أمره، فقال: يا هذا، و اللّه ما كتبت قطّ يمينى إلّا كتاب اللّه، فأحبّ أن ألقاه على سجيّتى بتوفيقه، إن شاء اللّه، و تسديده.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى جعفر بن الزّبير، و الأستاذ أبى جعفر الحزمونى الكفيف، و أبى عبد اللّه بن رشيد و غيرهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۷۶

وفاته: توفى فى شهر ذى الحجة من عام خمسين و سبعمائة، و دفن بجبّانة باب الفخّارين فى أسفل السفح تجاه القصور الحكمية، و أتبعه الناس أحسن الثناء.

أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى

من أهل غرناطة؛ يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن الباذش.

أوّليّته: أصله من جيّان، من بيت خيريّة و تصوّن.

حاله: قال القاضى أبو محمد بن عطية: إمام فى المقرئين، و مقدّم فى جهابذة الأستاذين، راوية، مكثر، متفنّن فى علوم القراءة، مستبحر، عارف بالأدب و الإعراب، بصير بالأسانيد، نقّاد لها، مميّز لشاذّها من معروفها. قال ابن الزّبير: و ما علمت فيما انتهى إليه نظرى و علمى، أحسن انقيادا لطرق القراءة، و لا أجلّ اختيارا منه، لا يكاد أحد من أهل زمانه، و لا ممّن أتى بعده أن يبلغ درجته فى ذلك.

مشيخته: تفقّه بأبيه الإمام أبى الحسن، و أكثر الرواية عنه، و استوفى ما كان عنده، و شاركه فى كثير من شيوخه. أخذ القراءات عرضا عن الإمام المقرئ أبى القاسم بن خلف بن النحّاس، رحل إلى قرطبة و لازمه؛ و على المقرئ أبى جعفر هابيل بن محمد الحلاسى، و أبى بكر بن عيّاش بن خلف المقرئ، و أبى الحسن بن زكريا، و أبى الحسن شريح بن محمد، و أبى محمد عبد اللّه بن أحمد الهمدانى الجيّانى، رحل إليه إلى جيان، و تلا على جميع من ذكر. و روى بالقراءة و السّماع و الإجازة على عالم كثير، كأبى داود و

أبى الحسن بن أخى الرّش المقرئين، أجازا له؛ و أبى على الغسّانى فى الإمامة و الإتقان، و قد أسمع عليه؛ و أبى القاسم خلف بن صواب المقرئ، و أبى عامر محمد بن حبيب الجيّانى، و أبى عبد اللّه محمد بن أحمد التّجيبى الشهير، و أبى محمد بن السيد، و أبى الحسن بن الأخضر، و أبى محمد عبد اللّه بن أبى جعفر الحافظ، و عالم كثير غير هؤلاء يطول ذكرهم.

من روى عنه: روى عنه أبو محمد عبد اللّه، و أبو خالد بن رفاعة، و أبو على القلعى المعدّى، و أبو جعفر بن حكم، و أبو الحسن بن الضّحّاك، و ابنه أبو محمد عبد المنعم، و هو آخر من حدّث عنه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۷۷

تصانيفه: ألّف كتاب «الإقناع» فى القراءات، لم يؤلّف فى بابه مثله؛ و ألّف كتاب «الطرق المتداولة» فى القراءات، و أتقنه كل الإتقان، و حرّر أسانيده و أتقنها، و انتقى لها، و لم يتّسع عمره لفرش حروفهم و خلافهم من تلك الطرق. و ألّف غير ما ذكر.

مولده: فى ربيع الأول سنة إحدى و تسعين و أربعمائة.

وفاته: توفى ثانى جمادى الآخرة سنة أربعين و خمسمائة ، و كان عمره تسعا و أربعين سنة.

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه اللّه

يكنى أبا جعفر، من أهل مالقة، و يعرف بيته بها ببنى راشد. قال شيخنا أبو البركات: نقلت اسم هذا من خطّه، و لا نعلم له نسبا إذ لم يكتبه، و شهر بابن عبد النّور.

حاله: كان قيّما على العربية إذ كانت جلّ بضاعته؛ يشارك مع ذلك فى المنطق، على رأى الأقدمين، و عروض الشعر، و فرائض العبادات من الفقه، و قرض الشعر. و كان له اعتناء بفكّ المعمّى، و التّنقير عن اللّغوز. و كان ذكىّ الصوت عند قراءة القرآن، خاشعا به. رحل من بلده مالقة إلى سبتة، ثم انتقل إلى الأندلس و أقرأ بوادى آش مدة، و تردّد بين ألمريّة و برجة، يقرئ بها القرآن، و غير ذلك مما كان يشارك فيه. و ناب عن بعض القضاة وقتا، و دخل غرناطة أثناء هذا السّفر.

مشيخته: قال: أخذ القرآن قراءة على طريقة أبى عمرو و الدّانى، على الخطيب أبى الحسن الحجاج بن أبى ريحانة المربلّى ، و لا يعلم له فى بلده شيخ سواه، إذ لم يكن له اعتناء بلقاء الشيوخ، و الحمل عنهم. و من علمى أنه لقى أبا الحسن بن الأخضر المقرئ العروضى بسبتة، و ذاكره فى العروض، و لا أعلم هل أخذ عنه أم لا. و رأيت فى تقاييدى أن القاضى أبا عبد اللّه بن برطال حدّثنى أن ابن النّور قرأ معه الجزوليّة على ابن مفرّج المالقى تفقها، و قيّد عليه تقييدا عرضه بعد ذلك، على ابن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۷۸

مفرج هذا؛ و هو محمد بن يحيى بن على بن مفرج المالقى. و روى عن أبى الحجّاج المتقدّم الذّكر تيسير أبى عمرو الدانى، و جمل الزّجّاجى، و أشعار الستّة، و فصيح أحمد بن يحيى بن ثعلب؛ وقفت فى ذلك على رقّ أجاز فيه بعض الآخذين عنه، و لم ينصّ فيه على كيفية أخذه لهذا الكتيّب عن أبى الحجّاج. قال: و رأيت فى ذلك الرّقّ أوهاما تدلّ على عدم شعوره بهذا الباب جملة، و قبول التّلقين فيه، فلا ينبغى أن يركن إلى مثله فيه. و رأيت بخط بعض أصحابه، أنه تفقّه على أبى ريحانة، و لعلّ ذلك فى صغره قبل أن يتحكّم طلبه و يتفنّن، إذ الفنون التى كان يأخذ منها لم يكن أبو ريحانة مليّا بها، و لا منسوبا إليها.

تصانيفه: منها كتاب «الحلية فى ذكر البسملة و التصلية». و كتاب «رصف المبانى فى حروف المعانى»، و هو أجلّ ما صنّف و ممّا يدلّ على تقدّمه فى العربية. و جزء فى العروض. و جزء فى شواذّه. و كتاب فى شرح الكوامل لأبى موسى الجزولى، يكون نحو الموطّأ فى الجرم، و كتاب شرح مغرب أبى عبد اللّه بن هشام الفهرى، المعروف بابن الشّواش، و لم يتمّ، انتهى فيه إلى همزة الوصل، يكون نحو الإيضاح لأبى على.

و له تقييد على الجمل غير تام.

شعره: قال: و شعره وسط، بعيد عن طرفى الغثّ، و الثمين أبعد؛ و كان لا يعتنى فيه و لا يتكلّفه، و لا يقصد قصده؛ و إنّ ذلك لعذر فى عدم الإجادة. قال الشيخ: و لدىّ جزء منه تصفّحته على أن أستجيد منه شيئا أثبته له فى هذا التّعريف، فرأيت بعضه أشبه ببعض من الغرابة، فكتبت من ذلك، لا مؤثرا له على سواه من شعره؛ بل لمرجّح كونه أوّل خاطر بالبال، و متلمّح خطّه بالبصر، فمن ذلك قوله من قصيدة، و من خطه نقلت: [الطويل]

محاسن من أهوى يضيق لها الشرحله الهمّة العلياء و الخلق السّمح

له بهجة يغشى البصائر نورهاو تعشى بها الأبصار إن غلس الصّبح

إذا ما رنا فاللّحظ سهم مفوّقو فى كل عضو من إصابته جرح

إذا ما انثنى زهوا و ولّى تبخترايغار لذاك القدّ من لينه الرّمح

و إن نفحت أزهاره عند روضةفيخجل ريّا زهرها ذلك النّفح

هو الزّمن المأمول عند ابتهاجهفلمّته ليل، و غرّته صبح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۷۹ لقد خامرت نفسى مدامة حبّهفقلبى من سكر المدامة لا يصحو

و قد هام قلبى فى هواه فبرّحتبأسراره عين لمدمعها سبح

غفلته و نوكه: كان هذا الرجل من البله فى أسباب الدنيا؛ له فى ذلك حكايات دائرة على ألسنة الشقاة من الملازمين له و غيرهم، لو لا تواترها لم يصدّق أحد بها، تشبه ما يحكى عن أبى على الشلوبين. منها أنه اشترى فضلة ملف فبلّها، فانتقصت كما يجرى فى ذلك، فذرعها بعد البلّ فوجدها تنقصت، فطلب بذلك بائع الملف، فأخذ يبيّن له سبب ذلك فلم يفهم. و منها أنه سار إلى بعض بساتين ألمرية مع جماعة من الطلبة و استصحبوا أرزّا و لبنا، فطلبوا قدرا لطبخه، فلم يجدوا، فقال: اطبخوا فى هذا القدر، و أشار إلى قدر بها بقيّة زفت مما يطلى به السّوانى عندهم، فقالوا له:

و كيف يسوغ الطبخ بها، و لو طبخ بها شىء مما تأكله البهائم لعافته، فكيف الأرز باللبن؟ فقال لهم: اغسلوا معائدكم، و حينئذ تدخلون فيها الطعام. فلم يدروا ممّا يعجبون، هل من طيب نفسه بأكله مما يطبخ فى تلك القدر، أم من قياسه المعدة عليها. و منها أنهم حاولوا طبخ لحم مرّة أخرى فى بعض النّزه فذاق الطعام من الملح بالمغرفة، فوجده محتاجا للملح، فجعل فيه ملحا و ذاقه على الفور، قبل أن ينحلّ الملح و يسرى فى المرقة الأولى، فزاد ملحا إلى أن جعل فيه قدر ما يرجح اللحم، فلم يقدروا على أكله. و منها أنه أدخل يده فى مفجر صهريج فصادفت يده ضفدعا كبيرا، فقال لأصحابه: تعالوا إن هنا حجرا رطبا. و منها أنه استعار يوما من القائد أبى الحسن بن كماشة، جوادا ملوكيا، قرطاسى اللّون، من مراكب الأمراء؛ فقال:

وجّه لى تلك الدّابّة، فتخيّل أنه يريد الرّكوب إلى بعض المواضع، ثم تفطّن لغفلته، و قال: أى شىء تصنع به، قال: أجعله يسنى شيئا يسيرا فى السّانية، فقال: تقضى الحاجة، إن شاء اللّه بغيره؛ و وجّه له حمارا برسم السانية، و هو لا يشعر بشىء من ذلك كله.

قلت: و فى موجودات اللّه تعالى عبر، و أغربها عالم الإنسان، لما جبلوا عليه من الأهواء المختلفة، و الطّباع المشتّتة، و القصور عن فهم أقرب الأشياء، مع الإحاطة بالغوامض.

حدّثنا غير واحد، منهم عمّى أبو القاسم، و ابن الزّبير؛ إذنا فى الجملة، قالا:

حدّثنا أبو الحسن بن سراج عن أبى القاسم بن بشكوال، أن الفقيه صاحب الوثائق أبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸۰

عمر بن الهندى، خاصم يوما عند صاحب الشّرطة و الصلاة، إبراهيم بن محمد، فنكل و عجز عن حجّته، فقال له الشرطى: ما أعجب أمرك، أبا عمر، أنت ذكى لغيرك، بكىّ فى أمرك؛ فقال أبو عمر: كَذلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آياتِهِ لِلنَّاسِ . ثم أنشد متمثّلا: [المنسرح]

صرت كأنى ذبالة نصبتتضىء للناس و هى تحترق

قال: و حدّثنى الشيخ أبو العباس بن الكاتب ببجاية، و هو آخر من كتبنا معه الحديث من أصحاب ابن الغمّاز، قال: كنت آويا إلى أبى الحسن حازم القرطجانى بتونس؛ و كنت أحسن الخياطة، فقال لى: إن المستنصر خلع على جبّة جربيّة من لباسه، و تفصيلها ليس من تفصيل أثوابنا بشرق الأندلس، و أريد أن تحلّ أكمامها؛ و تصيّرها مثل ملابسنا. فقلت له: و كيف يكون العمل؟ فقال: تحلّ رأس الكمّ، و يوضع الضيّق بالأعلى، و الواسع بالطرف. فقلت: و بم يحيّر الأعلى؟ فإنه إذا وضع فى موضع واسع، سطت علينا فرج ما عندنا؛ ما يصنع فيها إلا أن رقّعنا بغيرها، فلم يفهم. فلما يئست منه تركته و انصرفت. فأين هذا الذهن الذى صنع المقصورة و غيرها من عجائب كلامه.

مولده: فى رمضان من عام ثلاثين و ستمائة.

وفاته: توفى بألمرية يوم الثلاثاء السابع و العشرين لربيع الآخر من عام اثنين و سبعمائة، و دفن بخارج باب بجاية بمقبرة من تربة الشيخ الزاهد أبى العباس بن مكنون.

أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد ابن مصادف بن عبد اللّه

يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن مصادف؛ من أهل بسطة، و استوطن غرناطة، و قرأ و أقرأ بها.

حاله: من أهل الطلب و السّلاطة و الاجتهاد، و ممّن يقصر محصّله عن مدى اجتهاده، خلوب اللسان، غريب الشّكل، و حشيّه، شتيت الشّعر معفيه، شديد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸۱

الاقتحام و التّسوّر، قادر على اللّصوق بالأشراف. رمى بنفسه على مشيخة الوقت يطرقهم طروق الأمراض الوافدة، حتى استوعب الأخذ عن أكثرهم، يفكّ عن فائدته فكّ المتبرّم، و ينتزعها بواسطة الحيا، و يسلّط على قنصها جوارح التبذّل و الإطراء، إلى أن ارتسم فى المقرئين بغرناطة، محوّلا عليه بالنّحب و الملق، و سدّ الترتيب المدنى؛ ولوثة تعتاده فى باب الرّكوب و الثّقافة ، و هو لا يستطيع أن يستقرّ بين دفّتى السّرج، و لا يفرق بين مبسوط الكف، أخذ نفسه فى فنون، من قرآن، و عربيّة، و تفسير، و امتحن مرّات لجرّ حركة القلقلة الذى لا يملك عنانه، ثم تخلّص من ذلك، و هو على حاله إلى الآن.

مشيخته: قرأ على الخطيب ببسطة، و أبى الأصبغ بن عامر، و الخطيبين بها أبى عبد اللّه و أبى إسحاق ابن عمّه، و أبى عبد اللّه بن جابر، و على أبى عثمان بن ليون بألمريّة، و الخطيب أبى عبد اللّه بن الغربى بحمّة . و تلا القرآن بقراءاته السبع على شيخنا أبى عبد اللّه بن الوالى العوّاد. و روى عن شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب، و على الحاج أبى الحجاج الساحلى، فكتب الإقراء، و أخذ الفقه عن الأستاذ أبى عبد اللّه البيّانى . و قرأ على قاضى الجماعة أبى القاسم البيّانى، و قرأ على قاضى الجماعة أبى القاسم الحسنى. و لازم أستاذ الجماعة أبا عبد اللّه الفخّار، و قرأ عليه العربية، و صاهره على بنته الأستاذ المذكور، و انتفع به، إلى أن ساء ما بينهما عند وفاة الشيخ فرماه بترمية بيضاء تخلّقها، مثيرة عجب، مرّة. و حاله متصلة على ذلك، و قد ناهز الاكتهال.

أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى المؤقّت بالمسجد الأعظم بغرناطة

أصله من شرق الأندلس، و انتقل إليها والده، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان نسيج وحده، و قريع دهره، معرفة بالهيئة، و إحكاما للآلة الفلكية، ينحت منها بيده ذخائر، يقف عندها النظر و الخبر، جمال خطّ، و استواء صنعة، و صحة وضع، بلغ فى ذلك درجة عالية، و نال غاية بعيدة، حتى فضل بما ينسب إليه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸۲

من ذلك كثيرا من الأعلام المتقدمين، و أزرت آلاته بالحمايريات و الصّفاريّات و غيرها من آلات المحكمين، و تغالى الناس فى

أثمانها، أخذ ذلك عن والده الشيخ المتفنن شيخ الجماعة فى هذا الفن.

وفاته: فى عام تسعة و سبعمائة.

أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى

من أهل غرناطة؛ يكنى أبا جعفر، و يعرف بالحبالى.

حاله: عكف صدرا من زمانه منتظما فى العدول ، آويا إلى تخصيص و سكون و دماثة، و حسن معاملة، له بصر بالمساحة و الحساب، و له بصر بصناعة التعديل و جداول الأبراج، و تدرّب فى أحكام النجوم، مقصود فى العلاج بالرّقا و العزائم، من أولى المسّ و الخبال، تعلّق بسبب هذه المنتحلات بأذيال الدول، و انبتّ من شيمته الأولى، فنال استعمالا فى الشهادات المخزنية، و خبر منه أيام قربه من مبادئ الأمور و النّواهى، و مداخلة السلطان؛ صمت و عقل، و اقتصار على معاناة ما امتحن به، و هو الآن بقيد الحياة.

مشيخته: أخذ تلك الصناعة عن الشيخ أبى عبد اللّه الفخّار، المعروف بأبى خزيمة، أحد البواقع الموسومين بصحة الحكم فيها، و على أبى زيد بن مثنى؛ و قرأ الطب على شيخنا أبى زكريا بن هذيل، رحمه اللّه؛ و نسب إليه عند الحادثة على الدولة و انتقالها إلى يد المتغلّب، اختيار وقت الثورة و ضمان تمام الأمر، و شهد بذلك بخطّ، و غيب من إيثارها. فلما عاد الأمر إلى السلطان المزعج بسببها إلى العدوة، أوقع به نكيرا كثيرا، و ضربه بالسّياط التى لم يخلّصه منها إلا أجله، و أجلاه إلى تونس فى جملة المغرّبين فى أواخر عام ثلاثة و ستين و سبعمائة.

و أخبرنى السلطان المذكور أن المترجم به كتب إليه بمدينة فاس، قبل شروعه فى الوجهة، يخبره بعودة الملك إليه، و بإيقاعه المكروه الكبير به، بما شهد بمهارته فى الصنعة، إن صحّ ذلك كله من قوانينها، نسأل اللّه أن يضفى علينا لبوس ستره، و يقينا شرّ عثرات الألسن بمنّه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۸۳

أحمد بن محمد الكرنى

من أهل غرناطة.

حاله: شيخ الأطباء بغرناطة على عهده، و طبيب الدار السلطانية. كان نسيج وحده، فى الوقار و النّزاهة، و حسن السّمت، و التزام مثلى الطريقة، و اعتزاز الصّنعة؛ قائما على صناعة الطبّ، مقرئا لها، ذاكرا لنصوصها، موفّقا فى العلاج، مقصودا فيه، كثير الأمل و المثاب، مكبوح العنان عمّا تثبت به أصول صناعته من علم الطبيعة، ستيّا، مقتصرا على المداواة؛ أخذ عن الأستاذ أبى عبد اللّه الرّقوطى، و نازعه بالباب السلطانى، لمّا شدّ، و احتيج إلى ما لديه فى حكم بعض الأموال المعروضة على الأطبّاء، منازعة أوجبت من شيخه يمينا أن لا يحضر معه بمكان، فلم يجتمعا بباب السلطان بعد، مع التمسّك بما لديهما، و أخذ عن ابن عروس و غيره، و أخذ عنه جملة من شيوخنا كالطبيب أبى عبد اللّه بن سالم، و الطبيب أبى عبد اللّه بن سراج و غيرهما.

حدّثنى والدى بكثير من أخباره فى الوقار و حسن الترتيب، قال: كنت آنس به، و يعجبنى استقصاؤه أقوال أهل هذا الفن من صنعته، على مشهوره، فلقد عرض عليه، لعليل لنا، بعض ما يخرج، و فيه حيّة، فقال على فتور، و سكونة، و وقار كثير: هذا العليل يتخلص، فقد قال الرئيس ابن سينا فى أرجوزته: [الرجز]

إن خرج الخلط مع الحيّاتفى يوم بحران فعن حياة

و هذا اليوم من أيام البحرانية، فكان كما قال.

وفاته: كان حيّا سنة تسعين و ستمائة.

أحمد بن محمد بن أبى الخليل، مفرّج الأموى

مولاهم، من أهل إشبيليـة، يكنى أبا العباس، و كناه ابن فرتون أبا جعفر و تفرّد بذلك، يعرف بالعشّاب، و ابن الرّوميّة، و هى أشـهرهما و ألصقهما به.

أوّليّته: قال القاضى أبو عبد اللّه : كان ولاء جدّه أحد أطباء قرطبة، و كان قد تبنّاه، و عن مولاه أخذ علم النبات.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸۴

حاله: كان نسيج وحـده، و فريـد دهره، و غرّة جنسه، إماما فى الحديث، حافظا، ناقدا، ذاكرا تواريخ المحدّثين و أنسابهم و موالدهم و وفاتهم، و تعديلهم، و تجريحهم؛ عجيبة نوع الإنسان فى عصـره، و ما قبله، و ما بعده، فى معرفة علم النبات، و تمييز العشب، و تحليتها، و إثبات أعيانها، على اختلاف أطوار منابتها، بمشـرق أو مغرب حسّا، و مشاهـدة، و تحقيقا، لا مـدافع له فى ذلك، و لا منازع، حجة لا تردّ و لا تـدفع، إليه يسلّم فى ذلك و يرجع. قام على الصّنعتين؛ لوجود القـدر المشترك بينهما، و هما الحـديث و النبات، إذ موادهما الرّحلة و التّقييد، و تصحيح الأصول و تحقيق المشكلات اللفظية، و حفظ الأديان و الأبدان، و غير ذلك. و كان زاهدا فى الدنيا، مؤثرا بمـا فى يـديه منهـا، موسّعا عليه فى معيشـته، كثير الكتب، جمّاعـا لهـا، فى كـل فنّ من فنون العلم، سـمحا لطلبه العلم، ربما وهب منها لملتمسه الأصل النفيس، الـذى يعزّ وجوده، احتسابا و إعانة على التعليم؛ له فى ذلك أخبار منبئة عن فضـله، و كرم صـنعه، و كان كثير الشّـغف بالعلم، و الدّؤوب على تقييده و مداومته، سـهر الليل من أجله، مع استغراق أوقاته، و حاجات الناس إليه، إذ كان حسن العلاج فى طبّه المورود، الموضوع، لثقته و دينه.

قال ابن عبد الملك : إمام المغرب قاطبة فيما كان سبيله، جال الأندلس، و مغرب العدوة، و رحل إلى المشرق، فاستوعب المشهور من إفريقيّة، و مصـره، و شـامه، و عراقه، و حجـازه، و عـاين الكثير ممّـا ليس بـالمغرب؛ و عـاوض كثيرا فيه، كلّ ما أمكنه، بمن يشـهد له بالفضـل فى معرفته، و لم يزل باحثـا على حقائقه، كاشـفا عن غوامضه، حتى وقف منه على ما لم يقف عليه غيره، ممّن تقـدّم فى الملّة الإسلامية، فصار واحد عصره فردا، لا يجاريه فيه أحد بإجماع من أهل ذلك الشأن.

مـذاهبه: كان سنّيا ظاهريّ المـذهب، منحيا على أهل الرأى، شديـد التعصّب لأبى محمـد على بن أحمد بن سـعيد بن حزم، على دين متين، و صـلاح تامّ، و ورع شديد؛ انتشـرت عنه تصانيف أبى محمد بن حزم، و استنسخها ، و أظهرها، و اعتنى بها، و أنفق عليها أموالا جمّـة، حتى اسـتوعبها جملـة، حتى لم يشـذّ له منها إلّا ما لا خطر، متقدما و مقتدرا على ذلك بجدّته و يساره، بعد أن تفقّه طويلا على أبى الحسن محمد بن أحمد بن زرقون فى مذهب مالك.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸۵

مشـيخته: البحر الذى لا نهاية له؛ روى بالأندلس عن أبى إسـحاق الدّمشـقى ، و أبى عبد اللّه اليابرى ، و أبى البركات بن داود ، و أبى بكر بـن طلحـة، و أبى عبـد اللّـه بـن الحر، و ابـن العربى، و أبى على الحافظ، و أبى زكريـا بـن مرزوق، و ابـن يوسـف، و ابن ميمـون الشريشى، و أبى الحسن بن زرقون، و أبى ذرّ مصعب، و أبى العباس ابن سيّد الناس، و أبى القاسم البرّاق، و ابن جمهور، و أبى محمد بن محمد بن الجنّان، و عبد المنعم بن فرس، و أبى الوليد بن عفير؛ قرأ عليهم و سـمع. و كتب إليه مجيزا من أهل الأندلس و المغرب، أبو البقاء بن قديم، و أبو جعفر حكم الجفّار، و أبو الحسن الشّقورى، و أبو سليمان بن حوط اللّه، و أبو زكريا الدمشقى، و أبو عبد اللّه الأندرشى، و أبو القاسم بن سمجون، و أبو محمد الحجرى.

و من أهل المشـرق جملة، منهم أبو عبد اللّه الحمدانى بن إسـماعيل بن أبى صيف، و أبو الحسن الحويكر نزيل مكة. و تأدّى إليه أذن طائفة من البغداديين و العراقيين له فى الرواية، منهم ظفر بن محمد، و عبد الرحمن بن المبارك، و على بن محمد اليزيدى، و فناخسرو فيروز بن سـعيد، و ابن سـتيّة، و محمد بن نصـر الصّيدلانى، و ابن تيميّة، و ابن عبد الرحمن الفارسى، و ابن الفضل المؤذّن، و ابن عمر

بن الفخّار، و مسعود بن محمد بن حسّان المنيغى، و منصور بن عبد المنعم الصاعدى، و ابن هوازن القشيرى، و أبو الحسن النّيسابورى. و حجّ سنة اثنتى عشرة و ستمائة، فأدّى الفريضة سنة ثلاث عشرة ، و لقّب بالمشرق بحب الدّين. و أقام فى رحلته نحو ثلاثة أعوام، لقى فيها من الأعلام العلماء، أكابر جملة؛ فمنهم ببجاية أبو الحسن بن نصر ، و أبو محمد بن مكّى ؛ و بتونس أبو محمد المرجانى ؛ و بالإسكندرية أبو الأصبغ بن عبد العزيز ، و أبو

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸۶

الحسن بن جبير الأندلسى ، و أبو الفضل بن جعفر بن أبى الحسن بن أبى البركات، و أبو محمد عبد الكريم الربعى، و أبو محمد العثمانى أجاز له و لم يلقه، و بمصر أبو محمد بن سحنون الغمارى و لم يلقه، و أبو الميمون بن هبة اللّه القرشى؛ و بمكة أبو على الحسن بن محمد بن الحسين، و أبو الفتوح نصر بن أبى الفرج الحصرى؛ و ببغداد أحمد بن أبى السعادات، و أحمد بن أبى بكر؛ و ابن أبى خط طلحة، و أبو نصر القرشى ، و إبراهيم بن أبى ياسر القطيعى، و رسلان المسدى، و الأسعد بن بقاقا ، و إسماعيل بن باركش الجوهرى، و إسماعيل بن أبى البركات.

و برنامج مرويّاته و أشياخه، مشتمل على مئين عديدة، مرتبة أسماؤهم على البلاد العراقية و غيرها، لو تتبعتها لاستبعدت الأوراق، و خرجت عمّا قصدت.

قال القاضى أبو عبد اللّه المراكشى بعد الإتيان على ذلك : منتهى الثّقات أبو العباس النباتى، من التّقييد الذى قيّد، و على ما ذكره فى فهارس له منوّعة، بين بسط، و توسّط، و اقتضاب، وقفت منها بخطّه، و بخطّ بعض أصحابه، و الآخذين عنه.

من أخذ عنه: حدّث ببغداد برواية واسعة، فأخذ عنه بها أبو عبد اللّه بن سعيد اللّوشى؛ و بمصر الحافظ أبو بكر القط، و بغيرها من البلاد أمّة و قفل برواية واسعة، و جلب كتبا غريبة.

تصانيفه: له فيما ينتحله من هذين الفنّين تصانيف مفيدة، و تنبيهات نافعة، و استدراكات نبيلة بديعة ، منها فى الحديث و رجاله «المعلم بزوائد البخارى على مسلم»، و «اختصار غريب حديث مالك» للدّارقطنى، و «نظم الدّرارى فيما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۸۷

تفرّد به مسلم عن البخارى»، و «توهين طرق حديث الأربعين»، و «حكم الدّعاء فى أدبار الصّلوات»، و «كيفية الأذان يوم الجمعة»، و «اختصار الكامل فى الضّعفاء و المتروكين» لأبى محمد بن عدى، و «الحافل فى تذييل الكامل»؛ و «أخبار محمد بن إسحاق».

و منها فى النبات ، «شرح حشائش دياسقوريدوس و أدوية جالينوس»، و التنبيه على أوهام ترجمتها ؛ و «التنبيه على أغلاط الغافقى »، و الرّحلة النّباتية و المستدركة، و هو الغريب الذى اختصّ به، إلّا أنه عدم عينه بعده، و كان معجزة فى فنّه؛ إلى غير ذلك من المصنّفات الجامعة، و المقالات المفيدة المفردة، و التعاليق المنوّعة.

مناقبه: قال ابن عبد الملك و ابن الزّبير، و غيرهما : عنى تلميذه، الآخذ به، الناقد، المحدّث، أبو محمد بن قاسم الحرّار، و تهمم بجمع أخباره، و نشر مآثره، و ضمّن ذلك مجموعا حفيلا نبيلا.

شعره: ذكره أبو الحسن بن سعيد فى «القدح المعلّى»، و قال : جوّال بالبلاد المشرقية و المغربية، جالسته بإشبيلية بعد عوده من رحلته، فرأيته متعلقا بالأدب، مرتاحا إليه ارتياح البحترى لحلب، و كان غير متظاهر بقول الشّعر، إلّا أن أصحابه يسمعون منه، و يروون عنه، و حملت عنه فى بعض الأوقات، فقيّدت عنه هذه الأبيات: [البسيط]

خيّم بجلّق بين الكأس و الوترفى جنّة هى ملء السّمع و البصر

و متّع الطّرف فى مرأى محاسنهاتروض فكرك بين الروض و الزّهر

و انظر إلى ذهبيّات الأصيل بهاو اسمع إلى نغمات الطّير فى الشّجر

و قل لمن لام فى لذّاته بشرادعنى فإنّك عندى من سوى البشر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۸۸

قال: و كثيرا ما يطنب على دمشق، و يصف محاسنها، فما انفصل عنى إلّا و قد امتلأ خاطرى من شكلها، فأتمنّى أن أحلّ مواطنها، إلى أن أبلغ الأمل قبل المنون: [الوافر]

و لو أنى نظرت بألف عين‌لما استوفت محاسنها العيون

دخوله غرناطة: دخلها غير ما مرّة لسماع الحديث، و تحقيق النبات؛ و نقر عن عيون النبات بجبالها، أحد خزائن الأدوية، و مظان الفوائد الغريبة، يجرى ذلك فى تواليفه بما لا يفتقر إلى شاهد.

مولده: فى محرم سنة إحدى و ستين و خمسمائة.

وفاته: توفى بإشبيلية عند مغيب الشفق من ليلة الاثنين مستهل ربيع الآخر سنة سبع و ثلاثين و ستمائة . و كان ممّا رثى، قال ابن الزّبير: و رثاه جماعة من تلامذته كأبى محمد الحرّار، و أبى أمية إسماعيل بن عفير، و أبى الأصبغ عبد العزيز الكبتورى و أبى بكر محمد بن محمد بن جابر السقطى، و أبى العباس بن سليمان؛ ذكر جميعهم الحرار المذكور فى كتاب ألّفه فى فضائل الشيخ أبى العباس، رحمه اللّه.

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف ابن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن ابن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم

اشارة

أوّليّته: بيت بنى سعيد العنسى، بيت مشهور فى الأندلس بقلعة يحصب، نزلها جدّهم الأعلى، عبد اللّه بن سعيد بن عمّار بن ياسر؛ و كان له حظوة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۸۹

لمكانه من اليمانيّة بقرطبة؛ و داره بقرب قنطرتها، كانت معروفة؛ و هو بيت القيادة و الوزارة، و القضاء، و الكتابة، و العمل، و فيما يأتى، و ما مرّ كفاية من التنبيه عليه.

حاله: قال الملّاحى: كان من جلّة الطلبة، و نبهائهم؛ و له حظّ بارع من الأدب، و كتابة مفيدة، و شعر مدوّن. قال أبو الحسن بن سعيد فى كتابه المسمّى ب «الطالع» : نشأ محبّا فى الأدب، حافظا للشعر، و ذاكرا لنظم الشريف الرّضى، و مهيار، و ابن خفاجة، و ابن الزّقاق، فرقّت طباعه، و كثر اختراعه و إبداعه؛ و نشأت معه حفصة بنت الحاجّ الرّكونى؛ أديبة زمانها، و شاعرة أوانها، فاشتدّ بها غرامه، و طال حبّه و هيامه؛ و كانت بينهما منادمات و مغازلات أربت على ما كان بين علوة و أبى عبادة؛ يمرّ من ذلك إلمام فى شعر حفصة، إن شاء اللّه.

نباهته و حظوته: و لمّا وفدت الأندلس، على صاحب أمر الموحّدين فى ذلك الأوان، و هو محتلّ بجبل الفتح ، و احتفل شعراؤها فى القصائد، و خطباؤها فى الخطب بين يديه، كان فى وفد غرناطة، أبو جعفر هذا المترجم به، و هو حدث السنّ فى جملة أبيه و إخوته و قومه، فدخل معهم على الخليفة، و أنشده قصيدة؛ قال أبو الحسن بن سعيد، كتبت منها من خط والده قوله : [الطويل]

تكلّم فقد أصغى إلى قولك الدّهرو ما لسواك اليوم نهى و لا أمر

ورم كلّ ما قد شئته فهو كائنو حاول فلا برّ يفوت و لا بحر

و حسبك هذا البحر فألا فإنه‌يقبّل تربا داسه جيشك الغمر

و ما صوته إلّا سلام مردّدعليك و عن بشر بقربك يفتر

بجيش لكى يلقى أمامك من غدايعانـد أمرا لا يقوم له أمر الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۹۰ أطلّ على أرض الجزيرة سعدهاو

جدّد فيها ذلك الخبر الخبر

فما طارق إلّا لذلك مطرقو لا ابن نصير لم يكن ذلك النّصر

هما مهّداها كى تحلّ بأفقهاكما حلّ عند التّمّ بالهالة البدر

قال: فلمّا أتمّها أثنى عليه الخليفة، و قال لعبد الملك أبيه: أيّهما خير عندك فى ابنيك؛ فقال يا سيّدنا: محمد دخل إليكم مع أبطال الأندلس و قوّادها، و هذ مع الشعر، فانظروا ما يجب أن يكون خيرا عندى، فقال الخليفة: كلّ ميسّر لما خلق له، و إذا كان الإنسان متقدّما فى صناعة فلا يؤسف عليه، إنما يؤسف على متأخّر القدر، محروم الحظ. ثم أنشد فحول الشعراء و الأكابر. ثم لمّا ولّى غرناطة ولده السيد أبو سعيد، استوزر أبا جعفر المذكور، و اتصلت حظوته إلى أن كان ما يذكر من نكبته.

محنته: قال قريبه و غيره: فسد ما بينه و بين السيد أبى سعيد لأجل حفصة الشاعرة، إذ كانت محلّ هواه، ثم اتصلت بالسيّد، و كان له بها علاقة، فكان كلّ منهما على مثل الرّضف للآخر، و وجد حسّاده السبيل، إلى إغراء السيّد به، فكان مما نمى به عنه، أن قال لحفصة يوما: و ما هذا الغرام الشديد به، يعنى السيد، و كان شديد الأدمة ، و أنا أقدر أن أشترى لك من المعرض أسودا خيرا منه بعشرين دينارا؛ فجعل السيد يتوسّد له المهالك، و أبو جعفر يتحفّظ كل التحفّظ. و فى حالته تلك يقول: [الكامل]

من يشترى منى الحياة و طيبهاو وزارتى و تأدّبى و تهذّبى

بمحلّ راع فى ذرى ملمومةزويت عن الدنيا بأقصى مرتب

لا حكم يأخذه بها إلّا لمن يعفو و يرؤف دائما بالمذنب

فلقد سئمت من الحياة مع امرئمتغضّب متغلّب مترتّب

الموت يلحظنى إذا لا حظتهو يقوم فى فكرى أوان تجنّبى

لا أهتدى مع طول ما حاولتهلرضاه فى الدنيا و لا للمهرب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹۱

و أخذ فى أمره مع أبيه و إخوته، و فتنة ابن مردنيش مضطربة؛ فقال له أخوه محمد و أبوه: إن حركنا حركة كنا سببا لهلاك هذا البيت، ما بقيت دولة هؤلاء القوم، و الصبر عاقبته حميدة، و قد كنّا ننهاك عن الممارجة ، فلم تركب إلّا هواك؛ و أخذ مع أخيه عبد الرحمن، و اتفقا على أن يثورا فى القلعة باسم ابن مردنيش، و ساعدهما قريبهما على ذلك حاتم بن حاتم بن سعيد، و خاطبوا ابن مردنيش، و صدر لهم جوابه بالمبادرة، و وصلت منه خيل ضاربة، و تهيّأ لدخول القلعة؛ و تهيّأ الحصول فى القلعة، و خافوا من ظهور الأمر؛ فبادر حاتم و عبد الرحمن إلى القلعة، و تمّ لهما المراد؛ و أخّر الجبن أبا جعفر ففاتاه، و توقّع الطلب فى الطريق إلى القلعة، فصار متخفّيا إلى مالقة، ليركب منها البحر إلى جهة ابن مردنيش؛ و وضع السيّد عليه العيون فى كل جهة، فقبض عليه بمالقة، و طولع بأمره فأمر بقتله صبرا، رحمه اللّه.

جزالته و صبره: قال أبو الحسن بن سعيد: حدّثنى الحسين بن دويرة، قال:

كنت بمالقة لمّا قبض على أبى جعفر، و توصّلت إلى الاجتماع به، ريثما استؤذن السيد فى أمره حين حبس، فدمعت عينى لما رأيته مكبولا؛ قال: أعلىّ تبكى بعد ما بلغت من الدنيا أطايب لذّاتها؟ فأكلت صدور الدجاج، و شربت فى الزّجاج، و ركبت كل هملاج ، و نمت فى الديباج، و تمتعت بالسّرارى و الأزواج، و استعملت من الشمع السّراج الوهّاج، و هأنا فى يد الحجّاج، منتظرا محنة الحلّاج؛ قادم على غافر، لا يحوج إلى اعتذار و لا احتجاج. فقلت: ألا أبكى على من ينطق بمثل هذا؟ ثم تفقّد، فقمت عنه، فما رأيته إلّا مصلوبا، رحمه اللّه.

شعره : [الطويل]

أتانى كتاب منك يحسده الدّهرأما حبره ليل، أما طرسه فجر؟

به جمع اللّه الأمانىّ لناظرىو سمعى و فكرى فهو سحر و لا سحر

و لا غرو أن أبدى العجائب ربّهو فى ثوبه برّ، و فى كفّه بحر

و لا عجب إن أينع الزّهر طيّهفما زال صوب القطر يبدو به الزّهر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹۲

و من شعره ما يجرى مجرى المرقص، و قد حضر مع الرّصافى و الكتندى و معهم مغنّ بروطة : [مجزوء الكامل]

للّه يوم مسرّةأضوى و أقصر من ذباله

لما نصبنا للمنىفيه من أوتار حباله

ظل النهار بها كمرتاع، و أجفلت الغزاله

و شعره مدوّن كما قلنا، و هذا القدر عنوان على نبله.

غريبة فى أمره مع حفصة

قال حاتم بن سعيد: و كان قد أجرى اللّه على لسانه، إذا حرّكت الكأس بها غرامه، أن يقول: و اللّه لا يقتلنى أحد سواك؛ و كان يعنى بالحبّ، و القدر موكل بالمنطق، قد فرغ من قتله بغيره من أجلها. قال: و لمّا بلغ حفصة قتله لبست الحداد، و جهرت بالحزن، فتوعّدت بالقتل، فقالت فى ذلك: [الخفيف]

هدّدونى من أجل لبس الحدادلحبيب أردوه لى بالحداد

رحم اللّه من يجود بدمعأو ينوح على قتيل الأعادى

و سقته بمثل جود يديهحيث أضحى من البلاد الغوادى

و لم ينتفع بعد بها، ثم لحقت به بعد قليل.

وفاته: توفى على حسب ما ذكر، فى جمادى الأولى من سنة تسع و خمسين و خمسمائة.

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى، المعروف بابن فركون

يكنى أبا جعفر.

أوّليّته: قد مرّ ذلك فى اسم جدّه قاضى الجماعة ، و سيأتى فى اسم والده.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹۳

حاله: شعلة من شعل الذكاء و الإدراك، و مجموع خلال حميدة على الحداثة، طالب نبيل، مدرك، نجيب، بذّ أقرانه كفاية، و سما إلى المراتب، فقرأ، و أعرب، و تمر ، و تدرّب، و استجاز له والده شيوخ بلده فمن دونهم، و نظم الشعر، و قيّد كثيرا، و سبق أهل زمانه فى حسن الخط سبقا أفرده بالغاية القصوى؛ فيراعه اليوم المشار إليه بالظّرف و الإتقان، و الحوا، و الإسراح؛ اقتضى ذلك كله ارتقاؤه إلى الكتابة السلطانية. و مزية الشّغوف بها، بالخلع و الاستعمال؛ و اختصّ بى، و تأدب بما انفرد به من أشياخ تواليفى، فآثرته بفوائد جمّة، و بطن حوضه من تحلّمه، و ترشّح إلى الاستيلاء على الغاية.

شعره: أنشد له بين يدى السلطان فى الميلاد الكريم: [الكامل]

حىّ المعاهد بالكثيب و جادهاغيث يروى حيّها و جمادها

مولده: فى ربيع الآخر من عام سبعة و أربعين و سبعمائة.

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان

من أهل مالقة؛ يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن صفوان .

حاله: بقيّة الأعلام، أديب من أدباء هذا القطر، و صدر من صدور كتّابه، و مشيخة طلبته، ناظم، ناثر، عارف، ثاقب الذهن، قوىّ الإدراك، أصيل النظر، إمام الفرائض و الحساب و الأدب و التّوثيق، ذاكر للتاريخ و اللغة، مشارك فى الفلسفة و التصوّف، كلف بالعلوم الإلهية، آية اللّه فى فكّ المعمّى، لا يجاريه فى ذلك أحد ممّن تقدّمه، شأنه عجب، يفكّ من المعمّيات و المستنبطات، مفصولا و غير مفصول؛ شديد التعصّب لذى ودّ، و بالعكس، تامّ الرّجولة، قليل التّهيّب، مقتحم حمى أهل الجاه و الحمد و المضايقة، إذا دعاه لذلك داع حبل نقده على غاربه، راض بالخمول، متبلّغ بما تيسّر، كثير الدؤوب و النظر، و التقييد و التصنيف، على كلال الجوارح، و عائق الكبرة ، متقارب نمطى الشعر و الكتابة، مجيد فيهما، و لنظمه شفوف على نثره.

مشيخته: قرأ على الأستاذ أبى محمد الباهلى، أستاذ الجملة من أهل بلده، و مولى النّعمة عليهم، لازمه و انتفع به؛ و رحل إلى العدوة، فلقى جملة، كالقاضى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹۴

المؤرّخ أبى عبد اللّه بن عبد الملك، و الأستاذ التعالمى أبى العباس بن البنّاء ، و قرأ عليهم بمرّاكش.

نباهته: استدعاه السلطان، ثانى الملوك من بنى نصر ، إلى الكتابة عنه مع الجلّة، ببابه، و قد نما عشّه، و علا كعبه، و اشتهر ذكاؤه و إدراكه. ثم جنح إلى العودة لبلده. و لمّا ولّى الملك السلطان أبو الوليد، و دعاه إلى نفسه، ببلده مالقة، استكتبه رئيسا مستحقّا، إذ لم يكن ببلده. فأقام به و اقتصر على كتب الشروط، معروف القدر، بمكان من القضاة و رعيهم، صدرا فى مجالس الشّورى؛ و إلى الآن يجعل إلى زيارة غرناطة، حظّا من فصول بعض السنين، فينصب بها العدالة، ثم يعود إلى بلده فى الفصل الذى لا يصلح لذلك. و هو الآن بقيد الحياة، قد علقته أشراك الهرم، و فيه بعد مستمتع، بديع، كبير.

تصانيفه: من تواليفه، «مطلع الأنوار الإلهية»؛ و «بغية المستفيد»؛ و «شرح كتاب القرشى فى الفرائض»، لا نظير له. و أما تقاييده على أقوال يعترضها، و موضوعات ينتقدها، فكثيرة.

شعره: قال فى غرض التّصوّف: و بلغنى أنه نظمها بإشارة من الخطيب، ولىّ اللّه، أبى عبد اللّه الطّنجالى، كلف بها القوّالون و المسمّعون بين يديه : [الكامل]

بان الحميم فما الحمى و البانبشفاء من عنه الأحبّة بانوا

لم ينقضوا عهدا بينهم و لاأنساهم ميثاقك الحدثان

لكن جنحت لغيرهم فأزالهمعن أنسهم بك موحش غيران

لو صحّ حبّك ما فقدتهم و لاسارت بهم عن حبّك الأظعان

تشتاقهم، و حشاك هالة بدرهمو السّرّ منك لخلّهم ميدان

ما هكذا أحوال أرباب الهوىنسخ الغرام بقلبك السّلوان

لا يشتكى ألم البعاد متيّمأحبابه فى قلبه سكّان

ما عندهم إلّا الكمال و إنماغطّى على مرآتك النّقصان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹۵ شغلتك بالأغيار عنهم مقلةإنسانها عن لمحهم و سنان

غمّض جفونك عن سواهم معرضاإنّ الصّوارم حجبها الأجفان

و اصرف إليهم لحظ فكرك شاخصاترهم بقلبك حيث كنت و كانوا

ما بان عن مغناك من ألطافهيهمى عليها سحابها الهتّان

و جياد أنعمه ببابك ترتمى‌تسرى إليك بركبها الأكوان

جعلوا دليلا فيك منك عليهم‌فبدا على تقصيرك البرهان

يا لا محا سرّ الوجود بعينه‌السّرّ فيك بأسره و الشّان

ارجع لذاتك إن أردت تنزّهافيها لعينى ذى الحجا بستان

هى روضة مطلولة بل جنّةفيها المنى و الرّوح و الرّيحان

كم حكمة صارت تلوح لناظرحارت لباهر صنعها الأذهان

حجبت بشمسك عن عيانك شمسهاشمس محاسن ذكرها التّبيان

لولاك ما خفيت عليك آياتها و الجوّ من أنوارها ملآن

أنت الحجاب لما تؤمّل منهم‌ففناؤك الأقصى لهم وجدان

فاخرج إليهم عنك مفتقرا لهم‌إنّ الملوك بالافتقار تدان

و اخضع لعزّهم ولذ بهم يلح‌منهم عليك تعطّف و حنان

هم رشّحوك إلى الوصول إليهم‌وهم على طلب الوصال عوان

عطفوا جمالهم على أجمالهم‌فحلى المشوق الحسن و الإحسان

يا ملبسين عبيدهم حلل الضّنى‌جسمى بما تكسونه يزدان

لا سخط عندى للذى ترضونه‌قلبى بذاك مفرح جذلان

فبقربكم عين الغنا و ببعدكم‌محض الفنا و محبّكم ولهان الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٩٦ إنى كتمت عن الأنام هواكم‌حتى دهيت و خاننى الكتمان

و وشت بحالى عند ذاك مدامع‌أدنى مواقع قطرها طوفان

و بدت علىّ شمائل عذريّةتقضى بأنى فيكم هيمان

فإذا نطقت فذكركم لى منطق‌ما عن سواكم للّسان بيان

و إذا صمتّ فأنتم سرّى الذى‌بين الجوانح فى الفؤاد يصان

فبباطنى و بظاهرى لكم هوى‌من جنده الإسرار و الإعلان

و جوانحى و جميع أنفاسى و ماأحوى، علىّ لحبّكم أعوان

و إليكم منى المفرّ فقصدكم‌حرم به للخائفين أمان

و قال يذمّ الدنيا و يمدح عقبى من يقلّل منها: [الطويل]

حديث الأمان فى الحياة شجون‌إن ارضاك شأن أحفظتك شؤون

يميل إليها جاهل بغرورهافمنه اشتياق نحوها و أنين

و ذو الحزم ينبو عن حجاه فحالهايقيه إذا شكّ عراه يقين

إليك صريع الأمن سنحة ناصح‌على نصحه سيما الشّفيق تبين

تجاف عن الدّنيا و دن باطّراحهافمركبها بالمطمعين حرون

و ترفيعها خفض و تنعيمها أذى‌و منهلها للواردين أجون

إذا عاهدت خانت و إن هى أقسمت‌فلا ترج برّا باليمين يمين

يروقك منها مطمع من وفائهاو سرعان ما إثر الوفاء تخون

و تمنحك الإقبال كفّة حابلو من مكرها فى طىّ ذاك كمين

سقاه، لعمر اللّه، إمحاضك الهوىلمن أنت بالبغضاء فيه قمين

و من تصطفيه و هو يقطعك القلاو تهدى له الإعزاز و هو يهين

ألا إنّها الدنيا فلا تغترر بهاولود الدّواهى بالخداع تدين

يعمّ رداها الغرّ و الخبّ ذا الدّهاو يلحق فيها بالكناس عرين

و تشمل بلواها نبيلا و خاملاو يلقى مذال غدرها و مصون

أبنها، لحاها اللّه، كم فتنة لهاتعلّم صمّ الصّخر كيف يلين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹۷ فلا ملك سام أقالت عثارهو لو أنه للفرقدين خدين

و لا معهد إلّا و قد نبهت بهبعيد الكرى للثّاكلات جفون

أبيت لنفسى أن يدنّسها الكرىسكون إليها موبق و ركون

فليس قرير العين فيها سوى امرئقلاه لها رأى يراه و دين

أبيت طلاق الحرص فالزّهد دائباخليل له مستصحب و قرين

إذا أقبلت لم يولها بشر شيّقو لا خفّ للإقبال منه رزين

و إن أدبرت لم يلتفت نحوها بهاو أدّ على ما لم توات حزين

خفيف المطا من حمل أثقال همّهاإذا ما شكت ثقل الهموم متون

على حفظه للفقر أبهى ملاءةسنا حليها وسط الزرىّ يدين

برجف تخال الخائفين منازللهنّ مكان حيث حلّ مكين

منازل نجد عندها و تهامةسوى و استوى هند لديه وصين

يرود رياضا أين سار و وردهزلال اعتاض الورود معين

فهذا أثيل الملك لا ملك ثائرلأعدائه حرب عليه زبون

و هذا عريض العزّ لا عزّ مترفله من مشيدات القصور سجون

حوت شخصه أوصافها فكأنّهو إن لم يمت فوق التّراب دفين

فيا خابطا عشواء و الصّبح قد بداإلام تغطّى ناظريك دجون؟

أفق من كرى هذا التّعامى و لا تضعبجهلك علق العمر فهو ثمين

إذا كان عقبى ذى جدّة إلى بلىو قصارى ذى الحياة منون

ففيم التفانى و التنافس ضلّة؟و فيم التّلاحى و الخصام يكون؟

إلى اللّه أشكوها نفوسا عميّةعن الرّشد و الحقّ اليقين تبين

و أسأله الرّجعى إلى أمره الذىبتوفيقه حبل الرّجاء متين

فلا خير إلّا من لدنه وجودهلتيسير أسباب النّجاة ضمين

و جمعت ديوان شعره أيّام مقامى بمالقة عند توجّهى صحبة الرّكاب السلطانى إلى إصراخ الخضراء عام أربعة و أربعين و سبعمائة؛ و قدّمت صدره خطبة، و سمّيت الجزء ب «الدّرر الفاخرة، و اللّجج الزاخرة»، و طلبت منه أن يجيزنى، و ولدى عبد اللّه، رواية ذلك عنه، فكتب بخطّه الرائق بظهر المجموع ما نصّه:

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۹۸

«الحمد للّه مستحقّ الحمد؛ أجبت سؤال الفقيه، الأجلّ، الأفضل، السّرى، الماجد، الأوحد، الأحفل، الأديب البارع، الطّالع فى أفق المعرفة و النّباهة، و الرّفعة المكينة و الوجاهة، بأبهى المطالع، المصنّف، الحافظ، العلّامة، الحائز فى فنّى النظم و النثر، و أسلوبى الكتابة و الشّعر، رتبة الرياسة ؛ الحامل لراية التقدّم و الإمامة؛ محلّى جيد العصر بتواليفه الباهرة الرّواء؛ و مجلّى محاسن بنيه، الرائقة على منصّة الإشهاد و الأنباء؛ أبى عبد اللّه بن الخطيب، و صل اللّه سعادته و مجادته ؛ و سنى من الخير الأوفر، و الصّنع الجميل الأبهر، مقصده و إرادته؛ و بلّغه فى نجله الأسعد، و ابنه الراقى بمحتده الفاضل، و منشئه الأطهر، محلّ الفرقد، أفضل ما يؤمّل نحلته إياه فى المكرمات و إفادته؛ و أجزت له و لابنه عبد اللّه المذكور، أبقاهما اللّه تعالى، فى عزّة سنيّة الخلال، و عافية ممتدّة الأفياء، وارفة الظّلال؛ رواية جميع ما تقيّد فى الأوراق، المكتتب على ظهر أوّل ورقة منها، من نظمى و نثرى؛ و ما تولّيت إنشاءه، و اعتمدت بالارتحال و الرواية، اختياره و انتقاءه، أيام عمرى؛ و جميع ما لى من تصنيف و تقييد، و مقطوعة و قصيد ، و جميع ما أحمله عن أشياخى رضى اللّه عنهم، من العلوم، و فنون المنثور و المنظوم؛ بأىّ وجه تأدّى إلىّ، و صحّ حملى له، و ثبت إسناده لدىّ إجازة تامّة، فى ذلك كله عامّة، على سنن الإجازات الشّرعية ، و شرطها المأثور عند أهل الحديث المرعىّ، و اللّه ينفعنى و إيّاهما بالعلم و حمله، و ينظمنا جميعا فى سلك حزبه المفلحين و أهله، و يفيض علينا من أنوار بركته و فضله. قال ذلك و كتبه بخطّ يده الفانية، العبد الفقير إلى الغنى به، أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان، ختم اللّه له بخير؛ حامدا للّه تعالى، و مصلّيا و مسلما على محمد نبيّه المصطفى الكريم، و على آله الطاهرين ذوى المنصب العظيم، و صحبه البررة، أولى المنصب و الأثرة و التقديم؛ فى سادس ربيع الآخر عام أربعة و أربعين و سبعمائة، و حسبنا اللّه و نعم الوكيل».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۹۹

و اشتمل هذا الجزء الذى أذن بحمله عنه من شعره على جملة من المطوّلات، منها قصيدة يعارض بها الرئيس أبا علىّ بن سينا فى قصيدته الشهيرة فى النّفس التى مطلعها: «هبطت إليك من المحلّ الأرفع»، أولها: «أهلا بمسراك المحب الموضع».

و أول قصيدة: [الطويل]

لمعناك فى الأفهام سرّ مكتّمعليه نفوس العارفين تحوم

و أول أخرى: [الكامل]

أزهى حجابك رؤية الأغيارفامح الدّجى بأشعّة الأنوار

و أول أخرى: [الطويل]

ثناء وجودى فى هواكم هو الخلدو محو رسومى حسن ذاتى به يبدو

و مطلع أخرى: [الطويل]

ألا فى الهوى بالذّلّ ترعى الوسائلو دمعى أنادى مجيب وسائل

و مطلع أخرى: [الطويل]

هم القصد جادوا بالرّضى أو تمنّعواصلوا اللوم فيما أودعوا القلب أودعوا

و من أخرى: [البسيط]

سقى زمان الرّضا هام من السّحبإلهى العود من أثوابه القشب

و من أخرى: [الكامل]

يا فوز نفسى فى هواك هواؤهارقّت معانيها وراق مناؤها

و من أخرى: [الكامل]

أمّا الغرام فبالفؤاد غريمهيهات منّى ما العذول يروم

و من شعره فى المقطوعات قوله : [الكامل]

رشق العذار لجينه بنباله‌فغدا يدور على المحبّ الواله

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۰۰ خطّ العذار بصفحتيه لامه‌خطّا توعّده بمحو جماله

فحسبت أنّ جماله شمس الضّحى‌حسنا و ذاك الخطّ خطّ زواله

فدنا إلىّ تعجّبا و أجابنى‌و الرّوع يبدو من خلال مقاله

إنّ الجمال اللام آخره فعجّ‌عن رسمه و اندب على أطلاله

و من أبياته فى التّورية بالفنون قوله : [الوافر]

كففت عن الوصال طويل شوقى‌إليك و أنت للرّوح الخليل

و كفّك للطويل فدتك نفسى‌قبيح ليس يرضاه الخليل

و قال فى التّورية بالعروض : [الكامل]

يا كاملا شوقى إليه وافرو بسيط خدّى فى هواه عزيز

عاملت أسبابى لديك بقطعها و القطع فى الأسباب ليس يجوز

و قال فى التّورية بالعربية : [الوافر]

أيا قمرا مطالعه جنانى‌و غرّته توارى عن عيانى

أ أصرف فى هواك عن اقتراحى و سهدى و انتحابى علّتان؟

و قال أيضا: [الرجز]

لا تصحبن يا صاحبى غير الوفى‌كلّ امرئ عنوانه من يصطفى

كم من خليل بشره زهر الرّبى‌و طىّ ذاك البشر حدّ المرهف

ظاهره يريك سرّ من رأى‌و أنت من إعراضه فى أسف

و وقعت بينه و بين قاضى بلده أبى عمرو بن المنظور مقاطعة، انبرى بها إلى مطالبته بما دعاه إلى التحوّل مضطرّا إلى غرناطة، و أخذ بكظمه، و طوّقه الموت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۰۱

فى أثناء القطيعة، فقال فى ذلك متشفّيا، و هو من نبيه كلامه، و كلّه نبيه:

[الطويل]

تردّى ابن منظور و حمّ حماه‌و أسلمه حام له و نصير

تبرّأ منه أولياء غروره‌و لم يقه بأس المنون ظهير

و أودع بعد الأنس موحش بلقع‌فحيّاه فيه منكر و نكير

و لا رشوة يدلى القبول رشادهافينسخ بالسّير المريح عسير

و لا شاهد يغضى له عن شهادةتخلّلها إفك يصاغ و زور

و لا خدعة تجدى و لا مكر نافع‌و لا غشّ مطوىّ عليه ضمير

و لكنه حقّ يصول و باطل‌يحول و مثوى جنّة و سعير

و قالوا قضاء الموت حتم على الورى‌يدير صغير كأسه و كبير

فلا تنتسم ريح ارتياح لفقده‌فإنّك عن قصد السّبيل تحور

فقلت بلى حكم المنيّة شاملو كلّ إلى ربّ العباد يصير

و لكن تقدّم الأعادى إلى الرّدىنشاط يعود القلب منه سرور

و أمن ينام المرء فى برد ظلّهو لا حيّة للحقد ثمّ تثور

و حسبى بيت قاله شاعر مضىغدا مثلا فى العالمين يسير

و إنّ بقاء المرء بعد عدوّهو لو ساعة من عمره لكثير

مولده: قال بعض شيوخنا: سألته عن مولده فقال لى: فى آخر خمسة و تسعين و ستمائة، أظنّ فى ذى قعدة منه الشكّ.

وفاته: بمالقة فى آخر جمادى الثانية من عام ثلاثة و ستين و سبعمائة.

أحمد بن أيوب اللّمائى

من أهل مالقة، يكنى أبا جعفر.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۰۲

حاله: قال صاحب الذّيل : كان أديبا ماهرا، و شاعرا جليلا، و كاتبا نبيلا . كتب عن أوّل الخلفاء الهاشميين بالأندلس، على بن حمّود، ثم عن غيره من أهل بيته؛ و تولّى تدبير أمرهم ، فحاز لذلك صيتا شهيرا، و جلالة عظيمة.

و ذكره ابن بسّام فى كتاب «الذّخيرة»، فقال : كان أبو جعفر هذا فى وقته أحد أئمة الكتّاب، و شهب الآداب ، ممّن سخّرت له فنون البيان، تسخير الجنّ لسليمان، و تصرّف فى محاسن الكلام، تصرّف الرياح بالغمام، طلع من ثناياه، و اقتعد مطاياه؛ و له إنشاءات سريّة، فى الدولة الحمّودية، إذ كان علم أدبائها، و المضطلع بأعبائها، إلّا أنى لم أجد عند تحريرى هذه النّسخة، من كلامه، إلّا بعض فصول له من منثور، و هى ثماد من بحور.

فصل: من رقعة خاطب بها أبا جعفر بن العباس: «غصن ذكرك عندى ناضر، و روض شكرك لدىّ عاطر، و ريح إخلاصى لك صبا، و زمان آمالى فيك صبا، فأنا شارب ماء إخائك، متفيّئ ظلّ وفائك؛ جان منك ثمرة فرع طاب أكله، و أجنانى البرّ قديما أصله، و سقانى إكراما برقه، و روّانى إفضالا ودقه؛ و أنت الطّالع فى فجاجه، السّالك لمنهاجه؛ سهم فى كنانة الفضل صائب، و كوكب فى سماء المجد ثاقب، إن أتبعت الأعداء نوره أحرق، و إن رميتهم به أصاب الحدق؛ و على الحقيقة فلسانى يقصر عن جميل أسرّه ، و وصف ودّ أضمره».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۰۳

شعره: قال، و مما وجد بخطه لنفسه : [الكامل]

طلعت طلائع للربيع فأطلعتفى الرّوض وردا قبل حين أوانه

حيّا أمير المسلمين مبشّراو مؤمّلا للنّيل من إحسانه

ضنّت سحائبه عليه بمائها فأتاه يستسقيه ماء بنانه

دامت لنا أيّامه موصولةبالعزّ و التّمكين فى سلطانه

قال: و أنشدنى الأديب أبو بكر بن معن، قال: أنشدنى أبو الربيع بن العريف لجدّه الكاتب أبى جعفر اللمائى، و امتحن بداء النّسمة من أمراض الصّدر، و أزمن به، نفعه اللّه، و أعياه علاجه، بعد أن لم يدع فيه غاية، و فى ذلك يقول : [الكامل]

لم يبق من شىء أعالجها به طمع الحياة، و أين من لا يطمع؟

«و إذا المنيّة أنشبت أظفارهاألفيت كلّ تميمة لا تنفع»

و دخل عليه بعض أصحابه فيها، و جعل يروّح عليه فقال له بديهة :

[المنسرح]

روّحنى عائدى فقلت له: مه ، لا تزدنى على الذى أجد

أما ترى النار و هى خامدةعند هبوب الرياح تتّقد؟

و دخل غرناطة غير ما مرة، منها متردّدا بين أملاكه، و بين من بها من ملوك صنهاجة؛ قالوا: و لم تفارقه تلك الشّكاية حتى كانت سبب وفاته.

وفاته: بمالقة عام خمسة و ستين و أربعمائة. و نقل منها إلى حصن الورد، و هو عند حصن منت ميور إذ كان قد حصّنه، و اتّخذه لنفسه ملجأ عند شدّته، فدفن به،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٤

بعهد منه بذلك، و أمر أن يكتب على قبره بهذه الأبيات : [الطويل]

بنيت و لم أسكن و حصّنت جاهدافلمّا أتى المقدور صيّره قبرى

و لم يك حظّى غير ما أنت مبصربعينك ما بين الذّراع إلى الشّبر

فيا زائرا قبرى أوصّيك جاهداعليك بتقوى اللّه فى السّرّ و الجهر

فلا تحسنن بالدّهر ظنّا فإنمامن الحزم ألّا يستنام إلى الدهر

أحمد بن محمد بن طلحة

من أهل جزيرة شقر، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن جدّه طلحة.

حاله: قال صاحب «القدح المعلّى» : من بيت مشهور بجزيرة شقر من عمل بلنسية، كتب عن ولاة الأمر من بنى عبد المؤمن، ثم استكتبه ابن هود ، حين تغلّب على الأندلس، و ربما استوزره ، و هو ممّن كان والدى يكثر مجالسته، و بينهما مزاورة، و لم أستفد منه إلّا ما كنت أحفظه من مجالسته.

شعره: قال : سمعته يوما يقول، تقيمون القيامة بحبيب ، و البحترى، و المتنبى، و فى عصركم من يهتدى إلى ما لم يهتد إليه المتقدّمون و لا المتأخّرون، الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ١ ؛ ص ١٠٤

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٠٥

فانبرى إليه شخص له همّة و إقدام، فقال : يا أبا جعفر، أين برهان ذلك، فما أظنك تعنى إلّا نفسك ، فقال : ما أعنى إلّا نفسى، و لم لا، و أنا الذى أقول : [السريع]

يا هل ترى أظرف من يومناقلّد جيد الأفق طوق العقيق

و أنطق الورق بعيدانهامطربة كلّ قضيب وريق

و الشّمس لا تشرب خمر النّدىفى الرّوض إلّا بكؤوس الشّقيق

فلم ينصفوه فى الاستحسان، و ردّوه فى الغيظ كما كان، فقلت له: يا سيدى، هذا و اللّه السّحر الحلال، و ما سمعت من شعراء عصرنا مثله، فباللّه إلّا ما لازمتنى و زدتنى من هذا النمط، فقال لى: للّه درّك، و درّ أبيك من منصف ابن منصف. اسمع، و افتح أذنيك. ثم أنشد : [الوافر]

أدرها فالسماء بدت عروسامضمّخة الملابس بالغوالى

و خدّ الأرض خفّره أصيلو جفن النّهر كحّل بالظّلال

وجيد الغصن يشرف فى لآلتضىء بهنّ أكناف اللّيالى

فقلت: بالله أعد وزد، فأعاد و الارتياح قد ملأ عطفه، و التّيه قد رفع أنفه،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۰۶

ثم قال : [السريع]

للّه نهر عندما زرتهعاين طرفى منه سحرا حلال

إذ أصبح الطّلّ به ليلةو جال فيه الغصن مثل الخيال

فقلت: ما على هذا مزيد فى الاستحسان ، فعسى أن يكون المزيد فى الإنشاد، فزاد ارتياحه و أنشد : [الوافر]

و لمّا ماج بحر الليل بينىو بينكم و قد جدّدت ذكرا

أراد لقاءكم إنسان عينىفمدّ له المنام عليه جسرا

فقلت : إيه زادك اللّه إحسانا، فزاد : [الوافر]

و لمّا أن رأى إنسان عينىبصحن الخدّ منه غريق ماء

أقام له العذار عليه جسراكما مدّ الظلام على الضّياء

فقلت: فما تكرّر و يطول، فإنه مملول، إلّا ما أوردته آنفا، فإنه كنسيم الحياة، و ما إن يملّ، فباللّه إلّا ما زدتنى ، و تفضّلت علىّ بالإعادة، فأعاد و أنشد:

[الكامل]

هات المدام إذا رأيت شبيههافى الأفق يا فردا بغير شبيه

فالصّبح قد ذبح الظلام بنصلهفغدت حمائمه تخاصم فيه

دخوله غرناطة: دخلها مع مخدومه المتوكل على اللّه ابن هود و فى جملته، إذ كان يصحبه فى حركاته، و يباشر معه الحرب، و جرت عليه الهزائم، و له فى ذلك كلّه شعر.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۰۷

محنته: قالوا : لم يقنع بما أجرى عليه أبو العباس الينشتى من الإحسان، فكان يوغر صدره من الكلام فيه، فذكروا أن الينشتى قال يوما فى مجلسه: رميت يوما بسهم من كذا، فبلغ إلى كذا؛ فقال ابن طلحة لشخص كان إلى جانبه: و اللّه لو كان قوس قزح؛ فشعر أبو العباس إلى قوله ما يشبه ذلك، و استدعى الشخص، و عزم عليه، فأخبره بقوله، فأسرّها فى نفسه، إلى أن قوّى الحقد عليه، من ما بلغه عنه من قوله يهجوه: [الوافر]

سمعنا بالموفّق فارتحلناو شافعنا له حسب و علم

و رمت يدا أقبّلها و أخرىأعيش بفضلها أبدا و أسمو

فأنشدنا لسان الحال عنه يد شلّا و أمر لا يتمّ

فزادت موجدته عليه، و راعى أمره إلى أن بلغته أبيات قالها فى شهر رمضان، و هو على حال الاستهتار: [الوافر]

يقول أخو الفضول و قد رآناعلى الإيمان يغلبنا المجون

أ تنتهكون شهر الصّوم هلّاحماه منكم عقل و دين؟

فقلت اصحب سوانا، نحن قومزنادقة مذاهبنا فنون

ندين بكلّ دين غير دين الرعاع فما به أبدا ندين

فحىّ على الصّبوح الدّهر ندعوو إبليس يقول لنا أمين

أيا شهر الصيام إليك عنّاإليك ففيك أكفر ما نكون

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص: ١٠٨

قال: فأرسل إليه من هجم عليه، و هو على هذا الحال، و أظهر إرضاء العامّة بقتله، و ذلك فى سنة إحدى و ثلاثين و ستمائة . و لا خفاء أنه من صدور الأندلس، و أشدّهم عثورا على المعانى الغريبة المخترعة، رحمه اللّه.

أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد ابن خاتمة الأنصارى

من أهل ألمريّة، يكنى أبا جعفر، و يعرف بابن خاتمة .

حاله: هذا الرجل صدر يشار إليه، طالب متفنّن، مشارك، قوىّ الإدراك، سديد النّظر، قوى الذهن، موفور الأدوات، كثير الاجتهاد، معين الطبع، جيّد القريحة، بارع الخط، ممتع المجالسة، حسن الخلق، جميل العشرة، حسنة من حسنات الأندلس، و طبقة فى النظم و النثر، بعيد المرقى فى درجة الاجتهاد، و أخذه بطرق الإحسان؛ عقد الشروط، و كتب عن الولاة ببلده، و قعد للإقراء ببلده، مشكور السّيرة، حميد الطريقة، فى ذلك كله.

و جرى ذكره فى كتاب «التّاج» بما نصّه : «ناظم درر الألفاظ، و مقلّد جواهر الكلام نحور الرّواة و لبّات الحفّاظ، و الآداب التى أصبحت شواردها حلم النائم و سمر الأيقاظ، و كم فى بياض طرسها و سواد نقسها سحر الألحاظ . رفع فى قطره راية هذا الشأن على وفور حلبته، و قرع فنّه البيان على سموّ هضبته، و فوّق سهمه إلى بحر الإحسان، فأثبته فى لبّته؛ فإن أطال شأن الأبطال، و كاثر المنسجم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص: ١٠٩

الهطّال؛ و إن أوجز، فضح و أعجز؛ فمن نسيب تهيج به الأشواق، و تضيق عن زفراتها الأطواق؛ و دعابة تقلّص ذيل الوقار، و تزرى بأكواس العقار؛ إلى انتماء للمعارف، و جنوح إلى ظلّها الوارف؛ و لم تزل معارفه ينفسح آمادها، و تحوز خصل السباق جيادها».

مشيخته: حسبما نقل بخطّه فى ثبت استدعاه منه من أخذ عنه؛ الشيخ الخطيب، الأستاذ مولى النعمة، على أهل طبقته بألمريّة، أبو الحسن على بن محمد بن أبى العيش المرّى؛ قرأ عليه و لازمه، و به جلّ انتفاعه؛ و الشيخ الخطيب الأستاذ الصالح أبو إسحاق إبراهيم بن العاص التّنوخى. و روى عن الراوية المحدّث المكثر الرحّال، محمد بن جابر بن محمد بن حسّان الوادى آشى؛ و عن شيخنا أبى البركات ابن الحاجّ، سمع عليه الكثير، و أجازه إجازة عامّة؛ و الشيخ الخطيب أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن شعيب القيسى من أهل بلده؛ و القاضى أبو جعفر القرشى بن فركون. و أخذ عن الوزير الحاجّ الزاهد، أبى القاسم محمد بن محمد بن سهل بن مالك. و قرأ على المقرئ أبى جعفر الأغرّ، و غيرهم.

كتابته: ممّا خاطبنى به بعد إلمام الرّكب السلطانى ببلده، و أنا صحبته ، و لقائه إياى، بما يلقى به مثله من تأنيس و برّ، و تودّد، و تردّد: [الكامل]

يا من حصلت على الكمال بما رأتعيناى منه من الجمال الرائع

مرأى يروق و فى عطافى بردهما شئت من كرم و مجد بارع

أشكو إليك من الزمان تحاملافى فضّ شمل لى بقربك جامع

هجم البعاد عليه ضنّا باللّقاحتى تقلّص مثل برق لامع

فلو انّنى ذو مذهب لشفاعةناديته: يا مالكى كن شافعى

شكواى إلى سيدى و معظّمى؛ أقرّ اللّه تعالى بسنائه أعين المجد، و أدرّ بثنائه ألسن الحمد! شكوى الظمآن صدّ عن القراح العذب لأول وروده، و الهيمان ردّ عن استرواح القرب لمعضل صدوده، من زمان هجم علىّ بإبعاده ، على حين

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص: ١١٠

إسعاده ، و دهمنى بفراقه غبّ إنارة أفقى به و إشراقه؛ ثم لم يكفه ما اجترم فى ترويع خياله الزاهر، حتى حرم عن تشييع كما له الباهر،

فقطع عن توفية حقّه، و منع من تأدية مستحقّه، لا جرم أنه أنف لشعاع ذكائه، من هذه المطالع النائية عن شريف الإنارة، و بخل بالإمتاع بذكائه، عن هذه المسامع النائية عن لطيف العبارة، فراجع أنظاره، و استرجع معاره؛ و إلّا فعهدى بغروب الشمس إلى الطّلوع ، و أنّ البدر ينصرف بين الاستقامة و الرجوع. فما بال هذا النيّر الأسعد، غرب ثم لم يطلع من الغد، ما ذاك إلا لعدوى الأيام و عدوانها، و شأنها فى تغطية إساءتها وجه إحسانها، و كما قيل: عادت هيف إلى أديانها؛ أستغفر اللّه أن لا يعدّ ذلك من المغتفر فى جانب ما أوليت من الأثر ، التى أزرى العيان فيها بالأثر، و أربى الخبر على الخبر ؛ فقد سرّت متشوّفات الخواطر، و أقرّت متشرّفات النواظر، بما جلت من ذلكم الكمال الباهر، و الجمال الناضر، الذى قيّد خطى الأبصار، عن التشوّف و الاستبصار؛ و أخذ بأزمّة القلوب، عن سبيل كل مأمول و مرغوب؛ و أنّى للعين بالتحوّل عن كمال الزّين؟ أو للطّرف ، بالتحوّل عن خلال الظّرف؟ أو للسّمع من مراد، بعد ذلك الإصرار و الإيراد، أو للقلب من مراد، غير تلكم الشيم الرافلة من ملابس الكرم فى حلل و أبراد؛ و هل هو إلّا الحسن جمع فى نظام، و البدر طالع التّمام، و أنوار الفضائل ضمّها جنس اتفاق و التآم؛ فما ترعى العين منه فى غير مرعى خصيب، و لا تستهدف الآذان لغير سهم فى حدق البلاغة مصيب؛ و لا تطلع النفس سوى مطلع له فى الحسن و الإحسان أوفر نصيب. لقد أزرى بناظم حلاه فيما تعاطاه التقصير، و انفسح من أعلاه بكل باع قصير، و سفه حلم القائل: إنّ الإنسان عالم صغير، شكرا للدهر على يد أسداها بقلب مزاره، و تحفة ثناء أهداها بمطلع أنواره، على تغاليه فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۱

ادّخار نفائسه، و بخله بنفائس ادّخاره؛ و لا غرو أن يضيق عنّا نطاق الذّكر، و لمّا يتّسع لنا سوار الشكر؛ فقد عمّت هذه الأقطار بما شاءت من تحف، بين تحف و كرامة، و اجتنت أهلها ثمرة الرحلة فى ظلّ الإقامة، و جرى الأمر فى ذلك مجرى الكرامة. ألا و إنّ مفاتحتى لسيدى و معظّمى، حرس اللّه تعالى مجده، و ضاعف سعده! مفاتحة من ظفر من الدهر بمطلوبه، و جرى له القدر على وفق مرغوبه؛ فشرع له إلى أمله بابا، و رفع له من خجله جلبابا، فهو يكلف بالاقتحام، و يأنف من الإحجام، غير أنّ الحصر عن درج قصده يقيّده، فهو يقدم و البصر يبهرج نقده فيقعده؛ فهو يقدّم رجلا و يؤخّر أخرى، و يجدّد عزما ثم لا يتحرّى؛ فإن أبطأ خطابى فلواضح الاعتذار ، و مثلكم لا يقبل حياة الأعذار؛ و اللّه عزّ و جلّ يصل إليكم عوائد الإسعاد و الإسعاف، و يحفظ لكم ما للمجد من جوانب و أكناف، إن شاء اللّه تعالى.

كتب فى العاشر من ربيع الأول عام ثمانية و أربعين و سبعمائة.

دخوله غرناطة: دخل غرناطة غير ما مرّة، منها فى استدعاء شمال الخواصّ من أهل الأقطار الأندلسية، عند إعذار الأمراء فى الدولة اليوسفيّة ، فى شهر شعبان من عام أحد و خمسين و سبعمائة.

شعره: كان مجلّيا، و أنشد فى حلبة الشعراء قصيدة أولها : [الكامل]

أجنان خلد زخرفت أم مصنع؟و العيد عاود أم صنيع يصنع؟

و من شعره : [الكامل]

من لم يشاهد موقفا لفراقلم يدر كيف تولّه العشّاق

إن كنت لم تره فسائل من رأىيخبرك عن ولهى و هول سياقى

من حرّ أنفاس و خفق جوانحو صدوع أكباد و فيض مآقى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۲ دهى الفؤاد فلا لسان ناطقعند الوداع و لا يد متراق

و لقد أشير لمن تكلّف رحلةأن عج علىّ و لو بقدر فواق

علىّ أراجع من ذماى حشاشةأشكو بها بعض الذى أنا لاق

فمضى و لم تعطفه نحوى ذمّةهيهات! لا بقيا على مشتاق

یا صاحبیّ و قد مضی حکم النّوی روحا علیّ بشیمة العشّاق

و استقبلا بی نسمة من أرضکمفلعلّ نفحتها تحلّ و ثاقی

إنی لیشفینی النّسیم إذا سریمتضوّعا من تلکم الآفاق

من مبلغ بالجزع أهل مودّتیأنی علی حکم الصّبابة باق؟

و لئن تحوّل عهد قربهم نویما حلت عن عهدی و لا میثاقی

أنفت خلائقی الکرام لخلّتینسبا إلی الإخلاق و الإخراق

قسما به ما استغرقتنی فکرةإلّا و فکری فیه و استغراقی

لی آهة عند العشیّ لعلّهیصغی لها، و کذا مع الإشراق

أبکی إذا هبّ النسیم فإن تجدبللا به فبدمعی المهراق

أومی بتسلیم إلیه مع الصّبافالذّکر کتبی و الرفاق رفاقی

من لی و قد شحط المزار بنازحأدنی لقلبی من جوی أشواقی

إن غاب عن عینی فمثواه الحشافسراه بین القلب و الأحداق

جارت علیّ ید النّوی بفراقهآها لما جنت النّوی بفراق

أحباب قلبی هل لماضی عیشنا ردّ فینسخ بعدکم بتلاق؟

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۳ أم هل لأثواب التجلّد راقعإذ لیس من داء المحبّة راق

ما غاب کوکب حسنکم عن ناظریإلّا و أمطرت الدّما آماقی

إیه أخیّ أدر علیّ حدیثهم کأسا ذکت عرفا و طیب مذاق

و إذا جنحت لماء او طرب فمندمعی الهموع و قلبی الخفّاق

ذکراه راحی، و الصّبابة حضرتی و الدمع ساقیتی ، و أنت الساقی

فلیله عنّی من لحانی إننیراض بما لاقیته و ألاقی

و قال : [البسیط]

و قفت و الرّکب قد زمّت رکائبهو للنفوس مع النّوی تقطیع

و قد تمایل نحوی للوداع و هللراحل القلب صدر الرّکب تودیع؟

أضمّ منه کما أهوی لغیر نویریحانة فی شذاها الطّیب مجموع

تهفو فأذعر خوفا من تقلّصها إنّ الشّفیق بسوء الظنّ مولوع

هل عند من قد دعا بالبین مقلته أنّ الرّدی منه مرئیّ و مسموع؟

أشیّع القلب من رغم علیّ و مابقاء جسم له للقلب تشییع

أری و شاتی أنّی لست مفتقرا لما جری و صمیم القلب مصروع

الوجد طبع و سلوانی مصانعةهیهات یشکل مصنوع و مطبوع

«إنّ الجدید إذا ما زید فی خلقتبیّن النّاس أنّ الثّوب مرقوع»

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۴

و قال أیضا : [الکامل]

لو لا حیائی من عیون النّرجسللثمت خدّ الورد بین السّندس

و رشفت من ثغر الأقاحة ريقهاو ضممت أعطاف الغصون الميّس

و هتكت أستار الوقار و لم أبل للباقلا تلحظ بطرف أشوس

ما لى و صهباء الدّنان مطارحاسجع القيان مكاشفا وجه المسى

شتّان بين مظاهر و مخاتل‌ثوب الحجا و مطهّر و مدنّس

و مجمجم بالعذل باكرنى بهو الطير أفصح مسعد بتأنّس

نزّهت سمعى عن سفاهة نطقهو أعرته صوتا رخيم الملمس

سفّهت فى العشّاق يوما إن أكن‌ذاك الذى يدعى الفصيح الأخرس

أعذول وجدى ليس عشّك فادرجى و نصيح رشدى بان نصحك فاجلس

هل تبصر الأشجار و الأطيار و الأزهار تلك الخافضات الأرؤس؟

تاللّه و هو ألّيتى و كفى بهقسما يفدّى برّه بالأنفس

ما ذاك من شكو و لا لخلالة لكن سجود مسبّح و مقدّس

شكرا لمن برأ الوجود بجودهفثنى إليه الكلّ وجه المفلس

و سما بساط الأرض فيه فمدّهودحا بسيط الأرض أوثر مجلس

و وشى بأنواع المحاسن هذهو أنار هذى بالجوارى الكنّس

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج١، ص: ١١٥ و أدرّ أخلاف العطاء تطوّلاو أنال فضلا من يطيع و من يسى

حتى إذا انتظم الوجود بنسبةو كساه ثوبى نوره و الحندس

و استكملت كلّ النّفوس كمالهاشفع العطايا بالعطاء الأنفس

بأجلّ هاد للخلائق مرشدو أتمّ نور للخلائق مقبس

بالمصطفى المهدى إلينا رحمةمرمى الرّجاء و مسكة المتيئّس

نعم يضيق الوصف عن إحصائهافلّ الخطيب بها لسان الأوجس

إيه فحدّثنى حديث هواهمما أبعد السّلوان عن قلب الأسى

إن كنت قد أحسنت نعت جمالهمفلقد سها عنى العذول بهم وسى

ما إن دعوك ببلبل إلّا لماقد هجت من بلبال هذى الأنفس

سبحان من صدع الجميع بحمدهو بشكره من ناطق أو أخرس

و امتدّت الأطلال ساجدة لهبجبالها من قائم أو أقعس

فإذا تراجعت الطيور و زايلتأغصانها بان المطيع من المسى

فيقول ذا: سكرت لنغمة منشدو يقول ذا: سجدت لذكر مقدّس

كلّ يفوه بقوله و الحقّ لايخفى على نظر اللّبيب الأكيس

و قال : [الكامل]

زارت على حذر من الرّقباءو الليل ملتحف بفضل رداء

تصل الدّجى بسواد فرع فاحملتزيد ظلماء إلى ظلماء

فوشى بها من وجهها و حليّهابدر الدّجى و كواكب الجوزاء

أهلا بزائرة على خطر السّرىما كنت أرجوها ليوم لقاء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۶ أقسمت لو لا عفّة عذريّةو تقى علىّ له رقيب رائى

لنقعت غلّة لوعتى برضابهاو نضحت ورد خدودها ببكائى

و من ذلك ما قاله أيضا : [الخفيف]

أرسلت ليل شعرها من عقصعن محيّا رمى البدور بنقص

فأرتنا الصباح فى جنح ليليتهادى ما بين غصن و دعص

و تصدّت برامحات نهودأشرعت للأنام من تحت قمص

فتولّت جيوش صبرى انهزاماو بودّى ذاك اللقاء و حرصى

ليس كلّ الذى يفرّ بناجربّ ظعن فيه حياة لشخص

كيف لى بالسّلو عنها و قلبىقد هوى حلمه بمهوى لخرص

ما تعاطيت ظاهر الصّبر إلّاردّنى جيدها بأوضح نصّ

و من ذلك قوله أيضا : [الخفيف]

أنا بين الحياة و الموت وقفنفس خافت و دمع و وكف

حلّ بى من هواك ما ليس ينبىعنه نعت و لا يعبّر وصف

عجبا لانعطاف صدغيك و المعطف و الجيد ثم ما منك عطف

ضاق صدرى بضيق حجلك و استوقف طرفى حيران ذاك الوقف

كيف يرجى فكاك قلب معنّىفى غرام قيداه قرط وشنف

و من ذلك قوله أيضا : [البسيط]

رقّ السّنا ذهبا فى اللّازورديّفالأفق ما بين مرقوم و موشىّ

كأنما الشّهب و الإصباح ينهبهالآلىء سقطت من كفّ زنجىّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۷

و من شعره فى الحكم قوله : [الطويل]

هو الدّهر لا يبقى على عائذ بهفمن شاء عيشا يصطبر لنوائبه

فمن لم يصب فى نفسه فمصابهلفوت أمانيه و فقد حبائبه

و من ذلك قوله : [الوافر]

ملاك الأمر تقوى اللّه، فاجعل‌تقاه عدّة لصلاح أمرك

و بادر نحو طاعته بعزمفما تدرى متى يمضى بعمرك

و من ذلك أيضا : [الوافر]

دماء فوق خدّك أم خلوق ؟و ريق ما بثغرك أم رحيق؟

و ما ابتسمت ثنايا أم أقاحو يكنفها شفاه أم شقيق

و تلك سناة نوم ما تعاطتجفونك أم هى الخمر العتيق

لقد أعدت معاطفك انثناءو قلبى سكره ما إن يفيق

جمالك حضرتى و هواك راحىو كأسك مقلتى فمتى أفيق؟

و من شعره فى الأوصاف : [الخفيف]

أرسل الجوّ ماء ورد رذاذاسمّع الحزن و الدّمائث رشّا

فانثنى حول أسوق الدّوح حجلاو جرى فوق بردة الرّوض رقشا

و سما فى الغصون حلى بنانأصبحت من سلافة الطّل رعشا

فترى الزّهر ترقم الأرض رقماو ترى الريح تنقش الماء نقشا

فكأنّ المياه سيف صقيلو كأنّ البطاح غمد موشّى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۸

و كتب عقب انصرافه من غرناطة فى بعض قدماته عليها ما نصّه : «ممّا قلته بديهة عند الإشراف على جنابكم السعيد، و قدومى مع النّفر الذين أتحفتهم السيادة سيادتكم بالإشراف عليه، و الدخول إليه، و تنعيم الأبصار فى المحاسن المجموعة لديه، و إن كان يوما قد غابت شمسه، و لم يتّفق أن كمل أنسه؛ و أنشده حينئذ بعض من حضر، و لعلّه لم يبلغكم، و إن كان قد بلغكم ففضلكم يحملنى فى إعادة الحديث : [الطويل]

أقول و عين الدّمع نصب عيوننا و لاح لبستان الوزارة جانب

أهذى سماء أم بناء سما به كواكب غضّت عن سناها الكواكب

تناظرت الأشكال منه تقابلاعلى السّعد وسطى عقده و الجنائب

و قد جرت الأمواه فيه مجرّةمذانبها شهب لهنّ ذوائب

و أشرف من علياه بهو تحفّهشماسى زجاج وشيها متناسب

يطلّ على ماء به الآس دائراكما افترّ ثغر أو كما اخضرّ شارب

هنا لك ما شاء العلى من جلالةبها يزدهى بستانها و المراتب

و لما أحضر الطعام هنا لك، دعى شيخنا القاضى أبو البركات إلى الأكل، فاعتذر بأنه صائم، قد بيّته من الليل، فحضرنى أن قلت : [المتقارب]

دعونا الخطيب أبا البركاتلأكل طعام الوزير الأجلّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۱۹ و قد ضمّنا فى نداه جنانبه احتفل الحسن حتى كمل

فأعرض عنّا لعذر الصّيامو ما كلّ عذر له مستقلّ

فإنّ الجنان محلّ الجزاءو ليس الجنان محلّ العمل

و عندما فرغنا من الطعام أنشدت الأبيات شيخنا أبا البركات، فقال : لو أنشدتنيها، و أنتم بعد لم تفرغوا منه لأكلت معكم، برّا بهذه الأبيات، و الحوالة فى ذلك على اللّه تعالى.

و لما قضى اللّه، عزّ و جلّ، بالإدالة، و رجعنا إلى أوطاننا من العدوة، و اشتهر عنى ما اشتهر من الانقباض عن الخدمة، و النّيه على السلطان و الدولة ، و التّكبّر على أعلى رتب الخدمة، و تطارحت على السلطان فى استنجاز وعد الرحلة، و رغبت فى تفويت الذمّة، و نفرت عن الأندلس بالجملة، خاطبنى بعد صدر بلغ من حسن الإشارة، و براعة الاستهلال الغاية، بقوله:

«و إلى هذا يا سيدى، و محلّ تعظيمى و إجلالى، أمتع اللّه تعالى الوجود بطول بقائكم! و ضاعف فى العزّ درجات ارتقائكم! فإنّه من الأمر الذى لم يغب عن رأى المقول ، و لا اختلف فيه أرباب المحسوس و المعقول؛ أنّكم بهذه الجزيرة شمس أفقها، و تاج مفرقها، و واسطة سلكها، و طراز ملكها، و قلادة نحرها، و فريدة دهرها ، و عقد جيدها المنصوص، و كمال زينتها على المعلوم و المخصوص ؛ ثم أنتم مدار أفلاكها، و سرّ سياسة أملاكها، و ترجمان بيانها، و لسان إحسانها، و طبيب مارستانها، و الذى عليه عقد إدارتها، و به قوام

إمارتها؛ فلديه يحلّ المشكل، و إليه يلجأ فى الأمر المعضل؛ فلا غرو أن تتقيّد بكم الأسماع و الأبصار، و تحدّق نحوكم الأذهان و الأفكار؛ و يزجر عنكم السانح و البارح ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۲۰

و يستنبأ ما تطرف عنه العين و تختلج الجوارح، استقراء لمرامكم، و استطلاعا لطالع اعتزامكم، و استكشافا لمرامى سهامكم، لا سيما مع إقامتكم على جناح خفوق، و ظهوركم فى ملتمع بروق، و اضطراب الظّنون فيكم مع الغروب و الشروق؛ حتى تستقرّ بكم الدّار ، و يلقى عصاه التّسيار؛ و له العذر فى ذلك إذ صدعها بفراقكم لم يندمل ، و سرورها بلقائكم لم يكتمل؛ فلم يبر بعد جناحها المهيض ، و لا جمّ ماؤها المغيض، و لا تميّزت من داجيها لياليها البيض؛ و لا استوى نهارها، و لا تألقت أنوارها ، و لا اشتملت نعماؤها، و لا نسيت غمّاؤها؛ بل هى كالنّاقه ، و الحديث العهد بالمكاره، تستشعر نفس العافية، و تتمسّح منكم باليد الشافية؛ فبحنانكم عليها، و عظيم حرمتكم على من لديها، لا تشربوا لها عذب المجاج بالأجاج، و تقنطوها مما عوّدت من طيب المزاج، فما لدائها، و حياة قربكم غير طبّكم من علاج. و إنى ليخطر بخاطرى محبة فيكم، و عناية بما يعنيكم، ما نال جانبكم صانه اللّه بهذا الوطن من الجفاء، ثم أذكر ما نالكم من حسن العهد و كرم الوفاء، و أنّ الوطن إحدى المواطن الأظآر التى يحقّ لهنّ جميل الاحتفاء، و ما يتعلّق بكم من حرمة أولياء القرابة و أولى الصّفاء، فيغلب على ظنى أنكم لحسن العهد أجنح، و بحقّ نفسكم على أوليائكم أسمح، و التى هى أعظم قيمة فى فضائلكم أوهب و أمنح ؛ وهب أنّ الدّرّ لا يحتاج فى الإثباب إلى شهادة النّحور و اللبّات، و الياقوت غنى المكان، عن مظاهرة القلائد و التّيجان؛ أليس أنّه أعلى للعيان، و أبعد عن مكابرة البرهان، تألقها فى تاج الملك أنوشروان؟ و الشمس و إن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۲۱

كانت أمّ الأنوار و جلا الأبصار، مهما أغمى مكانها من الأفق قيل: أليل هو أم نهار؟ و كما فى علمكم ما فارق ذوو الأحلام ، و أولو الأرحام، مواطن استقرارهم، و أماكن قرارهم، إلّا برغمهم و اضطرارهم، و استبدال دار هى خير من دارهم، و متى توازن الأندلس بالمغرب، أو يعوّض عنها إلّا بمكة أو يثرب؟ ما تحت أديمها أشلاء أولياء و عبّاد، و ما فوقه مرابط جهاد، و معاقد ألوية فى سبيل اللّه، و مضارب أوتاد؛ ثم يبوّئ ولده مبوّأ أجداده، و يجمع له بين طرافه و تلاده؛ أعيذ أنظاركم المسدّدة من رأى فائل ، و سعى طويل لم يحل منه بطائل، فحسبكم من هذا الإياب السعيد، و العود الحميد، و هى طويلة.

فأجبته عنها بقولى : [السريع]

لم فى الهوى العذرىّ أو لا تلمفالعذل لا يدخل أسماعى

شأنك تعنيفى و شأنى الهوى كلّ امرئ فى شأنه ساعى

«أهلا بتحفة القادم، و ريحانة المنادم، و ذكرى الهوى المتقادم، لا يصغّر اللّه مسراك! فما أسراك، لقد جلبت إلىّ من همومى ليلا، و جبت خيلا و رجلا و وفّيت من صاع الوفاء كيلا، و ظننت بى الأسف على ما فات، فأعملت الالتفات، لكيلا ، فأقسم لو أنّ الأمر اليوم بيدى، أو كانت اللّمّة السوداء من عددى، ما أفلتّ أشراكى المنصوبة لأمثالك ، حول المياه الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۲۲

و بين المسالك، و لا علمت ما هنا لك، لكنك طرقت حمى كسحته الغارة الشّعواء، و غيّرت ربعه الأنواء، فخمد بعد ارتجاجه، و سكت أذين دجاجه، و تلاعبت الرياح الهوج فوق فجاجه ، و طال عهده بالزّمان الأول، و هل عند رسم دارس من معوّل و حيّا اللّه ندبا إلى زيارتى ندبك، و بآدابه الحكيمة أدّبك: [الوافر]

فكان و قد أفاد بك الأمانى كمن أهدى الشّفاء إلى العليل

و هى شيمة بوركت من شيمة، و هبة اللّه قبله من لدن المشيمة، و من مثله فى صلة رعى، و فضل سعى، و قول و وعى: [مجزوء الخفيف]

قسما بالكواكب الزهر و الزّهر عاتمه

إنما الفضل ملّةختمت بابن خاتمه

كسانى حلّة وصفه ، و قد ذهب زمان التجمّل، و حمّلنى ناهض شكره، و كتدى واه عن التحمّل، و نظرنى بالعين الكليلة عن العيوب فهلّا أجاد التأمّل، و استطلع طلع نثّى ، و والى فى مركب المعجزة حتّى، إِنَّما أَشْكُوا بَثِّى :

[الوافر]

و لو ترك القطا ليلا لناما الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٣

و ما حال شمل و تده مفروق، و قاعدته فروق، و صواع بنى أبيه مسروق، و قلب قرحه من عضّة الدهر دام، و جمرة حسرته ذات احتدام، هذا و قد صارت الصّغرى، التى كانت الكبرى، لمشيب لم يرع أن هجم، لمّا نجم، ثم تهلّل عارضه و انسجم: [الكامل]

لا تجمعى هجرا علىّ و غربةفالهجر فى تلف الغريب سريع

نظرت فإذا الجنب ناب ، و النّفس فريسة ظفر و ناب، و المال أكيلة انتهاب، و العمر رهن ذهاب، و اليد صفر من كل اكتساب، و سوق المعاد مترامية، و اللّه سريع الحساب: [الوافر]

و لو نعطى الخيار لما افترقناو لكن لا خيار مع الزمان

وهب أنّ العمر جديد، و ظلّ الأمن مديد، و رأى الاغتباط بالوطن سديد، فما الحجّة لنفسى إذا مرّت بمطارح جفوتها، و ملاعب هفوتها، و مثاقف قناتها، و مظاهر عزّاها و مناتها، و الزمان ولود، و زناد الكون غير صلود : [الكامل]

و إذا امرؤ لدغته أفعى مرّةتركته حين يجرّ حبل يفرق

ثم أن المرغّب قد ذهب، و الدهر قد استرجع ما وهب، و العارض قد اشتهب، و آراء الاكتساب مرجوحة مرفوضة، و أسماؤه على الجوار مخفوضة، و النّيّة مع اللّه على الزّهد فيما بأيدى الناس معقودة، و التوبة بفضل اللّه عزّ و جلّ شروطها غير معارضة و لا منقودة، و المعاملة سامريّة، و دروع الصبر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٤

سابريّة، و الاقتصاد قد قرّت العين بصحبته، و اللّه قد عوّض حبّ الدنيا بمحبّته، فإذا راجعها مثلى من بعد الفراق، و قد رقى لدغتها ألف راق، و جمعتنى بها الحجرة، ما الذى تكون الأجرة؟ جلّ شانى، و قد رضى الوامق و سخط الشانى، إنى إلى اللّه تعالى مهاجر، و للغرض الأدنى هاجر، و لأظعان السّرى زاجر، لأحد إن شاء اللّه و حاجر، و لكن دعانى إلى الهوى، لهذا المولى المنعم هوى، خلعت نعلى الوجود و ما خلعته، و شوق أمرنى فأطعته، و غالب و اللّه صبرى فما استطعته، و الحال و اللّه أغلب، و عسى أن لا يخيب المطلب؛ فإن يسّره رضاه فأمل كمل، و راحل احتمل، و حاد أشجى النّاقة و الجمل؛ و إن كان خلاف ذلك، فالزمان جمّ العوائق ، و التسليم بمقامى لائق:

[البسيط]

ما بين غمضة عين و انتباهتهايصرّف الأمر من حال إلى حال

و أما تفضيله هذا الوطن على غيره ، ليمن طيره، و عموم خيره، و بركة جهاده، و عمران رباه و وهاده، بأشلاء عبّاده و زهّاده ، حتى لا يفضله إلّا أحد الحرمين، فحقّ برىء من المين، لكنّى للحرمين جنحت، و فى جوّ الشوق إليهما سرحت ، فقد أفضت إلى طريق قصدى محجّته، و نصرتنى و المنّة للّه حجّته، و قصد سيدى أسنى قصد، توخّاه الشكر و الحمد، و معروف عرف به النّكر، و أمل انتحاه الفكر، و الآمال و الحمد للّه بعد تمتار، و اللّه يخلق ما يشاء و يختار، و دعاؤه يظهر الغيب مدد، و عدّة و عدد، و برّه حالى الظّعن الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ١ ؛ ص١٢۴

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٢٥

و الإقامة معتمل معتمد ، و مجال المعرفة بفضله لا يحصره أحد ، و السلام ».

و هو الآن بقيد الحياة، و ذلك ثانى عشر شعبان عام سبعين و سبعمائة.

أحمد بن عباس بن أبى زكريا

و يقال ابن زكريا. ثبت بخط ابن التّيانى، أنصارىّ النسب، يكنى أبا جعفر.

حاله: كان كاتبا حسن الكتابة، بارع الخطّ فصيحا، غزير الأدب، قوى المعرفة، شارعا فى الفقه، مشاركا فى العلوم، حاضر الجواب، ذكىّ الخاطر، جامعا للأدوات السلطانية ، جميل الوجه، حسن الخلقة، كلفا بالأدب، مؤثرا له على سائر لذّاته، جامعا للدواوين العلمية، معنيا بها، مقتنيا للجيّد منها، مغاليا فيها، نفّاعا من خصّه بها ، و لا يستخرج منها شيئا، لفرط بخله بها، إلّا لسبيلها، حتى لقد أثرى كثير من الورّاقين و التجّار معه فيها، و جمع منها ما لم يكن عند ملك.

يساره: يقال إنه لم يجتمع عند أحد من نظرائه ما اجتمع عنده من عين و ورق و دفاتر و خرق، و آنية، و متاع و أثاث و كراع.

مشيخته: روى عن أبى تمام غالب التّيانى، و أبى عبد اللّه بن صاحب الأحباس.

نباهته و حظوته: وزر لزهير العامرىّ الآتى ذكره، وارثا الوزارة عن أبيه، و هى ما هى فى قطر متحرّ بينابيع السّخيلة، وثرّ بهذه الأمنة مستندا إلى قعساء العزّة، فتبنّك نعيما كثيرا، تجاوز اللّه عنه.

دخوله غرناطة: الذى اتصل علمى أنه دخل غرناطة منكوبا حسبما يتقرّر.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۲۶

نكبته: زعموا أنه كان أقوى الأسباب فيما وقع بين أميره زهير، و بين باديس أمير غرناطة، من المفاسدة، و فصل صحبه إلى وقم باديس و قبيله، و حطّه فى حيّز هواه و طاعته، و كان ما شاء اللّه من استيلاء باديس على جملتهم، و وضع سيوف قومه فيهم، و قتل زهير، و استئصال محلّته؛ و قبض يومئذ على أحمد بن عباس، وجىء به إلى باديس، و صدره يغلى حقدا عليه، فأمر بحبسه، و شفاؤه الولوغ فى دمه، و عجل عليه بعد دون أصحابه من حملة الأقلام. قال ابن حيان : حديث ابن عباس أنه كان قد ولع ببيت شعر صيّره هجواه أوقات لعبه بالشطرنج، أو معنى يسنح له مستطيلا بجدّه: [المتقارب]

عيون الحوادث عنّى نيامو هضمى على الدهر شىء حرام

و شاع بيته هذا عند الناس، و غاظهم، حتى قلب له مصراعه بعض الشعراء فقال:

«سيوقظها قدر لا ينام» فما كان إلّا «كلا» و «لا» حتى تنبّهت الحوادث لهضمه، انتباهة انتزعت منه نخوته و عزّته، و غادرته أسيرا ذليلا يرسف فى وزن أربعين رطلا من قيده، منزعجا من عضّه لساقه البضّة، التى تألمت من ضغطة جوربه، يوم أصبح فيه أميرا مطاعا، أعتى الخلق على بابه، و آمنهم بمكره، فأخذه أخذ مليك مقتدر، و اللّه غالب على أمره.

وفاته: قال أبو مروان : كان باديس قد أرجأ قتله مع جماعة من الأسرى، و بذل فى فداء نفسه ثلاثين ألف دينار من الذّهب العين، مالت إليها نفس باديس إلّا أنه عرض ذلك على أخيه بلكّين، فأنف منه، و أشار عليه بقتله، لتوقعه إثارة فتنة أخرى على يديه، تأكل من ماله أضعاف فديته. قال: فانصرف يوما من بعض ركباته مع أخيه ، فلمّا توسّط الدار التى فيها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۲۷

أحمد بقصبة غرناطة، لصق القصر، وقف هو و أخوه بلكّين، و حاجبه على بن القروى، و أمر بإخراج أحمد إليه، فأقبل يرسف فى قيده حتى وقف بين يديه، فأقبل على سبّه و تبكيته بذنوبه، و أحمد يتلطّف إليه، و يسأله إراحته مما هو فيه، فقال له: «اليوم تستريح من هذا الألم، و تنتقل إلى ما هو أشدّ»؛ و جعل يراطن أخاه بالبربرية ، فبان لأحمد وجه الموت، فجعل يكثر الضّراعة، و يضاعف عدد المال، فأثار غضبه، و هزّ مزراقه ، و أخرجه من صدره؛ فاستغاث اللّه،- زعموا-، عند ذلك، و ذكر أولاده و حرمه؛ للحين أمر باديس بحزّ رأسه و رمى خارج القصر.

حدّث خادم باديس، قال : رأيت جسد ابن عباس ثانى يوم قتله ، ثم قال لى باديس: خذ رأسه و واره مع جسده؛ قال : فنبشت قبره ، و أضفته إلى جسده، بجنب أبى الفتوح قتيل باديس أيضا. و قال لى باديس : ضع عدوّا إلى جنب عدو، إلى يوم القصاص؛ فكان قتل أبى جعفر عشيّة الحادى و العشرين من ذى حجة سنة سبع و عشرين و أربعمائة ، بعد اثنين و خمسين يوما من أسره. و كان يوم مات ابن ثلاثين، نفعه اللّه و رحمه.

أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطيّة القضاعى

من أهل مرّاكش، و أصله القديم من طرطوشة ثم بعد من دانية، يكنى أبا جعفر.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۲۸

حاله: كان كاتبا بليغا، سهل المأخذ، منقاد القريحة، سيّال الطبع.

مشيخته: أخذ عن أبيه، و عن طائفة كبيرة من أهل مراكش.

نباهته: كتب عن على بن يوسف بن تاشفين، و عن ابنه تاشفين، و عن أبى إسحاق، و كان أحظى كتّابهم. ثم لمّا انقطعت دولة لمتونة، دخل فى لفيف الناس، و أخفى نفسه. و لمّا أثار الماسى الهداية بالسوس، و رمى الموحّدين بحجرهم الذى رموا به البلاد، و أعيا أمره، و هزم جيوشهم التى جهّزوها إليه و انتدب منهم إلى ملاقاته، أبو حفص عمر بن يحيى الهنتائى، فى جيش خشن من فرسان و رجّالة، كان أبو جعفر بن عطية، من الرّجالة، مرتسما بالرماية، و التقى الجمعان، فهزم جيش الماسى، و ظهر عليه الموحّدون. و قتل الدّعى المذكور، و عظم موقع الفتح عند الأمير الغالب يومئذ أبو حفص عمر، فأراد إعلام الخليفة عبد المؤمن، بما سناه اللّه، فلم يلق فى جميع من استصحبه من يجلى عنه، و يوفى ما أراده، فذكر له أن فتى من الرّماة يخاطر بشىء من الأدب و الأشعار و الرسائل فاستحضره، و عرض عليه غرضه، فتجاهل و ظاهر بالعجز، فلم يقبل عذره، و اشتدّ عليه، فكتب رسالة فائقة مشهورة، فلمّا فرغ منها و قرأها عليه اشتدّ إعجابه بها و أحسن إليه، و اعتنى به، و اعتقد أنه ذخر يتحف به عبد المؤمن، و أنفذ الرسالة، فلمّا قرئت بمحضر أكابر الدولة، عظم مقدارها، و نبه فضل منشئها، و صدر الجواب و من فصوله الاعتناء بكاتبها، و الإحسان إليه، و استصحابه مكرّما. و لما أدخل على عبد المؤمن سأله عن نفسه، و أحظاه لديه و قلّده خطّة الكتابة، و أسند إليه وزارته، و فوّض إليه النظر فى أموره كلها؛ فنهض بأعباء ما فوّض إليه، و ظهر فيه استقلاله و غناؤه، و اشتهر بأجمل السّعى للناس و استمالتهم بالإحسان و عمّت صنائعه ، و فشا معروفه، فكان محمود السّيرة، منحب المحاولات، ناجح المساعى، سعيد المأخذ، ميسّر المآرب، و كانت وزارته زينا للوقت، كمالا للدولة.

محنته: قالوا: و استمرّت حالته إلى أن بلغ الخليفة عبد المؤمن أن النصارى غزوا قصبة ألمرية، و تحصّنوا بها؛ و اقترن بذلك تقديم ابنه يعقوب على إشبيلية،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۲۹

فأصحبه أبا جعفر بن عطية، و أمره أن يتوجّه بعد استقرار ولده بها إلى ألمرية؛ و قد تقدّم إليها السيد أبو سعيد بن عبد المؤمن، و حصر من بها النصارى، و ضيّق عليهم، ليحاول أمر إنزالهم، ثم يعود إلى إشبيلية، و يتوجّه منها مع و اليها، إلى منازلة الثائر بها على الوهيبى؛ فعمل على ما حاوله من ذلك؛ و استنزل النصارى من ألمريّة على العهد بحسن محاولته، و رجع السيد أبو سعيد إلى غرناطة، مزعجين إليها، حتى يسبقا جيش الطاغية؛ ثم انصرف إلى إشبيلية ليقضى الغرض من أمر الوهيبى. فعندما خلا منه الجوّ، و من الخليفة مكانه، وجدت حسّاده السبيل إلى التدبير عليه، و السعى به، حتى أو غروا صدر الخليفة؛ فاستوزر عبد المؤمن ابن عبد السلام بن محمد الكومى. و انبرى لمطالبة ابن عطية، و جدّ فى التماس عوراته، و تشنيع سقطاته، و أغرى به صنائعه، و شحن عليه حاشيته، فبرّوا و راشوا و انقلبوا، و كان مما نقم على أبى جعفر، نكاة القرح بالقرح، فى كونه لم يقف فى اصطناع العدد الكثير من اللمتونيين، و انتياشهم من خمولهم، حتى تزوج بنت يحيى الحمار من أمرائهم؛ و كانت أمها زينب بنت على بن يوسف، فوجدوا السّبيل بذلك إلى استئصال

شأفته و الحكام، حتى نظم منهم مروان بن عبد العزيز، طليقه و مسترقّ اصطناعه، أبياتا طرحت بمجلس عبد المؤمن : [البسيط]

قل للإمام أطال اللّه مدّتهقولا تبين لذى لبّ حقائقه

إنّ الزراجين قوم قد وترتهمو طالب الثأر لم تؤمن بوائقه

و للوزير إلى آرائهم ميللذاك ما كثرت فيهم علائقه

فبادر الحزم فى إطفاء نارهم فربما عاق عن أمر عوائقه

هم العدوّ و من والاهم كهمفاحذر عدوّك و احذر من يصادقه

اللّه يعلم أنى ناصح لكمو الحقّ أبلج لا تخفى طرائقه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۰

قالوا: و لمّا وقف عبد المؤمن على هذه الأبيات البليغة فى معناها وغر صدره على وزيره الفاضل أبى جعفر، و أسرّ له فى نفسه تغيّرا، فكان ذلك من أسباب نكبته. و قيل: أفضى إليه بسرّ فأفشاه، و انتهى ذلك كله إلى أبى جعفر و هو بالأندلس، فقلق و عجّل بالانصراف إلى مرّاكش، فحجب عند قدومه، ثم قيد إلى المسجد فى اليوم الثانى بعده، حاسر العمامة، و استحضر الناس على طبقاتهم، و قرّروا ما يعلمون من أمره، و ما صار إليهم منه ، فأجاب كلّ بما اقتضاه هواه، فأمر بسجنه، ولفّ معه أخوه أبو عقيل عطية، و توجّه عبد المؤمن فى إثر ذلك زائرا إلى تربة المهدى ، فاستصحبهما منكوبين بحال ثقاف.

و صدرت عن أبى جعفر فى هذه الحركة، من لطائف الأدب، نظما و نثرا فى سبيل التوسّل بتربة إمامهم ، عجائب لم تجد ، مع نفوذ قدر اللّه فيه. و لما انصرف من وجهته أعادهما معه، قافلا إلى مراكش، فلما حاذى تاقمرت، أنفذ الأمر بقتلهما، بالشّعراء المتّصلة بالحصن على مقربة من الملّاحة هنالك، فمضيا لسبيلهما، رحمهما اللّه .

شعره و كتابته: كان ممّا خاطب به الخليفة عبد المؤمن مستعطفا كما قلناه من رسالة:

«تاللّه لو أحاطت بى خطيئة، و لم تنفكّ نفسى عن الخيرات بطيئة، حتى سخرت بمن فى الوجود، و أنفت لآدم من السجود، و قلت: إن اللّه لم يوح إلى الفلك إلى نوح، و بريت لقرار ثمود نبلا، و أبرمت لحطب نار الخليل حبلا، و حططت عن يونس شجرة اليقطين، و أوقدت مع هامان على الطين، و قبضت قبضة من الطّير من أثر الرسول فنبذتها؛ و افتريت على العذراء البتول فقذفتها؛ و كتبت صحيفة القطيعة بدار الندوة، و ظاهرت الأحزاب بالقصوى من العدوة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۱

و ذممت كل قرشى، و أكرمت لأجل وحشى كلّ حبشى، و قلت إن بيعة السّقيفة لا توجب لإمام خليفة، و شحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبة، و اعتقلت من حصار الدار و قتل أشمطها بشعبة، و غادرت الوجه من الهامة خضيبا، و ناولت من قرع سنّ الخمسين قضيبا، ثم أتيت حضرة المعصوم لائذا، و بقبر الإمام المهدىّ عائذا. لقد آن لمقالتى أن تسمع، و أن تغفر لى هذه الخطيئات أجمع:

[الطويل]

فعفوا أمير المؤمنين فمن لنابحمل قلوب هدّها الخفقان

[و كتب مع ابن له صغير آخرة] : [البسيط]

عطفا علينا أمير المؤمنين، فقدبان العزاء لفرط البثّ و الحزن

قد أغرقتنا ذنوب كلّها لججو عطفة منكم أنجى من السّفن

و صادفتنا سهام كلّها غرضلها و رحمتكم أوقى من الجنن

هيهات للخطب أن تسطو حوادثهبمن أجارته رحماكم من المحن

من جاء عندكم يسعى على ثقةبنصره لم يخف بطشا من الزمن

فالثوب يطهر بعد الغسل من درنو الطّرف ينهض بعد الرّكض من وسن

أنتم بذلتم حياة الخلق كلّهممن دون منّ عليهم لا و لا ثمن

و نحن من بعض من أحيت مكارمكم تلك الحياتين من نفس و من بدن

و صبية كفراخ الورق من صغرلم يألفوا النّوح فى فرع و لا فنن

قد أوجدتهم أياد منك سابغة و الكلّ لولاك لم يوجد و لم يكن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۲

و من فصول رسالته التى كتب بها عن أبى حفص، و هى التى أورثته الكتابة العليّة و الوزارة كما تقدم قوله :

«كتبنا هذا من وادى ماسة بعد ما تزحزح أمر اللّه الكريم، و نصر اللّه المعلوم وَ مَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ فتح بمسرى الأنوار إشراقا، و أحدق بنفوس المؤمنين إحداقا، و نبّه للأمانى النّائمة جفونا و أحداقا، و استغرق غاية الشكر استغراقا، فلا تطيق الألسن كنه وصفه إدراكا و لا لحاقا؛ جمع أشتات الطبّ و الأدب، و تقلّب فى النعم أكرم منقلب، و ملأ دلاء الأمل إلى عقد الكرب : [البسيط]

فتح تفتّح أبواب السماء لهو تبرز الأرض فى أثوابها القشب

و تقدّمت بشارتنا به جملة، حين لم تعط الحال بشرحه مهلة. كان أولئك الضالّون المرتدّون قد بطروا عدوانا و ظلما، و اقتطعوا الكفر معنى و اسما، و أملى لهم اللّه ليزدادوا إثما؛ و كان مقدّمهم الشّقى قد استمال النفوس بخزعبلاته، و استهوى القلوب بمهولاته، و نصب له الشيطان من حبالاته، فأتته المخاطبة من بعد و كثب، و نسلت إليه الرسل من كل حدب، و اعتقدته الخواطر أعجب عجب؛ و كان الذى قادهم لذلك ، و أوردهم تلك المهالك، وصول من بتلك السواحل، ممّن ارتسم برسم الانقطاع عن الناس، فيما سلف من الأعوام، و اشتغل على رغمه بالصيام و القيام، آناء الليل و الأيام، لبسوا الناموس أثوابا، و تدرّعوا الرياء جلبابا، فلم يفتح اللّه لهم إلى التوفيق بابا».

و منها فى ذكر صاحبهم :

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۳

«فصرع و الحمد للّه لحينه، و بادرت إليه بوادر منونه، و أتته وافدات الخطيئات عن يساره، و يمينه، و كان يدّعى أن المتيّة فى هذه الأعوام لا تصيبه، و يزعم أنه يبشّر بذلك و النوائب لا تنوبه؛ و يقول فى سواه قولا كثيرا، و يختلق على اللّه إفكا و زورا؛ فلما عاينوا هيئة اضطجاعه، و رأوا ما خطّته الأسنة فى أعضائه ، و نفذ فيه من أمر اللّه ما لم يقدروا على استرجاعه؛ هزم لهم من كان لهم من الأحزاب، و تساقطوا على وجوههم كتساقط الذّباب، و أعطوا عن بكرة أبيهم صفحة الرّقاب، و لم تقطر كلومهم إلّا على الأعقاب ؛ فامتلأت تلك الجهات بأجسادهم، و أذنت الآجال بانقراض آمالهم ، و أخذهم اللّه بكفرهم و فسادهم؛ فلم يعاين منهم إلّا من خرّ صريعا، و سقى الأرض نجيعا ، و لقى من وقع الهنديّات أمرا فظيعا؛ و دعت الضرورة باقيهم إلى التّرامى فى الوادى، فمن كان يؤمل الفرار منهم و يرتجيه، و يسبح طامعا فى الخروج إلى ما ينجيه، اختطفته الأسنّة اختطافا، و أذاقته موتا ذعافا ؛ و من لجّ فى الترامى على لججه، و رام البقاء فى ثجّه ، قضى عليه شرقه، و ألوى فرقته غرقه. و دخل الموحّدون إلى الباقية الكائنة فيه، يتناولون قتالهم طعنا و حربا ، و يلقونهم بأمر اللّه هونا عظيما و كربا، حتى سطت مراقات الدماء على صفحات الماء، و حكت حمرتها على زرقه حمرة الشّفق على زرق السماء؛ و ظهرت العبرة للمعتبر، فى جرى الدماء جرى الأبحر».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۴

دخوله غرناطة: احتلّ بغرناطة عام أحد و خمسين و خمسمائة، لما استدعى أهل جهات ألمريّة، السيّد أبا سعيد إلى منازلة من بها النصارى؛ وحشد، و نزل عليها، و نصب المجانيق على قصبتها، و استصرخ من بها الطاغية ، فأقبل إلى نصرهم؛ و استمدّ السيد أبو سعيد الخليفة، فوجّه إليه الكبير أبا جعفر بن عطية صحبة السيد أبى يعقوب ابنه، فلحق به، و اتّصل الحصار شهورا سبعة، و بذل الأمن لمن

كان بها، و عادت إلى ملكة الإسلام، و انصرف الوزير أبو جعفر صحبة السيد أبى يعقوب إلى إشبيلية، و جرت أثناء هذه أمور يطول شرحها؛ ففى أثناء هذه الحركة دخل أبو جعفر غرناطة، و عدّ فيمن ورد عليها.

مولده: بمرّاكش عام سبعة و عشرين و خمسمائة .

وفاته: على حسب ما تقدّم ذكره، لليلة بقيت من صفر سنة ثلاث و خمسين و خمسمائة .

أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى

من أهل فاس، يكنى أبا العباس، و يعرف بابن شعيب من كريانة، قبيلة من قبائل الرّيف الغربى.

حاله: من «عائد الصّلة»: من أهل المعرفة بصناعة الطب، و تدقيق النظر فيها، مشاركا فى الفنون، و خصوصا فى علم الأدب، حافظا للشعر؛ ذكر أنه حفظ منه عشرين ألف بيت للمحدثين، و الغالب عليه العلوم الفلسفية، و قد مقت لذلك، و تهتّك فى علم الكيمياء، و خلع فيه العذار، فلم يحل بطائل، إلّا أنه كان تفوّه بالوصول شنشنة المفتونين بها على مدى الدهر. و له شعر رائق، و كتابة حسنة، و خط ظريف.

كتب فى ديوان سلطان المغرب مرئسا، و تسرّى جارية روميّة اسمها صبح، من أجمل الجوارى حسنا، فأدّبها حتى لقّنت حظّا من العربية، و نظمت الشعر، و كان شديد الغرام بها، فهلكت أشدّ ما كان حبّا لها، و امتداد أمل فيها، فكان بعد وفاتها لا يرى إلّا فى تأوّه دائم، و أسف متماد، و له فيها أشعار بديعة فى غرض الرّثاء.

مشيخته: قرأ فى بلده فاس على كثير من شيوخها، كالأستاذ أبى عبد اللّه بن أجروم نزيل فاس، و الأستاذ أبى عبد اللّه بن رشيد، و وصل إلى تونس، فأخذ منها الطبّ و الهيئة على الشيخ رحلة وقته فى تلك الفنون، يعقوب بن الدرّاس.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۵

و كان مما خاطب به الشيخ أبا جعفر بن صفوان، و قد نشأت بينهما صداقة أوجبها القدر المشترك من الولوع بالصّنعة المرموزة، يتشوّق إلى جهة كانوا يخلون بها للشيخ فيها ضيعة بخارج مالقة كلأها اللّه: [المتقارب]

رعى اللّه وادى شنيانةو تلك الغدايا و تلك اللّيالى

و مسرحنا بين خضر الغصونو ودق المياه و سحر الظّلال

و مرتعنا تحت أدواحهو مكرعنا فى النّمير الزّلال

نشاهد منها كعرض الحسامإذا ما انتشت فوقه كالعوالى

و للّه من درّ حصبائهلآل و أحسن بها من لآل

و ليل به فى ستور الغصونكخود ترنّم فوق الحجال

و أسحاره كيف راقت وصحّ النسيم بها فى اعتدال

و للّه منك أبا جعفرعميد الحلال حميد الخلال

تطارحنى برموز الكنوزو تسفر لى عن معانى المعالى

و تبدلنى فى شجون الحديثو يا طيبة كلّ سحر حلال

فألقط من فيك سحر البيانمجيبا به عن عريض النّوال

أفدت الذى دونها معشركثير المقال قليل النّوال

فأصبحت لا أبتغى بعدهاسواك و بعدكما لا أبالى

و خاطب الفقيه العالم أبا جعفر بن صفوان يسأله عن شىء من علم الصناعة بما نصّه: [الكامل]

دار الهوى نجد و ساكنهاأقصى أمانى النفس من نجد

و ممّا صدّر به رسالة: [الطويل]

أ يجمع هذا الشّمل بعد شتاته؟و يوصل هذا الحبل بعد انبتاته؟

أما للبلى آية عيسويّةفينشر ميّت الأنس بعد مماته؟

و يورد عينى بعد ملح مدامعىبرؤيته فى عذبه و فراته؟

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۶

و أنشد له صاحبنا الجليل صاحب العلّامة بالمغرب، أبو القاسم بن صفوان قوله: [المنسرح]

يا ربّ ظبى شعاره نسكألحاظه فى الورى لها فتك

يترك من هام به مكتئبالا تعجبوا أن قومه التّرك

أشكو له ما لقيت من حرقفيمشين لاهيا إذا أشكو

صبرت حتى أطلّ عارضهفكان صبرى ختامه مسك

و من المعاتبة و الفكاهة قوله: [السريع]

و بائع للكتب يبتاعهابأرخص السّوم و أغلاه

فى نصف الاستذكار أعطيته و محّض العين و أرضاه و له أيضا: [الكامل]

يا من توعّدنى بحادث هجرهإنّ السّلوّ لدون ما يتوعّد

هذا عذارك و هو موضع سلوتىفأكفف فقد سبق الوعيد الموعد

و أظنّ سلوتنا غدا أو بعدهفبذاك خبّرنا الغراب الأسود

و له أيضا: [الكامل]

قال العذول تنقّصا لجمالههذا حبيبك قد أطلّ عذاره

لا بل بدا فصل الربيع بخدّهفلذا تساوى ليله و نهاره

و له يرثى: [مجزوء الكامل]

يا قبر صبح، حلّ فيك بمهجتى أسنى الأمانى

و غدوت بعد عيانهاأشهى البقاع إلى العيان

أخشى المتيّة إنهاتقصى مكانك عن مكانى

كم بين مقبور بفاس و قابر بالقيروان

و له أيضا يرثيها: [الكامل]

يا صاحب القبر الذى أعلامهدرست و ثابت حبّه لم يدرس

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۷ ما اليأس منك على التصبّر حاملىأيأستنى فكأننى لم أيأس

لمّا ذهبت بكلّ حسن أصبحتنفسى تعانى شجو كلّ الأنفس

أصباح أيّامى ليال كلّهالا تنجلى عن صبحك المتنفّس

و قال فى ذلك: [مجزوء الكامل]

أعلمت ما صنع الفراق غداة جدّ به الرّفاق؟

و وقفت منهم حيث للنظرات و الدمع استباق

سبقت مطاياهم فماأبطا بنفسك فى السباق

أ أطقت حمل صدودهم‌للبين خطب لا يطاق

عن ذات عرق أصعدواأ تقول دارهم العراق

نزلوا ببرقة ثمهدفلذاك ما شئت البراق

و تيامنوا عسفان أن‌يقفوا بمجتمع الرّفاق

ما ضرّهم و هم المنى‌لو وافقوا بعض الوفاق

قالوا تفرّقنا غدافشغلت عن وعد التّلاق

عمدا رأوا قتل العميد فكان عيشك فى اتّفاق

أولى لجسمك أن يرقّو دمع عينك أن يراق

أمّا الفؤاد فعندهم‌دعه و دعوى الاشتياق

أعتاد حبّ محلهم‌فمحلّ صدرك عنه ضاق

واها لسالفة الشباب مضت بأيامى الرقاق

أبقت حرارة لوعة‌بين الترائب و التّراق

لا تنطفى و ورودهامن أدمعى كأس دهاق

و قال أيضا: [الكامل]

يا موحشى و البعد دون لقائه‌أدعوك عن شحط و إن لم تسمع

يدنيك منى الشوق حتى إننى‌لأراك رأى العين لو لا أدمعى

و أحنّ شوقا للنّسيم إذا سرى‌لحديثكم و أصيح كالمستطلع

كان اللّقاء فكان حظّى ناظرى‌وسط الفراق فصار حظّى مسمعى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۸ فابعث خيالك تهده نار الحشاإن كان يجهل من مقامى موضعى

و اصحبه من نومى بتحفة قادم‌فصدى فليل ركابكم لم تجمع

دخوله غرناطة: دخل غرناطة على عهد السابع من ملوكها الأمير محمد لقرب من ولايته فى بعض شؤونه؛ و حقّق بها تغيير أمر الأدوية المنفردة التى يتشوّف الطّيب إليها و الشحرور، و هى بقرية شون من خارجها.

وفاته: رحمه اللّه، توفى بتونس فى يوم عيد الأضحى من سنة تسع و أربعين و سبعمائة.

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن محمد بن حسين بن على بن سليمان بن عرفة اللخمى

الفقيه، الرئيس، المتفنّن، حامل راية مذهب الشعر فى وقته، المشار إليه بالبنان فى ذلك ببلده، يكنى أبا العباس.

حاله: كان فذّا فى الأدب، طرفا فى الإدراك، مهذب الشمائل، ذلق اللسان، ممتع المجالسة و المحاضرة، حلو الفكاهة، يرمى كل غرض بسهم، إلى شرف النشأة و عزّ المرتبة، و كرم المحتد، و أصالة الرياسة.

حدّثنى الشيخ أبو زكريا بن هذيل، قال: حضرت بمجلس ذى الوزارتين أبى عبد اللّه بن الحكيم، و أبو العباس بدر هالته، و قطب جلالته، فلم يحر بشىء إلّا ركض فيه، و تكلّم بملء فيه. ثم قمنا إلى زبّارين يصلحون شجرة عنب، فقال لعريفهم: حقّ هذا أن يقصر، و يطال هذا، و يعمل كذا. فقال الوزير: يا أبا العباس، ما تركت لهؤلاء أيضا حظّا من صناعتهم، يستحقّون به الأجرة، فعجبنا من استحضاره، و وساعة ذرعه، و امتداد حظّ كفايته.

قدومه على غرناطة: قدم عليها مع الجملة من قومه عند تغلب الدولة النصرية على بلدهم، و نزول البلاء و الغلاء و المحنة بهم، و الجلاء بهم فى آخر عام خمسة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۳۹

و سبعمائة، و يأتى التعريف بهم بعد إن شاء اللّه. و كان أوفر الدواعى فى الاستعطاف لهم بما تقدّم بين يدى أدعيائهم، و دخولهم على السلطان، أن الذى تنخل بمثله السّخائم، و تذهب الإحن. و خطب لنفسه، فاستمرت حاله لطيف المنزلة، معروف المكانة، ملازما مجلس مدبّر الدولة، مرسوما بصداقته، مشتملا عليه ببرّه، إلى أن كان من تقلّب الحال، و إدالة الدولة، ما كان.

شعره: و شعره نمط عال، و محلّ البراعة حال، لطيف الهبوب، غزير المائية، أنيق الديباجة، جمّ المحاسن؛ فمنه فى مذهب المدح، يخاطب ذا الوزارتين أبا عبد اللّه بن الحكيم : [الكامل]

ملّكت رقّى بالجمال فأجملو حكمت فى قلبى بجورك فاعدل

أنت الأمير على الملاح و من يجرفى حكمه إلّا جفونك يعزل

إن قيل أنت البدر فالفضل الذىلك بالكمال و نقصه لم يجهل

لو لا الحظوظ لكنت أنت مكانهو لكان دونك فى الحضيض الأسفل

عيناك نازلتا القلوب فكلّهاإما جريح أو مصاب المقتل

هزّت ظباها بعد كسر جفونهافأصيب قلبى فى الرّعيل الأول

ما زلت أعذل فى هواك و لم يزلسمعى عن العذّال فيك بمعزل

أصبحت فى شغل بحبك شاغلعن أن أصيخ إلى كلام العذّل

لم أهمل الكتمان لكن أدمعىهملت و لو لم تعصنى لم تهمل

جمع الصحيحين الوفاء مع الهوىقلبى و أملى الدّمع كشف المشكل

ما فى الجنوب و لا الشمال جواب ماأهدى إليك مع الصّبا و الشّمال

خلسا له من طيب عرفك نفحةتجىء بها دماء عليلها المتعلل

إن كنت بعدى حلت عمّا لم أحلعنه و أهملت الذى لم أهمل

أو حالت الأحوال فاستبدلت بىفإنّ حبى فيك لم يستبدل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴۰ لا قيت بعدك ما لو أنّ أقلّهلاقى الثرى لأذاب صمّ الجندل

و حملت فى حبّك ما لو حمّلتشمّ الجبال أخفّه لم تحمل

من حيف دهر بالحوادث مقدمحتى على حبس الهزبر المشبل

قد كنت منه قبل كرّ صروفهفوق السّنام فصرت تحت الكلكل

و نصول شيب قد ألمّ بلمّتىو خضاب أبى شيبة لم تنصل

ينوى الإقامة ما بقيت و أقسمتلا تنزل اللذات ما لم يرحل

و مسير ظعن و دان حميمهلاقى الحمام و إنّه لم يفعل

يطوى على جسدى الضلوع فقلبهبأواره يغلى كغلى المرجل

فى صدره ما ليس فى صدرى لهمن مثله مثقال حبّة خردل

أعرضت عنه و لو أشفّ لذمّهشعرى لجرّعه نقيع الحنظل

جلّيت فى حلبات سبق لم يكنفيها مرتاح و لا بمؤمّل

ما ضرّه سبقيه فى زمن مضىأنّ المجلّى فيه دون الفسكل

ساءته منّى عجرفيّة قلّبباق على مرّ الحوادث حوّل

متحرّق فى البذل مدّة سيرهمتجلّد فى عسره متجمّل

حتى يثوب له الغنى من ماجدبقضاء حاجات الكرام موكّل

مثل الوزير ابن الحكيم و ما لهمثل يقوم مقامه متمثّل

ساد الورى بحديثه و قديمهفى الحال و الماضى و فى المستقبل

من بيت مجد قد سمعت بقبابهأقيال لخم فى الزمان الأوّل

سامى الدعائم طال بيت وزارةو مشاجع و أبى الفوارس نهشل

يلقى الوفود ببسط وجه مشرقتجلو طلاقته هموم المجتلى

فلآملى جدواه حول فنائهلقط القطا الأسراب حول المنهل

و إذا نحى بالعدل فصل قضيةلم تحظ فصلا من إطالة مفصل

يقضى على سخب الخصوم و شغبهمو يقيم مغريهم مقام المؤمل

و يلقّن الحج العيىّ تحرّجامن رامح عند اللّجاج و أعزل

فإذا قضى صور المحقّ بحقّهعنه و حلّق عقابه بالمبطل

عجل على من يستحقّ مثوبةفإذا استحقّ عقوبة لم يعجل

يا كافى الإسلام كلّ عظيمةو معيده غضّا كأن لم يذبل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۴۱

و قال أيضا يمدحه بقصيدة من مطوّلاته: و إنما اجتلبت من مدحه للوزير ابن الحكيم لكونه يمدح أديبا ناقدا، و بليغا بالكلام بصيرا، و الإجادة تلزم فيه منظومه، إذ لا يوسع القريحة فيه عذرا، و لا يقبل من الطّمع قدرا، و هى:

[الكامل]

أما الرّسوم فلم ترقّ لما بىو استعجمت عن أن تردّ جوابى

و استبدلت بوحوشها من أنسبيض الوجوه كواعب أتراب

و لقد وقفت بها أرقرق عبرةحتى اشتكى طول الوقوف صحابى

يبكى لطول بكاى فى عرصاتهاصحبى و رجّعت الحنين ركابى

و من شعره فى المقطوعات غير المطوّلات: [مجزوء البسيط]

لم يبق ذو عين لم يسبهوجهك من زين بلا مين

فلاح بينهما طالعاكأنه قمر بلا مين

و من ذلك قوله: [البسيط]

كأنما الخال مصباح بوجنتههبّت عواصف أنفاسى فعطف

أو نقطة قطرت فى الخدّ إذ رسمتخطّ الجمال بخطّ اللّام و الألف

و من ذلك قوله: [المنسرح]

و عدتنى أن تزور يا أملىفلم أزل للطريق مرتقبا

حتى إذا الشمس للغروب دنتو صيّرت من لجينها ذهبا

آنسنى البدر منك حين بدالأنّه لو ظهرت لاحتجبا

و من ذلك قوله: [الرمل]

هجركم ما لى عليه جلدفأعيدوا لى الرضى أو فعدوا

ما قسا قلبى من هجرانكمو لقد طال عليه الأمد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴۲

و من ذلك قوله: [البسيط]

أبدى عذاركك عذرى فى الغرام بهو زادنى شغفا فيه إلى شغف

كأنّه ظنّ أنّى قد نسيت لهعهدا فعرّض لى باللام و الألف

و مما هو أطول من المزدوجات قوله: [الطويل]

و يوم كساه الدّجن دكن ثيابهوهبّ نسيم الروض و هو عليل

و لاحت بأفلاك الأفق كواكبلها فى البدور الطّالعات أفول

و جالت جياد الرّاح بالرّاح جولةفلم تحل إلّا و الوقار قتيل

و من ذلك: [الخفيف]

عذلونى فيمن أحبّ و قالوادبّ نمل العذار فى وجنتيه

و كذا النّمل كلّما حلّ شيئامنع النّفس أن تميل إليه

قلت قبل العذار أعذر فيهثم من بعده ألام عليه

إنما دبّ نحو شهد بفيهفلذاك انتهى إلى شفتيه

و إحسانه كثير، و مثله لا يقنع منه بيسير.

وفاته: قال فى «عائد الصلة»: «و لمّا كان من تغلّب الحال، و إدالة الدولة، و خلع الأمير، و قتل وزيره، يوم عيد الفطر من سنة سبع و سبعمائة، و انتهبت دار الوزير، و نالت الأيدى يومئذ، من شمله دهليز بابه، من أعيان الطبقات، و أولى الخطط و الرّتب، و منهم أبو العباس هذا، رحمه اللّه؛ فأفلت تحت سلاح مشهور، و حيّز مرقوف، و ثوب مسلوف؛ فأصابته بسبب ذلك علّة أياما، إلى أن أودت به، فقضت عليه بغرناطة، فى الثامن و العشرين لذى حجة من سنة سبع و سبعمائة ؛ و دفن بمقبرة الغرباء من الرّبيط عبر الوادى تجاه قصور نجد، رحمة اللّه عليه».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴۳

أحمد بن على المليانى

من أهل مرّاكش، يكنى أبا عبد اللّه و أبا العباس.

صاحب العلامة بالمغرب، الكاتب الشهير البعيد الشأن فى اقتضاء التّرة ، المثل المضروب فى العفّة ، و قوة الصّريمة، و نفاذ العزيمة.

حاله: كان نبيه البيت، شهير الأصالة، رفيع المكانة، على سجيّة غريبة كانت فيه، من الوقار و الانقباض و الصّمت. أخذ بحظ من الطّب، حسن الخطّ، مليح الكتابة، قارضا للشعر، يذهب نفسه فيه كلّ مذهب.

وصمته: فتكة شنيعة أساءت الظنّ بحملة الأقلام على مرّ الدهر؛ و انتقل إلى الأندلس بعد مشقّة. و جرى ذكره فى كتاب «الإكليل» بما نصّه :

«الصّارم، الفاتك، و الكاتب الباتك ، أىّ اضطراب فى وقار، و تجهّم تحته أنس عقار! اتخذه صاحب المغرب صاحب علامته، و

توّجه تاج كرامته؛ و كان يطالب جملة من أشياخ مراكش بثأر عمّه، و يطوقهم دمه بزعمه، و يقصر على الاستبصار منهم بنات همّه، إذ سعوا فيه حتى اعتقل، ثم جدّوا فى أمره حتى قتل؛ فترصّد كتابا إلى مراكش يتضمّن أمرا جزما، و يشلّ من أمور الملك عزما،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴۴

جعل الأمر فيه يضرب رقابهم، و سبى أسبابهم؛ و لمّا أكّد على حامله فى العجل، و ضايقه فى تقدير الأجل، تأنّى حتى علم أنه قد وصل، و أنّ غرضه قد حصل. فرّ إلى تلمسان، و هى بحال حصارها، فاتّصل بأنصارها، حالّا بين أنوفها و أبصارها؛ و تعجّب من فراره، و سوء اغتراره، و رجحت الظنون فى آثاره. ثم اتّصلت الأخبار بتمام الحيلة، و استيلاء القتل على أعلام تلك القبيلة، و تركها شنعة على الأيام، و عارا فى الأقاليم على حملة الأقلام؛ و أقام بتلمسان إلى أن حلّ مخنّق حصارها ، و أزيل همیان الضيقة عن خصرها؛ فلحق بالأندلس، فلم يعدم برّا، و رعيا مستمرّا، حتى أتاه حمامه، و انصرمت أيامه».

شعره: من الذى يدلّ على برّه ، و انفساخ خطاه فى النّفاسة، و بعد شأوه، قوله: [الكامل]

العزّ ما ضربت عليه قبابىو الفضل ما اشتملت عليه ثيابى

و الزّهر ما أهداه غصن براعتىو المسك ما أبداه نقش كتابى

و المجد يمنع أن يزاحم موردىو العزم يأبى أن يسام جنابى

فإذا بلوت صنيعة جازيتهابجميل شكرى أو جزيل ثوابى

و إذا عقدت مودّة أجريتهامجرى طعامى من دمى و شرابى

و إذا طلبت من الفراقد و السّهى ثأرا فأوشك أن أنال طلابى

وفاته: توفى رحمه اللّه يوم السبت تاسع ربيع الآخر عام خمسة عشر و سبعمائة، و دفن بجبّانة باب إلبيرة، تجاوز اللّه تعالى عنه.

أحمد بن محمد بن عيسى الأموى

يكنى أبا جعفر، و يعرف بالزّيّات.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴۵

حاله: من أهل الخير و الصّلاح و الأتباع، مفتوح عليه فى طريق اللّه، نيّر الباطن و الظاهر، مطّرح التصنّع، مستدلّ، مجانب للدنيا و أهلها، صادق الخواطر، مرسل اللسان بذكر اللّه، مبذول النصيحة، مثابر على اتّباع السّنّة، عارف بطريق الصوفيّة، ثبت القدم عند زلّاتها؛ ناطق بالحكمة على الأميّة؛ جميل اللقاء، متوغّل فى الكلف بالجهاد، مرتبط للخيل، مبادر للهيعة، حريص على الشهادة، بركة من بركات اللّه فى الأندلس، يعزّ وجود مثله.

وفاته: توفى، رحمه اللّه، ببلده غرناطة، يوم الخميس الثانى و العشرين لجمادى الثانية من عام خمسة و ستين و سبعمائة؛ و شارف الاكتهال.

أحمد بن الحسن بن على بن الزيّات الكلاعى

من أهل بلّش مالقة ، يكنى أبا جعفر، و يعرف بالزيّات، الخطيب، المتصوّف الشهير.

حاله: من «عائد الصلة»: كان جليل القدر، كثير العبادة، عظيم الوقار، حسن الخلق، مخفوض الجناح، متألّق البشر، مبذول المؤانسة، يذكّر بالسّلف الصالح فى حسن شيمته و إعراب لفظه، مزدحم المجلس، كثير الإفادة، صبورا على الغاشية، واضح البيان، فارس المنابر غير مدافع، مستحقّ التصدّر فى ذلك بشروط قلّما كملت عند غيره؛ منها حسن الصورة، و كمال الأبّهة، و جهوريّة الصوت، و طيب النّغمة، و عدم التّهيّب، و القدرة على الإنشاء، و غلبة الخشوع، إلى التفنّن فى كثير من المآخذ العلمية، و الرياسة فى تجويد القرآن، و

المشاركة فى العربية، و الفقه، و اللغة، و الأدب، و العروض، و المحاسّة فى الأصلين، و الحفظ للتفسير.

قال لى شيخنا أبو البركات بن الحاجّ، و قد جرى ذكر الخطابة: ما رأيت فى استيفائها مثله. كان يفتح مجالس تدريسه أكثر الأحيان، بخطب غريبة، يطبّق بها مفاصل الأغراض، التى يشرع فى التكلّم فيها، و ينظم الشعر دائما فى مراجعاته و مخاطباته، و إجازاته، من غير تأنّ و لا رويّة، حتى اعتاده ملكة بطبعه؛ و استعمل فى السّفارة بين الملوك، لدحض السّخائم، و إصلاح الأمور، فكانوا يوجيون حقّه، و يلتمسون بركته، و يلتمسون دعاءه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴۶

مشيخته: تحمّل العلم عن جملة؛ منهم خاله الفقيه الحكيم أبو جعفر أحمد بن على المذحجى من أهل الحمّة ، من ذوى المعرفة بالقرآن و الفرائض. و منهم القاضى أبو على الحسين بن أبى الأحوص الفهرى، أخذ عنه قراءة و إجازة. و منهم العارف الرّبانى أبو الحسن فضل بن فضيلة، أخذ عنه طريقة الصوفية و عليه سلك، و به تأدّب، و بينهما فى ذلك مخاطبات. و منهم أبو الزهر ربيع بن محمد بن ربيع الأشعرى، و أبو عبد اللّه محمد بن يحيى أخوه. و منهم أبو الفضل عياض بن محمد بن عياض بن موسى، قرأ عليه ببلّش و أجاز له. و منهم الأستاذ أبو جعفر بن الزبير، و الأستاذ أبو الحسن التّجلى، و أبو محمد بن سماك، و أبو جعفر بن الطّباع، و أبو جعفر بن يوسف الهاشمى الطّنجلى ، و الأستاذ النحوى أبو الحسن بن الصّائغ، و الكاتب الأديب أبو على بن رشيق التّغلبى، و الرّاوية أبو الحسن بن مستقور الطائى، و الإمام أبو الحسن بن أبى الربيع، و الأستاذ أبو إسحاق الغافقى الميربى، و الإمام العارف أبو محمد عبد العظيم بن الشيخ البلوى، بما كان من إجازته العامّة لكل من أدرك عام أحد و أربعين و ستمائة، و غير هؤلاء ممّن يشقّ إحصاؤهم.

تصانيفه: كثيرة، منها المسمّاة ب «المقام المخزون فى الكلام الموزون»؛ و القصيدة المسمّاة ب «المشرف الأصفى فى المأرب الأوفى» و كلاهما ينيف على الألف بيت؛ و «نظم السّلوك فى شيم الملوك»، و «المجتنى النّضير و المقتنى الخطير»، و «العبارة الوجيزة عن الإشارة»، و «اللطائف الرّوحانية و العوارف الربّانية».

و من تواليفه: «أسّ مبنى العلم، و أسّ معنى الحلم» فى مقدمة علم الكلام، و «لذّات السمع من القراءات السّبع» نظما، و «رصف نفائس اللآلى، و وصف عرائس المعالى» فى النحو، و «قاعدة البيان و ضابطة اللسان» فى العربية، و «لهجة اللّافظ و بهجة الحافظ»، و الأرجوزة المسمّاة ب «قرّة عين السائل و بغية نفس الآمل» فى اختصار السيرة النبوية، و «الوصايا النظامية فى القوافى الثلاثية»، و كتاب «عدّة الداعى، و عمدة الواعى»، و كتاب «عوارف الكرم، و صلات الإحسان، فيما حواه العين من لطائف الحكم و خلق الإنسان»، و كتاب «جوامع الأشراف و العنايات، فى الصّوادع و الآيات»، و «النّفحة الوسيمة، و المنحة الجسمية »، تشتمل على أربع قواعد اعتقاديّة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۴۷

و أصوليّة و فروعيّة و تحقيقيّة، و كتاب «شروف المفارق فى اختصار كتاب المشارق»، و «تلخيص الدّلالة فى تخليص الرسالة»، و «شذور الذّهب فى صروم الخطب»، و «فائدة الملتقط و عائدة المغتبط»، و كتاب «عدّة المحقّ و تحفة المستحقّ».

نثره: من ذلك خطبة ألغيت الألف من حروفها، على كثرة تردّدها فى الكلام و تصرّفها، و هى:

«حمدت ربى جلّ من كريم محمود، و شكرته عزّ من عظيم موجود، و نزّهته عن جهل كل ملحد كفور، و قدّسته عن قول كل مفسد غرور، كبير لو تقدم، فى فهم نجد، قدير لو تصوّر فى رسم لحد، لو عدته فكرة التصوّر لتصوّر، و لو حدته فكرة لتعذّر، و لو فهمت له كيفية لبطل قدمه، و لو علمت له كيفية لحصل عدمه، و لو حصره طرف لقطع بتجسّمه، و لو قهره وصف لصدع بتقسّمه، و لو فرض له شبح لرهقه كيف، و لو عرض له للحق عجل وريث. عظيم من غير تركّب قطر، عليم من غير ترتّب فكر، موجود من غير شىء يمسكه، معبود من غير و هم يدركه، كريم من غير عوض يلحقه، حكيم من غير عرض يلحقه، قوى من غير سبب يجمعه، علىّ من غير سبب يرفعه، لو وجد له جنس لعورض فى قيموميته، و لو ثبت له حسّ لنوزع فى ديمومتيه».

و منها: «تقدّس عن لمّ فعله، و تنزّه عن سمّ فضله، و جلّ عن ثمّ قدرته، و عزّ عن عمّ عزّته، و عظمت عن من صفته، و كثرت عن كم منّته؛ فتق و رتق، صوّر و حلق، و قطع و وصل، و نصر و خذل، حمدته حمد من عرف ربّه، و رهب ذنبه، وصفت حقيقة يقينه قلبه، و ذكرت بصيرة دينه لبّه، قنهض لوعى بشروط نفضته و حدّ، و ربط سلك سلوكه و شدّ، و هدم صرح عتوّه و هدّ، و حرس معقل عقله و حدّ، طرد غرور غرّته و رذله؛ علم علم تحقيق فنحا نحوه، و تفرّد له عزّ و جلّ بثبوت ربوبيّته و قدمه، و نعتقد صدور كلّ جوهر و عرض عن جوده و كرمه، و نشهد بتبليغ محمد صلّى ربّه عليه و سلّم، رسوله و خير خلقه، و نعلن بنهوضه فى تبيين فرضه، و تبليغ شرعه، ضرب قبّة شرعه، فنسخت كلّ شرع، و جدّد عزيمته فقمع عدوّه خير قمع، قوّم كل مقوّم بقويم سمته، و كريم هديه، و بيّن لقومه كيف يركنون فوره بقصده، و سديد سعيه، بشّر مطيعه، فظفر برحمته؛ و حذّر عاصيه فشقى بنقمته.

«و بعد، فقد نصحتم لو كنتم تعقلون، و هديتم لو كنتم تعلمون، و بصّرتم لو كنتم تبصرون، و ذكّرتم لو كنتم تذكرون. و ظهرت لكم حقيقة نشركم و برزت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۴۸

لكم خبيئة حشركم، فلم تركضون فى طلق غفلتكم، و تغفلون عن يوم بعثكم، و للموت عليكم سيف مسلول، و حكم عزم غير معلول، فكيف بكم يوم يؤخذ كلّ بذنبه؛ و يخبر بجميع كسبه؛ و يفرّق بينه و بين صحبه، و يعدم نصرة حزبه، و يشغل بهمّه و كربه، عن صديقه و تربه، و تنشر له رقعته و تعيّن له بقعته، فربح عبد نظر و هو فى مهل لنفسه، و ترسّل فى رضى عمله جنّة لحلول رمسه، و كسر صنم شهوته ليقرّ فى بحبوحة قدسه، و حصر بنظر ينزله سرير سروره بين عقله و جسمه».

و منها: «فتنبّه ويحك من سنتك و نومك، و تفكّر فيمن هلك من صحبك و قومك، هتف بهم من تعلم، و شبّ عليهم منه حرق مظلم، فخرّبت بصيحته ربوعهم، و تفرّقت لهو له جموعهم، و ذلّ عزيزهم، و خسىء رفيعهم، و صمّ سميعهم، فخرج كلّ منهم عن قصره، و رمى غير موسّد فى قبره؛ فهم بين سعيد فى روضته مقرّب، و بين شقىّ فى حفرته معذّب، فنستوهب منه عزّ و جل عصمته من كل خطيئة، و خصوصيّة تقى من كل نفس جريئة».

كتب إلى شيخنا الوزير ابن ذى الوزارتين ابن الحكيم، جوابا عن مخاطبة كتبها إليه يلتمس منه وصايته و نصحه هذا الشعر: [السريع]

جلّ اسم مولانا اللّطيف الخبيرو عزّ فى سلطانه عن نظير

هو الذى أوجد ما فوقهاو تحتها و هو العليم الخبير

ثم صلاة اللّه تترى علىياقوتة الكون البشير النذير

و صحبه الأولى نالوا مرأىيرجع منه الطّرف و هو الحسير

و بعد فأنفسهم جوهرللأرواح منه ما للأثير

فإنك استدعيت من ناصرنصحا طويلا و هو منه قصير

و لست أهلا أن أرى ناصحالقلّة الصدق و خبث الضمير

و إنما يحسن نصح الورىمن ليس للشّرع عليه نكير

و مستحيل أن يقود امرءايد امرئ واهى المبانى ضرير

وا عجبا يلتمس الخير منمعتقل العقل مهيض كسير

لكن إذا لم يكن بدّ فعنجهد أوفّيك بتبر يسير

فالقنه إن كنت به قانعادرّا نظيما يزدرى بالنثير

لازم أبا بكر على منهجذاك تفز منه بخير كثير

و اقنع بما يكفى ودع غيرهفإنما الدنيا هباء نثير

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١۴٩ بنىّ لا تخدعنّك هذى الدّنافإنها و اللّه شىء حقير

أين المشيدات أما زلزلت؟أين أخو الإيوان أين السدير؟

أين أنو شروان أضحى كأنلم يك أين المعتدى أزدشير

هذا مقال من وعاه اهتدىو حيط من كل مخوف مبير

وصّى أبو بكر به أحمداو أحمد فى الوقت شيخ كبير

انقرضت أيامه و انتهىوهنا و من قبل أتاه النّذير

و ها هو اليوم على عدّةمبرمه للشّرّ و ما من عذير

و من شعره فى طريقه الذى كان ينتحله :

شهود ذاتك شىء عنك محجوبلو كنت تدركه لم يبق مطلوب

علو و سفل و من هذا و ذاك معادور على نقطة الإشراق منصوب

و منزل النّفس منه ميم مركزه إن صحّ للغرض الظّنّى مرغوب

و إن تناءت مساويها فمنزلها أوج الكمال و تحت الروح تقليب

و الروح إن لم تخنه النّفس قام له فى حضرة الملك تخصيص و تقريب

و من شعره : [الكامل]

دعنى على حكم الهوى أتضرّعفعسى يلين لنا الحبيب و يخشع

إنى وجدت أخا التضرّع فايزابمراده و من الدّعا ما يسمع

أهلا و ما شىء بأنفع للفتىمن أن يذلّ عسى التذلّل ينفع

وامح اسم نفسك طالبا إثباتهو اقنع بتفريق لعلّك تجمع

و اخضع فمن دأب المحبّ خضوعهو لربما نال المنى من يخضع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١۵٠

و من شعره : [الكامل]

ما لى بباب غير بابك موقف كلّا و لا لى عن فنائك مصرف

هذا مقامى ما حييت فإن أمتفالذلّ مأوى للضراعة مألف

غرضى و أنت به عليم لمحةتذر الشّتيت الشّمل و هو مؤلّف

و عليك ليس على سواك معوّلىجاروا علىّ لأجل ذا أو أنصفوا

و من المقطوعات فى التجنيس : [الوافر]

يقال خصال أهل العلم ألفو من جمع الخصال الألف سادا

و يجمعها الصّلاح فمن تعدّىمذاهبه فقد جمع الفسادا

و منه فى المعنى : [البسيط]

إن شئت فوزا بمطلوب الكرام غدافاسلك من العمل المرضىّ منهاجا

و اغلب هوى النّفس لا تغررك خادعة فكلّ شىء يحطّ القدر منها جا

دخوله غرناطة: دخل غرناطة مرارا عدة تشذّ عن الحصر، أوجبتها الدّواعى بطول عمره، من طلب العلم و روايته، و حاجة عامّة، و استدعاء سلطان، و قدوم من سفارة. كان الناس ينسالون عليه و يغشون منزله، فيما أدركت، كلما تبوّأ ضيافة السلطان، تبرّكا به، و أخذا

عنه.

مولده: ولد ببلّش بلده فى حدود تسع و أربعين و ستمائة .

وفاته: توفى ببلّش سحر يوم الأربعاء السابع عشر من شوّال عام ثمانيـة و عشـرين و سـبعمائة. و ممّن رثاه شـيخنا، نسـيج وحده، العالم الصالح الفاضل، أبو الحسن بن الجيّاب بقصيدة أولها: [الطويل]

على مثله خضابة الدهر فاجع تفيض نفوس لا تفيض المدامع الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ۱ ؛ ص ۱۵۰

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۵۱

و رثاه شيخنا القاضى أبو بكر بن شبرين ، رحمه اللّه، بقصيدة أولها:

[المتدارك]

أ يساعد رائده الأمل أم يسمع سائله الطّلل؟

يا صاح، فديتك، ما فعل ذا من الأحباب و ما فعلوا؟

فأجاب الدمع مناديه أمّا الأحباب فقد رحلوا

ورثاه من هذه البلدة طائفة، منهم الشيخ الأديب أبو محمد بن المرابع الآتى اسمه فى العيادة له، بحول اللّه، بقصيدة أولها: [الكامل]

أدعوك ذا جزع لو أنّك سامع ما ذا أقول و دمع عينى هامع

و أنشد خامس يوم دفنه قصيدة أولها: [الخفيف]

عبرات تفيض حزنا و ثكلا و شجون تعمّ بعضا و كلّا

ليس إلّا صبابة أضرمتها حسرة تبعث الأسى ليس إلّا

و هى حسنة طويلة.

إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشك

اشارة

المتأمّر، رومى الأصل.

أوّليّته: مفرج أو همشك، من أجـداده، نصـرانى، أسـلم على يـدى أحـد ملوك بنى هود بسرقسـطة؛ نزح إليهم، و كان مقطوع إحـدى الأذنين، فكان النصارى إذا رأوه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۵۲

فى القتـال عرفوه، و قـالوا: هامشـك، معناه ترى المقطوع الأذن، إذ «ها» عنـدهم قريب مما هى فى اللغـة العربيـة، و «المشك» المقطوع الأذنين فى لغتهم .

نباهته و ظهوره: و لمّا خرج بنو هود عن سرقسـطة، نشأ تحت خمول، إلّا أنه شـهم متحرّك، خدم بعض الموحّدين فى الصّيد، و توسّل بدلالة الأرض؛ ثم نزع إلى ملك قشتالة و استقرّ مع النصارى؛ ثم انصرف إلى بقيّة اللّمتونيين بالأندلس بعد شفاعة و إظهار توبة. و لمّا ولّى يحيى بن غانية قرطبة، ارتسم لديه برسـمه. ثم كانت الفتنة عام تسـعة و ثلاثين و ثار ابن حمدين بقرطبة، و تسـمّى بأمير المؤمنين، فبعثه رسولا ثقـة بكفايته و دربته و عجمة لسانه؛ لمحاولة الصـلح بينه و بين ابن حمدين، فأغنى و نبه قدره؛ ثم غلى مرجل الفتنة و كثر الثوّار بالأنـدلس، فاتصل بالأمير ابن عياض بالشـرق و غيره، إلى أن تمكّن له الامتزاز بحصن شـقوبش، ثم تغلّب على مدينـة شـقورة و تملّكها و هى ما هى من النّعمة، فغلظ أمره، و ساوى محمد بن مردنيش أمير الشـرق و داخله، حتى عقد معه صـهرا على ابنته، فاتصلت

له الرياسة و الإمارة. و كان يعدّ سيفا لصهره المذكور، مسلّطا على من عصاه، فقاد الجيوش، و افتتح البلاد إلى أن فسد ما بينهما، فتفاتنا و تقاطعا، و انحاز بما لديه من البلاد و المعاقل، و عدّ من ثوّار الأندلس أولى الشوكة الحادّة، و البأس الشديد، و الشّبا المرهوب. و آثاره بعد انقباض دولته تشهد بما تأثّل من ملك و سلف من الدولة؛ و الدّار الآخرة خير لمن اتّقى. قال ابن صفوان: [الخفيف]

و ديار شكوى الزمان فتشكحدّثتنا عن عزّة ابن همشك

حاله: قال محمد بن أيوب بن غالب، المدعو بابن حمامة: أبو إسحاق الرئيس، شجاع بهمة من البهم. كان رئيسا شجاعا مقداما شديد الحزم، سديد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۵۳

الرأى، عارفا بتدبير الحرب، حمىّ الأنف، عظيم السّطوة، مشهور الإقدام، مرتكبا للعظيمة. قال بعض من عرّف به من المؤرّخين: و هو و إن كان قائد فرسان، هو حليف فتنة و عدوان، و لم يصحب قطّ متشرّعا، و لا نشأ فى أصحابه من كان متورّعا، سلّطه اللّه على الخلق و أملى له فأضرّ بمن جاوره من أهل البلاد، و حبّب إليه العيث فى العباد.

سيرته: كان جبّارا قاسيا، فظّا غليظا، شديد النّكال، عظيم الجرأة و العبث بالخلق؛ بلغ من عيثه فيهم إحراقهم بالنّار، و قذفهم من الشواهق و الأبراج، و إخراج الأعصاب و الرّباطات على ظهورهم، عن أوتار القسىّ بزعمه، و ضمّ أغصان الشجر العادى بعضها إلى بعض، و ربط الإنسان بينها، ثم تسريحها، حتى يذهب كل غصن بحظّه من الأعضاء؛ و رآه بعض الصالحين فى النوم بعد موته، و سأله ما فعل اللّه بك فأنشده: [البسيط]

من سرّه العيث فى الدنيا بخلقةمن يصوّر الخلق فى الأرحام كيف يشا

فليصبر اليوم صبرى تحت بطشتهمغلّلا يمتطى جمر الغضا فرشا

شجاعته: زعموا أنه خرج من المواضع التى كانت لنصره متصيّدا، و فى صحبته محاولو اللهو و قارعو أوتار الغناء، فى مائة من الفرسان، و نقاوة أصحابه؛ فما راعهم إلّا خيل العدو هاجمة على غرّة، فى مائتى فارس ضعف عددهم؛ فقالوا: العدو فى مائتى فارس، فقال: و إذا كنتم أنتم لمائة، و أنا لمائة، فنحن قدرهم؛ فعدّ نفسه بمائة.

ثم استدعى قدحا من شرابه، و صرف وجهه إلى المغنّى؛ و قال: أعد لى تلك الأبيات، كان يغنّيه بها فتعجبه: [الخفيف]

يتلقى النّدا بوجه حيىّو صدور القنا بوجه وقاح

هكذا هكذا تكون المعالىطرق الجدّ غير طرق المزاح

فغنّاه بها، و استقبل العدوّ، و حمل عليه بنفسه و أصحابه، حملة رجل واحد، فاستولت على العدو الهزيمة، و أتى على معظمهم القتل، و رجع غانما إلى بلده.

ثم ضربت الأيام، و عاود التصيّد فى موضعه ذلك، و أطلق بازه على حجلة، فأخذها، و ذهب ليذكيها، فلم يحضره خنجر ذلك الغرض فى الوقت، فبينما هو يلتمسه، إذ رأى نصلا من نصال المعترك من بقايا يوم الهزيمة، فأخذه من التراب، و ذبح به الطائر، و نزل و استدعى الشراب؛ و أمر المغنى فغنّاه بيتى أبى الطيب :

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۵۴

[الطويل]

تذكّرت ما بين العذيب و بارقمجرّ عوالينا و مجرى السّوابق

و صحبة قوم يذبحون قنيصهمبفضلات ما قد كسّروا فى المفارق

و قد رأيت من يروى هذه الحكاية عن أحد أمراء بنى مردنيش، و على كل حال فهى من مستظرف الأخبار.

دخوله غرناطة: قالوا، و فى سنة ست و خمسين و خمسمائة ، فى جمادى الأولى منها، قصد إبراهيم بن همشك بجمعه مدينة غرناطة، و داخل طائفة من ناسها، و قد تشاغل الموحّدون بما دهمهم من اختلاف الكلمة عليهم بالمغرب، و توجّه الوالى بغرناطة السيد أبى سعيد إلى العدوة، فاقتحمها ليلا و اعتصم الموحّدون بقصبتها؛ فأجاز بهم بأنواع الحرب، و نصب عليهم المجانيق، و رمى فيها من ظفر به منهم و قتلهم بأنواع من القتل. و عندما اتصل الخبر بالسيد أبى سعيد، بادر إليها فأجاز البحر، و التفّ به السيد أبو محمد بن أبى حفص بجميع جيوش الموحّدين و الأندلس؛ و وصل الجميع إلى ظاهر غرناطة، و أصحر إليهم ابن همشك، و برز منها، فالتقى الفريقان بمرج الرّقاد من خارجها، و دارت الحرب بينهم، فانهزم جيش الموحّدين، و اعترضت الفلّ تخوم الفدادين و جداول المياه التى تتخلّل المرج ، فاستولى عليهم القتل، و قتل فى الوقيعة السيد أبو محمد؛ و لحق السيد أبو سعيد بمالقة؛ و عاد ابن همشك إلى غرناطة فدخلها بجملة من أسرى القوم، أفحش فيهم المثلة، بمرأى من إخوانهم المحصورين؛ و اتصل الخبر بالخليفة بمراكش، و هو بمقربة سلا، قد فرغ من أمر عدوّه، فجهّز جيشا، أصحبه السيد أبا يعقوب ولده، و الشيخ أبا يوسف بن سليمان زعيم وقته، و داهية زمانه؛ فأجازوا البحر، و التقوا بالسيد أبى سعيد بمالقة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۵۵

و تتابع الجمع، و التفّ بهم من أهل الجهاد من المطوعة، و اتصل منهم السير إلى قرية دلر من قرى غرناطة؛ و كان من استمرار الهزيمة على ابن همشك الذى أمدّه بنفسه و جيشه، من نصارى و غيرهم، ما يأتى ذكره عند اسم ابن مردنيش فى الموحدين، فى حرف الميم، بحول اللّه تعالى.

انخلاعه للموحدين عمّا بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها:

قالوا : و لمّا فسد ما بينه و بين ابن مردنيش بسبب بنته التى كانت تحت الأمير أبى محمد بن سعد بن مردنيش إلى أن طلّقها، و انصرفت إلى أبيها، و أسلمت إليه ابنها منه، مختارة كنف أبيها إبراهيم، نازعة فى انصرامه إلى عروقها؛ فلقد حكى أنها سئلت عن ولدها، و إمكان صبرها عنه، فقالت: جرو كلب، جرو سوء، من كلب سوء، لا حاجة لى به؛ فأرسلت كلمتها فى نساء الأندلس مثلا؛ فاشتدّت بينهما الوحشة و الفتنة، و عظمت المحنة، و هلك بينهما من الرعايا الممرورين، المضطّرين، بقنّينة الثوّار ممّن شاء اللّه بهلاكه، إلى أن كان أقوى الأسباب فى تدمير ملكه.

و لمّا صرف ابن سعد عزمه إلى بلاده، و تغلّب على كثير منها، خدم ابن همشك الموحّدين و لاذ بهم و استجارهم؛ فأجاز البحر، فقدم على الخليفة عام خمسة و ستين و خمسمائة، و أقرّه بمواضعه؛ إلى أوائل عام أحد و سبعين، فطولب بالانصراف إلى العدوة بأهله و ولده، و أسكن مكناسة و أقطع بها سآما لها خطر، و اتّصلت تحت عنايته إلى أن هلك.

وفاته: قالوا: و استمرّ مقام ابن همشك بمكناسة غير كبير، و ابتلاه اللّه بفالج غريب الأعراض، شديد سوء المزاج، إلى أن هلك؛ فكان يدخل الحمّام الحارّ، فيشكو حرّه بأعلى صراخه، فيخرج، فيشكو البرد كذلك، إلى أن مضى سبيله .

إبراهيم بن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب ابن عبد الحقّ

يكنى أبا سالم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۵۶

أوّليته: الشمس تخبر عن حلى و عن حلل. فهو البيت الشهير، و الجلال الخطير، و الملك الكبير، و الفلك الأثير، ملاك المسلمين، و حماة الدين، و أمراء المغرب الأقصى من بنى مرين، غيوث المواهب؛ و ليوث العرين، و معتمد الصّريخ، و سهام الكافرين. أبوه السلطان أبو الحسن، الملك الكبير، البعيد شأو الصّيت و الهمّة و العزيمة، و التحلّى بحلىّ السّنّة، و الإقامة لرسوم الملك، و الاضطلاع

بالهمّة، و الصبر عند الشدّة. و أخوه أمير المسلمين فذلكة الحسب، و ثير النّصبة، و بدرة المعدن، و بيت القصيد، أبو عنان، فارس، الملك الكبير، العالم المتبحّر، العامل النظّار، الجواد، الشجاع، القسور، الفصيح، مدد السعادة، الذى خرق اللّه به سياج العادة، فما عسى أن يطلب اللسان، و أين تقع العبارة، و ما ذا يحصر الوصف. عين هذا المجد فوّاره، و حسب هذا الحسب اشتهاره، قولا بالحق، و بعدا عن الإطراء، و نشرا للواء النّصفة، حفظ اللّه على الإسلام ظلّهم، و زيّن ببدور الدين و الدنيا هالتهم، و أبقى الكلمة فيمن اختاره منهم.

حاله: كان شابّا كما تطلّع وجهه، حسن الهيئة، ظاهر الحياء و الوقار، قليل الكلام، صليفة عن اللفظ، آدم اللون ، ظاهر السكون و الحيريّة و الحشمة، فاضلا متخلّقا. قدّمه أبوه، أمير الرتبة، موفّى الألقاب، بوطن سجلماسة، و هى عمالة ملكهم، فاستحقّ الرتبة فى هذا الباب بمزيد هذه الرتبة المشترط لأول تأليفه. و لمّا قبضه اللّه إليه، و اختار له ما عنده، أحوج ما كانت الحال إلى من ينظم الشّت، و يجمع الكلمة، و يصون الدّما سبحانه أحوج ما كانت الدنيا إليه، و صيّر إلى وارثه طواعية و قسرا و مستحقّا و غلابا، و سلما، و ذاتا و كسبا، السلطان أخيه، تحصل هو و أخ له اسمه محمد، و كنيته أبو الفضل، يأتى التعريف بحاله فى مكانه إن شاء اللّه، فأبقى، و أغضى، و اجتنب الهوى، و أجاب داعى البرّ و الشفقة و التقوى، فصرفهما إلى الأندلس؛ باشرت إركابها البحر بمدينة سلا ثانى اليوم الذى انصرفت من بابه، و صدرت عن بحر جوده، و أفضت بإمامة عنايته، مصحبا بما يعرض لسان الثّناء من صنوف كرامته، فى غرض السّفارة عن السلطان بالأندلس، تغمّده اللّه برحمته، و نزل مربلّة من بلاد الأندلس المصروفة إلى نظره، واصلا السير إلى غرناطة.

دخوله غرناطة: قدم هو و أخوه عليها، يوم عشرين من جمادى الأولى، من عام اثنين و خمسين و سبعمائة. و برز السلطان إلى لقائهما، إبلاغا فى التّجلّة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۵۷

و انحطاطا فى ذمّة التّخلّق، فسعيا إليه مرتجلين، و فاوضهما، حتى قضيت الحقوق، و استفرجت تفقّده و جرايته، و حلّا بأحظى الأمكنة، و احتفيا فى سرير مجلسه مقسوم بينهما الحظّ، من هشّته و لحظته. فأما محمد، فسوّلت له نفسه الأطماع، و استفزّته الأهواء، أمرا كان قاطع أجله، و سعد أخيه، اختاره اللّه من دونه. و أمّا إبراهيم المترجم به، فجنح إلى أهل العافية، بعد أن ناله اعتقال، بسبب إرضاء أخيه أمير المسلمين فارس، فى الأخريات لشهر ذى حجة من عام تسعة و خمسين و سبعمائة، و تقديم ولده الصبىّ، المكنى بأبى بكر، المسمّى بسعيد؛ لنظر وزيره فى الحزم و الكفاية، حرّكه الاستدعاء، و أقلقته الأطماع وهبّ به السائل، و عرّض بغرضه إلى صاحب الأمر بالأندلس، و رفق عن صبوحه، فشكا إلى غير مصمت، فخرج من الحضرة ليلا- من بعض مجارى المياه، راكبا للخطر، فى أخريات جمادى الأولى من العام بالحضرة المكتبة الجوار، من ثغور العدو، و لحق بملك قشتالة، و هو يومئذ بإشبيلية، قد شرع فى تجرية إلى عدوّه من برجلونة، فطرح عليه نفسه، و عرض عليه مخاطبات استدعائه، و دسّ له المطامع المرتبطة بحصول غايته، فقبل سعايته، و جهّز له جفنا من أساطيله، أركب فيه، فى طائفة تحريكه، و طعن بحر المغرب إلى ساحل أزمور ، و أقام به منتظرا إلى إنجاز المواعد، ممّن بمرّاكش، فألفى الناس قد حطبوا فى حبل منصور بن سليمان، و بايعوه بجملتهم، فأخفق مسعاه، و أخلف ظنّه، و قد أخذ منصور بمخنّق البلد الجديد دار ملك فاس، و استوثق له الأمر، فانصرف الجفن أدراجه. و لمّا حاذى لبلاد غمارة من أحواز أصيلا . تنادى به قوم منهم، و انحدروا إليه، و وعدوه الوفاء له، فنزل إليهم، و احتملوه فوق أكتادهم، و أحدقوا به فى سفح جبلهم، و تنافسوا فى الذّبّ عنه، ثم كبسوا أصيلا فملكوها، و ضيّق بطنجة، فدخلت فى أمره، و اقتدت بها سبتة و جبل الفتح، و اتصل به بعض الخاصّة، و خاطبه الوزير المحصور، و تخاذل أشياع منصور، فخذلوه، و فرّوا عنه جهارا بغير علّة، و انصرفت الوجوه إلى السلطان أبى سالم، فأخذ بيعاتهم عفوا، و دخل البلد المحصور، و قد تردّد بينه و بين الوزير المحصور مخاطبات فى ردّ الدعوة إليه، فدخل البلد يوم الخميس خامس عشر شعبان من عام التاريخ، و استقرّ و جدّد اللّه عليه أمره، و أعاد ملكه، و صرف عليه حقّه؛ و بلى هذا الأمير من سير الناس إلى تجديد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۵۸

عهد أبيه، و طاعتهم إلى أمره، و جنوحهم إلى طاعته، و تمنّى مدّته، حال غريبة صارت عن كثب إلى أضدادها، فصرف ولده إلى اجتثاث شجرة أبيه، فالتقط من الصّبية بين مراهق و محتلم و مستجمع، طائفة تناهز العشرين، غلمانا ردنة، قتلوا إغراقا من غير شفعة توجب إباحة قطرة من دمائهم، و رأى أن قد خلا له الجوّ، فتواكل، و آثر الحجبة، و أشرك الأيدى فى ملكه، فاستبيحت أموال الرعايا، و ضاقت الجبايات، و كثرت الظلامات، و أخذ الناس حرمان العطاء، و انفتحت أبواب الإرجاف، و حدّت أبواب القواطع، إلى أن كان من أمره ما هو معروف.

و فى أول من شهر رجب عام واحد و ستين و سبعمائة، تحرّك الحركة العظمى إلى تلمسان، و قد استدعى الجهات، و بعض البلاد، و نهد فى جيوش تجرّ الشوك و الحجر، ففرّ سلطانها أمام عزمه، و طار الذّعر بين يدى الضّلالة، و كنّا قد استغثنا القرار فى إيالته، و انتهى بنا الإزعاج إلى ساحل سلا من ساحل مملكته فخاطبته و أنا يومئذ مقيم بتربة أبيه، متذمّم بها، فى سبيل استخلاص أملاكى بالأندلس، فى غرض التهنئة و التوسّل:

«مولاى، فتّاح الأقطار و الأمصار، فائدة الزمان و الأعصار، أثير هبات اللّه الآمنة من الاعتصار، قدوة أولى الأيدى و الأبصار».

وفاته: و فى ليلة العشرين من شهر ذى قعدة من عام اثنين و ستين و سبعمائة، ثار عليه بدار الملك، و بلد الإمارة المعروف بالبلد الجديد، من مدينة فاس، الغادر مخلفه عليها عمر بن عبد اللّه بن على، نسمة السوء، و جملة الشؤم، المثل البعيد فى الجرأة على قدر، اهتبل غرّة انتقاله إلى القصر السلطانى بالبلد القديم، محتولا إليه، حذرا من قاطع فلكىّ الجدر منه استعجله ضعف نفسه، و أعانه على فرض صحته به، و سدّ الباب فى وجهه، و دعا الناس إلى بيعة أخيه المعتوه، و أصبح حائرا بنفسه، يروم استرجاع أمر ذهب من يده، و يطوف بالبلد، يلتمس وجها إلى نجاح حيلته، فأعياه ذلك، و رشقت من معه السهام، و فرّت عنه الأجناد و الوجوه، و أسلمه الدهر، و تبرّأ منه الجدّ. و عندما جنّ عليه الليل، فرّ على وجهه، و قد التفت عليه الوزراء، و قد سفّهت أحلامهم، و فالت آراؤهم، و لو قصدوا به بعض الجبال المنيعة، لولّوا وجوههم شطر مظنّة الخلاص، و اتّصفوا بعذار الإقلاع، لكنهم نكلوا عنه، و رجعوا أدراجهم، و تسلّلوا راجعين إلى برّ غادر الجملة، و قد سلبهم اللّه لباس الحياء و الرّجلة، و تأذّن اللّه لهم بسوء العاقبة، و قصد بعض بيوت البادية، و قد فضحه نهار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۵۹

الغداة، و اقتفى البعث أثره، حتى وقعوا عليه، و سيق إلى مصرعه، و قتل بظاهر البلد، ثانى اليوم الذى كان غدر فيه، جعلها اللّه له شهادة و نفعه بها، فلقد كان بقيّة البيت، و آخر القوم، دماثة و حياء، و بعدا عن الشرّ، و ركونا للعافية.

و أنشدت على قبره الذى و وريت به جثّته بالقلعة من ظاهر المدينة، قصيدة أدّيت فيها بعض حقّه: [الوافر]

بنى الدنيا، بنى لمع السّراب،لدوا للموت و ابنوا للخراب

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص عمر ابن يحيى الهنتانى، أبو إسحاق

اشارة

أمير المؤمنين بتونس، و بلاد إفريقية، ابن الأمير أبى زكريا، أمير إفريقية، و أصل الملوك المتأثّلين العزّ بها، و الفرع الذى دوّح بها، من فروع الموحّدين بالمغرب، و استجلابه بها أبا محمد عبد المؤمن بن على، أبا الملوك من قومه، و تغلّب ذريته على المغرب و إفريقية و الأندلس معروف كله، يفتقر بسطه إلى إطالة كثيرة، تخرج عن الغرض.

و كان جدّ هؤلاء الملوك من أصحاب المهدى، فى العشرة الذين هبّوا لبيعته، و صحبوه فى غربته، أبو حفص، عمر بن يحيى، و لم يزل هو و ولده من بعده، مرفوع القدر، معروف الحق.

و لمّا صار الأمر للناصر أبى عبد اللّه بن المنصور أبى يوسف يعقوب بن عبد المؤمن بن على، صرف وجهه إلى إفريقية، و نزل بالمهديّة، و تلوّك إليه ابن غانية فيمن لفّه من العرب و الأوباش، فى جيش يسوق الشجر و المدر، فجهّز إلى لقائه عسكرا لنظر الشيخ أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص ، جدّهم الأقرب،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۰

فخرج من ظاهر المهدية فى أهبة ضخمة، و تعبئة محكمة، و التقى الجمعان، فكانت على ابن غانية، الدائرة، و نصر الشيخ محمد نصرا لا كفاء له، و فى ذلك يقول أحمد بن خالد من شعر عندهم: [الطويل]

فتوح بها شدّت عرى الملك و الدّين‌تراقب منّا منكم غير ممنون

و فتحت المهدية على هيئة ذلك الفتح، و انصرف الناصر إلى تونس، ثم تفقّد البلاد، و أحكم ثقافها ، و شرع فى الإياب إلى المغرب، و ترجّح عنده تقديم أبى محمد بن أبى حفص المصنوع له بإفريقية، على ملكها، مستظهرا منه بمضاء و سابقة و حزم؛ بسط يده فى الأموال، و جعل إليه النظر فى جميع الأمور، سنة ثلاث و ستمائة. ثم كان اللقاء بينه و بين ابن غانية فى سنة ست بعدها؛ فهزم ابن غانية، و استولى على محلّته؛ فاتصل سعده، و توالى ظهره، إلى أن هلك مشايعا لقومه من بنى عبد المؤمن، مظاهرا بدعوتهم عام تسعة و عشرين و ستمائة .

و ولى أمره بعده، كبير ولده، عبداللّه، على عهد المستنصر بالله بن الناصر من ملوكهم؛ و قد كان الشيخ أبو محمد زوحم، عند اختلال الدولة، بالسيد أبى العلاء الكبير، عمّ أبى المستنصر على أن يكون له اسم الإمارة بقصبة تونس، و الشيخ أبو محمد على ما لسائر نظره؛ فبقى ولده عبد اللّه على ذلك بعد، إلى أن كان ما هو أيضا معروف من تصيّر الأمر إلى المأمون أبى العلاء إدريس، و وقعه السيف فى وجوه الدولة بمراكش، و أخذه بثرة أخيه و عمّه منهم. و ثار أهل الأندلس على السيد أبى الربيع بعده بإشبيلية و جعجعوا بهم، و أخذوا فى التشريد بهم، و تبديد دعوتهم؛ و اضطربت الأمور، و كثر الخلاف، و لحق الأمير أبو زكريا بأخيه بإفريقية، و عرض عليه الاستبداد، فأنف من ذلك، و أنكره عليه إنكارا شديدا، خاف منه على نفسه؛ فلحق بقابس فارّا، و استجمع بها مع شيخها مكّى، و سلف شيوخها اليوم من بنى مكى؛ فمهّد له، و تلقّاه بالرحب، و خاطب له الموحدين سرّا، فوعدوه بذلك، عند خروج عبد اللّه من تونس إلى الحركة، من جهة القيروان. فلمّا تحرّك نحوا عليه، و طلبوا منه المال، و تلكّأ، فاستدعوا أخاه الأمير أبا زكريا، فلم يرعه و هو قاعد فى خبائه آمن فى سربه، إلّا ثورة الجند به، و القبض عليه، ثم طردوه إلى مرّاكش؛ و قعد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۱

أخوه الأمير أبو زكريا مقعده، و أخذ بيعة الجند و الخاصّة لنفسه، مستبدّا بأمره، و رحل إلى تونس، فأخذ بيعة العامّة، و قتل السّيد الذى كان بقصبتها؛ و قبض أهل بجاية حين بلغهم الخبر على واليها السّيد أبى عمران، فقتلوه تغريقا؛ و انتظمت الدولة، و تأثّل الأمر. و كان حازما داهية مشاركا فى الطّلب، أديبا راجح العقل، أصيل الرأى، حسن السياسة، مصنوعا له، موفقا فى تدبيره؛ جبى الأموال، و اقتنى العدد، و اصطنع الرجال، و استكثر من الجيش، و هزم العرب، و افتتح البلاد، و عظمت الأمنة بينه و بين الخليفة بمراكش الملقّب بالسّعيد. و عزم كلّ منهما على ملاقاة صاحبه، فأبى القدر ذلك؛ فكان من مهلك السعيد بظاهر تلمسان ما هو معروف. و اتصل بأبى زكريا هلك ولده وليّ العهد أبى يحيى ببجاية، فعظم عليه حزنه و أفرط جزعه، و اشتهر من رثائه فيه قوله: [الطويل]

ألا جازع يبكى لفقد حبيبهفإنى لعمرى قد أضرّ بى الثّكل

لقد كان لى مال و أهل فقدتهمفهأنا لا مال لدىّ و لا أهل

سأبكى و أرثى حسرة لفراقهمبكاء قريح لا يملّ و لا يسلو

فلهفى ليوم فرّق الدهر بيننافألا فرج يرجى فينتظم الشّمل؟

و إنى لأرضى بالقضاء و حكمهو أعلم ربّى أنه حاكم عدل

نسبه ابن عذارى المراكشى فى البيان المغرب . و اعتلّ بطريقه فمات ببلد العنّاب لانقضاء أربعة من مهلك السعيد؛ و كان موت السعيد؛ يوم الثلاثاء، منسلخ صفر سنة ست و أربعين و ستمائة. و بويع ولده الأمير أبو عبد اللّه بتونس و سنّه إحدى و عشرين سنة، فوجد ملكا مؤسّسا، و جندا مجنّدا، و سلطانا قاهرا و مالا وافرا؛ فبلغ الغاية فى الجبروت و التّيه و النّخوة و الصّلف، و تسمّى بأمير المؤمنين، و تلقّب بالمستنصر باللّه؛ و نقم عليه أرباب دولته أمورا أوجبت مداخلة عمّه أبى عبد اللّه بن عبد الواحد، المعروف باللّحيانى. و مبايعته سرّا بداره، و انتهى الخبر للمستنصر، فعاجل الأمر قبل انتشاره برأى الحزمة من خاصّته، كابن أبى الحسين، و أبى جميل بن أبى الحملات بن مردنيش، و ظافر الكبير، و قصدوا دار عمّه فكبسوها، فقتلوا من كان بها، و عدّتهم تناهز خمسين، منهم عمّه، فسكن الإرجاف، و سلم المنازع، و أعطت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۲

مقادها، و استمرّت أيّامه. و أخباره فى الجود و الجرأة و التّعاظم على ملوك زمانه، مشهورة. و كانت وفاته سنة أربع و سبعين و ستمائة و ولى أمره بعده ابنه الملقّب بالواثق باللّه، و كان مضعوفا، و لم تطل مدته.

عاد الحديث، و كان عمّه المترجم، لمّا اتصل به مهلك أخيه المستنصر، قد أجاز البحر من الأندلس، و لحق بتلمسان، و داخل كثيرا من الموحّدين بها، كأبى هلال، فهيّأ له أبو هلال تملّك بجاية، ثم تحرّك إلى تونس، فتغلّب عليها، فقتل الواثق و طائفة من إخوته و بنيه، منهم صبىّ يسمّى الفضل، و كان أنهضهم، و استبدّ بالأمر، و تمّت بيعته بإفريقية، و كان من الأمر ما يذكر.

حاله: كان أيّدا ، جميلا و سيما، ربعة بادنا، آدم اللون، شجاعا بهمة، عجلا غير مراخ، و لا حازم، منحطّا فى هوى نفسه، منقادا للذّته، بريئا من التشمّت فى جميع أمره. و ولى الخلافة فى حال كبره، و وخطه الشيب، و آثر اللهو، حتى زعموا أنه فقد فوجد فى مزرعة باقلا مزهرة ألفى فيها بعد جهد، نائما بينها، نشوان يتناثر عليه سقطها؛ و احتجب عن مباشرة سلطانه؛ فزعموا أن خالصته أبا الحسن بن سهل، داخل الناس بولده أبى فارس فى خلعه، و القيام مكانه، و بلغه ذلك، فاستعدّ و تأهّب، و استركب الجند، و دعا ولده، فأحضره ينتظر الموت من يمينه و شماله، و أمر للحين فقتل و طرح بأزقّة المدينة، و عجّل بإزعاج ولده إلى بجاية، و عاد إلى حاله.

دخوله غرناطة: قالوا: و لمّا أوقع الأمير المستنصر بعمّه أبى عبد اللّه، كان أخوه أبو إسحاق، ممّن فرّ بنفسه إلى الأندلس؛ و لجأ إلى أميرها أبى عبد اللّه بن الغالب بالله أبى عبد اللّه بن نصر، ثانى ملوكهم فنوّه به، و أكرم نزله، و بوّأه بحال عنايته، و جعل دار ضيافته لأول نزوله القصر المنسوب إلى السّيد خارج حضرته،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۳

و هو آثر قصوره لديه، و حضر غزوات أغزاها ببلاد الروم، فظهر منه فى نكاية العدو و صدامه سهولة و غناء.

و لمّا اتصل به موت أخيه تعجّل الانصراف، و لحق بتلمسان، و داخل منها كبيرا من الموحّدين، يعرف بأبى هلال بباجة كما تقدم، فملّكه أبو هلال منها بجاية، ثم صعد تونس فملكها، فاستولى على ملك ابن أخيه و ما ثمّ من ذمّه، و ارتكب الوزر الأعظم فيمن قتل معه، و كان من أمره ما يأتى ذكره إن شاء اللّه.

إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعىّ الذى قيّضه اللّه لهلاك حينه:

قالوا: و اتّهم بعد استيلائه على الأمر فتى من أخصّاء فتيان المستنصر؛ اسمه نصير، بمال و ذخيرة؛ و توجّه إليه طلبه، و نال منه. و انتهز الفتى فرصة لحق فيها بالمغرب و استقرّ بحلال المراعمة من عرب دبّاب، و شارع الفساد عليه، بجملة جهده، حريصا على إفساد أمره، و عثر لقضاء اللّه و قدره بدعىّ من أهل بجاية يعرف بابن أبى عمارة.

حدّثنى الشيخ المسنّ الحاج أبو عثمان اللّواتى من عدول المياسين، متأخر الحياة إلى هذا العهد؛ قال: خضت مع ابن أبى عمارة ببعض الدكاكين بتونس، و هو يتكهّن لنفسه ما آل إليه أمره، و يعدّ بعض ما جرى به القدر. و كان أشبه الخلق بأحد الصبية الذين ماتوا ذبحا،

بالأمير أبى إسحاق، و هو الفضل، فلاحت لنصير وجه حيلته، فبكى حين رآه، و أخبره بشبهه بمولاه، و وعده الخلافة؛ فحرّك نفسا مهيّأة فى عالم الغيب المحجوب إلى ما أبرزته المقادر، فوجده منقادا لهواه، فأخذ فى تلقينه ألقاب الملك، و أسماء رجاله، و عوائده، وصفة قصوره، و أطلعه على إمارات جرت من المستنصر لأمراء العرب سرّا كان يعالجها نصير، و عرضه على العرب، بعد أن أظهر العويل، و لبس الحداد، و أركبه، و سار بين يديه حافيا، حزنا لما ألفاه عليه من المضيعة، و أسفا لما جرى عليه، فبايعته العرب النافرة، و أشادوا بذكره، و تقوّوا بما قرّره من إمارته؛ فعظم أمره، و اتصل بأبى إسحاق نبأه فبرز إليه، بعد استدعاء ولده من بجاية، فالتقى الفريقان، و تمّت على الأمير أبى إسحاق الهزيمة، و استلحم الكثير ممّن كان معه؛ و هلك ولده، و لجأ أخوه الأمير أبو حفص لقلعة سنان، و فرّ هو لوجهه؛ حتى لحق ببجاية؛ و عاجله ابن أبى عمارة؛ فبعث جريدة من الجند لنظر أشياخ من الموحّدين، أغرت إليهم الإيقاع، فوصلت إلى بجاية، فظن من رآه من الفلّ المنهزم، فلم يعترضه معترض عن القصبة. و قبض على الأمير أبى إسحاق، فطوّقه الحمام، و احتزّ رأسه، و بعث إلى ابن أبى عمارة به، و قد دخل تونس، و استولى على ملكها،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۴

و أقام سنين ثلاثة، أو نحوها فى نعماء لا كفاء له، و اضطلع بالأمر، و عاث فى بيوت أمواله، و أجرى العظائم على نسائه و رجاله إلى أن فشا أمره، و استقال الوطن من تمرّته فيه؛ و راجع أرباب الدولة بصائرهم فى شأنه، و نهد إليه الأمير أبو حفص طالبا بثأر أخيه، فاستولى، و دحض عاره، و استأصل شأفته، و مثل به؛ و الملك للّه الذى لا تزن الدنيا جناح بعوضة عنده.

و فى هذا قلت عند ذكر أبى حفص فى الرجز المسمّى ب «نظم الملوك»، المشتمل على دول الإسلام أجمع، على اختلافها إلى عهدنا، فمنه فى ذكر بنى حفص: [الرجز]

أوّلهم يحيى بن عبد الواحدو فضلهم ليس له من جاحد

و هو الذى استبدّ بالأمورو حازها ببيعة الجمهور

و عظمت فى صقعه آثارهو نال ملكا عاليا مقداره

ثم تولّى ابنه المستنصرو هو الذى علياه لا تنحصر

أصاب ملكا رئيسا أوطانهوافق عزّا ساميا سلطانه

و دولة أموالها مجموعهو طاعة أقوالها مسموعه

فلم تخف من عقدها انتكاثاو عاث فى أموالها عياثا

هبّت بنصر عزّه الرياحو سقيت بسعده الرّماح

حتى إذا أدركه شرك الرّدىو انتحب النّادى عليه و النّدى

قام ابنه الواثق بالتّدبيرثم مضى فى زمن يسير

سطا عليه العمّ إبراهيمو الملك فى أربابه عقيم

و عن قريب سلب الإمارهعنه الدعىّ ابن أبى عماره

عجيبة من لعب الليالىما خطرت لعاقل ببال

و اخترم السيف أبا إسحاقاأبا هلال لقى المحاقا

و اضطربت على الدّعى الأحوالو الحق لا يغلبه المحال

ثم أبو حفص سما عن قربو صيّر الدّعى رهين التّرب

و رجع الحق إلى أهليهو بعده محمد يليه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۵

و هذه الأمور تستدعى الإطالة، مخلّة بالغرض، و مقصدى أن أستوفى ما أمكن من التواريخ التى لم يتضمنها ديوان، و أختصر ما ليس بقريب، و اللّه ولىّ الإعانة بمنّه.

إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد ابن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدى

يكنى أبا إسحاق.

أوّليّته: منزل جدّهم الداخل إلى الأندلس قرية شون من عمل، أو قيل من إقليم إلبيرة. قال ابن البستى: بيتهم فى الأزد، و مجدهم ما مثله مجد، حازوا الكمال، و انفردوا بالأصالة و الجلال، مع عفّة و صيانة و وقار، و صلاح و ديانة، نشأ على ذلك سلفهم، و تبعهم الآن خلفهم. و ذكرهم مطرّف بن عيسى فى تاريخه ، فى رجال الأندلس. و قال ابن مسعدة : وقفت على عقد قديم لسلفى، فيه ذكر محمد بن إبراهيم بن مالك الأزدى، و قد حلّى فيه بالوزير الفقيه أبى أحمد بن الوزير الفقيه أبى عمرو إبراهيم. و تاريخ العقد سنة ثلاث و أربعمائة، فناهيك من رجال تحلّوا بالجلالة و الطهارة منذ أزيد من أربعمائة سنة، و يوصفون فى عقودهم بالفقه و الوزارة منذ ثلاثمائة سنة، فى وقت كان فيه هذا المنصب فى تحلية الناس، و وصفهم، فى نهاية من الضّبط و الحرز، بحيث لا يتّهم فيه بالتّجاوز لأحد، لا سيما فى العقود، فكانوا لا يصفون فيه الشخص إلّا بما هو الحقّ فيه و الصدق، و ما كان قصدى فى هذا إلّا أن شرفهم غير واقف عليه، أو مستند فى الظهور إليه، بل ذكرهم على قديم الزمان شهير و قدرهم خطير.

قلت: و لمّا عقد لولدى عبد اللّه أسعده اللّه، على بنت الوزير أبى الحسن بن الوزير أبى الحسن القاسم بن الوزير أبى عبد اللّه بن الفقيه العالم الوزير، حزم فخارهم، و مجدّد آثارهم، أبى الحسن سهل بن مالك، خاطبت شيخنا أبا البركات بن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۶

الحاجّ، أعرض ذلك عليه، فكان من نصّ مراجعته: فسبحان الذى أرشدك لبيت السّتر و العافية و الأصالة، و شحوب الأبرار، قاتلك اللّه ما أجلّ اختيارك. و خلف هذا البيت الآن على سنن سلفهم من التحلّى بالوزارة، و الاقتياد من العظمة الزاكية، و الاستناد القديم الكريم، و اغتنام العمر بالنّسك، عناية من اللّه، اطّرد لهم قانونها، و اتصلت عادتها، و اللّه ذو الفضل العظيم.

حاله: كان من أهل السرّ و الخصوصيّة، و الصّمت و الوقار، ذا حظّ وافر من المعرفة بلسان العرب، ذكىّ الذّهن، متوقّد الخاطر، مليح النادرة، شنشنته معروفة فيهم. سار بسيرة أبيه، و أهل بيته، فى الطهارة و العدالة، و العفاف و النّزاهة.

وفاته : ....

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولانى

من أهل قرطبة، يكنى أبا إسحاق، و يعرف بابن حرّة.

أوّليّته: من أهل البيوتات بالحضرة، ولى أبوه القهرمة لثانى الملوك من بنى نصر، فتأثّل مالا و نباهة.

حاله: هذا الرجل من أعيان القطر، و وزراء الصّقع، و شيوخ الحضرة، أغنى هذه المدرة يدا، و أشغلهم بالعرض الأدنى نفسا، تحرّف بالتّجر المربوب فى حجر الجاه، و نما ماله، تحاط به الجدات، و تنمو الأموال، ففار تنّورها، و فهق حوضها، كثير الخوض فى التصاريف الوقتية، و الأدوات الزمانية، و أثمان السلع، و عوارض الأسعار، متبجّح بما ظهرت به يده من علق مضنّة هرى المدينة، الذى ينفق على أسواقها، عند ارتفاع القيم، و تمييز الأسعار، و بلوغها الحدّ الذى يراه كفؤ حبّته، و منتهى ثمن غلّته. غرق الفكر، يخاطب الحيطان و الشّجر و الأساطين، محاسبا إياها على معاملات و أغراض فتيّة، يرى من التلبّس شيئا من المعارف و الآداب و الصنائع، و حجة من الحجج فى الرّزق. تغلب عليه السّذاجة و الصحّة، دمث، متخلّق، متنزّل، مختصر الملبس و المطعم، كثير التبذّل، يعظم الانتفاع به فى باب التوسعة بالتسلّف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۷

و المداينة، حسن الخلق، كثير التجمّل مبتلى بالموقب و الطّانز ، يسمع ذى القحة، و يصمّ على ذوى المسألة.

ظهوره و حظوته: لبس الحظوة شملة، لم يفارق طوقها رقبته، إذ كان صهرا للمتغلب على الدولة أبى عبد اللّه بن المحروق ، صار بسهم فى جذور خطته، و ألقى فى مرقة حظوته، مشتملا على حاله، بعباءة جاهه. ثم صاهر المصيّر الأمر إليه بعده القائد الحاجب أبا النعيم رضوان، مولى الدولة النصرية، و هلمّ جرّا، بعد أن استعمل فى السّفارة إلى العدوة و قشتالة، فى أغراض تليق بمبعثه، مما يوجب فيه المياسير و الوجوه، مشرّفين معزّزين بمن يقوم بوظيفة المخاطبة و الجواب، و الردّ و القبول. و ولّى وزارة السلطان، لأول ملكه فى طريق من ظاهر جبل الفتح إلى حضرته، و أياما يسيرة من أيام اختلاله، إلى أن رغب الخاصّة من الأندلسيين فى إزالته، و صرف الأمر إلى الحاجب المذكور الذى تسقّط مع رئاسته المنافسة، و ترضّى به الجملة.

محنته: و امتحن هو و أخوه، بالتّغريب إلى تونس، عن وطنهما، على عهد السلطان الثالث من بنى نصر . ثم آب عن عهد غير بعيد، ثم أسن و استسرّ أديمه، و ضجر عن الركوب إلى فلاحته التى هى قرّة عينه، و حظّ سعادته، يتطارح فى سكّة المتردّدين بإزاء بابه، مباشر الثّرى بثوبه، قد سدكت به شكاية شائنة، قلّما يفلت منها الشيوخ، و لا من شركها، فهى تزفه بولاء، بحال تقتحمها العين شعثا، و بعدا عن النظر، فلم يطلق اللّه يده من جدته على يده، فليس فى سبيل دواء و لا غذاء إلى أن هلك.

وفاته: فى وسط شوّال عام سبعة و خمسين و سبعمائة.

مولده: فى سنة خمس و سبعين و ستمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۸

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى

يكنى أبا إسحاق، و يعرف بابن المرأة.

حاله: سكن مالقة دهرا طويلا، ثم انتقل إلى مرسية، باستدعاء المحدّث أبى الفضل المرسى و القاضى أبى بكر بن محرز، و كان متقدما فى علم الكلام، حافظا ذاكرا للحديث و التفسير، و الفقه و التاريخ، و غير ذلك. و كان الكلام أغلب عليه، فصيح اللسان و القلم، ذاكرا لكلام أهل التصوّف، يطرّز مجالسه بأخبارهم. و كان بحرا للجمهور بمالقة و مرسية، بارعا فى ذلك، متفنّنا له، متقدّما فيه، حسن الفهم لما يلقيه، له وثوب على التمثيل و التّشبيه، فيما يقرب للفهم، مؤثرا للخمول، قريبا من كل أحد، حسن العشرة، مؤثرا بما لديه. و كان بمالقة يتّجر بسوق الغزل. قال الأستاذ أبو جعفر و قد وصمه: و كان صاحب حيل و نوادر مستظرفة، يلهى بها أصحابه، و يؤنسهم، و متطلّعا على أشياء غريبة من الخواص و غيرها، فتن بها بعض الحلبة، و اطّلع كثير ممّن شاهده على بعض ذلك، و شاهد منه بعضهم ما يمنعه الشرع من المرتكبات الشّنيعة، فنافره و باعده بعد الاختلاف إليه، منهم شيخنا القاضى العدل المسمّى الفاضل، أبو بكر بن المرابط، رحمه اللّه؛ أخبرنى من ذلك بما شاهد مما يقبح ذكره، و تبرّأ منه من كان سعى فى انتقاله إلى مرسية، و اللّه أعلم بغيبه و ضميره.

تواليفه: منها شرحه كتاب الإرشاد لأبى المعالى، و كان يعلقه من حفظه من غير زيادة و امتداد. و شرح الأسماء الحسنى. و ألّف جزءا فى إجماع الفقهاء، و شرح محاسن المجالس لأبى العباس أحمد بن العريف. و ألّف غير ذلك. و تواليفه نافعة فى أبوابها، حسنة الرصف و المبانى.

من روى عنه: أبو عبد اللّه بن أحلى، و أبو محمد عبد الرحمن بن وصلة.

وفاته: توفى بمرسية سنة إحدى عشرة و ستمائة.

إبراهيم بن أبى بكر بن عبد اللّه بن موسى الأنصارى

تلمسانى و قرشى الأصل، نزل بسبتة، يكنى أبا إسحاق، و يعرف بالتلمسانى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۶۹

حاله: كان فقيها عارفا بعقد الشروط، مبرّزا فى العدد و الفرائض، أديبا، شاعرا، محسنا، ماهرا فى كل ما يحاول. نظم فى الفرائض، و هو ابن ثمان و عشرين سنة، أرجوزة محكمة بعلمها، ضابطة، عجيبة الوضع. قال ابن عبد الملك:

و خبرت منه فى تكرارى عليه، تيقّظا و حضور ذهن، و تواضعا، و حسن إقبال و برّ، و جميل لقاء و معاشرة، و توسّطا صالحا فيما يناظر فيه من التواليف، و اشتغالا بما يعنيه من أمر معاشه، و تخاملا فى هيئته و لباسه، يكاد ينحطّ عن الاقتصاد، حسب المألوف و المعروف بسبتة. قال ابن الزبير: كان أديبا لغويّا، فاضلا، إماما فى الفرائض.

مشيخته: تلا بمالقة على أبى بكر بن دسمان، و أبى صالح محمد بن محمد الزّاهد، و أبى عبد اللّه بن حفيد، و روى بها عن أبى الحسن سهل بن مالك، و لقى أبا بكر بن محرز، و أجاز له، و كتب إليه مجيزا أبو الحسن بن طاهر الدباج، و أبو على الشلوبين. و لقى بسبتة الحسن أبا العباس بن على بن عصفور الهوارى، و أبا المطرّف أحمد بن عبد اللّه بن عفيرة، فأجازا له. و سمع على أبى يعقوب بن موسى الحسانى الغمارى.

من روى عنه: روى عنه الكثير ممّن عاصره، كأبى عبد اللّه بن عبد الملك و غيره.

تواليفه: من ذلك الأرجوزة الشهيرة فى الفرائض، لم يصنّف فى فنّها أحسن منها. و منظوماته فى السّير، و أمداح النبى، صلى اللّه عليه و سلم، من ذلك المعشّرات على أوزان العرب، و قصيدة فى المولد الكريم، و له مقالة فى علم العروض الدّوبيتى.

شعره: و شعره كثير، مبرّز الطّبقة بين العالى و الوسط، منحازا أكثر إلى الإجادة جمّة، و تقع له الأمور العجيبة فيه كقوله: [المنسرح]

الغدر فى الناس شيمة سلفتقد طال بين الورى تصرّفها

ما كلّ من سرّبت له نعممنك يرى قدرها و يعرفها

بل ربما أعقب الجزاء بهامضرّة عنك عزّ مصرفها

أما ترى الشمس تعطف بالنّور على البدر و هو يكسفها؟

دخوله غرناطة: أخبر عن نفسه أن أباه انتقل به إلى الأندلس، و هو ابن تسعة أعوام، فاستوطن به غرناطة ثلاثة أعوام، ثم رحل إلى مالقة، فسكن بها مدّة، و بها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۷۰

قرأ معظم قراءته. ثم انتقل إلى سبتة، و تزوّج بها أخت الشيخ أبى الحكم مالك بن المرحّل. و هذا الشيخ جدّ صاحبنا و شيخنا أبى الحسين التلمسانى لأبيه، و هو ممّن يطرّز به التأليف، و يشار إليه فى فنون لشهرته.

و من شعره، و هو صاحب مطوّلات مجيدة، و أمادح مبدية فى الإحسان معيدة، فمن قوله يمدح الفقيه أبا القاسم العزفى أمير سبتة: [الكامل]

أ رأيت من رحلوا و زمّوا العيسا و لا نزلوا على الطلول حسيسا ؟

أحسبت سوف يعود نسف ترابهايوما بما يشفى لديك نسيسا؟

هل مؤنس نارا بجانب طورهالأنيسها؟ أم هل تحسّ حسيسا؟

مولده: قال ابن عبد الملك: أخبرنى أنّ مولده بتلمسان سنة تسع و ستمائة.

وفاته: فى عام تسعين و ستمائة بسبتة، على سنّ عالية، فسحت مدى الانتفاع به.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الساحلى

اشارة

المشهور بالطّويجن ، من غرناطة.

حاله: من كتاب «عائد الصلة»: كان، رحمه اللّه، نسيج وحده فى الأدب، نظما و نثرا، لا يشقّ فيهما غباره، كلام صافى الأديم، غزير المائية، أنيق الدّيباجة، موفور المادة، كثير الحلاوة، جامع بين الجزالة و الرّقّة؛ إلى خطّ بديع، و مشاركة فى فنون، و كرم نفس، و اقتدار على كل محاولة. رحل بعد أن اشتهر فضله، و ذاع أوجه، فشرّق، و جال فى البلاد. ثم دخل إلى بلد السّودان، فاتصل بملكها، و استوطنها زمانا طويلا، بالغا فيها أقصى مبالغ المكنة، و الحظوة، و الشّهرة، و الجلالة، و اقتنى مالا دثرا، ثم آب إلى المغرب، و حوّم على وطنه، فصرفه القدر إلى مستقرّه من بلاد السودان، مستزيدا من المال. و أهدى إلى ملك المغرب هديّة تشتمل على طرف، فأثابه عليها مالا خطيرا، و مدحه بشعر بديع كتبناه عنه. و جرى ذكره فى كتاب «التاج» بما نصّه :

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۷۱

«جوّاب الآفاق، و محالف الإباق ، و منفق سعد الشّعر كل الإنفاق؛ رفع ببلده للأدب راية لا تحجم، و أصبح فيها يسوّى و يلجم؛ فإن نسب، جرى و نظم نظم الجمان المحامد، و إن أبّن ورثى غبّر فى وجوه السوابق و حثا. و لمّا اتّفق كساد سوقه، و ضياق حقوقه، أخذ بالحزم، و أدخل على حروف علائه عوامل الجزم، يسقط على الدول سقوط الغيث، و يحلّ كناس الظّبا و غاب اللّيث، شيّع العجائب، و ركّض النّجائب، فاستضاف بصرام، و شاهد البرابى و الأهرام، و رمى بعزمته الشآم، فاحتلّ ثغوره المحوطة، و دخل دمشق، و توجّه الغوطة، ثم عاجلها بالعراق، فحيّا بالسّلام مدينة السّلام، و أورد بالرّافدين رواحله، و رأى اليمن و سواحله، ثم عدل إلى الحقيقة عن المجاز، و توجّه إلى شأنه الحجاز، فاستلم الرّكن و الحجر، و زار القبر الكريم لمّا صدر، و تعرّف بمجتمع الوفود بملك السّود، فغمره بإرفاده، و صحبه إلى بلاده، فاستقرّ بأوّل أقاليم العرض، و أقصى ما يعمر من الأرض، فحلّ بها محلّ الحمر فى الغار، و النور فى سواد الأبصار؛ و تقيّد بالإحسان، و إن كان غريب الوجه و اليد و اللسان. و صدرت عنه رسائل أثناء إغرابه، تشهد بجلالة آدابه، و تعلّق الإحسان بأهدابه».

نثره: فمن ذلك ما خاطب به أهل غرناطة بلده؛ و قد وصل إلى مرّاكش:

«سلام ليس دارين شعاره، و حلق الروض و النضير به صداره، و أنسى نجدا شمّه الزكى و عراره، جرّ ذيله على الشجر فتعطّر، و ناجى غصن البان فاهتزّ لحديثه و تأطّر، و ارتشف الندى من ثغور الشّقائق، و حيّا خدود الورد تحت أردية الحدائق، طربت له النّجدية المستهامة، فهجرت صباها ببطن تهامة، و حنّ ابن دهمان لصباه، و سلا به التّميمى عن ريّاه، و أنسى النّميرى ما تضوّع برقيب من بطن نعماه، و استشرف السمر و البان، و تخلق بخلوقة الآس و الظّيّان ، حتى إذا راقت أنفاس تحيّاته و رقّت، و ملكت نفائس النفوس و استشرقت، و لبست دارين فى ملائها، و نظمت الجوزاء فى عقد ثنائها، و اشتغل بها الأعشى عن روضه و لها، و شهد ابن برد شهادة أطراف المساويك لها، خيّمت فى ربع الجود بغرناطة و رقّت، و ملأت دلوها إلى عقد ركبه، و أقبلت منابت شرقها عن غربه، لا عن عرفه؛ هناك تترى لها صدور المجالس تحمل صدورا، و ترائب المعالى تحلّى عقودا نفيسة و جذورا، و محاسن الشرف تحاسن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۷۲

البروج فى زهرها، و الأفنية فى إيوانها، و الأندية فى شعب بوّانها ، لو رآها النعمان لهجر سديره، أو كسرى لنبذ إيوانه و سريره، أو سيف لقصّر عن غمدانه، أو حسّان لترك جلّق لغسّانه: [الطويل]

بلاد بها نيطت علىّ تمائمىو أول أرض مسّ جلدى ترابها

فإذا قضيت من فرض السلام ختما، و قضت من فاره الثّناء حتما، و نفضت طيب عرارها على تلك الأنداء، و اقتطفت أزاهر محامدها

أهل الودّ القديم و الإخاء، و عمّت من هنالك من الفضلاء، و تلت سور آلائها على منبر ثنائها، و قصّت و عطفت على من تحمل من الطلبة بشارتهم، و صدرت عن إشارتهم، و أنارت نجما حول هالتهم المنيرة و دارتهم، فهناك تقصّ أحاديث و جدى على تلك المناهج، لا إلى صلة عالج، و شوقى إلى تلك العليا، لا إلى عبلة، و الجزا إلى ذلك الشريف الجليل، فسقى اللّه تلك المعاهد غيداقا يهمى دعاؤها، و يغرق روضها إغراقا، حتى تتكلّل منه نحور زندها درّا، و ترنو عيون أطراف نرجسها إلى أهلها سررا، و تتعانق قدود أغصانها طربا، و تعطف خصور مذانبها على أطراف كثبانها لعبا، و تضحك ثغور أقاحيها عند رقص أدواحها عجبا، و تحمّر خدود وردها حياء، و تشرق حدائق وردها سناء، و تهدى إلى ألسنة صباها خبر طيبة و إنباء، حتى تشتغل المطريّة عن روضتها المردودة، و المتكلّىء عن مشاويه المجودة، و البكرى عن شقائق رياض روضته النديّة، و الأخطل عن خلع بيعته الموشيّة. فما الخورنق و سراد، و الرّصافة و بغداد، و ما لفّ النّيل فى ملأته كرما إلى أفدين سقايته، و حارته غمدان عن محراب، و قصر وابرية البلقاء عن غوطة و نهر، بأحسن من تلك المشاهد التى تساوى فى حسنها الغائب و الشاهد. و ما لمصر تفخر بنيلها، و الألف منها فى شنيلها ، و إنما زيدت الشين هنالك ليعد بذلك:

[الوافر]

و يا للّه من شوق حثيثو من وجد تنشّط بالصميم

إذا ما هاجه وجد حديثصبا منها إلى عهد قديم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۷۳

أجنح إنسانى فى كل جانحة، و أنطق لسانى من كل جارحة، و أهيم و قلبى رهين الأنين، و صريع البين، تهفو الرياح البليلة إذا ثارت، و تطير به أجنحة البروق الخافقة أينما طارت، و قد كنت أستنزل قربهم براحة الأجل، و أقول عسى وطن يدنيهم و لعلّ، و ما أقدر اللّه أن يدنى على الشّحط، و يبرى جراح البين بعد اليأس و القنط، هذا شوقى يستعيره البركان لناره، و وجدى لا يجرى قيس فى مضماره، فما ظنّك و قد حمت حول المورد الخصر، و نسمت ريح المنبت الخضر، و نظرت إلى تلك المعاهد من أمم، و همست باهتصار ثمار ذلك المجد اليانع و الكرم، و إن المحبّ مع القرب لأعظم همّا، و أشدّ فى مقاساة الغرام غمّا: [الوافر]

و أبرح ما يكون الشوق يوماإذ دنت الدّيار من الديار

و قربت مسافة الدّوّار، لكن الدهر ذو غير، و من ذا يحكم على القدر، و ما ضرّه لو غفل قليلا، و شفى بلقاء الأحبّة غليلا، و سمح لنا بساعة اتفاق، و وصل ذلك الأمل القصير بباع، و روى مسافة أيام، كما طوى مراحل أعوام.

لدّ إبليس، أفلا أشفقت من عذابى، و سمحت و لو بسلام أحبابى؟

أسلمتنى إلى ذرع البيد، و محالفة الذميل و الوخيد ، و التنقّل فى المشارق و المغارب، و التمطّى فى الصّهوات و الغوارب. يا سابق البين دع محمله، و ما بقى فى الجسم ما يحمله، و يا بنات جديل، ما لكنّ و للذميل؟ ليت سقمى عقيم فلم يلد ذات البين، المشتّتة ما بين المحبين، ثم ما للزاجر الكاذب، و للغراب الناعب، تجعله نذير الجلا، و رائد الخلا، ما أبعد من زاجر، عن رأى الزّاجر، إنما فعل ما ترى، ذات الغارب و القرى، المحتالة فى الأزمّة و البرى، المتردّدة بين التّأويب و السّرى؛ طالما باكرت النّوى، و صدعت صدع الثّوى، و تركت الهائم بين ربع محيل، و رسم مستحيل، يقفو الأثر نحوه، و يسأل الطّلل عن عهده، و إن أنصفت فما لعين معقودة، و إبل مطرودة، مالت عن الحوض و الشّوط، و أسلمت إلى الحبل و العصا و السّوط، و لو خيّر النائى لأقام، و لو ترك القطا ليلا لنام، لكن الدهر أبو براقش ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۷۴

و سهم بينه و بين بنيه غير طائش؛ فهو الذى شتّت الشّمل و صدعه، و ما رفع سيف بعماده إلّا وضعه، و لا بلّ غليلا أحرقه بنار وجده و لا نفعه. فأقسم ما ذات خضاب و طوق، شاكية غرام و شوق، برزت فى منصّتها، و ترجمت عن قضيّتها، أو غربت عن بيتها، و نفضت

شرارة زفرتها عن عينها، ميلا- حكت الميلا- و الغريض، و عجماء ساجلت بسجعها القريض، و كصّت الفود فكأنما نقرت العود، و ردّدت العويل، كأنما سمعت النّقيل، نبّهت الواله فثاب، و ناحت بأشواقها فأجاب. حتى إذا افترّ بريقها، استراب فى أنّتها، فنادى يا حصيبة الساق، ما لك و الأشواق؟ أ باكية و دموعك راقية؟ و محرّرة و أعطافك حالية؟ عطّلت الخوافى، و حلّيت القوادم، و خضّبت الأرجل، و حضرت المآتم. أمّا أنت، فنزيعة خمار، و حليفة أنوار و أشجار، تتردّدين بين منبر و سرير، و تتهادين بين روضة و غدير؛ أسرفت فى الغناء، و إنما حكيت خرير الماء، و ولعت بتكرير الراء، فقالت: أعد نظر البقير، و لأمر ما جدع أنفه قصير، أنا التى أغرقت فى الرّزء، فكنّيت عن الكل بالجزء؛ كنت أربع بالفيافى ما ألافى، و آنس مع مقيلى، بكرته و أصيلى، تحتال من غدير إلى شرج ، و تنتقل من سرير إلى سرج، آونة تلتقط الحبّ، و حينا تتعاطى الحبّ، و طورا تتراكض الفنن، و تارة تتجاذب الشّجن، حتى رماه الدهر بالشّتات، و طرقه بالآفات، فهأنا بعده دامية العين، دائمة الأين، أتعلّل بالأثر بعد العين؛ فإن صعدت منارى، ألهبت منقارى، أو نكأت أحشائى، خضّبت رجلى بدمائى، فأقسم لا خلعت طوق عهده، حتى أردى من بعده، بل ذات خفض و ترف، و جمال باهر و شرف، بسط الدهر يدها، و قبض ولدها، فهى إذا عقدت التّمائم على تريب، أو لفّت العمائم على نجيب، حثّت المفؤود، و أدارت عين الحسود، حتى إذا أينعت فسالها، و قضى حملها و فصالها، عمر لحدها بوحيد كان عندها وسطى، و فريد أضحى فى نحر عشيرتها سمطا، استحثّت له مهبّات النسيم الطّارق، و خافت عليه من خطرات اللّحظ الرّاشق، فحين هشّ للجياد، و وهب التمائم للنّجاد و نادى الصريم، يا الآل و الحريم، فشدّ الأناة، و اعتقل القناة، و برز يختال فى عيون لامه، و يتعرّف منه رمحه بألفه و لامه، فعارضه شثن الكفّين، عارى الشعر و المنكبين، فأسلمه لحتفه، و ترك حاشية ردائه على عطفه، فحين انبهم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۷۵

لشاكلته ما جرى برزت لترى: [الطويل]

فلم تلق فيها غير خمس قوائمو أشلاء لحم تحت ليث سخايل

يحطّ على أعطافه و ترائبهبكفّ حديد النّاب صلب المفاصل

أعظم من وجد إلى تلك الآفاق، التى أطلعت وجوه الحسن و الإحسان، و سفرت عن كمال الشرف، و شرف الكمال عن كل وجه حسان، و أبرزت من ذوى الهمم المنيفة، و السّير الشريفة، ما أقرّ عين العلياء، و حلّى جيد الزمان، فتقوا للعلم أزهارا أربت على الروض المجود، و أداروا للأدب هالة استدارت حولها بدور السّعود، نظم الدهر محاسنهم حليّا فى جيده و نحره، و استعار لهم الأفق ضياء شمسه و بدره، و أعرب بهم الفخر عن صميمه، و فسح لهم المجد عن مصدره، فهم إنسان عين الزمان، و ملتقى طريقى الحسن و الإحسان، نظمت الجوزاء مفاخرهم، و نثرت النّثرة مآثرهم، و اجتلبت الشّعرى من أشعارهم، و طلع النور من أزرارهم، و اجتمعت الثّريّا لمعاطاة أخبارهم، و ودّ الدّلو لو كرع فى حوضهم، و الأسد لو ربض حول ربضهم، و النعايم لو غذّيت بنعيمهم، و المجرّة لو استمدّت من فيض كرمهم، عشق المسك محاسنهم فرقّ، و طرب الصبح لأخبارهم فخرق جبينه و شقّ، و حام النّسر حول حمامهم و حلّق، و قدّ الفخار جدار محامدهم و خلّق، إلى بلاغة أخرست لسان لبيد، و تركت عبد الحميد غير حميد، أهلّ ابن هلال لمحاسنهم و كبّر، و أعطى القارئ ما زجر به قلمه و سطّر، و أيس إياس من لحاقهم فأقصر لما قصّر.

و منها: فما للوشى تألّق ناصعه، و تأنّق يانعه، بأحسن ممّا وشته أنفاسهم، و رسمته أطراسهم، فكم لهم من خريدة غذّاها العلم ببرّه، و فريدة حلّاها البيان بدرّه، و استضاءت المعارف بأنوارهم، و باهت الفضائل بسناء منارهم، و جلّيت المشكلات بأنوار عقولهم و أفكارهم، جلّوا عروس المجد و حلّوا، و حلّوا فى ميدان السيادة و نشأوا، و زاحموا السّهى بالمناكب، و اختطّوا التّرب فوق الكواكب، لزم محلّهم التّكبير، كما لزمت الياء التّصغير، و تقدّموا فى رتبة الأفهام، كما تقدّمت همزة الاستفهام، و نزلوا من مراتب العلياء، منزلة حروف الاستعلاء، و ما عسى أن أقول و دون النهاية مدى نازح، و ما أغنى الشمس عن مدح المادح، و حسبى أن أصف ما أعانيه من الشوق، و ما أجده من التّوق، و أعلّل نفسى بلقائهم، و أتعلّل بالنّسيم الوارد من تلقائهم، و إن جلانى الدهر عن ورود حوضهم، و

أقعدنى الزمان عن اجتناء روضهم، فما ذهب و دادى، و لا تغيّر اعتقادى، و لا جفّت أقلامى عن مدادهم و لا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۷۶

مدادى، و أنا ابن جلا فى وجدهم، و طلّاع الثّنايا إلى كرم عهدهم، إن دعوا إلى ودّ صميم وجدونى، أضع العمامة عن ذوى عهد قديم عرفونى، و لو شرعوا نحوى قلم مكاتبتهم، و أسحّوا بالعلق الثّمين من مخاطبتهم، لكفّوا من قلبى العانى قيد إساره، و بلوا صدى و جدى المتحرّق بناره، ففى الكتابة بلغة الوطر، و قد يغنى عن العين الأثر، و السلام الأثير الكريم الطيب الرّيا، الجميل المحيّا، يحضر محلّهم الأثير، و كبيرهم إذ ليس فيهم صغير، و يعود على من هناك من ذوى الودّ الصميم، و العهد القديم، من أخ برّ و صاحب حميم، و رحمة اللّه و بركاته».

و لا خفاء ببراعة هذه الرسالة على طولها، و كثرة أصولها، و ما اشتملت عليه من وصف و عارضة، و إشارة و إحالة، و حلاوة و جزالة.

شعره: ثبت لدىّ من متأخّر شعره قوله من قصيدة، يمدح بها ملك المغرب ، أمير المسلمين، عند دنوّ ركابه من ظاهر تلمسان ببابه أولها : [الكامل]

خطرت كميّاس القنا المتأطّرورنت بألحاظ الغزال الأعفر

و من شعره فى النسيب: [البسيط]

زارت و فى كلّ لحظ طرف محترسو حول كلّ كناس كفّ مفترس

يشكو لها الجيد ما بالحلى من هدرو يشتكى الزّند ما بالقلب من خرس

متى تلا خدّها الزّاهى الضّحى نطقتسيوف ألحاظها من آية الحرس

فى لحظها سحر فرعون و رقّتهاآيات موسى و قلبى موضع القبس

تخفى النّمومين من حلى و مبتسمتحت الكتومين من شعر و من غلس

و ترسل اللّحظ نحوى ثم تهزأ بىتقول بعد نفوذ الرّمية احترس

أشكو إليها فؤادا و اجلا أبدافى النّازعات و ما تنفكّ من عبس

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۷۷ يا شقّة النّفس إنّ النّفس قد تلفتإلّا بقيّة رجع الصّوت و النّفس

هذا فؤادى و جفنى فيك قد جمعاضدّين فاعتبرى إن شئت و اقتبسى

و يا لطارق نوم منك أرّقنىليلا و نبّهنى للوجد ثم نسى

ما زال يشرب من ماء القلوب فلمأبصرته ذابلا يشكو من اليبس

ملأت طرفى عن ورد تفتح فىرياض خدّيك صلّا غير مفترس

و قلت للّحظ و الصّدغ احرسا فهماما بين مصم و فتّاك و منتكس

و ليلة جئتها سحرا أجوس بهاشبا العوالى و خيس الأخنف الشّرس

أستفهم الليل عن أمثال أنجمهو أسأل العيس عن سرب المها الأنس

و أهتك السّتر لا أخشى بوادرهما بين منتهز طورا و منتهس

بتنا نعاطى بها ممزوجة مزجتحلو الفكاهة بين اللّين و الشّرس

أنكحتها من أبيها و هى آيسةفثار أبناؤها فى ساعة العرس

نور و نار أضاءا فى زجاجتهافذاك خدّك يا ليلى و ذا نفسى

حتى إذا آب نور الفجر فى وضحمعرّك جال بين الفجر و الغلس

و هيمنت بالضنا تحت الصباح صباقد أنذرتها ببرد القلب و اللّعس

قامت تجرّ فضول الريط آنسةكريمة الذيل لم تجنح إلى دنس

تلوث فوق كثيب الرمل مطرفهاو تمسح النّوم عن أجفانها النّعس

فظلّ قلبى يقفوها بملتهب‌طورا و دمعى يتلوها بمنبجس

دهر يلوّن لونيه كعادتهفالصبح فى مأتم و الليل فى عرس

و إحسانه كثير، و مقداره كبير. ثم آب إلى بلاد السودان، و جرت عليه فى طريقه محنة، ممّن يعترض الرفاق و يفسد السبيل، و استقرّ بها على حاله من الجاه و الشّهرة، و قد اتخذ إماء للتسرّى من الزّنجيّات، و رزق من الجوالك أولادا كالخنافسة. ثم لم يلبث أن اتصلت الأخبار بوفاته بتنبكتو، و كان حيّا فى أوائل تسعة و ثلاثين و سبعمائة .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۷۸

إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى ابن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميرى

من أهل غرناطة، يكنى أبا إسحاق و يعرف بابن الحاجّ .

أوّليّته: بيت نبيه، يزعم من يعنى بالأخبار، أن جدّهم الداخل إلى الأندلس ثوابة بن حمزة النّميرى، و يشركهم فيه بنو أرقم الوادى شيون . و كان سكناه بجهة وادى آش، و لقومه اختصاص و انتقال ببعض جهاتها، و هى شوظر، و المنظر، و قرسيس، و قطرش؛ تغلّب العدو عليها على عهد عبد العزيز، و آوى جميعهم إلى كنف الدولة النصرية، فانخرطوا فى سلك الخدمة، و تمحّض خلفهم بالعمل. و كان جدّه الأقرب إبراهيم، رجلا خيّرا من أهل الدين و الفضل و الطهارة و الذكاء؛ كتب للرؤساء من بنى إشقيلولة، عند انفرادهم بوادى آش. و اختصّ بهم، و حصل منهم على صهر بأم ولد بعضهم، و ضبط المهمّ من أعمالهم. ثم رابته منهم سجايا أوجبت انصرافه عنهم، و جنوحه إلى خالهم السلطان الذى كاشفوه بالثورة، فعرف حقّه، و أكرم وفادته، و قبل بيانه؛ فقلّده ديوان جنده، و استمرّت أيام عمره تحت رعيه، و كنف عنايته. و كان ولده عبد اللّه، أبو صاحبنا المترجم به، صدرا من صدور المستخدمين فى كبار الأعمال، على سنن رؤسائهم، مكسابا متلافا، سرىّ النفس، غاض الحواز. ولى الأشغال بغرناطة و سبتة؛ عند تصيّرها إلى إيالة بنى نصر؛ و جرى طلاقه هذا، فى صلّ دنيا عريضة؛ تغلّبت عليه بآخرة، و مضى لسبيله، مصدوقا بالكفاية، و براعة الخط، و طيب النفس، و حسن المعاملة.

حاله: هذا الرجل نشأ على عفاف و طهارة؛ امتهك صبابة ترف من بقايا عافية، أعانته على الاستظهار ببزّة، و صانته من التحرّف بمهنة. ثم شدّ و بهرت خصاله، فبطح بالشّعر؛ و بلغ الغاية فى إجادة الخط، و حاضر بالأبيات، و أرسم فى كتابة الإنشاء، عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة، مستحقّا حسن سمة ، و براعة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۷۹

خط، و جودة أدب، و إطلاق يد، و ظهور كفاية؛ و فى أثناء هذا الحال، يقيد و لا يفتر، و يروى الحديث، و يعلّق الأناشيد، و لا يغبّ النظم و النثر، و لا يعفى القريحة، معمّى، مخوّلا فى العناية، مشتملا على الطهارة، بعيدا فى زمان الشّبيبة عن الرّيبة، نزيها على الوسامة عن الصّبوة و الرّقية، أعانه على ذلك نخوة فى طبعه، و شفوف و همّة. كان مليح الدّعابة، طيّب الفكاهة، آثر المشرق، فانصرف عن الأندلس فى محرّم عام سبعة و ثلاثين و سبعمائة، و ألمّ بالدول، محرّكا إياها بشعره، هازّا أعطافها بأمداحه؛ فعرف قدره، و أعين على طيّته؛ فحجّ و تطوّف، و قيّد، و استكثر، و دوّن فى رحلة سفره؛ و ناهيك بها طرفة؛ و قفل إلى إفريقية، و كان علق بخدمة بعض ملوكها، فاستقرّ ببجاية لديه، مضطلعا بالكتابة و الإنشاء. ثم انتقل إلى خدمة سلطان المغرب، أمير المسلمين أبى الحسن؛ و لم ينشب أن عاد إلى البلاد المشرقية، فحجّ، و فصل إلى إفريقية، و قد دالت الدولة بها بالسلطان المذكور، فتقاعد عن الخدمة، و آثر الانقباض؛ ثم ضرب الدهر ضرباته، و آل حال السلطان إلى ما هو معروف، و ثابت للموحّدين برملة بجاية بارقة لم تكد تتقد حتى خبت، فعاد إلى ديوانه من الكتابة عن صاحب بجاية. ثم أبى مؤثرا للدّعة فى كنف الدولة الفارسية ، و نفض عن الخدمة يده، لا أحقّق مضطرا أم

اختيارا، و حجة كليهما قائمة لديه، و انقطع إلى تربة الشيخ أبى مدين بعبّاد تلمسان، مؤثرا للخمول، عزيزا به، ذاهبا مذهب التّجلّة من التجريد و العكوف بباب اللّه، مفخرا لأهل نحلته، و حجّة على أهل الحرص و التهافت، من ذوى طبقته، راجع اللّه بنا إليه بفضله. ثم جبرته الدولة الفارسية على الخدمة، و أبرته بزّة النّسك، فعاد إلى ديدنه من الكتابة، رئيسا و مرءوسا. ثم أفلت نفيه موت السلطان أبى عنان فلحق بالأندلس، و تلقى ببرّ و جراية، و تنويه و عناية، و استعمل فى السفارة إلى الملوك؛ و ولّى القضاء فى الأحكام الشرعية بالقليم بقرب الحضرة؛ و هو الآن بحاله الموصوفة، صدرا من صدور القطر و أعيانه، يحضر مجلس السلطان، و يعدّ من نبهاء من ينتاب بابه، و قد توسّط من الاكتهال، مقيما لرسم الكتابة و الظرف مع الترخيص للباس الحرير، و الخضاب بالسواد، و مصاحبة الأبّهة، و الحرص على التّجلّة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۸۰

و جرى ذكره فى «التاج المحلّى» بما نصّه : «طلع شهابا ثاقبا، و أصبح بشعره للشّعرى مصاقبا، فنجم و برع، و تمّم المعانى و اخترع؛ إلى خطّ يستوقف الأبصار رائقه، و تقيّد الأحداق حدائقه، و تفتن الألباب فنونه البديعة و طرائقه، من بليغ يطارد أسراب المعانى البعيدة فيقتنصها، و يغوص على الدّرر الفريدة فيخرجها، و يستخلصها بطبع مذاهبه دافقة، و تأييد رايته خافقة. نبه فى عصره شرف البيان من بعد الكرى، و انتدب بالنشاط إلى تجديد ذلك البساط و انبرى، فدارت الأكواس، و تضوّع الورد و الآس، و طاب الصّبوح، و تبدّل الروح المروح، و لم تزل نفحاته تتأرّج، و عقائل بناته تتبرّج، حتى دعى إلى الكتابة، و خطب إلى تلك المثابة، فطرّز المفارق برقوم أقلامه، و شنّف المسامع بدرّ كلامه؛ ثم أجاب داعى نفسه التى ضاق عنها جثمانه، لا بل زمانه، و عظم لها فكره و غمّه، و تعب فى مداراتها، و كما قال أبو الطيب المتنبى:

«و أتعب خلق اللّه من راد محمده»، فارتحل لطيّته، و اقتعد غارب مطيّته، فحجّ و زار، و شدّ للطّواف الإزار. ثم هبّ إلى المغرب و حوّم، و قفل قفول النسيم عن الرّوض بعدما تلوّم، و حطّ بإفريقية على نار القرى، و حمد بها صباح السّرى، و لم يلبث أن تنقل، و وحر الحميم شفافه و تنغل، ثم بدا له أخرى فشرق، و كان عزمه أن يجتمع فتفرّق».

مشيخته: روى عن مشيخة بلده و أشجر، و قيّد و استكثر، و أخذ فى رحلته عن أناس شتّى يشقّ إحصاؤهم.

تواليفه: منها كتاب «المساهلة و المسامحة، فى تبيين طرق المداعبة و الممازحة»، و «إيقاظ الكرام، بأخبار المنام»، و «تنعيم الأشباح بمحادثة الأرواح»، و كتاب «الوسائل، و نزهة المناظر و الحمائل» و «الزّهرات، و إجالة النّظرات»، و كتاب فى «التّورية» على حروف المعجم، أكثره مروى الأسانيد عن خلق كثير، و اللّه تعالى يخره؛ و جزء فى تبيين المشكلات الحديثة الواصلة من زبيد اليمن إلى مكّة؛ و جزء فى بيان اسم اللّه الأعظم، و هو كبير الفائدة، و «نزهة الحدق، فى ذكر الفرق»، و كتاب الأربعين حديثا البلدانية، و المستدرك عليها من البلاد التى دخلتها، و رويت فيها، زيادة على الأربعين، و «روضة العباد المستخرجة من الإرشاد»، و هو من تأليف شيخنا القطب أبى محمد الشافعى؛ و الأربعون حديثا التى رويتها عن الأمراء و الشيوخ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۸۱

الذين رووا عن الملوك و الأمراء؛ و الشيوخ الذين رووا عن الملوك و الخلفاء القريب عهدهم؛ و وصلت بها خاتمة ذكرت فيها فوائد مما رويته عن الملوك و الأمراء، و عن الشيوخ الذين رووا عن الملوك و الأمراء؛ و كتاب «اللّباس و الصّحبة» و هو الذى جمعت فيه طرق المتصوّفة، المدّعى أنه لم يجمع مثله؛ و كتاب فيه شطر الحماسة لحبيب، و هو غير مكمل؛ و رجز فى الفرائض على الطريقة البديعة التى ظهرت ببلاد الشرق؛ و رجز صغير فى الحجب و السّلاح، و رجز فى الجدل؛ و رجز فى الأحكام الشرعية سمّاه، ب «الفصول المقتضبة، فى الأحكام المنتخبة»؛ و كتاب سمّاه ب «مثاليث القوانين، فى التّورية و الاستخدام و التّضمين»، و هو كله من نظمه؛ و له تأليف سمّاه ب «فيض العباب، و إجالة قداح الآداب، فى الحركة إلى قسنطينة و الزّاب».

شعره: و من شعره فى المقطوعات : [الكامل]

طاب العذيب بماء ذكرك و انثنى‌فكأنما ماء العذيب سلافه

و اهتزّ من طرب للقياك الحمى‌فكأنّما باناته أعطافه

و من ذلك : [الطويل]

لى المدح يروى منذ كنت كأنماتصورت مدحا للورى و ثناء

و ما لى هجاء فاعجبنّ لشاعرو كاتب سرّ لا يقيم هجاء

و من ذلك : [الطويل]

ولى فرس من علية الشّهب سابق‌أصرّفه يوم الوغى كيف أطلب

غدوت له فى حلبة القوم مالكايتابعنى ما شئت فى السّبق أشهب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۸۲

و قال، و قد وقف حاجب السلطان على عين ماء «فيض الثغور» و شرب منها : [المتقارب]

تعجّبت من ثغر هذى البلادو ها أنت من عينه شارب

فللّه ثغر أرى شارباو عين بدا فوقها حاجب

و من ذلك : [المتقارب]

و حمراء فى الكأس مشمولةتحثّ على العود فى كلّ بيت

فلا غرو أن جاءنى سابقاإلى الأنس خلّ يحثّ الكميت

و قال مضمّنا، و قد تذكر حمراء غرناطة، و بابها الأحفل المعروف «بباب الفرج» : [المتقارب]

أقول و حمراء غرناطة تشوق‌تشوق النّفوس و تسبى المهج

ألا ليت شعرى بطول السّرى‌أرتنا الوجى و اشتكت العرج

و ما لى فى عرج رغبةو لكن لأقرع باب الفرج

و قال ملغزا فى قلم و هو ظريف : [الطويل]

أحاجيك ما واش يراد حديثهو يهوى الغريب النازح الدار إفصاحه

تراه مع الأحيان أصفر ناحلاكمثل مريض و هو قد لازم الرّاحه

و قال: [الطويل]

و قالوا رمى فى الكأس وردا فهل ترى‌لذلك وجها؟ قلت أحسن به قصدا

أ لم تجد اللذّات فى الكأس حلبة؟فلا تنكروا فيها الكميت و لا الوردا الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۸۳

و قال : [الطويل]

كماة تلاقت تحت نقع سيوفهمو للهام رقص كلّما طلب الثّار

فلا غرو أن غنّت و تلك رواقص‌لها فيهم فى مارد الحرب أوتار

و قال: [الرجز]

و عارض فى خدّه نباتهفحسنه بين الورى يسحرنا

أجرى دموعى إذ جرت شوقا لهفقلت هذا عارض ممطرنا

و قال و قد توفى السلطان أبو يحيى بن أبى بكر، صاحب تونس، و ولى ابنه أبو حفص بعد قتله لإخوته: [الطويل]

و قالوا أبو حفص حوى الملك غاصباو إخوته أولى و قد جاء بالنّكر

فقلت لهم كفّوا فما رضى الورىسوى عمر من بعد موت أبى بكر

و قال مضمّنا، و قد حضر الفتى الكبير عنبر قتالا، و كان فارسا مذكورا عند بنى مرين: [الكامل]

و لقد أقول و عنبر ذاك الفتىيلقى الفوارس فى العجاج الأكور

يا عاثرين لدى الجلاد لعا فقدبسقت لكم ريح الجلاد بعنبر

و قال و قد اشتاق إلى السّبيكة خارج حمراء غرناطة: [مجزوء الرمل]

إنّ إفراط بكائىلم يرع منى عريكه

قد أذاب العين لمّازاد شوقى للسّبيكه

و قال: [الكامل]

لمّا نزلت من السّبيكة صادنىظبى وددت لديه أن لم أنزل

فاعجب لظبى صاد ليثا لم يكنمن قبلها متخبّطا فى أحبل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۸۴

و قال و هو ظريف: [الكامل]

قد قارب العشرين ظبى لم يكنليرى الورى عن حبّه سلوانا

و بدا الربيع بخدّه فكأنماوافى الربيع ينادم النّعمانا

و قال : [الطويل]

أتونى فعابوا من أحبّ جمالهو ذاك على سمع المحبّ خفيف

فما فيه عيب غير أنّ جفونهمراض و أنّ الخصر منه ضعيف

و قال: [المتقارب]

أيا عجبا كيف تهوى الملوكمحلّى و موطن أهلى و ناسى

و تحسدنى و هى مخدومةو ما أنا إلّا خديم بفاس

نثره: و نثره تلو نظمه فى الإجادة، و قد تضمّن الكتاب المسمى ب «نفاضة الجراب» منه ذكر كل بديع؛ فمما ثبت فيه، مما خاطبته به، و قد ولّى خطّة القضاء بالإقليم، أداعبه، و أثير ما تستحويه عجائبه: [السريع]

يا قاضى العدل الذى لم تزلتمتار شهب الفضل من شمسك

قعدت للإنصاف بين الورىفاطلب لنا الإنصاف من نفسك

«ما للقاضى، أبقاه اللّه، ضاق ذرع عدله الرّحيب، عن العجيب؛ و همّ عن العتب، و ضنّ على صديقه حتى بالكتب؛ أمن المدوّنة الكبرى ركب هذا التحريج، أم من المبسوطة ذهب إلى هذا الأمر المريج؛ أم من الواضحة امتنع عن الإمام ببديع الوفاء و التعريج؟ من أمثالهم ارض من أخيك بعشر ودّه إذا ولّى، و قد قنعنا و الحمد للّه بحبّة من مدّه، و إشارة من درجه، و برّة و صاعة معتدلة، من زمان بلوغ أشدّه؛ فما باله يمطل مع الغنى، و يحوج إلى العنا، مع قرب الجنى؛ المحلة حلّة ضالع، و مطمع و طامع، و مرأى و رأى، و مستمع و سامع، و الكنف واسع، و المكان لا ناء و لا شاسع؛ و الضّرع حافل؛ و الزّرع كاف كافل؛ و القريحة وارية الزّند، و الإمالة خافقة البند؛ وهب أن البخل يقع بها فى الخوان على الإخوان، فما باله يسمح بالبيان، و ليس الخبر كالعيان؛ و يتعدّى حظّ الجنان، لا خطّ البنان؛ أعيذ سيدى من ارتكاب رأى ذميم، ينقل إلى نميرها بيت تميم؛ و يقصد معناه بتميم، و هلّا تلا حم؛ و عهدى بالسياسة القاضوية، و قد نامت فى مهاد أهل الظرف، نوم أهل الكهف، و لم تبال بمردّد الويل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۸۵

و اللّهف، أو شربة لحفظ الصّحة بختجا، و دقّت لإعادة الشّبيبة عفصا ورد سختجا؛ و غطّت الصبح بالليل إذا سجا، و مدّت على ضاحى البياض صلّا سجسجا؛ و ردّت سوسن العارض بنفسجا، و لبس بحرها الزّاخر من طحلب البحر منتسجا؛ و أحكام العامّة، و مزين المرأة ينصح و يرشد، و يطوى المحاسن و ينشد، حتى حسنت الدّارة، و صحّت الاستدارة، و أعجبه الوجه الجميل، و القدّ الذى يميد فى دكّة الدّار و يميل، و أغرى بالسّواك السّميم و التكميل، و ولج بين شفرتى سيد الميل، و قيل لو صاح اليمين خاب فيك التّأميل؛ و امتدّ جناح برنس السّرق، و احتفل الغصن الرّطيب فى الورق، و رشّ الورد بمائه عند رشح العرق. و تهيّأ لمنطلق، فقرأت عليه نساء أعوانه، و كتبة ديوانه، سورة الفلق؛ من بعد ما وقف الإمليق حجّابه على إقدامهم، و سحبهم جلاوزته من أقوامهم؛ فمثلوا و اصطفّوا، و تألّفوا و التفّوا، و داروا و حفّوا، و ما تسلّلوا و لا خفوا؛ كأنما أسمعتهم صيحة النّشر، و أخرجوا لأول الحشر، فعيونهم بملتقى المصراع معقودة، و أذهانهم لمكان الهيبة مفقودة، و حبالتهم قبل الطلب بها منقودة؛ فبعد ما فرش الوساد، و ارتفع بالنّفاق الكساد، و ذارع البكا و تأرّج الحسّاد، و استقام الكون و ارتفع الفساد، و راجعت أرواحها الأجساد؛ جاءت السّادة القاضوية فجلست، و تنعّمت الأحداق بالنظر فيها و اختلست، و سجّت الأكفّ حتى أفلست؛ و زانت شمسها ذلك الفلك، و جلت الأنوار ذلك الحلك، و فتحت الأبواب و قالت هيت لك؛ و وقفت الأعوان سماطين و مثلوا خطّين، و تشكّلوا مجرّة تنتهى منك إلى البطين، يعلنون بالهديّة و يجهرون، و لا يَعْصُونَ اللَّهَ ما أَمَرَهُمْ وَ يَفْعَلُونَ ما يُؤْمَرُونَ ؛ من كل شهاب ثاقب و طائف غاسق واقب، و ملاحظ مراقب؛ كميش الإزار، بعيد المزار، حامل للأوبار، خصيم مبين، وارث سوفسطائيّا عن رثين، مضطلع بفقه البين و حريمها، فضلا عن تلقين الخصوم و تعليمها، يرأسهم العريف المقرّب، و المقدّم المدرّب، و المشافه المباشر، و النّابح الشاكر، و النّهج العاشر؛ الذى يقتضى خلاص العقد، و يقطع الكالى و النّقد، و يزكّى و يجرّح، و يمسك و يسرّح و يطرح، و يحمل من شاء أو يشرّح، و المسيطر الذى بيده ميزان الرّزق، و جميع أجزاء المفترق، و كافة قابلة، وحم الدّواة الفاغرة، و رشا بلالة الصّدور الواغرة؛ فإذا وقف الخصمان بأقصى مطرح الشعاع، أيّان يجتمع الرّعاع، و أعلنّا النّداء، و طلب الأعداء، و صاحا: جعل اللّه أنفسنا لك الفداء، و رفع الأمر إلى مقطع الحق، و الأولى بالمثوبة الأحق، أخذتهما الأيدى دفعا فى القفىّ، و رفعا السّتر اللّطيف الخفىّ، و أمسكا بالحجر و الأكمام، و منعا المباشرة و الإلمام؛ فإذا أدلى بحجّته من

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٨۶

أدلى، و سمعها دينه عدلا، و حقّ القول، و استقرّ الهول، و وجبت اليمين، أو الأداء الذى يفوت له الذخر الثمين، أو الرهن أو الضّمين، أو الاعتقال الذى هو على أحدهما كالأمين؛ نهش الصّل، الذى سليمه لا هل، و لسبت العقارب، التى لا يفلتها الهارب، و لا تخفى منها المشارب؛ و كم تحت ظلام الليل من غرارة يحملها غرّ، و صدّه ريح فيها صرّ؛ و يهدى ارتقاب قلّة شهد، و كبش يجرّ بقرنيه، و يدفع بعد رفع ساقيه؛ و معزى و جدى و قلائد، و سرب دجاج، ذوات بجاج، يفضحن الطّارق، و يشعثن المفارق، فمتى يستفيق سيدى مع هذا اللّغط العائد بالصّلة، و اللهو المتّصلة، و تفرغ يده البيضاء لأعمال ارتياض، و خطّ سواد فى بياض، أو حنين لدوح أو رياض؛ أو إمتاع طرف، باكتشاف حرف، أو إعمال عدل لرسول فى صرف، أو حشو طرف، بتحفة ظرف؛ شأنه أشدّ استغراقا، و مثواه أكثر طراقا، من ذكرى حبيب و منزل ، و أمّ معدّل؛ و كيف يستخدم القلم الذى يصرف ماء الحبر، بذوب التّبر، فى ترّهات عدم جناها؛ و أقطع جانب الخيبة لفظها و معناها؛ اللّهمّ إلا أن تحصل النفس على كفاية تحتم لها الصّدر، و يشام من خلالها اللّجين الرفيع القدر، أو يحيى للفكاهة و الأنس، أو ينفق لديها ذمام على الجنس؛ فربما تقع المخاطبة المبرورة، و تبيح هذا المرتكب الصعب الضرورة؛ و المرغوب من سيّدنا القاضى أن يذكرنا يوما بالإغفال فى نعيمه، و لا يخيّب آمالنا المتعلّقة بأذيال زعيمه، و يسهمنا حظّا من فرائد خطّه، لا من فوايد خطّته، و يجعل لنا كفلا من فضل بريته و حنطته لا من فضل هرّته و قطّته؛ فقد غنينا عن الحلاوات بحلاوات لفظه، و عن الطرف المجموعة، بفنون حفظه، و عن قصب السّكر، بقصب أقلامه؛ و عن جنى الرّوم بروامه، و بهديه، عن جديه؛ و بمجاجته، عن دجاجته؛ و بدلجه عن أترجّه؛ و عن البر ببرّه، و عن الحبّ بحبّه؛ و لا نأمل إلّا طلوع بطاقته، و قد رضينا بوسع طاقته؛ و إلّا فلا بدّ أن يجيش جيش

الكلام إلى عتبه، و نوالى عليه ضرايب الكتائب، حتى يتّقى بضريبة كتبه، و السلام».

فراجعنى بما نصه: [الطويل]

فنيت عن الإنصاف منّى لأننى كما قلت لكم من فراقكم قاض

فمن سمعنا أو من بعينك إننى بكلّ الذى ترضاه يا سيدى راض

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۸۷

«عمرك اللّه أيها الإمام الفذّ، و من بمدحه تطرب الأسماع و تلذّ، أوحد الدنيا و حائز الرّتبة العليا؛ و لو لا أنك فوق ما يقال، و الزّلّة إن لم تظهر العجز عن وصفك لا- تقال، لأطلت فى القول، و هدرت هدير قرع الشّول، لكن تحصيل الحاصل محال، و لكلّ فى تهيّب كمالك مقال، و مقام و حال؛ و لو لا أنّ الدعاء مأمول، و هو يظهر الغيب مقبول، و الزيادة من فضل اللّه لا تنتهى، و النّعم قد توافيك، فوق ما تشتهى، لأريت أن ذلك أمر كفى، و أمر ظهر فيه ما خفى: [البسيط]

إن قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذاأو قلت زانك ربّى فهو قد فعلا

إيه يا سيدى، ما هذه الكلمات السّحريّة و الأنفاس النّفيسة الشّجرية، و الألفاظ التى أنالت المرغوب و خالطت بشاشتها القلوب، و النّزعات الرّائقة، و الأساليب الفائقة، و الفصاحة التى سلبت العقول، و البلاغة التى أوجبت الذّهول؛ و البيان الذى لا يضيق صحيفه، و لا- يبلغ أحد مدّه و نصيفه؛ يمينا بما احتوى من المحاسن، و اللطائف التى لم يكن ماؤها بالآسن، و قسما ببراعتك التى هى الواسى المطاع، و طرسك الذى أبهجت به الأبصار و الأسماع؛ لقد عاد لى بكتابتك عيد الشّوق، و جاد لى بخطابك جدّ التّوق، و لعهدى بنفسى رهن أشجانى، غير محلولة عقدة لسانى، أشدّ من الصخرة جلدا، و أغلظ من الإبل كبدا؛ حتى إذا بدت حقيدة القلب وهبّ نسيمه الرّطب، و أفيح مورده العذب، و أضاء بنوره الشّرق و الغرب، و لم يبق لى بثّ و لا شجن، و لا شاقنى أهل و لا وطن؛ و مضى سيف اللسان بعد النبوّ، و نهض طرف الفكر بعد البكر، و هزّنى الطّرب المثير للأفراح، و مشى الجذل فى أطرافى و أعطافى مشى الرّاح؛ بيد أنى خجلت و لا خجلة ربّة الخدر، و تضاءلت نفسى لجلالة ذلك القدر؛ و قلت ما لى بشربة من كأس بيانه، و قطرة من بحور إحسانه؛ حتى أؤدّى و لو بعض حقّك، و أكتب عقد ملك رقىّ لرقك، إننى على ما وليت من الصّدقة و الصّداقة و بعد طلاقك؛ لكنى أقوم فى حقك مستغفرا، و لا- أرضى أن أكون لذمّة المخدوم خفرا؛ على أننى أقول، قد كتبت فلم يردّ جوابى، و جرمت فهاج الجوى بى، و لعمرى قد لزمت فيه خطّة الأدب، و لم أر التّثقيل على المولى الرّفيع الرّتب؛ فأما و قد نفقت عندك بضاعتى المزجاة، و شملنى من لدنك الحلم و الإناة، و شرّفتنى بالخطاب الكريم، و الرسالة التى عرفت فى وجهها نضرة النعيم؛ فما أبغى إلّا إيرادها عليك و كلها خراج، و لبردها فى الإجادة إنهاج؛ و لعلّك ترضى التّخريج من مدوّنة الأخبار، و المبسوطة و الواضحة، لكن من الأعذار. و أمّا الولاية التى يقنع بسببها من الودّ بالعشر، أو بحبّة من المدّ إلى يوم النّشر، فلا بدّ أن يكون القانع محتاجا للوالى، و مفتقرا إلى التفقّد المتوالى؛ و أما إذا كان القانع هو الذى تولّى الخطّة، و أكسب الهرّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۸۸

الذى أشار إليه و القطّة، فهو قياس عكسه كان أقيس، بل تعليم لمن وجد فى نفسه خيفة و أوجس؛ و هأنا قد فهمت و علمت، من حسن تأديبك ما علمت، و على ما فرّطت فى جنبك ندمت، و إلى المعذرة و الحمد للّه ألهمت؛ و مع ذلك أعيد حديث الشيخ القاضى، و ذكر عهدك به فى الزمان الماضى؛ فلقد أجاد فى الخضاب بالسّواد، و اعتمد على قول المالكى الذى هدى إلى الرّشاد، و أوجبه بعضهم فى بلاد الجهاد؛ و بيّن عمر منافع الخضاب الصادقة الإشهاد، و خضب بالسّواد جماعة من الصّحابة الأمجاد؛ و كان ذلك ترخيصا لم يعدّ شرعا، لكنه دفع شرّا و جلب نفعا؛ لا كأخيه الذى أبكى عين الحميم، و أنشد قول الرّضىّ يوم السقيم، و فجع قلوب أترابه، و لم يأت بيت النّصف من بابه؛ و إلّا فقد علم أن فى الخير مشروع ، و تعجّل الشىء قبل أوانه ممنوع، و ستغبط أخاك و لو بعد حين، و ما كل صاحب يحمد فى إيضاح و تبيين، و إنى لأرجو أن تتزوجها بكرا، تلاعبها و تلاعبك، أو ثيّبا تقصر عن حبّها

مآربک؛ فلا- جرم ترجع إلى الخضاب، و حينئذ تمتّع برشف الرّضاب؛ و إلّا قالت سيدى، لا تعظم المنى، و لا تجعل القطر قبل أن يموت عمر؛ لعمر اللّه إن هذا الموقف صعب، قد ملأ الروح منه روع و رعب؛ و إن أضاف إلى ذلک غلبة الأوهام، و ظن الشيخوخة الصادرة عن نيل المرام، سكن المتحرک المصلوب، و تنغّص عند ذلک المحبوب؛ و اللّه يعينک أيّها المولى، و يواليک من بسطه أضعاف ما ولى. و أما الأوصاف التى حسبتها أوصافى، و أوجبت حكمها بالقياس على خلافى، فهى لعمرى أوصاف لا تراد، و مراع لا شكّ أنها تراد؛ غير أنى بعيد العهد بهذه البلاد، لا أمت لها إلّا بالانتساب و الميلاد، لا كالقضاة الذين ذكرت لهم عهدا، و نظمت حلاهم فى جيد الدهر عقدا؛ و لو أنک بسرّک بصّرتنى بشروط القضاء و سجايا أهل الصّرامة و المضاء، لحقّقت المناط، و أظهرت الزهد و الاغتباط؛ لكنى جهلت و الآن ألهمت؛ و ما علّم الإنسان إلّا ليعلم، و اللّه يهدينا إلى الذى يكون أحسن و أقوم؛ و إنى لأعلم سيدى بخبرى، و أطلع جلاله على عجرى و بجرى؛ و لكنى رحلت عن تلک الحضرة، و عدمت النّظرة فى تلک النّظرة؛ لبست الإهمال، و اطّلعت فى السفر و الاعتمال، فأقيم بادى الكآبة، مهتاج الصّبابة، قد فارقت السّكن، و خلفت الدار مثيرة الشّجن:

[الوافر]

و كانت جنّتى فخرجت منهاكآدم حين أخرجه الضّرار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۸۹

حتى إذا حططت رحلى بالقرى، و قنعت بالزّاد الذى كفى معيارا و القرى؛ أدخلت إلى دار ضيقة المسالک، شديدة الظّلمة كالليل الحالک، تذكّرنى القبر و أهواله و تنسينى الذى أهواه، بل تزيد على القبر برفل لا يتخلّص، و براغيث كزريعة الكتّان حين تمحّص؛ و بعوض يطيل اللّهز ، و لا تغنّى حتى تشرب، و بوق يسقط سقوط النّدى، و يزحف إلى فراشى زحف العدا؛ و أراقم خارجة من الكوى، و حيّات بلدغها نزّاعة للشّوى؛ و جنون يسمع عزيفها، و سرّاق لا يعدم تخويفها؛ هذا و لا قرق لمن بالقهر حبس، إلّا حصير قد اسودّ من طول ما لبس؛ لا يجتزى فى طهارته بالنّضح، و لا يحشد من جلس عليه إلّا بالجرح؛ حتى إذا سجا الليل، و امتدّ منه على الآفاق الذيل، فارقنى العون فراق الكرى، و رأيت الدمع لما جرى قد جرى؛ فأتوسّد و اللّه ذراعى، و لأحمد و اللّه اضطجاعى؛ فكلا ليلىّ محمومين ، و الوجع و السّهر محمولان على الرأس و العين؛ حتى إذا طلع الصبح، و آن لبالى و عيون الخصوم الفتح، أتانى عون قد انحنى ظهره ظهره، و نيّف عن المائة عمره، لا يشعر بالجون الصّيّب، و لا تسمعه كلمات أبى الطيّب؛ بربرى الأصل، غير عارف بالفصل؛ حتى إذا أذنت للخصوم، و أردت إحياء الرسوم، دخل علىّ غولان عاقلان، و أثقل كتفى منهما مائلان، قد أكلا الثّوم النّىء و البصل، و عرقا فى الزّنانير عرقا اتّصل، يهديان إلىّ تلک الروائح، و يظهران لى المخازى و الفضائح؛ فإذا حكمت لأحدهما على خصمه، و أردت الفصل الذى لا مطمع فى فصمه؛ هرب العون هربا، و قضى من النجاة بنفسه أربا؛ و اجتمع إلى النصحاء، و جاء المرضى و الأصحّاء، كلّ يقول أ تريد تعجيل المنايا، و إثكال الولايا، و إتعاب صديقک السّيد العماد، بمرتبة كما فعل مع القاضى الحدّاد؛ فأقول هذا جهاد، و ما لى فى الحياة مراد، فأرتكب الخطر، و أقضى فى الحكم الوطر، و اللّه يسلّم، و يكمل اللطف و يتمّم. و أما إذا جاء أحدكم لكتب عقد، و طمعت فى نسيئة أو نقد، قطعت يومى فى تفهّم مقصده، مستعيذا بالله من غضبه و حرده؛ حتى إذا ما تخلّصت منه، و ملأت السّجل بما أثبته عنه، كشف عن أنياب عضل، و عبس عبوس المحب لانقطاع وصل؛ و قال: لقد أخطأت فيما كتبت، و رسمت ما أردت و أحببت؛ فأكتب عقدا ثانيا و ثالثا، و أرتقب مع كل كلام حادث حادثا؛ فإذا رضى، فأسأله كيف؛ و سنّ السّالى الذى أظهره، أو اسمه أو السيف، أخرج من فمه درهما نتنا، قد لزم ضرسا عفنا؛ فأعاجله فى البخور، و أحكّه فى الصّخور، حتى إذا حمل لمن يبيع

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۰

خبز الذّرة منتنا، و يرى أنه قد فضل بذلک أنسا و حسنا، و جده ناقصا زائفا، فيرجع حامله و جلا خائفا، و يبقى القاضى فقيد الهجوع، يشدّ الحجر على بطنه من الجوع، على أننى أحمد خلاء البطن، و ما بجسمى لا- يحكى من الوهن؛ لتعذّر المرحاض، و بعد ماء الحياض، و كمون السّباع فى الغياض، و تعلّق الأفاعى بالرّداء الفضفاض، و نجاسة الحجارة، و كثرة تردّد السّيارة، و الانكشاف للريح

العقيم، و المطر المنصبّ إلى الموضع الذميم. هذه الحال، و على شرحها مجال، و قد صدقتك سنن فكرى، و أعلمتك بذات صدرى، فتجلّى الغرارة غرور، و شهود الشّهد زور، و الطّمع فى الصّرّة إصرار، و دون التّبر يعلم اللّه تيّار. و أما الكبش، فحظّى منه غباره إذا خطر، و الثّور بقرنه إذا العيد حضر، كما أن حظّى من الجدى التأذّى بمسلكه، و إنّ جدى السماء لأقرب لى من تملّكه، و أنا من الحلاوة سالم ابن حلاوة، و لا أعهد من طرف الطرف الدّماوة، و دون الدّجاج كل مدجّج، و عوض الأترجّ رجّة بكل معرج، و لو عرفت أنك تقبل على علّاتها الهدايا، و توجب المزيد لأصحابك المزايا، لبعثت بالقماش، و أنفذت الرّياش، و أظهرت الغنى، و الوقوف بمبنى المنى، و أوردتها عليك من غير هلع، مطّلعة فى الجوف بعد بلع، من كل ساحليّة تقرّب إلى البحر، و عدوية لا تعدّ و صدر مجلس الصّدر، حتى أجمع بين الفاكهة و الفكاهة، و يبدو لى بعد الشقف وجوه الوجاهة، و أتبرأ من الصّدّ المذموم، و لا أكون أهدأ من القطا لطرق اللّوم؛ لأنك زهدت فى الدنيا زهد ابن أدهم، و ألهمك اللّه من ذلك أكرم ما ألهم؛ فيدك من أموال الناس مقبوضة، و أحاديث اللّها الفاتحة للها مرفوضة؛ و إذا كان المرء على دين خليله، و من شأنه سلوك نهجه و سبيله، فالأليق أن أزهد فى الصّفراء و البيضاء، و أقابل زخرف الدنيا بالبغضاء، و أحقّق و أرجو على يدك حسن التخلّى، و الاطّلاع على أسرار التّجلّى؛ حتى أسعد بك فى آخرتى و دنياى، و أجد بركة خاطرك فى مماتى و محياى؛ أبقاك اللّه بقاء يسر، و أمتع بمناقبك التى يحسدها الياقوت و الدّر، و لا زلت فى سيادة تروق نعتا، و سعادة لا ترى فيها عوجا و لا أمتا، و أقرأ عليك سلاما عاطر العرف، كريم التأكيد و العطف، ما رثى لحالى راث، و ذكرت أدّاية حراث، و رحمة اللّه و بركاته. و كتبه أخوك و مملوكك، و شيعة مجدك، فى الرابع و العشرين من جمادى الأولى عام أربعة و ستين و سبعمائة».

مولده: بغرناطة عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

محنته: توجّه رسولا عن السلطان إلى صاحب تلمسان السلطان أحمد بن موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيّان، و ظفر بالجفن الذى ركبه العدو، بأحواز جزيرة حبيبة، من جهة وهران، فأسر هو و من بأسطول

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۱

سفره من المسلمين؛ و بلغ الخبر فعظم الفجع؛ و بينا نحن نروم سفر أسطول يأخذ الثار، و يستقرى الآثار، فيقيل العثار؛ إذ اتّصل الخبر بمهادنة السلطان المذكور، ففدى من أسر بذلك المال الذى ينيف على سبعة آلاف من العين فى ذلك؛ فتخلّص من المحنة لأيام قلائل، و عاد؛ فتولّى السلطان إرضاءه عمّا فقد، و ضاعف له الاستغناء و جدّد؛ و كان حديثه من أحاديث الفرج بعد الشدّة محسوبا، و إلى سعادة السلطان منسوبا. و أنشدته شعرا فى مصابه، بعدها، و قد قضيت له من برّ السلطان على عادتى، ما جبر الكسر، و خفض الأمر: [المتقارب]

خلصت كما خلص الزّبرقانو قد محق النّور عنه السّرار

و فى السّيّق و الرارفى هذا سرّ و فى ذا أسرار

و كان تاريخ هذه المحنة المردفة المنحة، حسبما نقلته من خطّه؛ قال: «اعلموا يا سيدى أبقاكم اللّه تعالى، أنّ سفرنا من ألمريّة، كان فى يوم الخميس السادس لشهر ربيع الآخر من عام ثمانية و ستين و سبعمائة، و تغلّب علينا العدو فى عشيّة يوم الجمعة الثانى منه، بعد قتال شديد؛ و كان خروجنا من الأسر فى يوم السبت الثانى و العشرين لربيع الثانى المذكور، و كان وصولى إلى الأندلس فى أسطول مولانا نصره اللّه، فى جمادى الآخرة من العام المذكور، بعد أن وصلوا قرطاجنّة و أخذوا أجفانا ثلاثة من أجفان العدوّ، و عمل المسلمون الأعمال الكريمة».

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد اللّه بن عمر ابن فرقد القرشى العامرى

قال ابن عبد الملك: كذا وقفت على نسبه بخطّه فى غير ما موضع من أهل مورة ، و سكن إشبيلية.

حاله: كان متفنّنا فى معارفه، محدّثا، راويـة، عدلا، فقيها، حافظا، شاعرا، كاتبا، بارعا، حسن الأخلاق، وطئ الأكناف، جميل المشاركة لإخوانه و أصحابه، كتب بخطه الكثير من كبار الدّواوين و صغارها، و كان من أصحّ الناس كتبا، و أتقنهم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۲

ضبطا و تقييدا، لا تكاد تلقى فيما تولّى تصحيحه خللا، و كان رؤوفا شديد الحنان على الضعفاء و المساكين و اليتامى، صليبا فى ذات اللّه تعالى، يعقد الشروط محتسبا، لا يقبل ثوابا عليها إلّا من اللّه تعالى.

مشيخته: تلا بالسّبع على أبى عمران موسى بن حبيب، و حدّث عن أبى الحسن بن سليمان بن عبد الرحمن المقرئ، و عبد الرحمن بن بقّى، و أبى عمرو ميمون بن ياسين، و أبى محمد بن عتّاب، و تفقّه بأبوىّ عبد اللّه بن أحمد بن الحاجّ، و ابن حميد، و أبى الوليد بن رشد، و أجاز له أبو الأصبغ بن مناصف، و أبو بكر بن قزمان، و أبو الوليد بن طريف.

من روى عنه: روى عنه أبو جعفر، و أبو إسحاق بن على المزدالى، و أبو أميّة إسماعيل بن سعد السعود بن عفير، و أبو بكر بن حكم الشّرمسى، و ابن خير، و ابن تسع، و ابن عبد العزيز الصدفى، و أبو الحجاج إبراهيم بن يعقوب، و أبو على بن وزير، و أبو الحسن بن أحمد بن خالص، و أبو زيد محمد الأنصارى، و أبو عبد اللّه بن عبد العزيز الذّهبى، و أبو العباس بن سلمة، و أبو القاسم بن محمد بن إبراهيم المراعى، و أبو محمد بن أحمد بن جمهور، و عبد اللّه بن أحمد الأطلس.

تواليفه: دوّن برنامجا ممتعا ذكر فيه شيوخه، و كيفيّة أخذه عنهم، و له رجز فى الفرائض مشهور، و منظوم كثير، و ترسّل منوّع، و خطب مختلفة المقاصد، و مجموع فى العروض.

دخوله غرناطة: قال المؤرّخ: و فى عام أربعة و خمسين و خمسمائة، عند تغيّب الخليفة بالمهديّة، استدعى السيد أبو سعيد الوالى بغرناطة، عند استقراره بها، الحافظ أبا بكر بن الجدّ، و الحافظ أبا بكر بن حبيش، و الكاتب أبا القاسم بن المراعى، و الكاتب أبا إسحاق بن فرقد، و هو هذا المترجم به، فأقاموا معه مدّة تقرب من عامين اثنين بها.

شعره: مما ينقل عنه قصيدة شهيرة فى رثاء الأندلس: [المتقارب]

ألا مسعد منجز ذو فطن‌يبكى بدمع معين هتن

جزيرة أندلس حسرةلا غالب من حقود الزّمن

و يندب أطلالها آسفاو يرثى من الشّعر ما قد وهن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۳ و يبكى الأيامى و يبكى اليتامىو يحكى الحمام ذوات الشّجن

و يشكو إلى اللّه شكوى شجو يدعوه فى السّرّ ثم العلن

و كانت رباطا لأهل التّقى‌فعادت مناطا لأهل الوثن

و كانت معاذا لأهل التّقى‌فصارت ملاذا لمن لم يدن

و كانت شجى فى حلوق العداأضحى لهم مالها محتجن

و هى طويلة، و لدىّ خلاف فيمن أفرط فى استحسانها. و شعره عندى وسط.

و من شعره و هو حجّة فى عمره عند الخلاف فى ميلاده و وفاته، قال: [الطويل]

ثمانون مع ستّ عمرت و ليتنى‌أرقت دموعى بالبكاء على ذنب

فلا الدّمع فى محو الخطيئة غنيةإذا هاج من قلب منيب إلى الرّبّ

فيا سامع الأصوات رحماك أرتجى‌فهب إنسكاب الدّمع من رقّة القلب

و زكّ الذى تدريه من شيمةتعلّق بالمظلوم من شدّة الكرب

و زكّ مثابى فى العقود و كتبهالوجهك لم أقبل ثوابا على كتب

و لا تحرمنى أجر ما كنت فاعلافحقّ اليتامى عندى من لذى صعب

و لا تخزنى يوم الحساب و هو لهإذا جئت مذعورا من الهول و الرّعب

مولده: حسبما نقل من خط ابنه أبى جعفر، ولد، يعنى أباه سنة أربع و ثمانين و أربعمائة .

وفاته: بعد صلاة المغرب من ليلة الثلاثاء الثامن عشر من محرم عام اثنين و سبعين و خمسمائة. و نقل غير ذلك.

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزى

أبّذى الأصل، غرناطى الاستقرار، و يكنى أبا إسحاق.

حاله: خاتمة الرّحّال بالأندلس، و شيخ المجاهدات و أرباب المعاملات، صادق الأحوال، شريف المقامات، مأثور الإخلاص مشهور الكرامات، أصبر الناس على

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۴

مجاهداته، و أدومهم على عمل و ذكر و صلاة و صوم، لا يفتر عن ذلك و لا ينام، آية اللّه فى الإيثار، لا يدّخر شيئا لغد، و لا يتحرّف بشىء، و كان فقيها حافظا، ذاكرا للغة و الأدب، نحويّا ماهرا، درس ذلك كلّه أول أمره، كريم الأخلاق، غلب عليه التصوّف فشهر به، و بمعرفة طريقه الذى ندّ فيها أهل زمانه، و صنّف فيها التصانيف المفيدة.

ترتيب زمانه: كان يجلس إثر صلاة الصبح لمن يقصده من الصالحين، فيتكلم لهم بما يجريه اللّه على لسانه، و ييسّر من تفسير، و حديث و عظة، إلى طلوع الشمس؛ فيتنفّل صلاة الضّحى، و ينفصل إلى منزله، و يأخذ فى أوراده، من قراءة القرآن و الذّكر و الصلاة إلى صلاة الظهر، فيبكّر فى رواحه، و يوالى التنفّل إلى إقامة الصلاة، ثم كذلك فى كل صلاة، و يصل ما بين العشاءين بالتنفّل، هذا دأبه أبدا.

و كان أمره فى التوكّل عجبا، لا يلوى على سبب، و كانت تجبى إليه ثمرات كلّ شىء، فيدفع ذلك بجملته، و ربما كان الطعام بين يديه، و هو محتاج، فيعرض من يسأله، فيدفعه جملة، و يبقى طاويا، فكان الضعفاء و المساكين له لياذا ينسلون من كل حدب، فلا يردّ أحدا منهم خائبا، و نفع اللّه بخدمته و صحبته، و استخرج بين يديه عالما كثيرا.

مشيخته: أخذ القراءة عن أبى عبد اللّه الحضرمى، و أبى الكوم جودى بن عبد الرحمن، و الحديث عن أبى الحسن بن عمر الوادى آشى، و أبى محمد عبد اللّه بن سليمان بن حوط اللّه، و النحو و اللغة عن ابن يربوع و غيره. و رحل و حجّ، و جاور و تكرّر. و لقى هناك غير واحد، من صدور العلماء و أكابر الصوفية، فأخذ صحيح البخارى سماعا منه سنة خمس و ستمائة عن الشّريف أبى محمد بن يونس، و أبى الحسن على بن عبد اللّه بن المغربانى، و نصر بن أبى الفرج الحضرمى، و سنن أبى داود و جامع التّرمذى على أبى الحسن بن أبى المكارم نصر بن أبى المكارم البغدادى، أحد السامعين على أبى الفتح الكروخى، و أبى عبد اللّه محمد بن مسترى الحمة، و أبى المعالى بن وهب بن البنا، و ببجاية عن أبى الحسن على بن عمر بن عطيّة.

من روى عنه: روى عنه خلق لا يحصون كثرة؛ منهم أحمد بن عبد المجيد بن هذيل الغسّانى، و أبو جعفر بن الزبير، و غيره.

تواليفه: صنّف فى طريقة التصوّف و غيرها تصانيف مفيدة؛ منها «مواهب العقول و حقائق المعقول»، و «الغيرة المذهلة، عن الحيرة و التّفرقة و الجمع»، و «الرحلة العنوية»، و منها «الرسائل فى الفقه و المسائل»، و غير ذلك.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۵

شعره: له أشعار فى التصوّف بارعة، فمن ذلك ما نقلته من خط الكاتب أبى إسحاق بن زكريا فى مجموع جمع فيه الكثير من القول: [الوافر]

يضيق علىّ من وجدى الفضاءو يقلقنى من الناس العناء

و أرض اللّه واسعة و لكن أبت نفسى تحيط بها السماء

رأينا العرش و الكرسىّ أعلى فوالينا هما حرم الولاء

فأين الأين منّا أو زمان بحيث لنا على الكلّ استواء

شهدنا للإله بكلّ حكم فغاب القلب و انكشف الغطاء

و يدعونى الإله إليه حقّا فيؤنسنى من الخوف الرّجاء

و يقبضنى و يبسطنى و يقضى بتفريقى و جمعى ما يشاء

و يعى فى وجود الخلق نحو اينعت من تولّاه الفناء

فكم أخفى وجودى وقت فقدى كأن الفقد و الإحيا سواء

فسكر ثم صحو ثم سكر كذاك الدهر ليس له انقضاء

فوصفى حال من وصفى و لكن ظهور الحقّ ليس له خفاء

إذا شمس النهار بدت تولّت نجوم الليل ليس لها انجلاء

و من شعره: [البسيط]

كم عارف سرحت فى العلم همّته فعقله لحجاب العقل هتّاك

كساه نور الهدى بردا و قلّده درّا ففى قلبه للعلم أسلاك

كسب ابن آدم فى التحقيق كسوته إنّ القلوب لأنوار و أحلاك

كلّف فؤادك ما يبدى عجائبه إنّ ابن آدم للأسرار درّاك

كيف و كم و متى و الأين منسلب عن وصف باريها و الجهل تبّاك الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ١ ؛ ص ١٩٥

كبّر و قدّس و نزّه ما أطقت فلم يصل إلى ملك الأملاك أملاك

كرسيه ذلّ و العرش استكان له و نزه اللّه أملاك و أفلاك

كلّ يقرّ بأنّ العجز قيّده و العجز عن درك الإدراك درّاك

و قال: و هو ما اشتهر عنه، و أنشدها بعض المشارقة فى رحلته فى غرض اقتضى ذلك، يقتضى ذكره طولا: [البسيط]

يا من أناله كالمزن هاميء وجود كفّيه أجرى من يجاريها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ١٩٦ بحقّ من خلق الإنسان من علق انظر إلى رقعتى و افهم معانيها

أنى فقير و مسكين بلا سبب سوى حروف من القرآن أتلوها

سفينة الفقر فى بحر الرّجا غرقت فامنن عليها بريح منك يجريها

لا يعرف الشوق إلّا من يكابده و لا الصّبابة إلّا من يعانيها

و قال القاضى أبو عبد اللّه بن عبد الملك، و قد ذكره: على الجملة فبه ختم جلّة أهل هذا الشأن بصقع الأندلس، نفعه اللّه و نفع به.

مولده: ولد بجيّان سنة اثنتين و ستين و خمسمائة أو ثلاث و ستين.

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التّسولىّ

من أهل تازىّ، يكنى أبا سالم، و يعرف بابن أبى يحيى.

حاله: من أهل «الكتاب المؤتمن» : كان هذا الرجل قيّما على «التّهذيب»، و «رسالة ابن أبى زيد»، حسن الإقراء لهما؛ و له عليهما تقييدان نبيلان، قيّدهما أيام قراءته إياهما على أبى الحسن الصّغير، حضرت مجالسه بمدرسة عدوة الأندلس من فاس، و لم أر فى

متصدّرى بلده أحسن تدريبا منه. كان فصيح اللسان، سهل الألفاظ، موفيا حقوقها، و ذلك لمشاركته الحضر فيما فى أيديهم من الأدوات؛ و كان مجلسه وقفا على «التهذيب» و «الرسالة»؛ و كان مع ذلك شيخا فاضلا، حسن اللقاء، على خلق بائنة من أخلاق أهل مصره. امتحن بصحبة السلطان، فصار يستعمله فى الرسائل، فمرّ فى ذلك حظّ كبير من عمره ضائعا، لا فى راحة دنيا، و لا فى نصيب آخرة. ثم قال: هذه سنّة اللّه فيمن خدم الملوك، ملتفتا إلى ما يعطونه، لا- إلى ما يأخذون من عمره و راحته، أن يبوؤا بالصّفقة الخاسرة، لطف اللّه بمن ابتلى بذلك، و خلّصنا خلاصا جميلا.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۷

و من كتاب «عائد الصلة» : الشيخ، الحافظ، الفقيه، القاضى، من صدور المغرب، مشاركا فى العلم، متبحّرا فى الفقه، كان وجيها عند الملوك، صحبهم، و حضر مجالسهم، و استعمل فى السفارة، فلقيناه بغرناطة، و أخذنا بها عنه؛ تامّ السّراوة ، حسن العهد، مليح المجالس، أنيق المحاضرة، كريم الطبع، صحيح المذهب.

تصانيفه: قيّد على «المدوّنة» بمجلس شيخه القاضى أبى الحسن كتابا مفيدا و ضمّ أجوبته على المسائل فى سفر، و شرح كتاب «الرسالة» شرحا عظيم الفائدة.

مشيخته: لازم أبا الحسن الصغير، و هو كان قارىء كتب الفقه عليه، و جلّ انتفاعه فى التفقّه به. و روى عن أبى زكريا بن أبى ياسين ، قرأ عليه كتاب «الموطّأ»، إلّا كتاب «المكاتب»، و كتاب «المدبّر»، فإنه سمعه بقراءة الغير، و عن أبى عبد اللّه بن رشيد، قرأ عليه «الموطأ»، و «شفاء» عياض، و عن أبى الحسن بن عبد الجليل السّدارى ، قرأ عليه «الأحكام الصغرى» لعبد الحق، و أبى الحسن بن سليمان، قرأ عليه «رسالة ابن أبى زيد»، و عن غيرهم.

وفاته: فلج بآخرة، فالتزم منزله بفاس يزوره السلطان فمن دونه، و توفى بعد عام ثمانية و أربعين و سبعمائة .

إبراهيم بن محمد بن على بن محمد ابن أبى العاصى التّنوخى

اشارة

أصله من جزيرة طريف، و نشأ بغرناطة و اشتهر.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۱۹۸

حاله: من «عائد الصلة»: كان نسيج وحده حياء، و صدقة، و تخلّقا، و مشاركة، و إيثارا. رحل عند استيلاء العدو على جزيرة طريف، عام أحد و سبعين و ستمائة، متحوّلا إلى مدينة سبتة، فقرأ بها و استفاد. و ورد الأندلس، فاستوطن مدينة غرناطة، و كتب فى الجملة عن سلطانها، و ترقى معارج الرّتب، حالّا محالا، من غير اختلاف على فضله، و لا نزاع فى استحقاقه، و أقرأ فنونا من العلم، بعد مهلك أستاذ الجماعة أبى جعفر بن الزبير، بإشارة منه به؛ و ولّى الخطابة و الإمامة بجامعها منتصف صفر عام ستة عشر و سبعمائة، و جمع بين القراءة و التدريس، فكان مقرئا للقرآن، مبرّزا فى تجويده، مدرّسا للعربية و الفقه، آخذا فى الأدب، متكلّما فى التفسير، ظريف الخط، ثبتا محققا لما ينقله. و ألقى اللّه عليه من المحبة و القبول، و تعظيم الخلق له، ما لا عهد بمثله لأحد؛ بلغ من ذلك مبلغا عظيما، حتى كان أحبّ إلى الجمهور من أوصل أهلهم و آبائهم، يتزاحمون عليه فى طريقه، يتمسّحون به، و يسعون بين يديه، و من خلفه، و يتزاحم مساكينهم على بابه، قد عوّدهم طلاقة وجهه، و مواساته لهم بقوته، يفرّقه عليهم متى وجدوه، و ربما أعجلوه قبل استواء خبزه، فيفرّقه عليهم عجينا، له فى ذلك أخبار غريبة. و كان صادعا بالحق، غيورا على الدين، مخالفا لأهل البدع، ملازما للسّنّة، كثير الخشوع و التخلّق على علوّ الهمّة، مبذول المشاركة للناس و الجدّ فى حاجاتهم، مبتليا بوسواس فى وضوئه، يتحمل الناس من أجله مضضا فى تأخير الصلوات و مضايقة أوقاتها.

مشيخته: قرأ ببلده على الخطيب القاضى المقرئ أبى الحسن عبيد اللّه بن عبد العزيز القرشى، المعروف بابن القارئ، من أهل إشبيلية، و قرأ بسبتة على الأستاذ إمام المقرئين لكتاب اللّه، أبى القاسم محمد بن عبد الرحمن بن الطيّب بن زرقون القيسى الضرير، نزيل سبتة، و الأستاذ أبى إسحاق الغافقى المريونى، و قرأ على الشيخ الوزير أبى الحكم بن منظور القيسى الإشبيلى، و على الشيخ الراوية الحاج أبى عبد اللّه محمد بن الكتامى التلمسانى بن الخضّار، و قرأ بغرناطة على الأستاذ أبى جعفر بن الزبير، و أخذ عن أبى الحسن بن مستقور.

شعره: كان يقرض شعرا وسطا، قريبا من الانحطاط. قال شيخنا أبو بكر بن الحكيم فى كتابه المسمّى ب «الفوائد المنتخبة، و الموارد المستعذبة»: كتب إليه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۱۹۹

شيخنا و بركتنا أبو جعفر بن الزيّات فى شأن شخص من أهل البيت النبوى بما نصّه:

[الخفيف]

رجل يدّعى القرابة للبيت و إنّ الثريّا منه بمعزل

سال منى خطابكم و هو هذاو لكم فى القلوب أرفع منزل

فهبوه دعاءكم و امنحونى‌منه حظّا ينمى الثواب و يجزل

و عليكم تحيّة اللّه مادام أمير الهدى يولّى و يعزل

فأجابه: [الخفيف]

يا إمامى و من به قطركم ذاك و حادى البلاد أطيب منزل

لم أضع ما نظمتم من يدى حتى‌أنيل الشّريف تحفة منزل

و حباه بكلّ منح جزيل‌من غدا يمنح الثّواب و يجزل

دمتم تنشرون علما ثواب اللّه فيه لكم أعزّ و أجزل

تذكرون اللّه ذكرا كثيراو عليكم سكينة اللّه تنزل

و طلبتم منّى الدّعاء و إنّى‌عند نفسى من الشروط بمعزل

لكن ادعو و لتدع لى برضا اللّه و أبدى فهم ذكر قد أنزل

و حديث الرسول صلّى عليه‌كل وقت و ربّ لنا الغيث ينزل

و عليكم تحيّتى كل حين‌ما اطمأنّت بمكة أمّ معزل

قال: و مما أنشدنى من نظمه أيضا فى معرض الوصيّة للطلبة : [الكامل]

اعمل بعلمك تؤت علما إنماعدوى علوم المرء منح الأقوم

و إذا الفتى قد نال علما ثم لم‌يعمل به فكأنما لم يعلم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۰

و قال موطئا على البيت الأخير : [المتقارب]

أمولاى أنت الغفور الكريم‌لبذل النّوال مع المعذره

علىّ ذنوب و تصحيفهاو من عندك الجود و المغفره

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد ابن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصارى الخزرجى أمير المؤمنين بالأندلس، رحمه اللّه.

أوّليته: تقرّر عند ذكر الملوك من قومه فى اسم صنو جدّه، أمير المسلمين أبى عبد اللّه الغالب بالله.

حاله: من كتاب «طرفة العصر فى تاريخ دولة بنى نصر» من تصنيفنا :

«كان، رحمه اللّه، حسن الخلق، جميل الرّواء، رجل جدّ، سليم الصدر، كثير الحياء، صحيح العقل ، ثبتا فى المواقف، عفيف الإزار، ناشئا فى حجر الطهارة، بعيدا عن الصّبوة، بريئا من المعاقرة. نشأ مشتغلا بشأنه، متبنّكا نعمة أبيه، مختصّا بإيثار السلطان جدّه أبى أمّه، و ابن عمّ والده، منقطعا إلى الصّيد، مصروف اللّذّة إلى استجادة سلاحه، و انتقاء مراكبه، و استفراه جوارحه، إلى أن أفضى إليه الأمر، و ساعدته الأيام، و خدمه الجدّ، و تنقّل إلى بيته الملك به، و ثوى فى عقبه الذّكر، فبذل العدل فى رعيّته، و اقتصد فى جبايته، و اجتهد فى مدافعة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۱

عدو اللّه ، و سدّ ثلم ثغوره ، فكان غرّة فى قومه، و درّة فى بيته، و حسنة من حسنات دهره. و سيرد نبذ من أحواله، مما يدلّ على فضل جلاله».

صفته: كان معتدل القدّ، و سيم الصورة، عبل اليدين، أبيض اللون، كثير اللحية، بين السواد و الصهوبة أنجل أعين أفوه مليح العين، أقنى الأنف، جهير الصوت؛ أمه الحرّة الجليلة، العريقة فى الملوك، فاطمة بنت أمير المؤمنين أبى عبد اللّه نخبة الملك، و واسطة العقد، و فخر الحرم، البعيدة الشّأو فى العزّ و الحرمة، و صلة الرّعى، و ذكر التراث. و اتصلت حياتها، ملتمسة الرأى، برنامجا للفوائد، تاريخا للأنساب، إلى أن توفيت فى عهد حفيدها السلطان أبى الحجّاج، رحمها اللّه، و قد أنفت على تسعين من السنين، فكان الحفل فى جنازتها، موازيا لمنصبها، و متروكها، المفضى إليه خطيره، و قلت فى رثائها: [الطويل]

نبيت على علم بغائلة الدهرو نعلم أنّ الخلق فى قبضة الدّهر

و نركن للدنيا اغترارا بقهرهاو حسبك من يرجو الوفاء من الغدر

و نمطل بالعزم الزّمان سفاهةفيوم إلى يوم، و شهر إلى شهر

و تغرى بها نفسى المطامع و الهوىو نرفض ما يبقى ضيعة العمر

هو الدهر لا يبقى على حدثانهجديد و لا ينفكّ من حادث نكر

و بين الخطوب الطارقات تفاضل كفضل من اغتالته فى رفعة القدر

أ لم تر أنّ المجد أقوت ربوعهو صوّح من أدواحه كل مخضرّ

و لاحت على وجه العلاء كآبةفقطّب من بعد الطلاقة و البشر

و ثبّت اسمها فى الوفيات من الكتاب المذكور بما نصّه:

«السلطانة الحرّة، الطاهرة، فاطمة بنت أمير المسلمين أبى عبد اللّه ابن أمير المسلمين الغالب بالله، بقيّة نساء الملوك، الحافظة لنظام الإمارة، رعيا للمتات ، و صلة للحرمة، و إسداء للمعروف، و سترا للبيوتات، و اقتداء بسلفها الصالح، فى نزاهة النفس، و علوّ الهمّة، و متانة الدين، و كشف الحجاب، و نفاذ العزم، و استشعار الصبر.

توفّيت فى كفالة حفيدها أمير المسلمين أبى الحجاج، مواصلا برّها، ملتمسا دعاءها،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۲

مستفيدا تجربتها و تاريخها، مباشرا مواراتها بمقبرة الجنان، داخل الحمراء، سحر يوم الأحد السابع لذى حجة، من عام تسعة و أربعين و سبعمائة».

أولاده: تخلّف من الولد أربعة؛ أكبرهم محمد، ولىّ الأمر من بعده، و فرج شقيقه التالى له بالسنّ، المنصرف عن الأندلس بعد مهلك أخيه المذكور، المتقلب فى الإيالات، الهالك أخيرا فى سجن قصبة ألمرية عام أحد و خمسين و سبعمائة، مظنونا به الاغتيال، ثم أخوه

أمير المسلمين أبو الحجاج، تغمّده اللّه برحمته، أقعد القوم فى الملك، و أبعدهم أمدا فى السعادة، ثم إسماعيل أصغرهم سنّا، المبتلى فى زمان الشبيبة فى الثّقاف المخيف مدة أخية، المستقرّ الآن موادعا مرفودا، بقصر المستخلص من ظاهر شالوبانية، و بنتين ثنتين من حظيّته علوة، عقد عليهما أخوهما أبو الحجاج، لرجلين من قرابته.

وزراؤه: وزر له أول أمره القائد البهمة أبو عبد اللّه محمد بن أبى الفتح الفهرى، و بيت هؤلاء القوّاد شهير، و مكانتهم من الملوك النصريين مكينة. أشرك معه فى الوزارة الفقيه الوزير أبا الحسن على بن مسعود بن على بن مسعود المحاربى، من أعيان الحضرة، و ذوى النباهة، فجاذب رفيقه حبل الخطّة، و نازعه لباس الحظوة، حتى ذهب باسمها و مسمّاها. و هلك القائد أبو عبد اللّه بن أبى الفتح، فخلص له شربها، و سيأتى التعريف بكل على انفراد.

كتابه: كتب عنه لأول أمره بمالقة، ثم بطريقه إلى غرناطة، و أياما يسيرة بها، الفقيه الكاتب أبو جعفر بن صفوان المتقدّم ذكره. ثم ألقى المقادة إلى كاتب الدولة قبل، شيخنا أبى الحسن بن الجيّاب فاصل الخطّة، و بارى القوس، و اقتصر عليه إلى آخر أيامه.

قضاته: استقضى أخا وزيره، الشيخ الفقيه أبا بكر بن يحيى بن مسعود بن على، رجل الجزالة، و فيصل الحكم، فاشتدّ فى إقامة الحكم ، و غلظ بالشرع، و استعان بالجاه، فخيفت سطوته، و استمرّ قاضيا إلى آخر أيامه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۰۳

رئيس جنده الغربى: الشيخ البهمة ، لباب قومه، و كبير بيته، أبو سعيد عثمان بن أبى العلاء إدريس بن عبد اللّه بن عبد الحق، مشاركا له فى النعمة، ضاربا بسهم فى المنحة، كثير التجنّى و الدّالّة، إلى أن هلك المخلوع، و خلا الجوّ، فكان منه بعض الإقصار.

الملوك على عهده: و أولا بعدوة المغرب: كان على عهده من ملوك المغرب السلطان الشهير، جواد الملوك، الرّحب الجناب، الكثير الأمل، خدن العافية، و محالف الترفية، مفحم النّعيم، السعيد على خاصته و عامته، أبو سعيد عثمان بن السلطان الكبير، المجاهد، المرابط، أبى يوسف بن عبد الحق. و جرت بينه و بينه المراسلات، و اتصلت أيامه بالمغرب بعد مهلكه و صدرا من أيام ولده أبى عبد اللّه حسبما مرّ عند ذكره.

و بمدينة تلمسان، وطن القبلة، الأمير أبو حمّو موسى بن عثمان بن يغمراسن بن زيّان. ثم توفى قتيلا على عهده بأمر ولده المذكور، و استغرقت أيام ولده المذكور الوالى بعده، إلى أن هلك فى صدر أيام أبى الحجاج؛ و جرت بينه و بين الأمير مراسلات و هدايات.

و بمدينة تونس، الشيخ المتلقّب بأمير المؤمنين أبو يحيى زكريا بن أبى حفص المدعو باللّحيانى، المتوثّب بها على الأمير أبى البقاء خالد بن أبى زكريا بن أبى حفص، و هو كبير، إلّا أن أبا حفص أكبر سنّا و قدرا، و قد تملّك تونس تاسع جمادى الآخرة من عام ظهر له اضطراب من بها، أحد عشر و سبعمائة، و تمّ له الأمر. و اعتقل أبا البقاء بعد خلعه، ثم اغتاله فى شوّال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، ثم رحل عن تونس لما ظهر له من اضطراب أمره بها، و توجّه إلى طرابلس فى وسط عام خمسة عشر ، و استناب صهره الشيخ أبا عبد اللّه بن أبى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۰۴

عمر ، و لم يعد بعد إليها. ثم اضطرب أمر إفريقية، و تنوّبه عدة من الملوك الحفصيين، منهم الأمير أبو عبد اللّه بن أبى عمر المذكور، و أبو عبد اللّه بن اللّحيانى، و السلطان أبو بكر بن الأمير أبى زكريا بن الأمير أبى إسحاق، لبنة تمامهم، و آخر رجالهم، و استمرّت أيامه إلى أيام ولده الأمير بالأندلس و معظم أيام ولديه، رحم اللّه الجميع.

و من ملوك الروم بقشتاله؛ كان على عهده مقرونا بالعهد القريب من ولايته، الطاغية هرانده بن شانجة بن ألهنشة بن هراندة المجتمع له ملك قشتالة و ليون ، و هو المتغلّب على إشبيلية، و قرطبة، و مرسية، و جيّان؛ ابن الهنشة الذى جرت له و عليه هزيمة الأرك و العقاب ، ابن شانجه بن الهنشة المسمّى إنبرذور، و هو الذى أفرد صهره و زوج بنته بملك برتقال، إلى أجداد، يخرجنا تقصّى ذكرهم عن الغرض.

و من ملوك رغون من شرق الأندلس، الطّاغية جايمش بن بطره بن جايمش الذى تغلب على بلنسية، ابن بطره بن الهنشة ، إلى أجداد عدة كذلك. ثم هلك فى أخريات أيامه، فولّى ملك أرغون بعده ألهنشة بن جايمش إلى أخريات أيامه.

و ببرتقال ألهنشة بن يومس بن ألهنشة بن شانجة بن ألهنشة بن شانجة بن ألهونشة ، و تسمّى أولا دوقا.

ذكر تصيّر الأمر إليه: لما ولى الأمر بالأندلس، حرسها اللّه، السلطان أبو الجيوش نصر بن السلطان أبى عبد اللّه محمد بن السلطان الغالب بالله أبى عبد اللّه بن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۵

نصر، يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة، بالهجوم على أخيه أبى عبد اللّه الزّمن المقعد، الآمن فى ركن بيته، و اغتيال ابن الحكيم وزيره ببابه، و الإشادة بخلعه حسبما يأتى فى موضعه، استقرّ الأمر على ضعف أخيه، و سارع دخلته، فساءت السّيرة لمنافسة الخاصّة، و كان الرئيس الكبير عميد القرابة، و علم الدولة أبو سعيد فرج، ابن عمّ السلطان المخلوع، و أخيه الوالى بعده، راسخا قدمه و عرفه، بمثوبة الوارث، و لنظره عن أبيه المسوّغ عن جدّه مالقة و ما إليها، و لنظره مدينة سبتة، المضافة إلى إيالة المخلوع عن عهد قريب، قد أفرد بها ولده المترجم به، و جميعهم تحت طاعته، و فى زمان انقياد سوغ مديد الدولة، بل مدّ سروها لما شاء عزّ و جلّ من احتوائهم فى حبل هذا الدايل، يتعقبون على الرئيس الكبير أمورا تثرّ مخيمة الصدور، و تستدعى فرض الطاعة، و تحتوى على مظنّات مخلة، و احترسوا صافيات منافعه، و أوعزوا إلى ولاة الأعمال بالتضييق على رجاله، و صرفوا سننه عن نظره. و لمّا بادر إلى الحضرة لإعطاء صفقة البيعة و تهنئة السلطان نصر عن روحه و ابن عمّه، على عادته، داخله بعض أرباب الأمر، محذّرا، و مشيرا بالامتناع ببلده، و الدّعاء لنفسه، و وعده بما وسعه، فاستعجل الانصراف إلى بلده، و لم تمرّ إلّا برهة، و اشتعلت نار الفتنة، و هاجت مراجل الحفيظة، فتلاحق به ولده، و أظهر الانفراد و الاستعداد فى سابع عشر رمضان من هذا العام. و أقام ولده إسماعيل، برسم الملك و السلطان، و رتّب له ألقاب الملك، و دوّن ديوان الملك بحسبه، و نازل حضرة أنتقيرة، و ناصبها القتال، فتملّكها؛ و دخلت مربلّة فى طاعته، و تحرّك إلى بلّش فنازلها، و نصب عليها المجانيق فدانت، فضخمت الدعوة، و مكنت الجباية، و التفّ إليه من مساعير الحروب و من أجاب.

و تحرّك إلى غرناطة فى أول شهر محرم، عام اثنى عشر و سبعمائة، و نزل بقرية العطشا من مرجها. و برز السلطان نصر فى جيش خشن ، مستجاد العدّة، وافر الرّجل ، فكان اللقاء ثالث عشر الشهر، فأظهر اللّه أقلّ الفئتين ، و انجرّت على الجيش الغرناطى الهزيمة، وكبا بالسلطان نصر فرسه فى مجرى سقى لبعض الفدن، فنجا بعد لأى و دخل البلد مفلولا، و انصرف الجيش المالقى ظاهرا إلى بلده. و طال بالرئيس و ولده الأمر و ضرّستها الفتنة، و عظم احتياجه إلى المال، و كادت تفضحه المطاولة، و زاحمه الملك بمكلف ضخم، فاقتضى ذلك إذعانه إلى الصلح، و إصغاره المهادنة، على سبيله من المقام ببلده، مسلّما للسلطان فى جبايته، جارية و طائفة فى رئاسته، و أرزاق جنده، فتمّ ذلك فى ربيع الأول من العام المذكور. ثم لقحت فتنة فى العام

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۶

بعده، فعادت جذعة، و كانت ثورة الأشياخ فى غرناطة فى رمضان من العام المذكور هاتفين بخلعان السلطان، و طاعة مخلوعهم، و طالبين منه إسلام وزيره خدن الروم، المتهم على الإسلام أبى عبد اللّه بن الحاجّ. ثم لحق زعماؤهم بمالقة عند اختلال ما أبرموه، فكانت الحركة الثانية لغرناطة بعد أمور اختصرتها، من استبداد السلطان أبى الوليد بأمره ، و الانحطاط فى القبض على أبيه، إلى هوى جنده، و التصميم فى طلب حقّه، فاتصل سيره، و احتلّ بلوشة سرار شوال فتملّكها. و رحل قافلا إلى وطنه، طريد كلب الشتاء، وافر الخزانة، و اقتضى الرأى الفائل ممّن له النظر الجاش من زعيم شيوخ جندها، اتّهاما له بالطاغية، فسجنه. ثم بدا له فى أمره، ثم سرّحه بعد استدعاء يمينه، فوغرت صدور حاشيته، و تبعهم من كان على مثل رأيهم، و هو شوكة حادّة، فصرفوا الوجوه إلى السلطان المقبل الحظ، المحبوب إليه هوى الملك، بما راعه، ثانيا من عنانه بأحواز أرجدونة، إلّا تثويب داعيهم، فكرّ إلى المدينة و برز إليه جيشها، ملتفّا على عبد الحق بن عثمان، فأبلى ، و صدق الحملة، فكادت تكون الدائرة؛ فلو لا ثبوت السلطان لما استقبلت بأسفلهم الحملة،

فولّوا منهزمين، و تبعهم إلى سور المدينة، و قد خفت اللّفيف و الغوغاء النّاعقون بالخلعان، الشّرهون إلى تبديل الدّعوات، و إلى تسنّم المآذن و المنارات و الرّبا. و برز أهل ربض البيّازين، الهافّون إلى مثل هذه البوارق، إلى شرف ربوتهم ، كلّ يشير مستدعيا إعلانا بسوء الجوار، و ملل الإيالات، و الانحطاط، و بعد التلوّن و التقلّب، و سآمة العافية؛ شنشنة معروفة فی الخلق مألوفة. و بودر غلق باب إلبيرة، ففضّ قفله، و دخلت المدينة، و جاء السلطان إلى معقل الحمراء بأهله و ذخيرته و خاصّته، و برز السلطان أبو الوليد بالقصبة القدمى تجاهها، بالدار الكبرى المنسوبة لابن المول، ينفذ الصكوك، و يذيع العفو، و يؤلف الشّارد، و ضعفت بصائر المحصورين، و فشلوا على وجود الطعمة، و وفور المال، و تمكّن المنعة، فالتمسوا لهم و لسلطانهم عهدا نزلوا به، منتقلين إلى مدينة وادی آش، فی سبيل العوض بمال معروف، و ذخيرة موصوفة؛ و تمّ ذلك، و خرج السلطان رحمه اللّه مخلوعا، ساء به القرار، جانيا على ملكه الأخابيث و الأغمار، ليلة الثامن و العشرين من شوّال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، و استقرّ بها

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۷

موادعا مرة، و محاربا أخرى، إلى أن هلك حسبما يأتی ذكره. و خلا للسلطان الجوّ، و صرفت إليه المقادة، و أطاعه القاصی و الدّانی، و لم يختلف عليه اثنان، و البقاء الخلص للّه وحده.

مناقبه: اشتدّ ، رحمه اللّه، على أهل البدع، و قصر الخوض على ما تضطر إليه الملّة. و لقد تذوكر بين يديه أهل البيت، فبذل فی فدية بعضهم ما يعزّ بذله، و نقل منهم بعضا من حرف خبيثة، فزعموا أنه رأی رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، فی النوم، فشكر له ذلك. و اشتدّ فی إقامة الحدود، و إراقة المسكرات، و حظر تجلّی القينات للرجال فی الولائم، و قصر طربهنّ على أجناسهنّ من الناس، و أخذ يهود الذمّة بالتزام سمة تشهرهم، و شارة تميّزهم، و ليوفّی حقّهم من المعاملة التی أمر بها الشّارع فی الخطاب و الطّرق ، و هی شواشی صفر.

و لقد حدّث من يخفّ حديثه، من الشيوخ أولی المجانة و الدّعابة، قال: كنّا عاكفين على راح، و برأسی شاشيّة ملف حمراء، فحاول أصحابی إنامتی، حتى أمكن ذلك، و بادروا إلى رقاع من ثوب أصفر، فصنعوا منها شاشية، و وضعوها فی رأسی، مكان شاشيتی، و أيقظونی، فقمت لشأنی، و قد هيّئوا ثمنا لشراء بقل و فاكهة، و جهّزونی لشرائه، فخرجت حتى أتيت دكان السوق، فساومته، فلمّا نظر إلیّ قال لصاحبه: جزی اللّه هذا السلطان خيرا، و اللّه لقد كنت أبادر هذا اللّعين بالسلام عند لقائه، أظنّه مسلما، و بصق علیّ؛ فهممت أن أوقع به، ثم فطنت للحلية، فانتزعتها، و بادرت فأوسعتهم ذمّا، و عظم خجلی، و سبقنی إليهم عين لهم علیّ، فكاد الضحك يهلكهم عند دخولی. و مناقبه كثيرة.

جهاده و بعض الأحداث فی مدته: و التأثت الأمور، لأول مدته، فجرت على جيشه بمظاهرة جيش المخلوع لجيش الرّوم، الهزيمة الشنيعة، بوادی فرتونة؛ أوقع بهم الطاغية بطره، كافل ملك الروم، المملك صغيرا على عهد أبيه، و عمّه الذّابّ عنه، ففشا فی الأعلام القتل، و ذلك فی صفر من عام ستة عشر و سبعمائة، و ظهر العدوّ بعدها فغلب على حصن شتمانس و حصن بجيج ، و حصن طشكر،

الإحاطة فی أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۸

و ثغر روط. ثم صرفت المطامع عزمه إلى الحضرة، فقصد مرجها، و كفّ اللّه عاديته، و قمعه، و نصر الإسلام عليه، و دالت للدين عليه الهزيمة العظمى بالمرج من ظاهر غرناطة على بريد منها، و استولى على محلّته النّهب، و على فرسانه و رجاله القتل، و عظم الفتح، و بهر الصنع و طار الذكر، و ثاب السّعد. و كانت الوقيعة سادس جمادی الأولى من عام تسعة عشر و سبعمائة، و فی ذلك يقول كاتبه شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب:

الحمد حقّ الحمد للرحمن كافی العدو و ناصر الإيمان

و مكيف الصنع الكريم و دافع الخطب العظيم و واهب الإحسان

فی كل أمر للمهيمن حكمةأعيت على الأفكار و الأذهان

و استقرّ ملكهم القتيل بأيدى المسلمين بعد فرارهم، فجعل فى تابوت خشب، و نصب بالسور المنازل من الحمراء يسار الداخل بباب يعقوب من أبوابها، إذاعة للشّهرة، و تثبّتا لتخليد الفخر.

و من الغريب أننى فى هذه الأيام بعد خمسين سنة تماما ، تفقدت ذلك المكان فى بعض ما أباشره، أيام نيابتى عن السلطان بدار ملكه على عادتى، فألفيته قد علاـ عليه كوم من الحجارة، رجم الصبيان إياه، فظهر لى تجديد الإشادة به، و الاستفتاح بوقوع مثله، و لمّا كشف عن الرّمة لتنقل إلى وعاء ثان، ألفى بعظم القطن العريض منها سنان مرهب ثبت فى العظم، انتزع منه، و قد غالبتنى الرقّة و الإجهاش، و قلت اللّهمّ ادّخر رضوانك لمن أودع فى هذه الرّمّة الطاغية، سنان جهادك إلى اليوم، و أثبه و ارفع درجته، إنك أهل لذلك.

رجع : و استقامت الأيام، و هلك المخلوع، فصفا الجو، و اتّحدت الكلمة، و أمكن الجهاد، فتحرّك فى شهر رجب من عام أربعة و عشرين و سبعمائة، و أعمل القصد إلى بلاد العدو، و نازل حصن إشكر ، الشّجى المعترض فى حلق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۰۹

بسطة، فأخذ بمخنّقه ، و نشر الحرب عليه ، و رمى بالآلة العظمى المتخذة بالنفط كرة حديد محماة طاق البرج المنيع من معقله، فاندفعت يتطاير شررها، و استقرّت بين محصوريه، فعاثت عياث الصواعق السموية، فألقى اللّه الرعب فى قلوبهم، و أتوا بأيديهم، و نزلوا قسرا على حكمه فى الرابع و العشرين من الشهر، و أقام بظاهره، فصيّره دار جهاد، و عمل فى خندقه بيده، و انصرف، فكانت غزاة جمّة البركة عظمت بها على الشرق الجدوى، و أنشد الشعراء فى هذه الوجهة قصائد أشادت بفضلها، و شهرت من ذكرها، فمن ذلك عن كاتب سرّه قوله : [الكامل]

أمّا مداك فغاية لم تلحق أعيت على غرّ الجياد السّبق

و رفع إليه شيخنا الحكيم أبو زكريا بن هذيل، قصيدة أولها : [الطويل]

بحيث القباب الحمر و الأسد الوردكتائب سكان السماء لها جند

أنشدنى منها فى وصف النفط قوله:

و ظنّوا بأنّ الصّعق و الرّعد فى السمافحاق بهم من دونها الصّعق و الرّعد

غرائب أشكال سما هرمس بهامهنّدة تأتى الجبال فتنهدّ

ألا إنها الدنيا تريك عجائباو ما فى القوى منها فلا بدّ أن يبدو

و فى العاشر لشهر رجب من عام خمسة و عشرين و سبعمائة، تحرّك للغزو بعد أخذ الأهبة و الاستكثار و الاجتهاد للمطوعة، و قصد مدينة مرتش العظيمة الساحة، الطيبة البقعة، فأضرب بها المحلّات و كان القصد إجمام الناس، فصوّب الحشود و وجّهها إلى ما بها من بحر الكروم و الملتفّات، و أدواح

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۱۰

الأشجار، فأمعنوا فى إفسادها، و برز حاميتها، فناشبت الناس القتال، فحميت النفوس، و أريد منع الناس، فأعيا أمرهم و سال منهم البحر، فتعلّقوا بالأسوار، و قيل للسلطان: بادر بالركوب، فقد دخل الرّبض ، فركب و وقف بإزائها، فدخل البلد عنوة، و اعتصم أهله بالقصبة، فدخلت أيضا القصبة عنوة، و انطلقت أيدى الغوغاء على من بها من ذكر و أنثى كبيرا أو صغيرا ، فساءت القتلة، و قبحت الأحدوثة، و رفعت من الغد آكام من الجثث صعد ذراها المؤذّنون، و قفل إلى غرناطة بنصر لا كفاء له، فكان دخوله من هذه الغزاة فى الرابع و العشرين لرجب المذكور.

وفاته: و لما فصل من مرتش نقم على أحد الرؤساء من قرابته، و هر ابن عمّه محمد بن إسماعيل، المعروف بصاحب الجزيرة، أمرا تقرّعه عليه، و بالغ فى الإهمال له ، و توعّده بما أثار حفيظته، فأقدم عليه بالفتكة الشّنعاء التى ارتكبها منه بباب قصره، بين عبيده و

أربـاب دولته ، آمن ما كان سـربا، و أعزّ سـلطانا و جنـدا؛ و ذلك يوم الاثنين ثالث يوم من دخوله من مرتش، بعـد أن عاهـد فى الأمر جملـة من القرابـة و الخدّام، فوثب به، و هو مجتاز بين السّماطين من ناسه إلى مجلس كان يجلس فيه للناس، فاعتنقه و انتضـى خنجرا كـان ملصـقا فى ذراعه، فأصـابه بجراحـات ثلاـث؛ إحـداهنّ فى عنقه، بـأعلى ترقـوته، فخرّ صـريعا. و صـاح بكر وزيره، فعمّته سـيوف الحاضرين من أصحاب الفاتك، و وقعت الرّجّة، و سلّت السيوف، و تشاغل كلّ بمن يليه، و استخلص السلطان من يديه، و حيل بينه و بينه؛ و حين تشاغل القوم بالوزير، رفع السـلطان و ظنّ أنه قـد أفلت جريحا، فوقع البهت، و بادروا الفرار، فسدّت المذاهب، فقتلوا حيث وجدوا. و أخذت الظّنّة قوما من أبريائهم، فامتحنوا ، و نهب الغوغاء دورهم، و علّقت بالجدران أشـلاؤهم، و كان يوما عصـيبا، و موقفا صعبا، و احتمل السلطان إلى بعض دور قصره، و به صبابة روح، أشبه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۱۱

شىء بالعدم، للزوق العمامة بفوهة شريانه المبتور، ففاض لحينه بنفس زوال العمامة، رحمه اللّه.

و كان من أخـذ البيعة لولده الأمير أبى عبد اللّه من بعده، ما هو معروف فى موضـعه. و دفن غلس ليلة الثلاثاء، ثانى يوم وفاته، بروضـة الجنـة من قصـره، إلى جـانب جـدّه؛ و تنوهى الاحتفال بقبره نقشا، و تخريما ، و إحكاما، و حليا، و تمويها، يشقّ على الوصف، و كتب بإزاء رأسه فى لوح الرخام ما نصّه، من كلام شيخنا، بعد سطر الافتتاح:

«هـذا قبر السـلطان الشـهيد، فتّاح الأمصار، و ناصـر ملّـة المصـطفى المختار، و محيى سبيل آبائه الأنصار، الإمام العادل، الهمام الباسل، صـاحب الحرب و المحراب، الطـاهر الأنسـاب و الأـثواب، أسـعد الملوك دولـة، و أمضاهم فى ذات اللّه صولـة، سـيف الجهاد، و نور البلاد الحسام المسـلول فى نصرة الإيمان، و الفؤاد المعمور بخشية الرحمن، المجاهد فى سبيل اللّه، المنصور بفضل اللّه، أمير المسلمين أبى الوليـد إسـماعيل بن الهمام الأعلى الطاهر الـذات و الفخار ، الكريم المآثر و الآثار، كبير الإمامـة النّصـرية، و عماد الدولـة الغالبية، المقـدّس، المرحوم أبى سـعيد فرج، ابن علم الأعلام، و حامى حمى الإسـلام، صـنو الإمام الغالب، و ظهيره العلىّ المراتب، المقـدّس، المرحوم أبى الوليد إسـماعيل بن نصـر، قدّس اللّه روحه الطيّب، و أفاض عليها غيث رحمته الصيّب، و نفعه بالجهاد و الشهادة، و حباه بالحسـنى و الزيادة، جاهـد فى سبيل اللّه حقّ الجهاد، و صـنع له فى فتح البلاد، و قتل كبار الأعاد ، ما يجده مذخورا يوم التناد، إلى أن قضـى اللّه بحضور أجله، فختم عمره بخير عمله، و قبضه إلى مـا أعـدّ له من كرامته و ثوابه، و غبار الجهاد طىّ أثوابه، فاستشـهد رحمه اللّه شهادة أثبتت له فى الشّهداء من الملوك قدما، و رفعت له فى أعلام السعادة علما.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۱۲

«ولد رضـى اللّه عنه، فى الساعة المباركة بين يدى الصبح من يوم الجمعة سابع عشـر شوّال عام سـبعة و سـبعين و سـتمائة، و بويع يوم الخميس السابع و العشـرين لشوّال عام ثلاثة عشـر و سـبعمائة، و استشـهد فى يوم الاثنين السادس و العشرين لشهر رجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة. فسبحان الملك الحق، الباقى بعد فناء الخلق».

و بعده من جهة اللوح الأخير : [البسيط]

تخصّ قبرك يا خير السلاطين تحيّة كالصّبا مرّت بدارين

قبر به من بنى نصر إمام هدىعالى المراتب فى الدنيا و فى الدين

أبو الوليد، و ما أدراك من ملكمستنصر واثق بالله مأمون

سلطان عدل و بأس غالب و ندىو فضل تقوى و أخلاق ميامين

للّه ما قد طواه الموت من شرفو سرّ مجد بهذا اللحد مدفون

و من لسان بذكر اللّه منطلقو من فؤاد بحبّ اللّه مسكون

أما الجهاد فقد أحيا معالمهو قام منه بمفروض و مسنون

فكم فتوح له تزهى المنابر منعجب بهنّ و أوراق الدواوين

مجاهد نال من فضل الشهادة مايجبى عليه بأجر غير ممنون

قضى كعثمان فى الشهر الحرام ضحىوفاة مستشهد فى الدار مطعون

فى عارضيه غبار الغزو تمسحهفى جنّة الخلد أيدى حورها العين

يسقى بها عين تسنيم ، و قاتلهمردّد بين زقّوم و غسلين

تبكى البلاد عليه و العباد معافالخلق ما بين أحزان أفانين

لكنه حكم ربّ لا مردّ لهفأمره الجزم بين الكاف و النون

فرحمة اللّه ربّ العالمين علىسلطان عدل بهذا القبر مدفون

بعض ما رثى به: و عظمت فيه فجيعة المسلمين لما ثكلوا من جهاده و عزمه، و بلوه من سعده و عزّ نصره، فكثرت فيه المراثى، و تراهنت فى شجوه القرائح، و بكاه الغادى و الرائح. فمن المراثى التى أنشدت على قبره، قول كاتبه شيخنا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢١٣

أبى الحسن بن الجيّاب : [الطويل]

أيا عبرة العين امزجى الدّمع بالدّمو يا زفرة الحزن احكمى و تحكّمى

و يا قلب ذب وجدا و غمّا و لوعةفإنّ الأسى فرض على كل مسلم

و يا سلوة الأيّام لا كنت فابعدىإلى حيث ألقت رحلها أمّ قشعم

و صح بأناة الصبر سحقا تأخرىو قل لشكاة الحزن أهلا تقدّمى

و لم لا و شمس الملك و المجد و الهدىو فتّاح أبواب النّدى و التكرّم

ثوى بين أطباق الثرى رهن غربةوحيدا و أصمته الليالى بأسهم

على ملك الإسلام فاسمح بزفرةتساقط درّا بين فذّ و توأم

على علم الأعلام و القمر الذىتجلّى بوجه العصر غرّة أدهم

على أوحد الأملاك غير منازعأصالة أعراق و فضل تقدّم

و من مثل إسماعيل نور لمهتدو بشرى لمكروب و عفو لمجرم

و ما مثل إسماعيل للبأس و الندىلإصراخ مذعور و إغناء معدم

و ما مثل إسماعيل للحرب يجتنىبه الفتح من غرس القنا المتحطّم

و ما مثل إسماعيل سهم سعادةأصاب به الإسلام شاكلة الدم

شهيد سعيد صبّحته شهادةتبوّأ منها فى الخلود التنعم

أتت و غبار الغزو طىّ ثيابهظهير أمان من دخان جهنّم

فتبّا لدار لا يدوم نعيمهافما عرسها إلّا طليعة مأتم

و لا أنسها إلا رهين بوحشةو لا شهدها إلّا مشوب بعلقم

فيا من يرى الدنيا مجاجة نحلةألا فاعتبرها فهى نبتة أرقم

فمن شام منها اليوم برق تبسّمففى الغد تلقاه بوجه جهنّم

فضاحكها باك و جذلانها شجو طالعها هاو و مبصرها عم

و سرّاؤها تفنى و ضرّاؤها معافكلتاهما طيف الخيال المسلّم

سطت بملوك الأرض من بعد آدم‌تبدّد منهم كلّ شمل منظم

فكم من قصير قصّرت شأو عمره‌فخرّ صريعا لليدين و للفم

و كم كسرت كسرى و فضّت جيوشه‌فلم تحمه منها كتائب رستم

و لو أنها ترعى إمام هداية لأعفت‌عليّا من حسام ابن ملجم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۱۴ و ما قتلت عثمان فى جوف داره‌فقدس من مستسلم و مسلّم

و ما أمكنت فيروز من عمر الرّضى‌فهدّت من الإسلام أرفع معلم

إلى آخرها. و تضمن إجمال ما ذكر من ذلك، التاريخ المسمّى ب «قطع السلوك» المنظوم رجزا من تأليفى بما نصّه: [الرجز]

و عندما خيف انتثار السّلك‌و وزر الرّوم وزير الملك

تدارك الأمر الإمام الطّاهرفعالج الدار طبيب ماهر

و هو أبو الوليد إسماعيل‌و الشمس لا يفقدها دليل

ابن الرئيس الماجد الهمامفرد العلا و علم الأعلام

و جدّه صنو الإمام الغالب‌مناقب كالشّهب الثواقب

فقاد من مالقة الجنوداو نشر الأعلام و البنودا

و عاد نصر بمدى حمرائه‌أتى و أمر اللّه من ورائه

فخلع الأمر و ألقى باليدمن بعد عهد موثّق مؤكّد

و سار فى الليل إلى وادى الأشى‌و الملك للّه يعزّ من يشا

و لم يزل فيها إلى أن ماتاو طلّق الدنيا بها بتاتا

و اتّسق الأمر و قرّ الملك‌و ربما جرّ الحياة الهلك

و من الرجز المذكور فى وصف جهاده و مقتله: [الرجز]

و كان يوم المرج فى دولته‌ففرّق الأعداء من صولته

و فتح المعاقل المنيعه‌و ابتهجت بعدله الشريعه

و انتبه الدهر له من نومه‌على يدى طائفة من قومه

بكى عليه الحرب و المحراب‌و ندبته الضّمّر العرّاب

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر

السلطان الذى احتال على أخيه، المتوثّب على ملكه، يكنى أبا الوليد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۱۵

حاله: كان صبيّا كما اجتمع وجهه، بادنا دمث الخلق، ليّن الجانب، شديد البياض، كثيف الحاشية، متصلا بالجفوة، لطول الحجبة، و بعد التمرّن و الحنكة، غرّا، فاقدا لحسن الأدب، عريقة ألفاظه فى العجمة. تصيّر الأمر إلى أخيه السلطان خيرتهم و لباب بيتهم، يوم قتل أبوهما؛ و له مزية السّنّ و الرّجاحة و السكنى بمحل وفاة الأب؛ فأبقى عليه، و أسكنه بعض القصور لصقه، و لم يضايق أمّه فيما استأثرت به من بيت المال، إذ كان إقليده فى يدها، و بيضاؤه و صفراؤه فى حكمها، ورفّه متبوّأه، و استدعى له و لأخيه المعلم الذى كان السبب فى إفاتة إرماقهما، و إعدام حياتهما، الشيخ السّفلة محمد البطروجى البائس، فردّ ذلك السّرب، فاستمرّت أيام احتجابه و انتظاره على قصره، إلى رمضان من عام ستّين و سبعمائة. و حرّك سماسرة الفتنة له و لأمّه جواز الطمع فى الملك، و دندنوا لها حتى رقصت على إيقاعهم، و خفّت إلى مواعدهم، و شمّروا إلى خلاص الأمر؛ و أحام الوثبة صهره الرئيس أبو عبد اللّه، حلف الشؤم زوج

أخته، محمد بن إسماعيل، الشهير الكائنة، المذكور فى موضعه من حرف الميم، فسيّرت إليه أمّه المال، فبثّه فى الدعرة و الشرار، حتى تمّ غرضه، و اقتحم القلعة من بعض أسوارها عند البالية، و قد هدم منها شيء فى سبيل إصلاحه، ليلة الأربعاء الثامن و العشرين لرمضان من عام ستين و سبعمائة؛ و السلطان ليلتئذ غير حالّ بها، فملؤوها لجبا و لغطا و صراخا و هولا و تنويرا، فى جملة تناهز المائة؛ و انضاف إليهم أخوان رأيهم من حرّاسها و سكانها؛ فألبس الناس، و سقط فى أيديهم. و أهدى الليل فتكتة هائلة، و أدّاها شنيعة، فاقتصر كل على النظر لنفسه، و انقسموا فرقتين؛ قصدت إحداهما دار كبير الدولة، و قيّوم التّفويض، و شيخ رجال الملك رضوان، المستبدّ بإحالة كورتها، الشيخ الذّهول، معزوز القدر، و رائب النّكتة، و معود الإقالة، و جرّار رسن الأطواد، و طول الإملا، الماشى على خدّ الدنيا، المغضوض البصر عن النّظر، المستهين بكل سبّة و حيّة تسعى، المعوّل على نظره، و قوة سعده و إجابة دعوته، مع كونه نسيج وحده فى عفافه و ديانته، و رضى الناس به، و سقوط منافستهم من أجله، و مأويهم على مولّ لفظه، و بساط معاملته، و صحة عقده. فعالجوا بابه طويلا و تولّجوا داره، و قتلوه بين أهله و ولده.

و قصدت الأخرى دار الأمير المترجم به و معها صهره، فأخرجوه، و أركبوه على فرس، راعد الفرائض، ممتقع اللون، مختلط القول، تحفّ به دایاته بين مولولة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۱۶

و تافلة و معوّذة، قد جعلوا به سيفا مصلتا على سبيل اللّواعب بالنّصول و الرّواقص، فى مدارج اللهو؛ و استخرجت طبول الملك فقرعت، و قيدت الخيل من مرابطها فركبت، و قصدت الخزائن السلاحية ففرقت، و تمّ الأمر، و حلّ من الريب على دار الإمارة القصد، و خرجت الكتب إلى البلاد و القواعد، فالتقت باليد أمهاتها لقطع من بها من أولى الأمانة، بتمام الأمر، و هلاك السلطان، فتمّ له الأمر، و بادر أخوه السلطان لحينه لظهر سابق كان مرتبطا عند مجرّ له من الجنّة لصق القلعة، فاستأجر الليل، و وافق الحزم، فاستقرّ بوادى آش، و كان أملك بها، و نازلته المحلّات، و أخذ بمخنّقه الحصص، و استنصرت لمنازلته الناس، و أعملت الحيل؛ و تأذّن اللّه بثبوت قدمه، و انتقاله إلى ملك المغرب صبح عيد النحر من العام المذكور؛ إلى أن أعاد اللّه إليه أمره و ردّ عليه حقّه، و تولّى بعد اليأس جبره، حسبما يذكر فى موضعه، إن شاء اللّه.

و خلا الجو لهذا الأمير المضعوف، و استولى على أريكة الملك الأغمار و أولو البطالة، و أولياء صهره الرئيس، خاطبها له ابتداء ثم ناقلها إلى نفسه انتهاء، و حاملها إلى غايته درجا، و إلى إعاقته سلّما؛ و هو ما هو من غشّ الحبيب، و سوء العقد، و دخل السريرة، و استيطان المكروه، فأغرى منه بالعهد نفسا مطاوعة للشهوة، متبرّمة بالامتحان و الخلوة، بريّة من نور العلم و تهذيب الحكمة، ناشئة بين أخابيث القسوة، جانية أمانى الشهوة و المخالفة، مضادّة للفلاح، حايدة عن سبيل النجاة، بمحل اغتراب عن النّصحاء، و انتباذ عن مقاعد الأحرار؛ فجرى طلق الجموح فى التخلّف، حتى كبا لفيه و يديه، و أعان نسمة السوء الرئيس على نفسه؛ و قد كان اصطنع الرجال، و استركب أولى البسالة، و أسالف الدّعرة؛ و اختصّ فى سبيل خدمته و الذبّ عنه، بالبؤساء و المساعير، يشركهم فى الأكلة، و يصافيهم النعمة. و أظلم ما بينهما، فحذر كلّ جانب أخيه، إلّا أن المهين كا أضعف من أن يستأثر بخطة المعالجة، و يهتدى إلى سبيل الحزم. و فى عشىّ يوم الأربعاء السابع و العشرين من شهر شعبان، شارفه من مكمن غدره الرّحب بجوار قصره، و ارتبط به الخيل و استكثر من الحاشية، و أخفى المساعير، و داخل المورورى المشؤوم على الدولة، فبادر رجاله سدّ الأبواب، و انخرط فى جملة أوباشه من باب السلطان، من الرّجل لنظر ممالئه فى العناء، و عونه على الهول المورورى، فأحاط به، و قد بادر الاعتصام بالمصنع ثانى الصرح المنسوب إلى هامان سموّا و نفالا فى السّكاك وسعة ذرع. و بعدما رقى و صرخ بالناس،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۱۷

يناشدهم الذّمام، فخفّ إليه منهم الكثير، و تراكموا بالطريق تحته، و تولّى استنزاله عن سويّه مملوك أبيه، العلج المخذول عبّاد، و قد تحصّل فى قبضته الغادر، فقتل له فى الغارب و الذّروة، و وعده الحياة، فنزل عن أمان فسحة الغدر الصّراح، و الوفاء المستباح. و لحين

استهاله، أمر نقله إلى المطبق، فقيد مختبلا كثير الضراعة، إلى الأرىّ لصق قصره، و تعاورته السيوف، و ألحق به صغيره قيس، استخرج من بعض الخزائن، و قد جهدت أمّه فى إخفائه؛ فمضى لسبيله، و طرح رأسه على الرّعاع المجيبين لندائه، فانفضّوا لحينه، و بقى مطروحا موارى بحلس دابّة من دواب الظهر، إلى يوم بعده، فووري هو و أخوه بمقربة من مدفن أبيهما، فكان من أمرهما عبرة. و قد استوفى ذلك الكتاب المسمى ب «نفاضة الجراب» من تأليفنا.

وزراء دولته: قدّم للوزارة عشية يوم ولايته، محمد بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى، بطالع الشؤم، و نعبة النحس. عهد بالطبيب الإسرائيلى الحبرى العظيم المهارة فى الفن النجومى، إبراهيم بن زرزار، يتطاير بتلك الولاية بكون النّحس الأعظم فى درجة طالعها، جذوا انفرد بنحز أديمه الجهّالة، المعدودون فى البهم و الهمج، الذين لا يعبأ اللّه بهم؛ فكان الخبر و فوق الخبر، فلم ير فى الأندلس وزارة أثقل وطأة، و لا- أخبث عهدا، و لا- أعظم شرها، و لا أكثر حجرا منها. ثم كانت عاقبتهما أنهما فى النار خالدان فيها، و ذلك جزاء الظالمين من رجل حبركى ، كمد اللون، تنطف سحنته مرّة و سمّا، غائر العين، مطأطئ الرأس، طرف فى الحقد و الطمع وعىّ المنطق و جمود الكفّ، معدن من معادن الجهل، مثل فى الخيانة؛ تناول الأمر مزاحما فيه بالرئيس المتوثّب، و ابن عمّ نفسه، الغادر، الضخم الجرارة، بالوعث المهين، و ثور النقل، و ثعبان الفواكه، و صاعقة الأخونة ، و وكيل الدولة المنحطّ عن خلالهم بالأبوّة و النشأة؛ فجرت أمورها أسوأ مجاريها، إلى أن كان ما أذن اللّه به، من مداخلة الرئيس الغادر، على قتل أميره المسكين المهين، مقلّده أنوه الرّتب، و تاركه و خطة الخيانة؛ ثم أخذه الأخذة الرابية بيد من أمدّه فى الغىّ، و ظاهره فى الخزى؛ فجعله نكالا لما بين يديه و ما خلفه، و موعظة للمتّقين، حسبما يأتى فى اسمه، بحول اللّه تعالى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۱۸

كاتبه: و استعمل فى الكتابة صاحبنا الرجل الأخرق، الطّوال، الأهوج، البرىّ من الخلال الحميدة، إلّا ما كان من وسط الخط و سوقىّ السجع، و الدرك الأسفل من النظم، عبد الحق بن محمد بن عطية المحاربى، الآتى ذكره . و هو الذى أفرده اللّه، جلّ جلاله؛ بالغاية البعيدة من مجال سوء العهد؛ و قلّة الوفاء. و تولّى القضاء أبو جعفر أحمد بن أبى القاسم بن جزى أياما، ثم شهّر به قوم من الفقهاء منافسيه، ورشقوه بما أوجب صرفه؛ و قدّم للقضاء الشيخ المسنّ، الطويل السّباحة فى بحر الأحكام، المفرى الودجين و الحلقوم بسكّين القضاء، المنبوز بالموبقات فيه، تجاوز اللّه عنه، سلمون بن على بن سلمون. و شيخ الغزاة على عهده، يحيى بن عمر بن عبد اللّه بن عبد الحق، شيخ الغزاة لأخيه، أصبح يوم الكائنة فى قياده، و نصح له فأمر له؛ و ضاعف برّه.

الملوك على عهده

مولده: فى يوم الاثنين الثامن و العشرين لربيع الأول من عام أربعين و سبعمائة.

وفاته: حسبما تقرّر آنفا فى يوم الأربعاء السابع و العشرين لشعبان من عام أحد و ستين و سبعمائة.

أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفى الصحراوى

من أمراء المرابطين، صهر على بن يوسف بن تاشفين، زوج أخته، و أبو ولده منها يحيى، المشهور بالكرم.

أوّليته: معروفة تستقرأ عند ذكر ملوكهم.

حالهم: كان مثلا فى الكرم، و آية فى الجود، أنسى أجواد الإسلام و الجاهلية إلى الغاية؛ فى الحياء و الشجاعة و التّبريز فى ميدان الفضائل. استوزر الوزير الحكيم الشهير أبا بكر بن الصائغ، و اختصّه؛ فتجمّلت دولته ونبه قدره. و أخباره معه شهيرة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۱۹

ولايته: ولّى غرناطة سنة خمسمائة. ثم انتقل منها إلى سرقسطة عند خروج المستعين بن هود إلى روطة ، فأقام بها مراسم الملك، و

انهمك فى اللذّات، و عكف على المعاقرة، و كان يجعل التّياج بين ندمائه، و يتزيّا بزيّ الملوك، إلى أن هلك بها تحت مضايقة طاغية الروم المستولى عليها بعد.

خروجه من الصحراء: قال المؤرّخ: كان أبو بكر هذا رئيسا على بعض قبيله فى الصحراء، و كان ابن عمّه منفردا بالتدبير؛ فاتفق يوما أن دخل على ابن عمّه فى خبائه، و زوج ابن عمّه تمتشط فى موضع قريب من الخباء؛ فاشتغلت نفس أبى بكر بالمرأة لحسنها و جمالها، فحين دخل قال لابن عمّه: فلانة تريد الوصول إليك؛ و إنما قصد الاستئذان لرجل من أصحابه، فنطق باسم المرأة لشغل باله بها، فقال له ابن عمّه بعد طول صمت و فكرة، و قد أنكر ذلك: عهدى بهذا الشخص لا يستأذن علينا.

فرجع عقله، و ثاب لبّه، و علم قدر ما من القبيح وقع فيه، فخرج من ذلك المجلس، و ركب جمله، و هان عليه مفارقة وطنه من أجل العار، و استصحب نفرا قليلا من أصحابه على حال استعجال، و رحل ليلا و نهارا، حتى وصل سجلماسة أولى عمالات على بن يوسف ابن عمّه؛ و اتصل به قدومه، فأوجب حقّه، و عرف قدره، و عقد له على أخته، و ولّاه على سرقسطة دار ملك بنى هود بشرق الأندلس، بعد ولاية غرناطة.

نبذة من أخباره فى الكرم: قالوا: لمّا حلّ بظاهر سجلماسة، مجهول الوفادة، خافى الأمر، نزل بظلّ نخلة بظاهرها، لا يعرف أحدا و لا يقصده، فجاء فى ذلك الموضع رجل حداد فقراه بعنز كان عنده، و تعرّف له، و أبو بكر يستغرب أمره؛ فلمّا فرغوا من أكلهم، قال للحداد: ألا تصحبنا لموضع أملنا، و تكون أحد إخواننا، حتى تحمد لقاءنا؟ فأجابه؛ و صحبه الحداد، و خدمه، فلمّا قربوا من مرّاكش، استأذن أبو بكر علىّ بن يوسف بن تاشفين، و أعلمه بنفسه، فأخرج له علىّ بن يوسف فرسا من عتاق خيله، و كسوة من ثيابه و ألف دينار، فأمر أبو بكر بدفعها للحداد، فبهت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۰

الحداد؛ و انصرف الرسول موجّها إلى مرسله فأخبره بما عاين من كرمه و فعله، فأعاده إليه فى الحين بفرس أخرى، و كسى كثيرة، و آلاف من المال، فلمّا دخل مرّاكش، و لقى علىّ بن يوسف و أنزله، أنزل الحداد مع نفسه فى بيت واحد، و شاركه فى الأموال التى توجّه بها، فانصرف يجرّ وراءه دنيا عريضة.

و لمّا ملك سرقسطة ، اختصّ الوزير الحكيم أبا بكر بن الصائغ، و لطف منه محلّه. ذكر أنه غاب يوما عنه و عن حضور مجلسه بسرقسطة، ثم بكر من الغد، فلمّا دخل قال له: أين غبت يا حكيم عنّا؟ فقال: يا مولاى، أصابتنى سوداء و اغتممت، فأشار إلى الفتى الذى كان يقف على رأسه، و خاطبه بلسان عجمى ، فأحضره طبقا مملوءا مثاقيل محشمة، و عليها نوادير ياسمين، فدفعه كلّه إليه، فقال ابن باجة: يا مولاى، لم يعرف جالينوس من هذا الطّب، فضحك.

و ذكر أنه أنشد شعرا فى مدحه، و قد قعد للشراب، فاستفزّه الطرب، و حلف أن لا يمشى إلّا من فوق المال إلى منزله فى طريقه، فالتمس الخدّام برنسه بأن كانوا يطرحون من المال شيئا له خطر، على أوعيته حتى يغمرها، فيمشى خطوا إلى أن وصل إلى منزله؛ و حسد الحكيم أصحابه، و لم يقدروا على مطالبته. و اتفق أن سار الأمير أبو بكر، و أمر أصحابه بالتأهّب و الاستعداد، فاستعدّ ابن باجة، و اتخذ الأقبية و الأخبية، و استفره الجياد من بغال الحمولة، فكانت له منها سبعة صفر الألوان، حمل عليها الثياب و الفرش و المال؛ فلمّا نزل الأمير بمقرّه، مرّت عليه البغال المذكورة فى أجمل الهيئات، فقال لجلسائه: لمن هذه البغال؟ و من يكون من رجالنا هذا فأصابوا العزّة؟ فقالوا: هى للحكيم ابن الصائغ، صاحب سرقسطة، و ليعلم مولانا أنّ فى وسط كل حمل منها ألف دينار ذهبا سوى المتاع و العدّة؛ فاستحسن ذلك. و قال: أهذا حقّ؟ قالوا: نعم، فدعا الخازن على المال، و قال له ادفع لابن باجة خمسة آلاف دينار ليكمل له ذلك اثنى عشر ألفا، فقد سمعته غير ما مرة يتمنّى أن يكون له ذلك؛ ثم بعث عنه فى الحين و قال له: يا حكيم، ما هذا الاستعداد، فقال له: يا مولاى، كل ذلك من هباتكم و أعطياتكم، و لما علمت أن إظهار ذلك يسرّكم، فسرّ بذلك.

و أخباره رحمه اللّه كثيرة.

محنته: قالوا: و لمّا ولّى غرناطة سنة خمسمائة، ثار بها، و انبرى على قومه لأمر رابه، فانتبذ عنه قومه، و ناصبوه الحرب، حتى استنزلوه عنوة، و قبضوا عليه،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۱

و وجّهوه إلى على بن يوسف، فآثر الإبقاء عليه، و عفا عنه، و استعمله بسرقسطة؛ كذا ذكره الملّاحى، و أشار إليه. و عندى أن الأمر ليس كذلك، و أنّ الذى جرى له ذلك، أبو بكر بن على بن يوسف بن تاشفين، فيتحقّق.

وفاته: توفى بسرقسطة فى سنة عشر و خمسمائة بعد أن ضاق ذرعه بطاغية الروم، الذى أناخ عليه بكلكله. و عندما تعرّف خبر وفاته، و اتصلت بالأمير أبى إسحاق إبراهيم بن تاشفين، و هو يومئذ والى مرسية، بادر إلى سرقسطة، فضبطها، و نظر فى سائر أمورها، ثم صدر إلى مرسية.

رثاؤه: ورثاه الحكيم أبو بكر بن الصائغ بمراث اشتهر عنه منها قوله :

[الطويل]

سلام و إلمام و وسمىّ مزنة على الجدث النائى الذى لا أزوره

أحقّ أبو بكر تقضّى فلا ترى تردّ جماهير الوفود ستوره

لئن أنست تلك اللحود بلحده لقد أوحشت أقطاره و قصوره

و من ذلك قوله : [الخفيف]

أيها الملك قد لعمرى نعى المجد نواعيك يوم قمنا فنحنا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۲ كما تقارعت و الخطوب إلى أنغادرتك الخطوب فى التّرب رهنا

غير أنى إذا ذكرتك و الدّهر أخال اليقين فى ذاك ظنّا

و سألنا متى اللقاء فقيل الحشر قلنا صبرا إليه و حزنا

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين

اشارة

أوّليّته: جدّه عبد المؤمن، جذع الشجرة، و ينبوع الجداول؛ هو ابن على بن علوى بن يعلى بن موار بن نصر بن على بن عامر بن موسى بن عون اللّه بن يحيى بن ورجايغ بن سطفور بن نفور بن مطماط بن هزرج بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار بن معدّ بن عدنان. و كان طالبا بربريّا ضعيفا، خرج مع عمّه يؤمّ للشرق، و كان رأى رؤيا هالته تدلّ على ملك، إذ كانت صفحته من طعام على ركبتيه، يأكل منها الناس، و كانت أمه رأت و هى حامل، كأنّ نارا خرجت منها أحرقت المشرق و المغرب؛ فكانت فى نفسه حركة، لأجل هذه الرؤيا؛ فلمّا حلّ بسجلماسة، سمع بها عن المهدى، و كان رجلا يعرف بأبى عبد اللّه السّوسى، و وصف له بالعلم، فتشوّف إلى لقائه، ليرى ما عنده فى تأويل رؤياه؛ فانصرف إليه مع بعض الطلبة، فلقى رجلا قد وسمه، على ما يزعم الناس، حدثان من أبى حامد الغزالى، و علقت به دعوة منه، فى إذهاب ملك أهل اللّثام ، لحرق كتابه على أيديهم، فهو مغرّى بالخروج عليهم، مهيأ فى عالم الغيب إلى تخريب دعوتهم؛ فوافق شنّ طبقة ، و ما اجتمع الدّاآن إلّا ليقتتلا، و اللّه غالب على أمره، فأجلسه، و سأله عن اسمه، و بلده، و سنّه، و نسبه، بالتعريف؛ و أمره أن يخفى من أمره، و عبّر له رؤياه، بأنه يملك الأرض؛ فاهتزّت الآمال و تعاضدت؛ و نفذت مشيئة اللّه؛ بأن دالت الدولة، و هلك محمد بن تومرت المهدى؛ فأفضى الأمر إلى عبد المؤمن، و استولى على ملك اللّمتونيين، فأباد خضراءهم، و استأصل شأفتهم، و استولى على

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۳

ملك المغرب، فأقام به رسما عظيما، و أمرا جسيما، و أورثه بنيه من بعده، و اللّه يؤتى ملكه من يشاء.

حاله: كان، رحمه اللّه، شهما شجاعا، جريئا، بعيد الهمّة، نافذ العزيمة، قوىّ الشكيمة، لبيبا، كاتبا أديبا، فصيحا، بليغا، أبيّا، جوادا، حازما. و ذكره ابن عسكر المالقى فى تاريخ بلده؛ قال: دخل مالقة من قبل أخيه، فوصل إليها فى الحادى عشر من محرم، و هو شاب حدث، فكان منه من نباهة القدر و جلالة النفس، و أبّهة الملك ما يعجز عنه كثير من الملوك. و لحين وصوله عقد مجلس مذاكرة، استظهر له نبهاء الطلبة، و كان الشيخ على بن عبد المجيد يحضره. و كان يبدو منه، مع حداثة سنّه، من الذكاء و النّبل و التفطّن، ما كان يبهت الحاضرين، و كانوا ينظرون منه إلى بدرىّ الحسن، و أسدىّ الهيبة، و كهلىّ الوقار و التؤدة؛ و اشتغل بما يشتغل به الملوك من تفخيم البناء، كبنيان رياض السيّد الذى على ضفة الوادى بمالقة المعروف باسمه، للّه و رسوله، و كان عرفاء البنّائين لا يتصرفون إلّا بنظره؛ و استمرّت ولايته مفخّم الأمر، عظيم الولاية، إلى أن نقل منها إلى قرطبة، ثم نقل إلى إشبيلية و فيها بويع الخلافة .

تصيّر الأمر إليه، و جوازه إلى العدوة:

قام على أخيه العادل بين يدى مقلعة، ببمالأة أخيه السيد أبى زيد، أمير بلنسية و تحريكه إياه، فتمّ له ذلك؛ و عقدت له البيعة بمرّاكش و الأندلس. ثم إن الموحدين فى مراكش بدا لهم فى أمره، و عدلوا عنه إلى ابن عمّه أبى زكريا بن الناصر؛ و اتصل به خبر خلعهم إياه فهاجت نفسه، و وقدت جمرته، و استعدّ لأخذ ثأره، و رحل من إشبيلية، و استصحب جمعا من فرسان الروم، و استجاز البحر سنة ست و عشرين و ستمائة، قاصدا مراكش؛ و برز ابن عمّه إلى مدافعته، و التقى الجمعان فكانت الهزيمة على يحيى بن الناصر، و فرّ إلى الجبال، و استولى القتل على جيشه، و دخل المأمون مراكش فأمر بتقليد شرفاتها بالرؤوس فعمّتها على اتّساع السّاحة؛ و استحضر النّاكثين لبيعته و بيعة أخيه، و هم كبار الدولة، و استفتى قاضيه بمرأى منهم، و استحضر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۴

خطوطهم و بيعاتهم، فأفتى بقتلهم، فقتل جماعتهم، و هم نحو مائة رجل ، و اتّصل البحث عمّن أفلت منهم، و صرف عزمه إلى محو آثار دولة الموحّدين، و تغيير رسمها، فأزال اسم مهديها عن الخطبة و السّكّة و المآذن، و قطع النداء عند الصلاة «تاصليت الإسلام» و كذلك «منسوب رب» «و بادرى» ، و غير ذلك، مما جرى عليه عمل الموحّدين؛ و أصدر فى ذلك رسالة حسنة، من إنشائه، يأتى ذكرها فى موضعه.

و عند انصرافه من الأندلس، خلا للأمير أبى عبد اللّه بن هود الجوّ، بعد وقائع خلت بينهما، و انتهز النصارى الفرصة؛ فعظمت الفتنة، و جلّت المحنة.

دخوله غرناطة: لم يصحّ عندى أنه دخل غرناطة، مع غلبة الظن القريب من العلم بذلك، إلّا طريقه إلى مدافعته المتوكل بن هود بجهة مرسية؛ فإنه تحرك لمعالجة أمره فى جيش إشبيلية باستدعاء أخيه السيد أبى زيد، والى بلنسية، بعد هزائم جرت بصقع الشرق لابن هود؛ فتحرك المأمون إليه، و احتلّ غرناطة، فى رمضان من عام خمسة و عشرين و ستمائة، و أنفذ منها كتابه إلى أخيه، يقوّى بصيرته، و يعلمه بنفوذه إليه؛ و التفّ عليه جيش غرناطة و ما والاها، و اتصل سيره إلى الشرق، فبرز ابن هود إلى لقائه، فكان اللقاء بخارج لورقة، فانهزم ابن هود، و فرّ إلى مرسية، و عساكر الموحدين فى عقبه؛ و استقصاء مثل هذا يخرج عن الغرض.

و خاطب لأول أمره، و أخذ الناس ببيعته من بأقطار الأندلس، صادعا بالأمر المعروف، و النّهى عن المنكر، و الحضّ على الصلوات و إيتاء الزكاة، و إيتاء الصدقات، و النهى عن شرب الخمر و المسكرات و التحريض على الرعاية، فمن كتابه:

«الحمد للّه الذى جعل الأمر بالمعروف، و النّهى عن المنكر أصلين يتفرّع منهما مصالح الدنيا و الدين، و أمر بالعدل و الإحسان، إرشادا إلى الحق المبين، و الصلاة و السلام على سيّدنا محمد النبى الكريم، المبعوث بالشريعة التى طهرت الجيوب من الأدران، و

استخدمت بواطن القلوب و ظواهر الأبدان، طورا بالشدة، و تارة باللّين؛ القائل، و لا عدول عن قوله: «و من اتّقى الشّبهات استبرأ لدينه و عرضه» تنبيها على ترك الشكّ لليقين؛ و على آله أعلام الإسلام، الملقين راية الإسلام باليمين، الذين مكّنهم اللّه فى الأرض، فأقاموا الصلاة، و آتوا الزكاة، و أمروا بالمعروف و نهوا عن المنكر، وفاء بالواجب لذلك التمكين.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۵

و من فصل: «و إذا كنّا نوفى الأمة تمهيد دنياها، و نعنى بحماية أقصاها و أدناها، فالدين أهمّ و أولى، و التهمّم بإقامة الشريعة و إحياء شعائرها، أحقّ أن يقدّم و أحرى، و علينا أن نأخذ بحسب ما يأمر به الشرع و ندع، و نتبع السّنن المشروعة و نذر البدع.

و لنا أن لا ندّخر عنها نصيحة، و لانغبنها أداة من الأدوات مريحة، و لنا عليها أن تطيع و تسمع».

و من فصل: «و أول ما يتناول به الأمر النافذ، الصلاة لأوقاتها، و الأداء لها على أكمل صفاتها، و شهودها إظهارا لشرائع الإيمان فى جماعتها، فقد قال عليه الصلاة و السلام: «أحبّ الأعمال إلىّ الصلاة لأوقاتها». و قال: «أول ما ينظر فيه من أعمال العبد الصلاة». و قال عمر: إن أهمّ أموركم عندى الصلاة، فمن حفظها و حافظ عليها حفظ دينه، و من ضيّعها فهو لما سواها أضيع. و قال: «لا حظّ فى الإسلام لمن ترك الصلاة، و هى الركن الأعظم من أركان الإيمان، و السور الأوثق لأعمال الإنسان، و المواظبة على حضورها فى المساجد، و إيثار ما لصلاة الجماعة من المزية على صلاة الواحد، أمر لا يضيّعه المفلحون، و لا يحافظ عليها إلّا المؤمنون. قال ابن مسعود، رضى اللّه عنه: لقد رأينا، و ما يتخلّف عنها إلّا المنافق معلوم النفاق، و لقد كان الرجل يؤتى يتهادى بين الرّجلين، حتى يقام فى الصّف. و شهود الصبح، و عشاء الآخرة شاهد بمحضر الإيمان. و لقد جاء: حضور الصبح فى جماعة يعدل قيام ليلة، و حسبكم بهذا الرّجحان. و من الواجب أن يعتنى بهذه القاعدة الكبرى من قواعد الدين، و يأخذ بها فى جميع الأمصار الصغير و الكبير من المسلمين، و نيط فى إلزامها قوله عليه الصلاة و السلام: «مروا أبناءكم بالصلاة لسبع و اضربوهم عليها لعشر سنين». و هى طويلة فى معانى متعددة.

نثره و نظمه: و لمّا غيّر رسوم الموحّدين و أوقع بأرباب دولتهم خبر النكث ببيعته و بيعتى أخيه و عمّه، كتب إلى الأقطار عن نفسه، و لم يكمل إنشاءه بكتابة رسالة بديعة اشتملت على فصول كثيرة تنظر فى كتاب «المغرب» و «البيان المغرب» و غير ذلك.

و كتابا بخطّه إلى أهل أندوجر : «إلى الجماعة و الكافّة من أهل فلانة، وقاهم اللّه عثرات الألسنة، و أرشدهم إلى محو السيئة بالحسنة؛ أما بعد فإنّه قد وصل من قبلكم كتابكم الذى جدّد لكم أسهم الانتقاد، و رماكم من السّهاد ، بالداهية النّاد ؛

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۶

أ تعتذرون من المحال بضعف الحال، و قلّة الرجال؟ إذا نلحقكم بربّات الحجال.

كأنّا لا نعرف مناحى أقوالكم، و سوء منقلبكم و أحوالكم؛ لا جرم أنكم سمعتم بالعدوّ قصمه اللّه، و قصده إلى ذلك الموضع عصمه اللّه؛ فطاشت قلوبكم خورا، و عاد صفوكم كدرا، و شممتم ريح الموت وردا و صدرا؛ و ظننتم أنكم أحيط بكم من كل جانب ، و أن الفضاء قد غصّ بالتفاف القنا و اصطفاف المناكب ، و رأيتم غير شىء فتخيّلتموه طلائع الكتائب. تبّا لهمّتكم المنحطّة، و شيمتكم الرّاضية بأدون خطّة؛ أحين ندبتم إلى حماية إخوانكم، و الذبّ عن كلمة إيمانكم، نسّقتم الأقوال و هى مكذوبة، و لفّقتم الأعذار و هى بالباطل مشوبة؛ لقد آن لكم أن تتبدلوا جلّ الخرصان ، إلى مغازل النّسوان؛ و ما لكم و لصهوات الخيول، و إنما على الغانيات جرّ الذيول. أ تظهرون العناد تخريصا، بل تصريحا و تلويحا، و نظنّ أن لا يجمع لكم شتّا، و لا يدنى منكم نزوحا. أين المفرّ و أمر اللّه يدرككم، و طلبنا الحثيث لا يتركككم؟ فأزيلوا هذه النزعة النّفاقيّة من خواطركم قبل أن نمحو بالسيف أقوالكم و أفعالكم، و نستبدل قوما غيركم، ثم لا يكونوا أمثالكم، و نحن نقسم باللّه لو اعتسفتم كل بيداء سملق، و اعتصمتم بأمنع معقل، و أحفل فيلق، ما ونينا عنكم زمانا، و لا ثنينا عن استئصال العزم منكم عنانا فلا يغرّنكم الإمهال، أيّها الجهّال». و هى طويلة. و قال عند الإيقاع بالأشياخ أولى الفساد على الدول، و صلبهم فى الأشجار و الأسوار، مما كلف السّلمى بحفظها و استظرافها : [الكامل]

أهل الحرابة و الفساد من الورىيعزون فى التشبيه بالذّكّار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۷ ففساده فيه الصلاح لغيرهبالقطع و التّعليق فى الأشجار

ذكّارهم ذكرى إذا ما أبصروافوق الجذوع و فى ذرى الأسوار

لو عمّ عفو اللّه سائر خلقهما كان أكثرهم من اهل النّار

توقيعه: قال ابن عسكر: و كانت تصدر منه توقيعات نبيلة، فمنها أن امرأة رفعت رقعتها بأحد من الأجناد ممّن نزل دارها، و صدر لها أمر ينكر؛ فوقّع على رقعتها: «يخرج هذا النازل، و لا يعوّض بشيء من المنازل». و غير ذلك مما اختصرناه.

بنوه: أبو محمد عبد الواحد وليّ عهده، و أمير المؤمنين بعد وفاته، الملقّب بالرشيد؛ و عبد العزيز، و مان؛ و أبو الحسن على، الملقّب بالسعيد، الوالى بعد أخيه الرشيد.

بناته: ابنة العزيز، و صفية، و نجمة، و عائشة، و فتحونة؛ و أمّهات الجميع روميّات، و سرّيّات مغربيات.

وزراؤه: وزر له الشيخ أبو زكريا بن أبى الغمر و غيره.

كتّابه: كتب له جملة من مشاهير الكتّاب، منهم أبو زكريا الفازازى، و أبو المطرّف بن عميرة، و أبو الحسن الرّعينى، و أبو عبد اللّه بن عيّاش، و أبو العباس بن عمران، و غيرهم. و ما منهم إلّا شهير كبير.

وفاته: توفى، رحمه اللّه، بوادى أم الربيع، و قد طوى المراحل من ظاهر سبتة، مقلعا عن حصارها، مبادرا إلى مرّاكش، و قد اتصل به دخول يحيى بن الناصر إياها، فأعدّ السير و قد اشتدّ حنقه على أهلها، و أقسم أن يبيح حماها للرّوم، و يذهب اسمها و مسمّاها، فهلك عند دنوّه منها فجأة، فكانت عند أهل مراكش من غرر الفرج بعد الشدة؛ و كتمت زوجه حبابة الرومية، أم الرشيد ولده، خبر وفاته إلّا عن الأفراد من قوّاد النصارى و بعض الأشياخ، و اتفق القول على مبايعة ابنها المذكور، بيعة خاصّة ثانى يوم وفاته؛ ثم جعل فى هودج و أشيع أنه مريض، و زحفت الجيوش على تعبئته؛ و برز يحيى بن الناصر من مراكش إلى لقائه، و التقى الجمعان فانهزم يحيى، و استولى الرشيد عليه، و دخل مراكش فاستقام الأمر؛ و كانت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۲۸

وفاة المأمون أبى العلا، رحمه اللّه، ليلة الخامس عشر لمحرم عام ثلاثين و ستمائة .

و جرى ذكر المأمون و المهدى و أوّليّتهم فى الرجز المتضمّن ذكر المسلمة من نظمى بما نصّه بعد ذكر الدولة اللّمتونية: [الرجز]

و نجم المهديّ و هو الدّاهيهفأصبحت تلك المبانى واهيه

و انحكم الأمر له و انجمعافى خبر نذكر منه لمعا

لم يأل فيها أن دعا لنفسهو كان فى الحزم فريد جنسه

أغرب فى ناموسه و مذهبهو فى الذى سطّره من نسبه

و عنده سياسة و علمو جرأة و كلام و حلم

و وافقت أيامه فى الناسلدولة المسترشد العبّاسى

ثم انقضت أيامه المنيفهو كان عبد المؤمن الخليفة

فضاء لون سعده و وضحاو لاح مثل الشمس فى وقت الضّحى

ثم تلمسان وفاسا فتحاو ملك أصحاب اللثام قد محا

و لما انتهى القول إلى المأمون المترجم به، بعد ذكر من يليه و عبد المؤمن جدّه، قلت: [الرجز]

ثم تولّى أمرهم أبو العلافسلّط البيض على بيض الطّلا

و هو الذى أركب جيش الرومو جدّ فى إزالة الرسوم

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى سعد ابن بكر بن عفان الإلبيرى

هذا هو جدّ سعيد بن جودى بن سوادة بن جودى بن أسباط، أمير المغرب.

و قدرهم بهذه المدينة شهير.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۲۹

حاله: و كان من أهل العلم و الفقه، و الدين المتين، و الورع الشديد، و الصلاح الشهير.

نباهته: ولّاه الأمير عبد الرحمن قضاء إلبيرة حين بلغه زهده و ورعه، و أنّه لم يشرك إخوته فى شىء من ميراث أبيه، إذ كان لم يحضر الفتح، فبرىء به إليهم، و ابتاع موئلا بوطنه أنيط به ماء، و انفرد به للعبادة و التبتّل، فاستقدمه هشام، فركب حماره و قدم عليه فى هيئة رثّة بذلّة، فتوسّم فيه الخير، و قدّمه و وسّع له فى الرّزق، و وهب له ضياعا كثيرة تعرف اليوم باسمه. و توفى هشام و هو قاض بإلبيرة، فأقرّه ابنه الحكم ثم ولّاه شرطته، إلى أن توفى أسباط. قلت: انظر حال الشرطة عند الخلفاء من كان يختار لها لولايتها.

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد اللّه بن خالد ابن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان

مولى عثمان بن عفّان، رضى اللّه عنه؛ يكنى أبا الجعد.

أوّليته: من أهل شرق الأندلس، أصلهم من لوشة فتيّة غرناطة ، و موضعهم بها معروف، و إلى جدّهم ينسب جبل أبى خالد المطلّ عليها، و كان لهم ظهور هنالك، و فيهم أعلام و فضلاء.

حاله: كان أسلم من خيار أهل إلبيرة، شريف البيت، كريم الأبوّة، من كبار أهل العلم، و كانت فيه دعابة، لم ينسب إليه قطّ بسببها خزية فى دين و لا زلّة. قال أبو الفضل عياض : كان أسلم من خيار أهل إلبيرة، رفيع الدرجة فى العلم، و علوّ الهمّة فى الإدراك، و الرواية و الدّيانة، و الصّحبة، و بعد الرّحلة فى طلب العلم، معروف النّصيحة و الإخلاص للأمراء.

مشيخته: لقى بمصر، المدنى، و محمد بن عبد الحكم، و يونس، و الربيع بن سليمان المؤذن، و أحمد بن عبد الرحيم البرقى. و سمع من على بن عبد العزيز، و سليمان بن عمران بالقيروان. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۱ ؛ ص ۲۳۰

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۳۰

من روى عنه: سمع منه عثمان بن عبد الرحمن، و عبد اللّه بن يونس، و محمد بن قاسم، و غير واحد، و انصرف إلى الأندلس من رحلته، فنال الوجاهة العظيمة.

ولايته: ولّاه قضاء الجماعة بغرناطة، الناصر لدين اللّه، أول ولايته، وسط سنة ثلاثمائة، إلى أن استعفى سنة تسع و ثلاثمائة فأعفاه، ثم أعاده. و كان فى قضائه صارما لا هوادة عنده. قال المؤرّخ: كان الناصر يستخلفه فى سطح القصر إذا خرج إلى مغازيه. و حكى ابن حارث أن ابن معاذ و ابن صالح أتيا يوما، فلمّا أخذا مجلسهما نظر إليهما و قال: ألقوا ما أنتم ملقون فأبهتهما. و دخل عليه محمد بن وليد يوما، فكلّمه فى شىء، فقال أسلم: سمعنا و عصينا. فقال ابن وليد: و نحن قلنا و احتسبنا. و أتاه فى بعض مجالسه شهود، بعضهم من أهل المدينة بقرطبة، و بعضهم من شلار من الرّبض الشرقى، يشهدون فى ترشيد امرأة من الرّبض الغربى، فلما أخذوا مجالسهم، فتح باب الخوخة التى فى المجلس الذى يجلس بدهليزه، و نادى من بخارجه فاجتمعوا؛ اسمعوا، عجبا للّه درّ الشاعر حيث يقول: [الكامل]

راحت مشرّقة و رحت مغرّباشتّان بين مشرّق و مغرّب

هؤلاء من أهل المدينة و شلار، يشهدون فى ترشيد امرأة من ساكنات آخر بلاط مغيث، ثم سكت فدهش القوم و تسلّلوا. و بلغه عن بعض الشهود المتّهمين أنه أرشى فى شهادته ببساط، فلما أتى ليؤدّيها، و دخل على أسلم، جعل يخلع نعليه عند المشى على بساط

القاضى، فناداه: أبا فلان، البساط، اللّه اللّه؛ فتنبّه بأن أمره عند القاضى، و لم يجسر على أداء شهادته تلك. و خاصم فقيه عند أسلم رجلا فى خادم أغربها، و جاء بشاهد أتى به من إشبيلية، فقال: يا قاضى، هذا شاهدى فاسمع منه، فصعّد أسلم فى الشاهد و صوّب، و قال: أ محتسب أو مكتسب أصلحك اللّه؟ فقال الشاهد: أحسن الظنّ أيها القاضى، فليس هذا إليك، هذا إلى اللّه المطّلع على ما فى القلوب، و لم تقعد هذا المقعد لتسأل عن هذا و شبهه، و إنما عليك الظاهر، و تكل الباطن إلى اللّه، فإن شئت، فاسمع الشهادة كما يلزمنى أداؤها، ثم اقبلها أو اضرب بها الحائط. و فى رواية أخرى، و ليس لك أن تكشف السّتر المنسدل بينك و بينى، فإن هذا التفسير للشهود يوقف عن الشهادة عندك، و يعرّض لإهانتك أهل لائقة، و فى ذلك من ضياع الحقوق ما لا يخفى، فأخجل أسلم كلامه، و قال له: لك ما قلت، فأدّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣١

شهادتك، يرحمك اللّه. قال: فأين الخادم؟ تحضر حتى أشهد على عينها، قال أسلم و فقيه أيضا: هاتوا الخادم، فجاءت من عند الأمين، فلمّا مثلت بين يديه، نظر منها مليّا، ثم قال: أعرف هذه الخادم ملكا لهذا الرجل، لا أعرف ملكه، زال عنها بوجه من الوجوه، إلى حين شهادتى هذه، سلام على القاضى، ثم خرج، فبقى أسلم متعجّبا منه.

محنته: كفّ بصره فى أخريات أيامه، فطلب لأجل ذلك الإعفاء فأعفى، و لزم بيته صابرا محتسبا إلى حين وفاته.

مولده: سنة إحدى و ثلاثين و مائتين.

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّى

من أهل قرية الصّير مورته ، من إقليم البساط من قرى غرناطة.

حاله: كان عظيم القدر و الشرف و الشّهرة، أصيل المعرفة و الدين.

مشيخته: خرج إلى المشرق، و لقى مالك بن أنس، رضى اللّه عنه، روى عنه سحنون بن سعيد.

تآليفه: ألّف كتاب «المختلطة»، و ولّى القضاء بالقيروان أجمل ما كانت و أكثر علما، و ولّاه زيادة اللّه غزو صقلية، ففتحها و أبلى بلاء حسنا.

وفاته: توفى، رحمه اللّه، محاصرا سرقوسة منها سنة ثلاث عشرة و مائتين.

هذا ما وقع فى كتاب أبى القاسم الملّاحى. و ذكره عياض فذكر خلافا فى اسمه و فى أوّليته.

أبو بكر المخزومى الأعمى المورورى المدوّرى

حاله: كان أعمى ، شديد القحة و الشّرّ، معروفا بالهجاء، مسلّطا على

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٣٢

الأعراض، سريع الجواب، ذكىّ الذهن، فطنا للمعاريض ، سابقا فى ديوان الهجاء، فإذا مدح ضعف شعره.

دخوله غرناطة: و ذكر شىء من شعره، و مهاترته مع نزهون بنت القلاعى.

قال أبو الحسن بن سعيد، فى كتابه المسمّى ب «الطالع السعيد»: قدم على غرناطة أيام ولاية أبى بكر بن سعيد عمل غرناطة، و نزل قريبا منه، و كان يسمع به؛ فقال: صاعقة يرسلها اللّه، عزّ و جلّ، على من يشاء من عباده، ثم رأى أن يبدأه بالتأنيس و الإحسان، فاستدعاه بهذه الأبيات: [المجتث]

يا ثانيا للمعرّىفى حسن نظم و نثر

و فرط ظرف و نبلو غوص فهم و فكر

صل ثم واصل حفيّابكلّ شكر و برّ

و ليس إلّا حديث كما زها عقد درّ

و شادن قد تغنّى على رباب و زمر

و ما يسامح فيه الغفور من كأس خمر

و بيننا عقد حلف لبان شرك و كفر

فقم نجدّده عهدابطيب شكر و سكر

و الكأس مثل رضاع و من كمثلك يدرى؟

و وجّه له الوزير أبو بكر بن سعيد عبدا صغيرا قاده، فلمّا استقرّ به المجلس، و أفعمته روائح النّدّ و العود و الأزهار، و هزّت عطفه الأوتار، قال: [البسيط]

دار السّعيدىّ ذى أم دار رضوان ما تشتهى النّفس فيها حاضر دان

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۳۳ سقت أبارقها للنّدّ سحب ندى تحدو برعد لأوتار و ألحان

و البرق من كلّ دنّ ساكب مطرايحيى به ميت أفكار و أشجان

هذا النعيم الذى كنّا نحدّثه و لا سبيل له إلّا بآذان

فقال أبو بكر بن سعيد: «و لا سبيل له إلّا بآذان» ، فقال: حتى يبعث اللّه ولد زنا كلما أنشدت هذه الأبيات، قال: و إن قائلها أعمى، فقال: أمّا أنا، فلا أنطق بحرف فى ذلك، فقال: من صمت نجا. و كانت نزهون بنت القلاعى، الآتى ذكرها، حاضرة، فقالت: و نراك يا أستاذ، قديم النغمة ، بندّ و غناء و طيب شراب، تتعجب من تأتّيه، و تشبّهه بنعيم الجنة، و تقول: ما كان يلمّ إلّا بالسّماع، و لا يبلغ إليه إلّا بالعيان؟ لكن من يجىء من حصن المدوّر، و ينشأ بين تيوس و بقر، من أين له معرفة بمجالس النّغم ؟ فلما استوفت كلامها تنحنح الأعمى، فقالت له: دعه ، فقال: من هذه الفاعلة ؟ فقالت: عجوز مقام أمّك، فقال:

كذبت، ما هذا صوت عجوز، إنما هذه نغمة قحبة محترقة تشمّ روائح كذا منها على فرسخ ، فقال له أبو بكر: يا أستاذ، هذه نزهون بنت القلاعى الشّاعرة الأديبة، فقال: سمعت بها لا أسمعها اللّه خيرا، و لا أراها إلّا أيرا . فقالت له:

يا شيخ سوء تناقضت، و أىّ خير أفضل للمرأة ممّا ذكرت ؟ ففكّر المخزومى ساعة ثم قال: [الطويل]

على وجه نزهون من الحسن مسحة و إن كان قد أمسى من الضّوء عاريا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۳۴ قواصد نزهون توارك غيرها و من قصد البحر استقلّ السّواقيا

فأعملت فكرها و قالت : [المجتث]

قل للوضيع مقالا يتلى إلى حين يحشر

من المدوّر أنشئت و الخرا منه أعطر

حيث البداوة أمست فى أهلها تتبختر

لذاك أمسيت صبّابكلّ شىء مدوّر

خلقت أعمى و لكن تهيم فى كلّ أعور

جازيت شعرا بشعر فقل لعمرى من أشعر

إن كنت فى الخلق أنثى فإنّ شعرى مذكّر

فقال لها اسمعى : [المتقارب]

ألا قل لنزهونة ما لها تجرّ من التّيه أذيالها

و لو أبصرت فيشة شمّرت كما عوّدتنى، سربالها

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۳۵

فحلف أبو بكر بن سعيد ألّا يزيد أحدهما على الآخر فى هجوه كلمة، فقال المخزومى: أكون هجّاء الأندلس و أكفّ عنها دون شىء؟ فقال: أنا أشترى منك عرضها فاطلب، فقال: بالعبد الذى أرسلته فقادنى إلى منزلك، فإنه ليّن القدّ رقيق الملمس . فقال أبو بكر: لو لا أنه صغير كنت أبلّغك فيه مرادك، و أهبه لك؛ ففطن لقصده، و قال: أصبر عليه حتى يكبر، و لو كان كبيرا ما آثرتنى على نفسك؛ فضحك أبو بكر و قال: قد هجوت نثرا، و إن لم تهج نظما، فقال: أيها الوزير، لا تبديل لخلق اللّه. و انفصل المخزومى بالعبد بعدما أصلح بينه و بين نزهون.

و قال يمدح القاضى بغرناطة أبا الحسن بن أضحى ، رحمهما اللّه :

عجبا للزمان يطلب هضمى و ملاذى منه علىّ بن أضحى

جاره قد سما على النّطح عزّاليس يخشى من حادث الدهر نطحا

فكأنّى علوت قرن فلان‌أىّ تيس مطوّل القرن ألحى

فقال له ابن أضحى: هلّا اقتصرت على ما أنت بسبيله، فكم تقع فى الناس؟

فقال: أنا أعمى و هم حفر فلا أزال أقع فيها، فقال: فأعجبنى كلامه على قبحه.

و حديث مقامه بغرناطة يقتضى طويلا.

وفاته: قال أبو القاسم بن خلف، كان حيّا بعد الأربعين و خمسمائة.

أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدى

يكنى أبا القاسم؛ عالم مشهور.

حاله: كان محقّقا بعلم العدد و الهندسة، مقدّما فى علم الهيئة و الفلك و علم النجوم، و كانت له مع ذلك عناية بالطّب.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۳۶

تواليفه: تواليفه حسان، و موضوعاته مفيدة؛ منها كتاب «المدخل إلى الهندسة» فى تفسير كتاب أقليدس. و منها كتاب ثمار العدد المعروف ب «المعاملات». و منها كتابه الكبير فى الهندسة، تقصّى فيه أجزاءها. و منها كتاب فى الآلة المعروفة بالأسطرلاب. و منها تاريخه الذى ألّفه و هو تاريخ كبير.

وفاته: قال ابن جماعة فى تاريخه: أخبرنى أبو مروان سليمان بن عيسى الناشىء المهندس، أنه توفى بمدينة غرناطة قاعدة الأمير حبّوس ليلة الثلاثاء لاثنتى عشرة ليلة بقيت لرجب سنة ست و عشرين و أربعمائة، و هو ابن ست و خمسين سنة شمسية. و عدّه من مفاخر الأندلس.

أبو على بن هدية

من أهل غرناطة.

حاله: قال أبو القاسم الملّاحى فيه: من أهل الدين، و الفضل، و الأمانة، و العدالة، و المعرفة بالتكسير و الأعمال السلطانية، و ولّى «المستخلص» بغرناطة، فثقب و أجاد النظر. قال ابن الصّيرفى: و لما ولى الوزير أبو على بن هديّة المستخلص، و باشر جلائل الأمور و دقائقها بنفسه، حمى المناصفين، و رفع المؤن و الكلف عنهم، و وسّع بسليف البذر عليهم، و آثرهم بالنّصفة بالتزام حصّة بيت المال؛ و لم يكن له حجّاب و لا بوّاب، فكان القوىّ و الضعيف، و المشروف و الشريف، و الكبير و الصغير، و الرجل و المرأة، شرعا سواء فى

الوصول إليه، و التكلّم فى مجلسه، فلم يهتضم جانب، و لا دحضت حجة؛ إلّا أنه ارتفعت الرّقبة، و زالت الهيبة، و أمحق نور الخطّة؛ و خصّ أحباس جامع غرناطة بنظره، بفضل مال كثير من غلّته، و نبّه باجتماعه ليزيد به بلاطين فى مسقفه من شرقه و غربه، فأكمل اللّه ذلك بسعيه و على يديه؛ و رام ربع المستخلص، و زاد به فى حمّاماته؛ و رمّ حوانيته، و استحدث منيحة سمّاها المستحدثة، و غرس قضبان الجوز فى مواضع المياه، و عوّض بما ذهب، و شمّر فى جمع المال، و والى الحفز على العمل، و نصح بمقتضى جهده، و منتهى وسعه، و لم تمدّ يده فى مصانعة، و لا مالت إلى مداخلة، و لكنه لم يحمل فى حق، و لا نوقش فى باطل.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۳۷

أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطّنجالى

من أهل لوشة.

نبيلة حسيبة، تجيد قراءة القرآن، و تشارك فى فنون من الطّلب، من مبادئ غريبة، و خلف و إقراء مسائل الطّبّ، و تنظم أبياتا من الشعر. و ذكرتها فى خاتمة «الإكليل» بما نصّه: «ثالثة حمدة و ولّادة، و فاضلة الأدب و المجادة، تقلّدت المحاسن من قبل ولّادة، و أولدت أبكار الأفكار قبل سنّ الولادة. نشأت فى حجر أبيها، لا يدّخر عنها تدريجا و لا سهما، حتى نهض إدراكها و ظهر فى المعرفة حراكها، و درّسها الطبّ ففهمت أغراضه، و علمت أسبابه و أعراضه». و فى ذكر شعرها:

«و لمّا قدم أبوها من المغرب، و حدّث بخبرها المغرب، توجّه بعض الصدور إلى اختبارها، و مطالعة أخبارها، فاستنبل أغراضها و استحسنها، و استطرف لسنها، و سألها عن الخطّ، و هو أكسد بضاعة جلبت، و أشحّ درّة حلبت. فأنشدته من نظمها:

[البسيط]

الخطّ ليس له فى العلم فائدةو إنّما هو تزيين بقرطاس

و الدرس سؤلى لا أبغى به بدلابقدر علم الفتى يسمو على الناس

و راجعها بعض المجّان، يغفر اللّه له: [مجزوء البسيط]

إن فرط الدرس يا أمّى سحقو هذا هو المشهور فى الناس

فخذ من الدرس شيئا تافهاخطّا و بالفهم كلّ الناس

و من شعرها فى غرض المدح: [الكامل]

إن قيل من للناس ربّ فضيلةحاز العلا و المجد منه أصيل

فأقول رضوان وحيد زمانإنّ الزمان بمثله لبخيل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۳۸

بلكّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى ابن مناد الصّنهاجى

الأمير الملقّب بسيف الدولة، صاحب أمر والده و المرشح للولاية بعده.

حاله: قال المؤرّخ : كان زيرى بن مناد، ممّن ظهر فى حرب ابن يزيد بإفريقية، و اتّسم هو و قومه بطاعة العبيديين أمراء الشيعة، فكانوا حربا لأضدادهم من زناتة الموالين لأملاك المراونة لتحقّق جدّهم خزر بولايته عثمان بن عفان، رضى اللّه عنه؛ فلمّا صار الأمر إلى بنى مناد بعد انتقال ملك الشيعة إلى المشرق، و ولّى الأمر باديس بن منصور بن بلكّين بن زيرى، ذهب أعمامه و أعمام أبيه إلى استضعافه، فلم يعطهم ذلك من نفسه، و وقعت بينهم الحرب التى قتل فيها عمّ أبيه ماكسن بن زيرى، فرهب الباقون منهم صولة باديس، و خافوا عاديته على أنفسهم، على صغر سنّه؛ فخاطب شيخ بيته يومئذ زاوى بن زيرى و معه أبناء أخيه، المظفّر بن أبى عامر

ليجوز إليه إلى الأندلس رغبة فى الجهاد، فألفى همّة بعيدة، و ملكا شامخا، يذهب إلى استخدام الأشراف و اصطناع الملوك، فأذن فى ذلك؛ فدخل منهم جماعة الأندلس مع أميرهم زاوى بن زيرى، و معه أبناء أخيه حباسة و حبّوس و ماكسن؛ فأنزلهم المظفّر و أكرمهم، إلّا أنهم كابدوا مشقّة من دهرهم الذى أصارهم يخدمون بأبواب الملوك من أعدائهم غيرهم؛ فلمّا انهدمت الإمامة، و انشقّت عصا الجماعة، سعوا فى الفتنة سعى غيرهم؛ من سائر قبائل البرابرة، عند تشديد أهل الأندلس للبربر؛ و انحازوا عند ظهورهم على أهل الأندلس، بملوك بنى حمّود، إلى بلاد تضمّهم، فانحازت صنهاجة مع شيخهم و رئيسهم زاوى بن زيرى إلى مدينة غرناطة. ثم آثر زاوى العودة إلى وطنه إفريقية، فخرج عن الأندلس حسبما يتفسر فى موضعه. و التفّ قومه على ابن أخيه حبّوس بن ماكسن، فى جماعة عظيمة تحمى حوزته، و أقام بها ملكا؛ و غلب على ما اتصل بمدينته من الكور، فتملّك قبرة ، و جيّان ، و اتّسع نظره، و حمى وطنه و رعيّته ممّن جاوره من البرابر؛ و كان داهية شجاعا، فدامت رئاسته، و اتصل ملكه،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۳۹

إلى أن هلك. فولى بعده ابنه باديس، و سيأتى التعريف به؛ و ولد له ابنه بلكّين هذا المترجم به، فرشّحه إلى ملكه، و أخذ له بيعة قومه، و أهّله للأمر من بعده. قال المؤرّخ : و نشأ لباديس بن حبّوس، ولد اسمه بلكّين، و كان عاقلا نبيلا، فرشّحه للأمر من بعده؛ و سمّاه سيف الدولة؛ و قال: ولّى مالقة فى حياة أبيه، و كان نبيلا جليلا؛ و وقعت على كتاب بخطه نصّه بعد البسملة:

«هذا ما التزمه و اعتقد العمل به، بلكّين بن باديس، للوزير القاضى أبى عبد اللّه بن الحسن الجذامى سلّمه اللّه. اعتقد به إقراره على خطّة الوزارة، و القضاء فى جميع كوره ، و أن يجرى من الترفيع و الإكرام له إلى أقصى غاية، و أن يحمل على الجراية فى جميع أملاكه بالكور المذكورة، حاضرتها و باديتها، الموروثة منها، و المكتسبة، القديمة الاكتساب و الحديثة، و ما ابتاع منها من العالى ، رحمه اللّه و غيره، لا يلزمها وظيف بوجه، و لا يكلّف منها كلفة، على كل حال، و أن يجرى فى قرابته، و خوله و حاشيته و عامرى ضيعه، على المحافظة و البرّ و الحرية. و أقسم على ذلك كلّه بلكّين بن باديس بالله العظيم، و القرآن الحكيم، و أشهد اللّه على نفسه و على التزامه له، و كفى بالله شهيدا. و كتب بخطّ يده مستهل شهر رمضان العظيم سنة ثمان و أربعين و أربعمائة، و اللّه المستعان». و لا شكّ أن هذا المقدار يدلّ على نبل، و يعرف عن كفاية.

سبب وفاته: قال صاحب البيان المغرب و غيره : و أمضى باديس كاتب أبيه و وزيره إسماعيل بن نغرالة اليهودى على وزارته و كتابته و سائر أعماله، و رفعه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۴۰

فوق كل منزلة؛ و كان لولده بلكّين خاصّة من المسلمين يخدمونه، و كان مبغضا فى اليهودى ، فبلغه أنه تكلّم فى ذلك لأبيه، فبلغ منه كلّ مبلغ؛ فدبّر الحيلة، فذكروا أنه دخل عليه يوما فقبّل الأرض بين يديه، فقال له الغلام: و لم ذلك؟ فقال:

يرغب العبد أن تدخل داره مع من أحببت من عبيدك و رجالك، فدخل إليه بعد ذلك، فقدّم له و لرجاله طعاما و شرابا، ثم جعل السّم فى الكأس لابن باديس، فرام القىء، فلم يقدر عليه، فحمل إلى قصره و قضى نحبه فى يومه؛ و بلغ الخبر إلى أبيه و لم يعلم السبب، فقرّر اليهودىّ عنده أنّ أصحابه و بعض جواريه سمّوه، فقتل باديس جوارى ولده، و من فتيانه و بنى عمّه جماعة كبيرة، و خافه سائرهم ففرّوا عنه. و كانت وفاته سنة ست و خمسين و أربعمائة. و بعده قتل اليهودى فى سنة تسع و خمسين.

باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى

اشارة

كنيته أبو مناد، و لقبه الحاجب المظفّر بالله، الناصر لدين اللّه.

أوّليته: قد تقدّم الإلماع بذلك عند ذكر ابنه بلكّين.

حاله: كان رئيسا يبسا، طاغيـة، جبّارا، شـجاعا، داهيـة، حازما، جلدا، شديد الأمر، سديد الرأى، بعيد الهمّة، مأثور الإقدام، شـره السـيف، وارى زناد الشرّ، جمّاعة للمال؛ ضخمت به الدولة، و نبهت الألقاب، و أمنت لحمايته الرعايا، و طمّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۱

تحت جناح سـيفه العمران، و اتّسع بطاعته المرهبـة الجوانب ببأسه النظر، و انفسخ الملك، و كان ميمون الطائر، مطعم الظّفر ، مصـنوعا له فى الأعـداء، يقنع أقتـاله بسـلمه، و لاـ يطمع أعـداؤه فى حربه. قـال ابن عسـكر : يكنى أبـا مسـعود، و كـان من أهل الحزم و حماية الجانب، و كان يخطب و يدعو للعلويّين بمالقة ، فلمّا توفى إدريس بن يحيى العالى ، ملك مالقة سنة ثمان و أربعين و أربعمائة .

و قال الفتح فى قلائده : «كان باديس بن حبّوس بغرناطة عاتيا فى فريقه، عادلا عن سنن العدل و طريقه؛ يجترئ على اللّه غير مراقب، و يسـرى إلى ما شاء غير ملتفت للعواقب؛ قد حجب سنانه لسانه، و سبقت إساءته إحسانه؛ ناهيك من رجل لم يبت من ذنب على ندم، و لم يشـرب المـاء إلّـا من قليب دم؛ أحزم من كـاد و مكر، و أجرم من راح و ابتكر؛ و مـا زال متّقـدا فى مناحيه، متفقّـدا لنواحيه، لا يرام بريث و لا عجل، و لا يبيت له جار إلّا على وجل».

أخباره فى وقائعه: ينظر إيقاعه بزهير العامرى و من معه فى اسم زهير، فقد ثبت منه هنالك نبذة، و إيقاعه بجيش ابن عبّاد بمالقة عندما طرق مالقة و تملّكها، و استصرخ من استمسك بقصبتها من أساودتها، و غير ذلك مما هو معلوم، و شهرته مغنية عن الإطالة.

و من أخباره فى الجبرية و القسوة، قال ابن حيّان: عندما اسـتوعب الفتكة بأبى نصـر بن أبى نور اليفرنى أمير رندة المنتزى بها و قتله، و رجوعها إلى ابن عباد؛ حكى أبو بكر الوسـنشانى الفقيه عن ثقـة عنـده من أصادقة التّجّار، أنه حضـر مدينة غرناطة، حضـرة باديس بن حبّوس الجبار، أيام حـدث على أبى نصـر، صاحب تاكرنّا، ما حـدث، و أن أميرها باديس قام للحادثة و قعد، و هاج من داء عصبيّته ما قد سكن، و شقّ أثوابه، و أعلن أعواله، و هجر شرابه الذى لا صبر له عنه، و جفا ملاذّه؛ و أوهمته

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۲

نفسـه الخبيثـة تمـالؤ رعيّته من أهـل الأنـدلس، على الـذى دهى أبـا نصـر، فسـوّلت له نفسه حمـل السـيف على أهـل حضـرته جميعـا، مستحضـرا لهم، و كيمـا ينبرهم، و يخلص برابرته و عبيـده فيريـح نفسه، و دبر أن يأتى ذلك إليهم عنـد اجتماعهم بمسـجدهم الجامع الأـقرب أيـام الجمعـة، من قـوة همـومه؛ و شـاور وزيره اليهودى يوسف بن إسـماعيل، مـدبّر دولته الـذى لاـ يقطع أمرا دونه، مسـتخليا مسـتكتما بسرّه، مصمّما فى عزمه، إن هو لم يوافقه عليه؛ فنهاه عن ذلك و خطّأ رأيه فيه، و سأله الأناة و محض الرويّة، و قال له: هبك وصـلت إلى إرادتـك ممّن بحضـرتك، على مـا فى اسـتباحتهم من الخطر، فـأنّى تقـدر على الإحاطـة بجميعهم من أهل حضـرتك، و بسائط أعمالك؟ أ تراهم يطمئنون إلى الذّهول عن مصائبهم، و الاستقرار فى موضعهم؟ ما أراهم إلّا سيوفا ينتظمون عليك فى جموع، يغرقونـك فى لججها أنت و جنـدك؛ فردّ نصيحته، و أخـذ الكتمان عليه، و تقـدّم إلى عارضه باعتراض الجنـد فى السـلاح، و التّعبئة لركوبه يوم الفتكـة، يوم تلـك الجمعـة، فارتـجّ البلـد. و ذكر أن اليهودى دسّ نسوانـا إلى معارف لهنّ من زعماء المسـلمين بغرناطـة، ينهـاهم عن حضور المسـجد يومهم، و يـأمرهم بإخفـاء أنفسـهم؛ و فشـا الخبر فتخلّف النـاس عن شـهود الجمعـة؛ و لم يأته إلّا نفر من عامّتهم، اقتدوا بمن أتاه من مشـيخة البربر و أغفال القادمين؛ و جاء إلى باديس الخبر، و الجيش فى السـلاح حوالى قصره، فساءه وفتّ فى عضده، و لم يشكّ فى فشوّ سرّه، و أحضـر وزيره و قلّده البوح بسرّه فأنكر ما قرفه به؛ و قال: و من أين ينكر على الناس الحذر، و أنت قـد استركبت جنـدك و جميع جيشـك فى التّعبئـة، لا لسـفر ذكرته، و لا لعـدوّ وثب إليك، فمن هناك حـدس القوم على أنك تريدهم، و قد أجمل اللّه لك الصّنع فى نفارهم، و قادك إصارهم، فأعد نظرك يا سـيدى، فسوف تحمد عاقبة رأيى و غبطة نصحى.

فنصّح وزيره شيخ من موالى صنهاجته، فانعطف لذلك بعد لأى، و شرح اللّه صدره. و يجرى التعريف بشىء من أمور وزيره.

قـال ابن عـذارى المراكشـى فى كتـابه المسـمى ب «البيان المغرب» : أمضـى باديس كاتب أبيه و وزيره ابن نغرالـة اليهودى ، و عمالا

متصرّفين من أهل ملّته، فاكتسبوا الجاه فى أيامه و استطالوا على المسلمين. قال ابن حيّان: و كان هذا اللعين فى ذاته، على ما زوى اللّه عنه من هدايته، من أكمل الرجال علما و حلما و فهما، و ذكاء، و دماثة، و ركانة، و دهاء، و مكرا، و ملكا لنفسه، و بسطا من خلقه، و معرفة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۳

بزمانه، و مداراة لعدوّه، و استسلالا لحقودهم بحلمه؛ ناهيك من رجل كتب بالقلمين، و اعتنى بالعلمين، و شغف باللسان العربى، و نظر فيه، و قرأ كتبه، و طالع أصوله؛ فانطلقت يده و لسانه، و صار يكتب عنه و عن صاحبه بالعربى، فيما احتاج إليه من فصول التحميد للّه تعالى، و الصلاة على رسوله، صلى اللّه عليه و سلم، و التزكية لدين الإسلام، و ذكر فضائله، ما يريده، و لا يقصر فيما ينشئه عن أوسط كتّاب الإسلام؛ فجمع لذلك «السّجيج فى علوم الأوائل الرياضية» و تقدم منتحليها بالتدقيق للمعرفة النّجومية؛ و يشارك فى الهندسة و المنطق، و يفوق فى الجدل كلّ مستول منه على غاية؛ قليل الكلام مع ذكائه، ماقتا للسباب، دائم التفكّر، جمّاعة للكتب. هلك فى العشر الثانى لمحرم سنة تسع و خمسين و أربعمائة ، فجلّل اليهود نعشه، و نكّسوا لها أعناقهم خاضعين، و تعاقدوه جازعين، و بكوه معلنين؛ و كان قد حمل ولده يوسف المكنّى بأبى حسين على مطالعة الكتب، و جمع إليه المعلمين و الأدباء من كل ناحية، يعلّمونه و يدارسونه، و أعلقه بصناعة الكتابة، و رشّحه لأول حركته، لكتابة ابن مخدومه بلكّين برتبة المترشّح لمكانه، تمهيدا لقواعد خدمته؛ فلما هلك إسماعيل فى هذا الوقت، أدناه باديس إليه، و أظهر الاغتباط به، و الاستعاضة بخدمته عن أبيه.

ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل بن نغرالة الإسرائيلى:

قال صاحب البيان : و ترك ابنا له يسمى يوسف لم يعرف ذلّ الذّمّة، و لا قذر اليهودية. و كان جميل الوجه، حادّ الذّهن، فأخذ فى الاجتهاد فى الأحوال، و جمع المال، و استخراج الأموال، و استعمال اليهود على الأعمال، فزادت منزلته عند أميره ، و كانت له عليه عيون فى قصره من نساء و فتيان، يشملهم بالإحسان، فلا يكاد باديس يتنفس، إلّا و هو يعلم ذلك . و وقع ما تقدم ذكره، فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۴

ذكر بلكّين من اتّهامه بسمّه، و تولّيه التهمة به عند أبيه، للكثير من جواريه و خدّامه، و فتك هذا بقريب له، تلو له فى الخدمة و الوجاهة، يدعى بالقائد، شعر منه بمزاحمته إياه فتكة شهيرة؛ و استهدف للناس فشغلت به ألسنتهم، و ملئت غيظا عليه صدورهم، و ذاعت قصيدة الزاهد أبى إسحاق الإلبيرى، فى الإغراء بهم، و اتفق أن أغارت على غرناطة بعوث صمادحية تقول إنها باستدعائه، ليصير الأمر الصّنهاجىّ إلى مجهزها الأمير بمدينة ألمريّة. و باديس فى هذه الحال منغمس فى بطالته، عاكف على شرابه.

و نمى هذا الأمر إلى رهطه من صنهاجة، فراحوا إلى دار اليهودى مع العامّة، فدخلوا عليه، فاختفى، زعموا فى بيت فحم، و سوّد وجهه، يروم التنكير فقتلوه لمّا عرفوه، و صلبوه على باب مدينة غرناطة، و قتل من اليهود فى يومه، مقتلة عظيمة، و نهبت دورهم، و ذلك سنة تسع و خمسين و أربعمائة . و قبره اليوم و قبر أبيه يعرف أصلا من اليهود ينقلونه بتواتر عندهم، أمام باب إلبيرة، على غلوة، يعترض الطريق، على لحده حجارة كدان جافية الجرم؛ و مكانه من الترفّه و التّرف و الظّرف و الأدب معروف؛ و إنما أتينا ببعض أخباره لكونه ممّن لا يمنع ذكره فى أعلام الأدباء و الأفراد إلا نحلته.

مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتية:

قال ابن الصّيرفى: حدّثنى أبو الفضل جعفر الفتى، و كان له صدق، و فى نفسه عزّة و شهامة و كرم، و أثنى عليه، و عرّف به، حسبما يأتى فى اسم جعفر المذكور، قال: خاض باديس مع أصحابه فى المجلس العلى، من دار الشّراب بقصره، و اصطفّت الصّقالبة و العبيد بالبرطل المتصل به لتخدم إرادته، فورد عليه نبأ قام لتعرّفه عن مجلسه، ثم عاد إلى موضعه و قد تجهّم وجهه، و خبثت نفسه، فحذر

نـدماؤه على أنفسـهم، و تخيّلوا وقوع الشّـرّ بهم، ثم قـال: أعلمتم ما حـدث؟ قالوا: لا، و اللّه يطلع على خير، قال: دخل المرابط الدّمنـة، فسرى عن القوم، و انطلقت ألسنتهم بالدعاء بنصره، و فسحة عمره، و دوام دولته، ثم وجموا لوجومه، فلمّا رأى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۵

تكـدّر صـفوهم، قـال: أقبلوا على شـأنكم، مـا نحن و ذاك، اليوم خمر و غـدا أمر ، بيننـا و بينه أمـداد الفجو، و النّشور الجبال و أمواج البحار، و لكن لا بدّ له أن يتملّك بلدى، و يقعد منه مقعدى، و هذا أمر لا يلحقه أحد منّا، و إنما يشـقى أحفادنا. قال جعفر: فلمّا دخل الأـمير القصـر، عنـد خلعه حفيـد بـاديس برحبـة مؤمّل ، طاف بكل ركن و مكان منه، و أنا فى جملته حتى انتهى إلى ذلك المجلس، فبسط له ما قعد عليه، فتذكرت قول باديس، و تعجبت منه تعجّبا ظهر علىّ، فالتفت إلىّ أمير المسلمين منكرا، و سألنى ما بى، فأخبرته و صدقته، و قصصت عليه قول باديس، فتعجّب، و قام إلى المسجد بمن معه، فصلّى فيه ركعات، و أقبل يترحّم على قبره.

وفـاته: قـال أبو القاسم بن خلف: توفى باديس ليلـة الأحـد الموفى عشـرين من شوّال سـنة خمس و ستين و أربعمائـة ، و دفن بمسـجد القصـر. قلت: و قـد ذهب أثر المسـجد، و بقى القبر يحفّ به حلق له باب، كل ذلك على سبيل من الخمول، و جدث القبر رخام، إلى جانب قبر الأمير المجاهد أبى زكريا يحيى بن غانية، المدفون فى دولة الموحّدين به.

و قـد أدال اعتقاد الخليفـة فى باديس بعـد وفاته، قـدم العهد بتعرّف أخبار جبروته و عتوّه على اللّه سـبحانه، لما جبلهم عليه من الانقياد للأوهام و الانصياع للأضاليل، فعلى حفرته اليوم من الازدحام بطلاب الحوائج و المستشفين من الأسقام، حتى أولو الدّواب الوجيعة، ما ليس على قبر معروف الكرخى، و أبى يزيد البسطامى.

و من أغرب مـا وقفت عليه رقعـة رفعهـا إلى السـلطان على يـدى رجـل من أهـل الخبر مكتّب يؤمّ فى مسـجد القصـبة القـدمى من دار بـاديس، يعرف بابن باق، و هو يتوسّل إلى السـلطان و يسأل منه الإذن فى دفنه مجاورا لقبره. و عفو اللّه أوسع من أن يضـيق على مثله، ممّن أسرف على نفسه، و ضيّع حقّ ربّه. و دائره اليوم طلول قد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۶

تغيّرت أشكالها و قسّم التملّك جنّاتها، و مع ذلك فمعاهدها إليه منسوبة، و أخباره متداولة.

و قد ألمعت فى بعض مشاهده بقولى من قصـيدة، غريبة الأغراض، تشتمل على فنون، أثبتها إحماضا و فكاهة، لمن يطالع هذا الكتاب، و إن لم يكن جلبها ضروريّا فيه، فمنها : [الطويل]

عسى خطرة بالرّكب يا حادى العيس‌على الهضبة الشّمّاء من قصر باديس

بكرون بن أبى بكر بن الأشقر الحضرمى

يكنى أبا يحيى.

حاله: كان من ذوى الأصالة و مشايخ الجند، فارسا نجدا حازما سديد الرأى، مسـموع القول، شديد العضـلة ، أيّدا ، فحلا و سيما، قائدا عند الجند الأندلسى، فى أيام السلطان ثانى ملوك بنى نصر، من أحفل ما كان الأمر، يجرّ وراءه دنيا عريضة، وجبى الجيش على عهده مغانم كثيرة.

قال شـيخنا ابن شبرين فى تذكرة ألفيتها بخطه: كان له فى الخدمة مكان كبير، و جاه عريض، ثم صـرفه الأمر عن رسمه، و أنزله الدهر عن حكمه، تغمّدنا اللّه و إياه برحمته.

وفاته: فى عام أربعة عشر و سبعمائة، و دفن بمقبرة قومه بباب إلبيرة.

بدر مولى عبد الرّحمن بن معاوية الداخل

يكنى أبا النصر، رومى الأصل.

حاله: كان شجاعا داهية، حازما فاضلا، مصمّما تقيّا، علما من أعلام الوفاء.

لازم مولاه فى أعقاب النكبة، و صحبه إلى المغرب الأقصى، مختصّا به ذابّا عنه، مشتملا عليه، و خطب له الأمر بالأندلس، فتمّ له بما هو مذكور.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۷

قال أبو مروان فى المقتبس: إن عبد الرّحمن لمّا شرّده الخوف إلى قاصية المغرب، و تنقّل بين قبائل البربر، و دنا من ساحل الأندلس- و كان بها همّه- يستخبر من قرب، فعرف أن بلادها مفترقة بفرقتى المضرية و اليمانية، فزاد ذلك فى أطماعه، فأدخل إليهم بدرا مولاه يحسّس عن خبرهم، فأتى القوم ويلى ما عندهم، فداخل اليمانيين منهم، و قد عصفت ريح المضريين بظهور بنى العباس بالمشرق، فقال لهم:

ما رأيكم فى رجل من أهل الخلافة يطلب الدولة بكم، فيقيم أودكم و يدرّككم آمالكم؟ فقالوا: و من لنا به فى هذه الديار، فقال بدر: ما أدناه منكم، و أنا الكفيل لكم به، هذا فلان بمكان كذا و كذا يقدّمنّ نفسه فقالوا: فجيء به أهلا، إنّا سراع إلى طاعته، و أرسلوا بدرا بكتبهم يستدعونه، فدخل إليه بأيمن طائر، و استجمع إليه خلق كثير من أنصاره قاتل بهم يوسف الفهرى، فقهره لأول وقائعه، و أخذ الأندلس منه و أورثها عقبه.

محنته: قال الراوى: و كان من أكبر من أمضى عليه عبد الرحمن بن معاوية حكم سياسته و قوّمه معدلته، مولاه بدر المعتق منه بكل ذمّة محفوظة، الخائض معه لكل غمرة مرهوبة، و كل ذلك لم يغن عنه نقيرا لما أسلف فى إدلاله عليه، و كثير من الانبساط لحرمته، فجمع مركب تحامله حتى أورده ألما يضيق الصدر عنه، و آسف أميره و مولاه، حتى كبح عنانه عن نفسه بعد ذلك كبحة أقعى بها أو شارف حمامه، لو لا أن أبقى الأمير على نفسه التى لم يزل مسرفا عليها. قال: فانتهى فى عقابه لمّا سخط عليه أن سلب نعمته، و انتزع دوره و أملاكه و أغرمه على ذلك كله أربعين ألفا من صامته، و نفاه إلى الثّغر، فأقصاه عن قربه، و لم يقله العثرة، إلى أن هلك، فرفع طمع الهوادة عن جميع ثقله و خدمته، و صيّر خبره مثلا فى الناس بعده.

تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة

صالى حروب الموحدين.

أوّليته: فيما يختصّ به التعريف بأوّليّة قومه، ينظر فى اسم أبيه و جدّه إن شاء اللّه. قال ابن الورّاق فى كتاب المقياس و غيره : و فى سنة اثنتين و عشرين و خمسمائة، ولّى الأمير على بن يوسف أمير لمتونة، الشهير بالمرابط، ولده الأمير

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۴۸

المسمّى بسير عهده من بعده. و جعل له الأمر فى بقية حياته؛ و رأى أن يولى ابنه تاشفين الأندلس، فولّاه مدينة غرناطة، و ألمريّة ثم قرطبة مضافة إلى ما بيده.

قلت: و فى قولهم رأى أن يولّى الأندلس فولّاه مدينة غرناطة، شاهد كبير على ما و صفناه من شرف هذه المدينة؛ فنظر فى مصالحها، و ظهر له بركة فى النصر على العدو، و خدمه الجدّ الذى أسلمه. و تبرّأ منه فى حروبه مع الموحّدين حسبما يتقرّر فى موضعه، فكانت له على النصارى وقائع عظيمة بعد لها الصّيت، و شاع الذّكر حسبما يأتى فى موضعه. قال: فكبر ذلك على أخيه سير ولىّ عهد أبيه، و فاوض أباه فى ذلك و قال له: إن الأمر الذى أهّلتنى إليه لا يحسن لى مع تاشفين، فإنه قد حمل الذكر و الثّناء دونى، و غطّى على اسمى، و أمال إليه جميع أهل المملكة، فليس لى معه اسم و لا ذكر، فأرضاه بأن عزله عن الأندلس و أمره بالوصول إلى حضرته، فرحل عن الأندلس فى أواسط سنة إحدى و ثلاثين و خمسمائة و وصل مرّاكش، و صار من جملة من يتصرّف بأمر أخيه سير و يقف

ببابه كأحد حجّابه؛ فقضى اللّه وفاة الأمير سير على الصورة القبيحة حسبما يذكر فى اسمه، و ثكله أبوه و اشتدّ جزعه عليه، و كان عظيم الإيثار و الإرضاء لأمّه قمر، و هى التى تسبّبت فى عزل تاشفين و إخماله نظرا إلى ابنها، فقطع المقدار بها عن أملها بهلاكه.

و لمّا توفى الأمير سير، أشارت الأمّ المذكورة على أبيه بتقديم ولده إسحاق، و كان رؤوما لها، قد تولّت تربيته عند هلاك أمّه و تبنّته، فقال لها: هو صغير السّن لم يبلغ الحلم؛ و لكن حتى أجمع الناس فى المسجد خاصّة و عامّة، و أخبرهم فإن صرفوا الخيار إلىّ، فعلت ما أشرت به. فجمع الناس و عرض عليهم الأمر؛ فقالوا كلهم فى صوت واحد: تاشفين، فلم توسعه السياسة مخالفتهم؛ فعقد له الولاية بعده و نقش اسمه فى الدنانير و الدراهم مع اسمه، و قلّده النظر فى الأمور السلطانية، فاستقرّ بذلك. و كتب إلى العدوة و الأندلس و بلاد المغرب ببيعته، فوصلت البيعات من كل جهة. ثم رمى به جيوش الموحّدين الخارجين عليه، فنبا جدّه و مرضت أيامه، و كان الأمر عليه لا له، بخلاف ما صنع اللّه له بالأندلس.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۴۹

قال أبو مروان الورّاق : و كان أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين قد أمل فى ابنه تاشفين ما لم تكن الأقدار تساعده به، فتشاءم به و عزم على خلعه و صرف عهده إلى إسحاق ولده الأصغر، و وجّه إلى عامله على إشبيلية عمر ، أن يصل إليه ليجعله شيخ ابنه، إلى أن وافاه خبر أمضّه و أقلقه و لم يمهله، فأزعج تاشفين إلى عدوّه على غير أهبة بتفويضه إياه، و صرف المدد فى إثره، و توفى لسبع خلون من رجب سنة سبع و ثلاثين لفعله ذلك.

ملكه و وصف حاله: فأفضى إليه ملك أبيه، بتفويضه إياه فى حياته، لسبع خلون من رجب سنة سبع و ثلاثين و خمسمائة، و كان بطلا شجاعا حسن الرّكبة و الهيئة، سالكا ناموس الشريعة، مائلا إلى طريقة المستقيمين، و كتب المريدين؛ قيل إنه لم يشرب قطّ مسكرا و لا استمع إلى قينة، و لا اشتغل بلذّة ممّا يلهو به الملوك.

الثّناء عليه: قال ابن الصيرفى : و كان بطلا شجاعا، أحبّه الناس، خواصّهم و عوامّهم، و حسنت سياسته فيهم، و سدّ الثّغور، و أذكى على العدو العيون، و آثر الجند، و لم يكن منه إلّا الجدّ، و لم تنل عنده الحظوة ، إلّا بالعناء و النجدة. و بذلك حمل على الخيل، و قلّد الأسلحة، و أوسع الأرزاق، و استكثر من الرّماة و أركبهم و أقام همّتهم للاعتناء بالثغور و مباشرة الحرب، ففتح الحصون و هزم الجيوش وهابه العدو. و لم ينهض إلا ظاهرا و لا صدر إلّا ظافرا. و ملك الملك و مهد بالحزم و تملّك نفوس الرعيّة بالعدل ، و قلوب الجند بالنّصفة. ثم قال: و لو لا الاختصار الذى اشترطناه لأوردنا من سنى خلاله ما يضيق عنه الرّحب، و لا يسعه الكتب.

دينه: قال المؤرّخ: عكف على زيارة قبر أبى وهب الزاهد بقرطبة، و صاحب أهل الإرادة، و كان وطئ الأكناف ، سهل الحجاب، يجالس الأعيان و يذاكرهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۵۰

قال ابن الصيرفى: و لمّا قدم غرناطة أقبل على صيام النهار، و قيام الليل، و تلاوة القرآن، و إخفاء الصّدقة، و إنشاء العدل، و إيثار الحق.

دعابته: قالوا: مرّ يوما بمرج القرون، من أحواز قلعة يحصب، فقال لزمّال من عبيده كان يمازحه: هذا مرجك؛ فقال الزمّال: ما هو إلّا مرجك و مرج أبيك، و أما أنا فمن أنا؟ فضحك و أعرض عنه.

دخوله غرناطة: قالوا : و فى عام ثلاثة و عشرين و خمسمائة، ولّى الأمير أبو محمد تاشفين بن أمير المسلمين علىّ بن أمير المسلمين يوسف، و وافاها فى السابع عشر لذى حجة؛ فقوّى الحصون و سدّ الثغور و أذكى العيون ، و عمد إلى رحبة القصر، فأقام بها السقائف و البيوت، و اتخذها لخزن السلاح و مقاعد الرجال، و ضرب السّهام؛ و أنشأ السّقى، و عمل التّراس، و نسج الدّروع، و صقل البيضات و السيوف، و ارتبط الخيل، و أقام المساجد فى الثغور، و بنى لنفسه مسجدا بالقصر، و واصل الجلوس للنظر فى الظّلامات، و قراءة الرّقاع، و ردّ الجواب؛ و كتب التوقيعات، و أكرم الفقهاء و الطلبة، و كان له يوم فى كل جمعة، يتفرّغ فيه للمناظرة.

وزراؤه: قال أبو بكر: و قرن اللّه به ممّن ورد معه، الزبير بن عمر اللّمتونى، ندرة الزمان كرما و بسالة، و حزما و أصالة، فكان كما جاء

فى الحديث عن رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم: «من ولّى شيئا من أمور المسلمين فأراد اللّه به خيرا، جعل اللّه له بطانة خير، و جعل له وزيرا صالحا، إن نسى شيئا ذكّره، و إن ذكره أعانه».

عمّاله: الوزير أبو محمد الحسين بن زيد بن أيوب بن حامد بن منحل بن يزيد.

كتّابه: الرئيس العالم أبو عبد اللّه بن أبى الخصال، و الكاتب المؤرّخ أبو بكر الصيرفى و غيرهما .

و من أخبار جهاده: خرج الأمير تاشفين فى رمضان عام أربعة و عشرين و خمسمائة بجيش غرناطة و مطوعتها، و اتصل به جيش قرطبة إلى حصن السّكّة من عمل طليطلة، و قد اتخذه العدو ركابا لإضراره بالمسلمين، و شحنه و جمّ به شوكة

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۵۱

حادّة بقومس مشهور؛ فأحدق به، و نشر الحرب عليه، فافتتحه عنوة و قتل من كان به؛ و أحيا قائده «فرند» و من معه من الفرسان، و صدر إلى غرناطة، فبرز له الناس بروزا لم يعهد مثله. و فى شهر صفر من عام خمسة و عشرين أوقع بالعدو المضيق على أوّليته. و فى ربيع الأول من عام ستة و عشرين، تعرّف خروج عدو طليطلة إلى قرطبة؛ فبادر الأمير تاشفين إلى قرطبة، ثم نهد إلى العدو فى خفّ، و ترك السيقة و الثقل بأرجونة. و قد اكتسح العدوّ بشنت إشطبين و الوادى الأحمر.

و أسرى الليل، و واصل الركض، و تلاحق بالعدو بقرية براشة. فتراءى الجمعان صبحا، و افتضح الجيش، و نشرت الرّماح و الرّايات، و هدرت الطبول، و ضاقت المسافة، و انتبذ العدو عن الغنيمة؛ و التفّ الجمع، فتقصرت الرّماح، و وقعت المسابقة، و دارت الحرب على العدو، و أخذ السيف مأخذه، فأتى القتل على آخرهم، و صدر إلى غرناطة ظافرا. و فى آخر هذا العام خرج العدو «للنمط» و قد احتفل فى جيشه إلى بلاد الإسلام، فصبح إشبيلية يوم النصف من رجب، و برز إليه الأمير أبو حفص عمر بن على بن الحاج، فكانت به الدّبرة فى نفر من المسلمين استشهد جميعهم؛ و نزل العدو على فرسخين من المدينة فجلّلها نهبا و غارة؛ فقتل عظيما، و سبى عظيما؛ و بلغ الخبر الأمير تاشفين، فطوى المراحل، و دخل إشبيلية، و قد أسرّها؛ و استوصلت باديتها، و كثر بها التأديب و التنكيل فأخذ أعقاب العدو، و قد قصد ناحية بطليوس و باجة و يابرة فى ألف عديده من أنجاد الرجال، و مشهور الأبطال، فراش جولا عهدا بالرّوع، فظفر بما لا يحصيه أحد، و لا يقع عليه عدد؛ و انثنى على رسل لثقل السيقة، و ثقته ببعد الصّارخ ، و تجشمت بالأمير تاشفين الأدلاء كل ذروة و ثنيّة، و أفضى به الإعداد إلى فلاة بقرب الزّلاقة، و هو المهيع الذى يضطر العدو إليه، و لم يكن إلّا كلّا و لا، حتى أقبلت الطلائع منذرة بإقبال العدوّ، و الغنيمة فى يده قد ملأت الأرض؛ فلما تراءى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۵۲

الجمعان، و اضطربت المحلات، و رتبت المراكب فأخذت مصافّها، و لزمت الرجال مراكبها ، فكان القلب مع الأمير و وجوه المرابطين و أصحاب الطاعات؛ و عليه البنود الباسقات، مكتّبة بالآيات، و فى المجتبين كبار الدولة من أبطال الأندلس، عليهم حمر الرّايات بالصور الهائلة ، و فى الجناحين أهل الثغر و الأوشاب من أهل الجلادة، عليهم الرّايات المرقّعات بالعذبات المجزّعات. و فى المقدمة مشاهير زناته و لفيف الحشم بالرايات المصبغات المتبقات . و التقى الجمعان، و نزل الصبر، و حميت النفوس، و اشتدّ الضرب و الضراب و كثرت الحملات؛ فهزم اللّه الكافرين، و أعطوا رقابهم مدبرين، فوقع القتل، و استلحم العدوّ السيف، و استأصله الهلاك و الأسار؛ و كان فتحا جليلا لا كفاء له، و صدر الأمير تاشفين ظافرا إلى بلده فى جمادى من هذا العام. و لو ذهبنا لاستقصاء حركات الأمير تاشفين و ظهوره لاستدعى ذلك طولا كثيرا.

بعض ما مدح به: فمن ذلك : [الكامل]

أمّا و بيض الهند عنك خصومفالرّوم تبذل ما ظباك تروم

تمضى سيوفك فى العدا و يردّهاعن نفسه حيث الكلام وخيم

و هذه القصائد قد اشتملت على أغراضها الحماسية، و الملك سوق يجلب إليها ما ينفق عندها.

وفاته: قد تقدّم انصرافه عن الأندلس سنة إحدى و ثلاثين و خمسمايه، و قيل:

سنة اثنتين ، و استقراره بمرّاكش مرءوسا لأخيه سير، إلى أن أفضى إليه الأمر بعد أبيه. قال: و استقبل تاشفين مدافعة جيش أمير الموحدين، أبى محمد عبد المؤمن بن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۵۳

على خليفة مهديهم، و مقاومة أمر قضى اللّه ظهوره، و الدفاع عن ملك بلغ مداه، و تمّت أيامه. كتب اللّه عليه، فالتأث سعده، و فلّ جدّه، و لم تقم له قائمة إلى أن هزم، و تبدّد عسكره، و لجأ إلى وهران، فأحاط به الجيش، و أخذه الحصار. قالوا:

فكان من تدبيره أن يلحق ببعض السواحل، و قد تقدّم به وصول ابن ميمون قائد أسطوله، ليرفعه إلى الأندلس؛ فخرج ليلا فى نفر من خاصّته فرّقهم الليل، و أضلّهم الرّوع، و بدّدتهم الأوعار، فمنهم من قتل، و منهم من لحق بالقطائع البحرية؛ و تردّى بتاشفين فرسه من بعض الحافّات، و وجد ميّتا فى الغد، و ذلك ليلة سبع و عشرين لرمضان سنة تسع و ثلاثين و خمسمائة؛ و صلبه الموحّدون، و استولوا على الأمر من بعده، و البقاء للّه تعالى.

ثابت بن محمد الجرجانى ثم الأسترآبادى

يكنى أبا الفتوح.

حاله: قال ابن بسّام : كان الغالب على أدواته علم اللّسان، و حفظ الغريب، و الشعر الجاهلى و الإسلامى، إلى المشاركة فى أنواع التعاليم، و التصرّف فى حمل السلاح، و الحذق بأنواع الجندية؛ و النّفاذ فى أنواع الفروسيّة، فكان الكامل فى خلال جمّة. قال أبو مروان: و لم يدخل الأندلس أكمل من أبى الفتوح فى علمه و أدبه. قال ابن زيدون: لقيته بغرناطة، فأخذت عنه أخبار المشارقة، و حكايات كثيرة؛ و كان غزير الأدب، قوىّ الحفظ فى اللغة، نازعا إلى علم الأوائل من المنطق و النجوم و الحكمة، له بذلك قوة ظاهرة. طروؤه على الأندلس: قال صاحب الذخيرة : طرأ على الحاجب منذ صدر الفتنة للذائع من كرمه، فأكرمه و رفع شأنه، و أصحبه ابنه المرشّح لمكانه ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۵۴

فلم يزل له بهما المكان المكين، إلى أن تغيّر عليه يحيى لتغيّر الزمان، و تقلّب الليالى و الأيام بالإنسان، و لحق بغرناطة بعسكر البرابرة، فحلّت به من أميرهم باديس الفاقرة .

من روى عنه: قال أبو الوليد: قرأت عليه بالحضرة الحماسة فى اختيار أشعار العرب، يحملها عن أحمد بن عبد السلام بن الحسين البصرى، و لقيه ببغداد سنة ثمان و سبعين و ثلاثمائة، عن أبى رياش أحمد بن أبى هشام بن شبل العبسى بالبصرة سنة ثمان و أربعين و ثلاثمائة، و له فى الفضائل أخبار كثيرة.

محنته و وفاته: لحقه عند باديس مع عمه يدّير بن حباسه تهمة فى التدبير عليه، و التسوّر على سلطانه، دعتهما إلى الفرار عن غرناطة، و اللّحاق بإشبيلية. قال أبو يحيى الورّاق: و اشتدّ شوق أبى الفتوح إلى أهله عند هربه مع يدّير إلى إشبيلية لمّا بلغه أن باديس قبض على زوجته و بنيه و حبسهم بالمنكّب عند العبد قدّاح صاحب عذابه، و كان لها من نفسه موقع عظيم، و كانت أندلسيّة جميلة جدّا لها طفلان ذكر و أنثى، لم يطق عنهما صبرا و عمل على الرجوع إلى باديس طمعا فى أن يصفح عنه، كما عمل مع عمّه من أبى ريش؛ فاستأمن إلى باديس يوم نزوله على باب إستجة إثر انهزام عسكر ابن عباد، و فارق صاحبه يدّير، و رمى هو بنفسه إلى باديس من غير توثّق بأمان أو مراسلة؛ فلما أدخل عليه و سلم، قال له: ابتدئ، بأى وجه جئتنى يا نمّام؟

ما أجرأك على خلقك، و أشدّ اغترارك بسحرك، فرّقت بين بنى ماكسن، ثم جئت تخدعنى كأنك لم تصنع شيئا؛ فلاطفه، و قال اتّق اللّه يا سيدى، وارع ذمامى، و ارحم غربتى و سوء مقامى، و لا تلزمنى ذنب ابن عمّك؛ فما لى سبب فيه، و ما حملنى على الفرار

معه إلّا الخوف على نفسى لسابق خلطته؛ و لقد لفظتنى البلاد إليك مقرّا بما لم أجنه رغبة فى صفحك، فافعل أفعال الملوك الذين يجلّون عن الحقد على مثلى من الصعاليك؛ قال: بل أفعل ما تستحقّه إن شاء اللّه؛ أن تنطلق إلى غرناطة، فدم على حالك، و الق أهلك إلى أن أقبل، فأصلح من شأنك. فاطمأنّ إلى قومه، و خرج إلى غرناطة و قد وكّل به فارسان، و قد كتب إلى قدّاح بحبسه؛ فلمّا شارف إلى غرناطة قبض عليه، و حلق رأسه، و أركب على بعير، و جعل خلفه أسود فظّ ضخم يوالى صفعه، فأدخل البلد مشهّرا، ثم أودع حبسا ضيّقا، و معه رجل من أصحاب يدّير أسر فى الوقعة من صنهاجة، فأقاما فى الحبس معا إلى أن قفل باديس.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۵۵

مقتله: قال أبو مروان فى الكتاب المسمّى بالمتين: و استراح باديس أياما فى غرناطة يهيم بذكر الجرجانى، و يعض أنامله، فيعارضه فيه أخوه بلكّين، و يكذب الظنون و سعى فى تخليصه، فارتبك باديس فى أمره أياما، ثم غافض أخاه بلكين فقتله وقتا أمن فيه أمر معارضته؛ لاشتغاله بشراب و آلة، و كانت من عادته؛ فأحضر باديس الجرجانى إلى مجلسه، و أقبل يشتمه و يسبّه و يبكّته، و يطلق الشماتة و يقول، لم تغن عنك نجومك يا كذّاب، أ لم يعد أميرك الجاهل؟ يعنى يدّير، أنه سوف يظفر بى و يملك بلدى ثلاثين سنة، لم لم تدقّق النظر لنفسك و تحذر و رطتك؟ قد أباح اللّه لى دمك. فأيقن أبو الفتوح بالموت؛ و أطرق ينظر إلى الأرض، لا يكلّمه و لا ينظر إليه؛ فزاد ذلك فى غيظ باديس، فوثب من مجلسه و السيف فى يده، فخبط به الجرجانى حتى جدّ له و أمر بحزّ رأسه؛ قال: و قدّم الصّنهاجى الذى كان محبوسا معه إلى السيف، فاشتدّ جزعه، و جعل يعتذر من خطيئته، و يلحّ فى ضراعته؛ فقال له باديس:

أما تستحى يا ابن الفاعلة؛ يصبر المعلم الضعيف القلب على الموت مثل هذا الصبر، و يملك نفسه عن كلامه لى و استعطافى، و أنت تجزع مثل هذا الجزع؟ و طال ما أعددت نفسك فى أشدّاء الرجال، لا أقال الرجال، لا أقال اللّه مقيلك؛ فضرب عنقه، و انقضى المجلس.

و من تمام الحكاية ممّا جلبه ابن حيّان، قال: و كلّم الصنهاجيّون باديس فى جثّة صنهاجهم المقتول مع أبى الفتوح، فأمرنى بإسلامها إليهم، فخرجوا بها من فورهم إلى المقبرة على نعش، فأصابوا قبرا قد احتفر لميت من أهل البلد، فصبّوا صاحبهم الصّنهاجى فيه، و واروه من غير غسل و لا كفن و لا صلاة، فعجب الناس من تسجّيهم فى الاغتصاب حتى الموتى فى قبورهم.

مولده: سنة خمسين و ثلاثمائة.

وفاته: كما ذكر ليلة السبت لاثنتين بقيتا من محرم سنة إحدى و ثلاثين و أربعمائة. قال برهون من خدّام باديس: أمرنى بمواراة أبى الفتوح إلى جانب قبر أحمد بن عباس، وزير زهير العامرى، فقبراهما فى تلك البقعة متجاوران، و قال:

اجعل قبر عدوّ إلى جانب عدو إلى يوم القصاص، فيا لهما قبران أجمّا أدبا لا كفاء له، و البقاء للّه سبحانه.

جعفر بن أحمد بن على الخزاعى

من أهل غرناطة، و يعسوب الثاغية و الراغية من أهل ربض البيّازين، يكنى أبا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۵۶

أحمد الشهير ذكره بشرق الأندلس، المعروف بكرامة الناس، المقصود الحفرة، المحترم التّربة حتى من العدوّ، و الرائق بغير هذه الملّة. خرج قومه من وطنهم عند تغلّب العدو على الشرق، فنزلوا ربض البيّازين جوفى المدينة، و ارتاشوا، و تلثّموا ، و بنوا المسجد العتيق، و أقاموا رسم الإرادة، يرون أنهم تمسكوا من طريق الشيخ أبى أحمد بآثاره، فلا يغبّون بيته، و لا يقطعون اجتماعا، على حالهم المعروفة من تلاوة حسنة، و إيثار ركعات، ثم ذكر ثم ترجيع أبيات فى طريق التصوّف، مما ينسب للحسين بن منصور الحلاج و أمثاله، يعرفونها منهم مشيخة، قوّالون، هم فحول الأجمة و ضرائك تلك القطيعة يهيجون بلابلهم، فلا ينشبون أن يحمى و طيسهم، و يخلط مرعيّهم

بالهمل، فيرقصون رقصا غير مساوق للإيقاع الموزون، دون العجال الغالبة منهم، بإفراد كلمات من بعض المقول، و يكرّ بعضهم على بعض، و قد خلعوا خشن ثيابهم، و مرقوعات قباطيهم و درانيكهم . فيدوم حالهم حتى يتصبّبوا عرقا. و قوّالهم يحرّكون فتورهم، و يزمرون روحهم، يخرجون بهم من قول إلى آخر، و يصلون الشيء بمثله، فربما أخذت نوبة رقصهم بطرفى الليل التمام، و لا تزال المشيّعة لهم يدعونهم، و يحاجّونهم إلى منازلهم، و ربما استدعاهم السلطان إلى قصره محمضا فى لطائف نعيمه باخشيشانهم، مبديا التبرّك بألويتهم. و لهم فى الشيخ أبى أحمد والد نحلتهم، و شحنة قلوبهم، عصبيّة له و تقليد بإيثاره، أنفجت لعقده أيمانهم، و شرط فى صحّة دينهم، و ارتكبوا فى النفور عن سماع المزمار القصبى المسمّى بالشّبابة الذى أرخص فى حضور الولائم، مع نفخ برعه العدد الكثير من الجلّة الصلحاء القدوة مرتكبا، حتى ألحقوه بالكبائر الموبقة، و تعدّوا اجتنابه جبلة و كراهة طباعيّة، فتزوى عند ذكره الوجوه. و تقتحم عند الاتّهام به الدّور، و تسقط فيما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۵۷

بينهم بفلتة سماعه أخوّة الطريق. و هم أهل سذاجة و سلامة، أولو اقتصاد فى ملبس و طعمة و اقتيات بأدنى بلغة، و لهم فى التعصّب نزعة خارجيّة ، و أعظمهم ما بين مكتسب متسبّب؛ و بين معالج مدرة، و مريع حياكة، و بين أظهرهم من الذّعرة و الصعاليك كثير، و الطّرق إلى اللّه عدد أنفاس الخلائق، جعلنا اللّه ممّن قبل سعيه، و ارتضى ما عنده، و يسّره لليسرى.

حاله: قام هذا الرجل مقام الشيخ أبى تمام قريبه على هيئة مهلكه، فسدّ مسدّه، على حال فتور و غرارة، حتى لان متن الخطة، و خفّ عليه بالمران ثقل الوظيفة، فأمّ و خطب، و قاد الجماعة من أهل الإرادة. و قضى فى الأمور الشرعية بالرّبض، تحت ضبن قاضى الجماعة، و هو الآن بعده على حاله، حسن السّجيّة، دمث الأخلاق، ليّن العريكة، سهل الجانب، مقترن الصدق و العفّة، ظاهر الجدّة، محمود الطريقة، تطأه أقدام الكلف، و تطرّح به المطارح القاصية، حوى على الشفاعات، مستور الكفاية فى لفق الضعف، متوالى شعلة الإدراك فى حجر الغفلة، وجه من وجوه الحضرة فى الجمهورية، مرعيّ الجانب، مخفّف الوظائف، مقصودا من منتامى أهل طريقه بالهدايا، مستدعى إلى من بالجهات منهم فى كثير من الفصول، ظاهر الجدوى فى نفير الجهاد، رحمه اللّه، و نفع بأهل الخير.

مولده: عام تسعة و سبعمائة.

وفاته: يوم الاثنين التاسع و العشرين لرمضان خمسة و ستين و سبعمائة.

جعفر بن عبد اللّه بن محمد بن سيدبونة الخزاعى

من أهل شرق الأندلس، من نظر دانية، يكنى أبا أحمد، الولىّ الشهير.

حاله: كان أحد الأعلام المنقطعى القرين فى طريق كتاب اللّه، و أولى الهداية الحقّة، فذّ، شهير، شائع الخلّة، كثير الأتباع، بعيد الصيت، توجب حقّه حتى الأمم الدائنة بغير دين الإسلام، عند التغلّب على قرية مدفنه بما يقضى منه بالعجب.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۵۸

قال الأستاذ أبو جعفر بن الزّبير عند ذكره فى الصّلة : أحد أعلام المشاهير فضلا و صلاحا؛ قرأ ببلنسية ، و كان يحفظ نصف «المدوّنة» و أقرأها، و يؤثر الحديث و التفسير و الفقه، على غير ذلك من العلوم.

مشيخته: أخذ القراءات السبع عن المقرئ أبى الحسن بن هذيل، و أبى الحسن بن النّعمة، و رحل إلى المشرق، فلقى فى رحلته جلّة، أشهرهم و أكبرهم فى باب الزهد و أنواع سنى الأحوال، و رفيع المقامات، الشيخ الجليل، الولىّ للّه تعالى، العارف، أبو مدين شعيب بن الحسين، المقيم ببجاية، صحبه و انتفع به، و رجع من عنده بعجائب دينية، و رفيع أحوال إيمانية، و غلبت عليه العبادة، فشهر بها حتى رحل إليه الناس للتبرّك بدعائه، و التيمّن برؤيته و لقائه، فظهرت بركته على القليل و الكثير منهم و ارتووا زلالا من ذلك العذب النّمير، و حظّه من العلم مع عمله الجليل موفور، و علمه نور على نور. لقيت قريبه الشيخ أبا تمام غالب بن حسين بن سيدبونة حين ورد

غرناطة، فكان يحدّث عنه بعجائب.

دخوله غرناطة: و ذكر المعتنون بأخباره بالحضرة إلى طريقه، أنه دخل الحضرة و صلّى فى رابطة الرّبط من باب ... و أقام بها أياما، فلذلك المسجد المزية عندهم إلى اليوم. و انتقل الكثير من أهله و أذياله عند تغلّب العدو على الشرق على بلدهم، إلى هذه الحضرة، فسكنوا منها ربض البيّازين، على دين و انقباض و صلاح، فيحجّون بكنوز من أسراره، و مبشّراته مضنون بها على الناس. و بالحضرة اليوم منهم بقية تقدّم الإلماع بذكرهم.

وفاته: توفى، رحمه اللّه، بالموضع المعروف بزناتة، فى شوّال سنة أربع و عشرين و ستمائة، و قد نيّف على الثمانين .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٥٩

الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى الفهرى

نشأ بغرناطة، يكنى أبا على، و يعرف بابن الناظر .

حاله: كان متفنّنا فى جملة معارف، أخذ من كل علم سنا بحظّ وافر، حافظا للحديث و التفسير، ذاكرا للأدب و اللغة و التواريخ، شديد العناية بالعلم، مكبّا على استفادته و إفادته، حسن اللقاء لطلبة العلم، حريصا على نفعهم، جميل المشاركة لهم.

و قال الأستاذ: كان من بقايا أهل الضبط و الإتقان لما رواه، و آخر مقرئى القرآن، ممّن يعتبر فى الأسانيد و معرفة الطرق و الروايات، متقدّما فى ذلك على أهل وقته، و هو أوفر من كان بالأندلس فى ذلك. أقرأ القرآن و العربية بغرناطة مدة، ثم انتقل إلى مالقة فأقرأ بها يسيرا، ثم انقبض عن الإقراء، و بقى خطيبا بقصبة مالقة نحوا من خمس و عشرين سنة، ثم كرّ منتقلا إلى غرناطة ، فولى قضاء ألمريّة، ثم قضاء بسطة، ثم قضاء مالقة.

وصمته: قال الأستاذ: إلّا أنه كان فيه خلق أخلّت به، و حملته على إعداء ما ليس من شأنه، عفا اللّه عنه، فكان ذلك مما يزهّد فيه.

مشيخته: روى عن الأستاذ المقرئ أبى محمد عبد اللّه بن حسين الكوّاب، أخذ عنه قراءة السبع و غير ذلك، و عن أبى على و أبى الحسن بن سهل بن مالك الأزدىّ، و أبى عبد اللّه محمد بن يحيى، المعروف بالحلبى، و جماعة غير هؤلاء، و رحل إلى إشبيلية فروى بها عن الشيخ الأستاذ أبى على أكثر كتاب سيبويه تفقّها، و غير ذلك. و أخذ عن جماعة كثيرة من أهلها، و قدم عليها. إذ ذاك القاضى أبو القاسم بن بقىّ، فلقيه بها و أخذ عنه، و رحل إلى بلنسية، فأخذ بها عن الحاج أبى الحسن بن خيرة، و أبى الربيع بن سالم، و سمع عليه جملة صالحة، كأبى عامر بن يزيد بن أبى العطاء بن يزيد و غيرهم، و بجزيرة شقر عن أبى بكر بن وضّاح، و بمرسية

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٢٦٠

عن جماعة من أهلها، و بأوريولة عن أبى الحسن بن بقىّ، و بمالقة عن آخرين، و تحصّل له جماعة نيّفوا على الستين.

تصانيفه: منها المسلسلات، و الأربعون حديثا، و الترشيد فى صناعة التّجويد، و برنامج رواياته و هو نبيل.

شعره: كان يقرض شعرا لا يرضى لمثله، ممّن برّز تبريزه فى المعارف.

مولده: يوم الخميس لاثنتى عشرة ليلة بقيت من شوّال سنة خمسين و ستمائة.

وفاته: توفى بغرناطة لأربع عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة تسع و تسعين و ستمائة.

الحسن بن محمد بن الحسن النباهى الجذامى

من أهل مالقة، يكنى أبا على.

أوّليته: قال القاضى المؤرّخ أبو عبد اللّه بن أبى عسكر فيه: من حسباء مالقة و أعيانها و قضاتها، و هو جدّ بنى الحسن المالقيين، و بيته بيت قضاء و علم و جلالة، لم يزالوا يرثون ذلك كابرا عن كابر، استقضى جدّه المنصور بن أبى عامر، و كانت له و لأصحابه حكاية

مع المنصور.

قال القاضى ابن بياض: أخبرنى أبى، قال: اجتمعنا يوما فى متنزّه لنا بجهة الناعورة بقرطبة مع المنصور بن أبى عامر فى حداثة سنّه، و أوان طلبه، و هو مرتج مؤمّل، و معنا ابن عمّه عمرو بن عبد اللّه بن عسكلاجة، و الكاتب ابن المرعزى، و الفقيه أبو الحسن المالقى، و كانت سفرة فيها طعام، فقال ابن أبى عامر من ذلك الكلام الذى كان يتكلّم به: لا بدّ أن نملك الأندلس، و نحن نضحك منه و من قوله.

ثم قال: يتمنّى كلّ واحد منكم علىّ ما شاء أولّيه؛ فقال عمرو: أتمنى أن تولّينى المدينة، نضرب ظهور الجنّات. و قال ابن المرعزى: و أنا أشتهى الأسفح ، القضاء فى أحكام السّوق. و قال أبو الحسن: و أنا أحب هذه، أن تولينى قضاء مالقة بلدى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۶۱

قال موسى بن غدرون: قال لى: تمنّ أنت، فشققت لحيته بيدى، و اضطربت به و قلت قولا قبيحا من قول السفهاء. فلمّا ملك ابن أبى عامر الأندلس، ولّى ابن عمّه المدينة، و ولّى ابن المرعزى أحكام السوق، و ولّى أبا الحسن المالقى قضاء ريّه، و بلغ كل واحد ما تمنّى، و أخذ منّى مالا عظيما أفقرنى لقبح قولى: فبيت بنى الحسن شهير، و سيأتى من أعلامه ما فيه كفاية.

حاله: قال ابن الزّبير: كان طالبا نبيلا من أهل الدين و الفضل و النّهى و النباهة.

نباهته: قال ابن الزبير فى كتاب نزهة البصائر و الأبصار: استقضى بغرناطة.

وفاته: توفى سنة اثنتين و سبعين و أربعمائة، ذكره ابن بشكوال فى الصّلة، و عرّف بولايته قضاء غرناطة، و ذكره ابن عسكر، و توهّم فيه الملّاحى، فقال: هو من أهل إلبيرة.

حسن بن محمد بن حسن القيسى

من أهل مالقة، يكنى أبا على، و يعرف بالقلنار.

حاله: كان، رحمه اللّه، بقيّة شيوخ الأطباء ببلده، حافظا للمسائل الطّبية، ذاكرا للدواء، فسيح التّجربة، طويل المزاولة، متصرّفا فى الأمور التى ترجع إلى صناعة اليدين صدلة و إخراعة، محاربا، مقدورا عليه فى أخرياته، ساذجا، مخشوشنا، كثير الصحة و السلامة، محفوظ العقيدة، قليل المصانعة، بريّا من التشمّت، يعالج معيشته بيده فى صبابة فلاحة. أخذ صناعة الطب عن أبى الحسن الأركشى ، و معرفة أعيان النبات عن المصحفى و سرح معه، و ارتاد منابت العشب فى صحبته، فكان آخر السحّارين بالأندلس، و حاول عمل التّرياق الفارق بالديار السلطانية عام اثنين و خمسين و سبعمائة مبرّزا فى اختيار أجزائه، و إحكام تركيبه، و إقدام على اختبار مرهوب حياته، قتلا و صنجا و تقريصا، بما يعجب من إدلاله فيه، و فراهته عليه.

حسن بن محمد بن باصة

يكنى أبا على، و يعرف بالصّعلعل، رئيس المؤقّتين بالمسجد الأعظم من غرناطة، أصله من شرق الأندلس.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۶۲

حاله: كان فقيها إماما فى علم الحساب و الهيئة، أخذ عنه الجلّة و النبهاء، قائما على الأطلال و الرّخائم و الآلات الشعاعية، ماهرا فى التعديل، مع التزام السّنّة، و الوقوف عند ما حدّ العلماء فى ذلك، مداوم النظر، ذا مستنبطات و مستدركات و تواليف، نسيج وحده و رحقة وقته.

وفاته: توفى بغرناطة عام ستة عشر و سبعمائة.

الحسن بن محمد بن على الأنصارى

من أهل ... ، يكنى أبا على و يعرف بابن كسرى.

حاله: كان متقدّما فى حفظ الأدب و اللغة، مبرّزا فى علم النحو، شاعرا مجيدا، ممتع المؤانسة، كثير المواساة، حسن الخلق، كريم النفس، مثرّا فى نظم الشعر فى غير فن، مدح الملوك و الرؤساء، مؤثرا للخمول على الظهور، و فى تخامله يقول شعرا ثبت فى موضعه.

مشيخته: روى عن أبى بكر بن عبد اللّه بن ميمون الكندى، و أبى عبد اللّه الكندى، و أبى الحكم بن هرودس، و أبى عبد اللّه بن غالب الرّصافى.

ممّن روى عنه: روى عنه أبو الطاهر أحمد بن على الهوارى السّبتى، و أبو عبد اللّه إبراهيم بن سالم بن صالح بن سالم.

نباهته و إدراكه: من كتاب نزهة البصائر و الأبصار، قال القاضى أبو عبد اللّه بن عسكر: نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى، رحمه اللّه ما معناه:

قال: حدّثنى الفقيه الأديب أبو على، قال: كنت بإشبيلية، و قد قصدتها لبعض الملوك، فبينما أنا أسير فى بعض طرقها، لقيت الشيخ أبا العباس، فسلّمت عليه، و وقفت معه، و كنت قد ذكر لى أنّ بها رجلا من الصالحين، زاهدا، فاضلا، ينتقد من الشعر فى الزهد و الرقائق، ببدائع تعجب. و كان بالمغرب قد قصّد الهربىّ و النادر، فسألنى أبو العباس عن مصيرى، فأعلمته بقصدى، فرغب أن يصحبنى إليه، حتى أتيناه، فرأيناه رجلا عاقلا، قاعدا فى موضع قذر، فسلّمنا عليه، فردّ علينا، و سألناه عن قعوده فى ذلك الموضع، فقال: أتذكّر الدّنيا و سيرتها، فزدنا به غبطة؛ ثم استنشدناه فى ذلك الغرض من كلامه، ففكّر ساعة ثم أنشدنا كلاما قبيحا، تضمّن من القبيح و من الإقذاع و الفواحش ما لا يحلّ

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶۳

سماعه، فقمنا نلعنه، و خجلت من أبى العباس، و اعتذرت له. ثم اتفق أن اجتمعنا فى مجلس الأمير الذى كنت قد قصدته، فقال أبو العباس: إن أبا على قد حفظ لبعض الحاضرين شعرا فى الزهد، من أعذب الكلام و أحسنه، فسألنى الأمير و طلب منى إنشاده، فخجلت ثم ثاب إلىّ عقلى، فنظمت بيتين، فأنشدتهما إيّاه و هما:

[المنسرح]

أشهد ألّا إله إلّا اللّهمحمد المصطفى رسول اللّه

لا حول للخلق فى أمورهمإنما الحول كلّه للّه

قال: فأعجب الأمير ذلك و استحسنه.

و من مقاماته بين يدى الملوك و بعض حاله، نقلت من خط صاحبنا الفقيه القاضى أبى الحسن بن أبى الحسن، قال: المروى منسوب إلى قرية بقرب مالقة، و هو الذى قال فيه الشيخ أبو الحجاج بن الشيخ رضى اللّه عنه: [المجتث]

إذا سمعت من اسرىو من إلى المسجد أسرى

فقل و لا تتوقّفأبا على ابن كسرى

قال: و هو قريب الأستاذ الأديب أبى على الإستجى و معلّمه، و أحد طلبة الأستاذ أبى القاسم السّهيلى، و ممّن نبع صغيرا، و ارتحل إلى غرناطة و مرسية. و هو الذى أنشد فى طفولته السيد أبا إسحاق بإشبيلية: [الكامل]

قسما بحمص و إنّه لعظيمو هى المقام و أنت إبراهيم

و كان بالحضرة أبو القاسم السّهيلى، فقام عند إتمامه القصيدة، و قال: لمثل هذا أحسيك الحسا، و أواصل فى تعليمك الإصباح و الإمساء، و كان يوما مشهودا.

و أنشد الأمير أبا يعقوب حين حلّها: [الطويل]

أ معشر أهل الأرض فى الطول و العرض‌بهذا استنادى فى القيامة و العرض

لقد قال فيك اللّه ما أنت أهله‌فيقضى بحكم اللّه فيك بلا نقض

و إياك يعنى ذو الجلال بقوله‌كذلك مكّنّا ليوسف فى الأرض

و ذكره ابن الزّبير، و ابن عبد الملك، و ابن عسكر، و غيرهم.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶۴

و من شعره فى معنى الانقطاع و التسليم إلى اللّه تعالى، و هى لزوميّة، و لنختم بها، ختم اللّه لنا بالحسنى: [الطويل]

إلهى أنت اللّه ركنى و ملجئى‌و ما لى إلى خلق سواك ركون

رأيت بنى الأيام عقبى سكونهم‌حراك و فى عقبى الحراك سكون

رضى بالذى قدّرت تسليم عالم‌بأنّ الذى لا بدّ منه يكون

وفاته: توفى بمدينة مالقة فى حدود ثلاث و ستمائة.

الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبى

يكنى أبا على، مرسىّ الأصل، سبتىّ الاستيطان، منتم إلى صاحب الثورة على المعتمد .

حاله: كان نسيج وحده، و فريد دهره، إتقانا و معرفة، و مشاركة فى كثير من الفنون اللسانية و التعالميّة، متبحّرا فى التاريخ، ريّانا من الأدب، شاعرا مفلقا، عجيب الاستنباط، قادرا على الاختراع و الأوضاع، جهم المحيّا، موحش الشكل، يضمّ برداه طويّا لا كفاء له، تحرّف بالعدالة، و برّز بمدينة سبتة، و كتب عن أميرها، و جرت بينه و بين الأديب أبى الحكم مالك بن المرحّل من الملاحات و المهاترات أشدّ ما يجرى بين متناقضين، آلت به إلى الحكاية الشهيرة، و ذلك أنه نظم قصيدة نصّها: [الكامل]

لكلاب سبتة فى النّباح مداركو أشدّها دركا لذلك مالك

شيخ تفانى فى البطالة عمرهو أحال فكّيه الكلام الآفك

كلب له فى كلّ عرض عضّةو بكلّ محصنة لسان آفك

متهمّم بذوى الخنا متزمّع‌متهازل بذوى التّقى متضاحك

أحلى شمائله السّباب المفترىو أعفّ سيرته الهجاء الماعك

و ألذّ شىء عنده فى محفل‌لمز لأستار المحافل هاتك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶۵ يغشى مخاطره اللئيم تفكّهاو يعاف رؤيته الحليم النّاسك

لو أن شخصا يستحيل كلامه‌خرءا للاك الخرء منه لائك

فكأنه التمساح يقذف جوفه‌من فيه ما فيه و لا يتماسك

أنفاسه و فساؤه من عنصرو سعاله و ضراطه متشارك

ما ضرفا من معدّ اللّه لو أسلمته نواجذ و ضواحك

فى شعره من جاهلية طبعه‌أثقال أرض لم ينلها فاتك

صدر و قافية تعارضتا معافى بيت عنس أو بعرس فارك

قد عمّ أهل الأرض بلعنه‌فللأعنية فى السماء ملائك

و لأعجب العجبين أنّ كلامه‌لخلاله مسك يروح و رامك

إن سام مكرمة جثا متثاقلايرغو كما يرغو البعير البارك

و يدبّ فى جنح الظلام إلى الخناعدوا كما يعدو الظّليم الراتك

نبذ الوقار لصبية يهجونهفسياله فرش لهم و أرائك

يبدى لهم سوآته ليسوءهمبمسالك لا يرتضيها سالك

و الدهر باك لانقلاب صروفهظهرا لبطن و هو لاه ضاحك

و اللسن تنصحه بأفصح منطقلو كان ينجو بالنّصيحة هالك

تب يا ابن تسعين فقد جزت المداو ارتاح للّقيا بسنّك مالك

أو ما ترى من حافديك نشابهاابن يضاجع جدّه و يناسك

هيهات أيّة عشرة لهجت بهنوات مملوك و طبّع مالك

يا ابن المرحّل لو شهدت مرحّلاو قد انحنى بالرّحل منه الحارك

و طريد لوم لا يحلّ بمعشرإلّا أمال قفاه صفع دالك

مركوب لهو لجاجة و ركاكةو أراك من ذاك اللجاج البارك

لرأيت للعين اللئيمة سحّةو علا بصفع عرك أذنك عارك

و شغلت عن ذمّ الأنام بشاغلو ثناك خصم من أبيك مماحك

قسما بمن سمك السماء مكانهاولديه نفس رداء نفسك شائك

لأقول للمغرور منك بشيبةبيضاء طىّ الصّحف منها حالك

لا تأمنن للذئب دفع مضرّةفالذئب إن أعفيته بك فاتك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶۶ عار على الملك المنزّه أن يرىفى مثل هذا للملوك مسالك

فكلامه للدّين سمّ قاتلو دنوّه للعرض داء ناهك

فعليه ثم على الذى يصغى لهويل يعاجله و حتف و اشك

و أتاه من مثواه آت مجهزلدم الخناجر بالخناجر سافك

و هى طويلة، تشتمل من التعريض و الصريح على كل غريب، و اتخذ لها كنانة خشبية كأوعية الكتب، و كتب عليها: «رقاص معجّل، إلى مالك بن المرحّل». و عمد إلى كلب، و جعلها فى عنقه، و أوجعه خبطا حتى لا يأوى إلى أحد، و لا يستقرّ، و طرده بالزّقاق متكتّما بذلك. و ذهب الكلب و خلفه من الناس أمّة، و قرىء مكتوب الكنانة، و احتمل إلى أبى الحكم، و نزعت من عنق الكلب، و دفعت إليه، فوقف منها على كل فاقرة كفّت من طماحه، و غضّت عن عنان مجاراته، و تحدّث بها مدة، و لم يغب عنه أنها من حيل ابن رشيق، فعوّق سهام المراجعة، ثم أقصر مكبوحا، و فى أجوبته عن ذلك يقول: [المتقارب]

كلاب المزابل آذيننىبأبوالهنّ على باب دارى

و قد كنت أوجعها بالعصاو لكن عوت من وراء الجدار

و استدعاه بآخرة أمير المغرب السلطان أبو يعقوب، فاستكتبه، و استكتب أبا الحكم صدقة، فيقال إنه جرّ عليه خجلة كانت سبب وفاة أبى على. و دخل الأندلس، و حطّ بها بألمريّة، و قد أصيب بأسر عياله، فتوسّل إلى و اليها من قرابة السلطان الغالب بالله، بشعر مدحه فيه من قصيدة أولها: [الكامل]

ملقى النوى ملق لبعض نوالكافاشف المحبّ و لو بطيف خيالكا

و منها:

لا تحسبنّى من فلان أو فلاأنا من رجال اللّه ثم رجالكا

و منها:

نصب العدوّ حبائلا لحبائبىو علقت فى استخلاصها بحبالكا

و فى خاتمها:

و كفاك شرّ العين عيب واحدلا عيب فيه سوى فلول نصالكا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶۷

و لحق بغرناطة، و مدح السلطان بها، و نجحت لديه مشاركة الرئيس بألمريّة. الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ۱ ؛ ص ۲۶۷

بر اللّه حاله، و خلّص أسره.

و مما جمع فيه بين نثره و نظمه ما كتبه لمّا كتب إليه الأديب الطبيب صالح بن شريف بهاتين القصيدتين اللتين تنازع فيهما الأقوام، و اتفقوا على أن يحكم بينهما الأحلام، و عبّر عن ذلك الأقلام، و لينظرهما من تشوّق إليهما بغير هذا الموضع.

تواليفه: و أوضاعه غريبة، و اختراعاته عجيبة، تعرّفت أنه اخترع فى سفرة الشطرنج شكلا مستديرا. و له الكتاب الكبير فى التاريخ، و التلخيص المسمّى ب «ميزان العمل» و هو من أظرف الموضوعات، و أحسنها شهرة.

وفاته: كان حيّا عام أربعة و سبعين و ستمائة.

حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى

يكنى أبا مسعود، ملك إلبيرة و غرناطة؛ و ما والاها.

حاله و أوّليّته: أما أوّليّته، فقد مرّ ذلك بما فيه كفاية عند ذكر بلكّين. و لمّا دخل زاوى بن زيرى على الأندلس غبّ إيقاعه بالمرتضى الذى نصبته الجماعة، و استيلائه على محلّته بظاهر غرناطة، خاف تمالؤ الأندلس عليه، و نظر للعاقبة، فأسند الأمر إلى ابن أخيه، حبّوس بن ماكسن، و كان بحصن آشر ، فلمّا ركب البحر من المنكّب، و ودّعه به زعيم البلدة و كبير فقهائها أبو عبد اللّه بن أبى زمنين، ذهب إلى ابن أخيه المذكور و استقدمه، و جرت بينه و بين ابن عمّه المتخلّف على غرناطة من قبل والده، محاورة انجلت عن رحيله تبعا لأبيه؛ حبّوس، فاستبدّ بالملك، و رأب الصّدع سنة إحدى عشرة و أربعمائة. قال ابن عذارى فى تاريخه : فانحازت صنهاجة مع شيخهم و رئيسهم حبّوس بن ماكسن، و قد كان أخوه حباسة هلك فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶۸

الفتنة، و بقى منهم معه بعد انصراف زاوى إلى إفريقية، جماعة عظيمة، فانحازوا إلى مدينة غرناطة، و أقام حبّوس بها ملكا عظيما، و حامى رعيّته ممّن جاوره من سائر البرابرة المنتشرين حوله، فدامت رئاسته.

وفاته: توفى بغرناطة سنة ثمان و عشرين و أربعمائة .

الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه ابن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن ابن معاوية

صفته و حاله: كان أصهب العين، أسمر، أقنى، معسّل اللحية، جهير الصوت، طويل الصّلب، قصير الساقين، عظيم السّاعد، أفصم، و كان ملكا جليلا، عظيم الصّيت، رفيع القدر، عالى الهمّة، فقيها بالمذهب، عالما بالأنساب، حافظا للتاريخ، جمّاعا للكتب، محبّا فى العلم و العلماء، مشيرا للرجال من كل بلد، جمع العلماء من كل قطر، و لم يكن فى بنى أمية أعظم همّة، و لا أجلّ رتبة فى العلم و غوامض الفنون منه. و اشتهر بهمّته بالجهاد، و تحدّث بصدقاته فى المحلول، و أملته الجبابرة و الملوك.

دخوله إلبيرة: قال ابن الفيّاض: كتب إليه من الثغر الجنوبى أن عظيم الفرنجة من النصارى حشدوا إليه و سألوه الممرة بطول المحاصرة، فاحتسب شخوصه بنفسه إلى ألمرية فى رجب سنة ثلاث و خمسين و ثلاثمائة، فى جحفل لجب من نجدة الأولياء و أهل المراتب. و

لما أحلّ إلبيرة ورد عليه كتاب أحمد بن يعلى من طرطوشة بنصر اللّه العزيز و صنعه الكريم على الرّوم. و وافى ألمريّة، و أشرف على أمورها، و نظر إلى أسطولها و جدّده، و عدّته يومئذ ثلاثمائة قطعة، و انصرف إلى قرطبة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۶۹

مولده: لستّ بقين من جمادى الآخرة سنة اثنتين و ثلاثمائة.

وفاته: لأربع خلون من صفر سنة ستّ و ستين و ثلاثمائة، و عمره نحو من ثلاث و ستين سنة، و هو خاتمة العظماء من بنى أمية.

الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ابن عبد الملك بن مروان بن أمية

كنيته أبو العاصى.

صفته: آدم، شديد الأدمة ، طويل، أشمّ، نحيف، لم يخضب. بنوه تسعة عشر من الذكور، منهم عبد الرحمن ولىّ عهده.

بناته: إحدى و عشرون ، أمّه أمّ ولد اسمها زخرف.

وزراؤه و قوّاده: خمسة، منهم إسحاق بن المنذر، و العباس بن عبد اللّه، و عبد الكريم بن عبد الواحد، و فطيس بن سليمان، و سعيد بن حسّان.

قضاته: مصعب بن عمران، و عمر بن بشر، و الفرج بن كنانة. و بشر بن قطن، و عبد اللّه بن موسى، و محمد بن تليد، و حامد بن محمد بن يحيى.

كتابه: فطيس بن سليمان، و عطاف بن زيد، و حجّاج بن العقيلى .

حاجبه: عبد الكريم بن عبد الواحد بن مغيث.

حاله: كان الحكم شديد الحزم، ماضى العزم، ذا صولة تتّقى. و كان حسن التدبير فى سلطانه، و تولية أهل الفضل، و العدل فى رعيّته، مبسوط اليد بالعطاء الكثير، و كان فصيحا، بليغا، شاعرا مجيدا، أديبا، نحويّا.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۰

قال ابن عذارى : كانت فيه بطالة، إلّا أنه كان شجاعا ، مبسوط اليد، عظيم العفو، و كان يسلّط قضاته و حكّامه على نفسه، فضلا عن ولده و خاصّته. و هو الذى جرت على يده الفتكة العظيمة بأهل ربض قرطبة ، الذين هاجوا به و هتفوا بخلعانه، فأظهره اللّه عليهم، فى خبر شهير. و هو الذى أوقع بأهل طليطلة أيضا، فأبادهم بحيلة الدّعاء إلى الطعام بما هو معلوم.

دخوله غرناطة: قالوا: و بإلبيرة و أحوازها تلاقى مع عمّه أبى أيوب سليمان بن عبد الرحمن، فهزمه و قتله حسبما ثبت فى اسم أبى أيوب.

شعره: قالوا: و كان له خمس جوار قد استخلصهنّ لنفسه، و ملّكهنّ أمره، فذهب يوما إلى الدخول عليهنّ، فتأبّين عليه، و أعرضن عنه، و كان لا يصبر عنهنّ، فقال : [البسيط]

قضب من البان ماست فوق كثبانولّين عنّى و قد أزمعن هجرانى

ناشدتهنّ بحقّى فاعتزمن على العصيان حتى خلا منهنّ همیانى

ملكننى ملك من ذلّت عزيمتهللحبّ ذلّ أسير موثّق عانى

من لى بمغتصبات الرّوح من بدنىيغصبننى فى الهوى عزّى و سلطانى

ثم عطفن عليه بالوصال فقال : [الخفيف]

نلت كلّ الوصال بعد البعادفكأنّى ملكت كلّ العباد

و تناهى السرور إذ نلت ما لميغن عنه تكاثف الأجناد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۱

مناقبة: أنهى إليه عباس بن ناصح و قد عاد من الثغر أن امرأة من ناحية وادى الحجارة سمعها تقول: وا غوثاه، يا حكم، ضيّعتنا، و أسلمتنا، و اشتغلت عنّا، حتى استأسد العدوّ علينا، و رفع إليه شعر فى هذا المعنى و الغرض، فخرج من قرطبة كاتما وجهته، و أوغل فى بلاد الشّرك، ففتح الحصون، و هدّم المنازل، و قتل و سبى ، و قفل بالغنائم على الناحية التى فيها تلك المرأة، فأمر لأهل تلك الناحية بمال من الغنائم يفدون به أسراهم ، و يصلحون به أحوالهم، و خصّ المرأة و آثرها، و أعطاها عددا من الأسرى، و قال لها: هل أغاثك الحكم؟ قالت: إى و اللّه، أغاثنا و ما غفل عنّا، أعانه اللّه و أعزّ نصره.

وفاته: توفى لأربع بقين لذى الحجة سنة ست و مائتين، و كان عمره اثنتين و خمسين سنة. و جرى ذكره فى الرجز من نظمى فى تاريخ دول الإسلام بما نصّه:

[الرجز]

حتى إذا الدهر عليه احتكماقام بها ابنه المسمّى حكما

و استشعر الثورة فيها و انقبض‌مستوحشا كاللّيث أقعى و ربض

حتى إذا فرصته لاحت تفض‌فأفحش الوقعة فى أهل الرّبض

و كان جبّارا بعيد الهمّه‌لم يرع من آل بها أو ذمّه

حكم بن أحمد بن رجا الأنصارى

من أهل غرناطة، يكنى أبا العاصى.

حاله: كان من قرّائها و نبهائها، و كان من أهل الفضل و الطلب، و إليه ينسب مسجد أبى العاصى، و حمام أبى العاصى و دربه بغرناطة، و كفى بذلك دليلا على الأصالة و التأثّل. ذكره أبو القاسم و لم يذكر من أمره مزيدا على ذلك.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۲

حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه ابن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك ابن سعيد بن عمّار بن ياسر

أوّليّته: قد مرّ بعض ذلك، و سيأتى بحول اللّه.

حاله: قال أبو الحسن بن سعيد فى كتابه الموضوع فى مآثر القلعة : كان صاحب سيف و قلم و علم، و دخل فى الفتنة المردنيشيّة ، حسبما مرّ ذلك عند ذكر أخيه أبى جعفر، فصار من جلساء الأمير أبى عبد اللّه محمد بن سعد بن مردنيش بمرسية، و أرباب آرائه، و ذوى الخاصّة من وزرائه، و كان مشهورا بالفروسية و الشجاعة و الرأى.

حكاياته و نوادره: قال: كان التّنـدير و الهزل قد غلبا عليه، و عرف بذلك، فصار يحمل منه ما لا يحمل من غيره. قالوا: فحضر يوما مع الأمير محمد بن سعد، يوم الجلاب من حروبه، و قد صبر الأمير صبرا جميلا. و والى الكرّ المرّة بعد المرة.

و ذلك بمرأى من حاتم؛ فردّ رأسه إليه، و قال: يا قائدا أبا الكرم، كيف رأيت؟ فقال له حاتم: لو رآك السّلطان اليوم لزاد فى مرتّبك، فضحك ابن مردنيش، و علم أنه أراد بذلك: لا تليق به المخاطرة، و إنما هو للثّبات و التدبير. و قال له يوما و قد جرى ذكر الجنّات: جنّ اليوم يا أبا الكرم على بستانك بالزّنقات. و أردت أن أكون من ضيافتك، فقال عبد الرحمن بن عبد الملك، و هو إذ ذاك وزير الأمير و بيده المجابى و الأعمال:

لعل الأمير اغترّ بسماع اسمه حاتم، ما فيه من الكرم إلّا الاسم، فقال الحاتم: و لعلّ الأمير اغترّ بسماع أمانة عبد الرحمن، فقدّمه على

وزرائه، و ما عنده من الأمانة إلّا الاسم، فقال ابن مردنيش و قد ضحك: الأولى فهمت، و لم أفهم الثانية، فقال له كاتبه أبو محمد السلمى: إنما أشار إلى قول رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم، فى عبد الرحمن بن عوف، رضى اللّه عنه، أمير هذه الأمة، و أمين فى أهل السماء، و أمين فى أهل الأرض؛ فطرب ابن مردنيش، و جعل يقول: أحسنتما.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۳

شعره: قال أبو الحسن: و لم أحفظ من شعر حاتم ما أورده فى هذا المكان إلّا قوله يخاطب حفصة الرّكونية الشاعرة، التى يأتى ذكرها، حين فرّ إلى مرسية، و تركها بغرناطة: [الوافر]

أحنّ إلى ديارك يا حياتىو أبصر ذو وهد سيل الظّبات

و أهوى أن أعود إليك لكنخفوق البند عاق عن القنات

و كيف إلى جنابك من سبيلو ليس يحلّه إلّا عداتى!

مولده: فى سنة خمس و ثلاثين و خمسمائة، و قال أبو القاسم الغافقى فيه عند ذكره: كان طالبا نبيها، جميلا، سريّا، تامّ المروءة، جميل العشرة.

وفاته: قال: مات بغرناطة سنة اثنتين و تسعين و خمسمائة .

حباسة بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى

كان شهما هيّبا، بهمة من البهم، كريما فى قومه، أبيّا فى نفسه، صدرا من صدور صنهاجة؛ و كان أشجع من أخيه حبّوس.

وفاته: قال أبو مروان عند ذكر وقعة «رمداى» بطرف قرطبة فى حروب البرابرة لأهلها فى شوّال عام اثنين و أربعمائة، قال : و استلحم حباسة بن ماكسن الصنهاجى ابن أخى زاوى بن زيرى، و هو فارس صنهاجة طرّا و فتاها؛ و كان قد تقدّم إلى هذه الناحية، زعموا لمّا بلغه اشتداد الأمر فيها، فرمى بنفسه على طلّابها، و اتّفق أن ركب بسرج طرى العمل متفتح اللّبد، و خانه مقعده عند المجاولة، لتقلّبه على الصّهوة؛ و قيل إنه كان منتبذا على ذلك، فتطارح على من بإزائه، و مضى قدما بسكرى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۴

شجاعته و نشوته، يصافح البيوت بصفحته، و يستقبل القنا بلبّاته، لا يعرض له شىء إلّا حطّه، إلى أن مال به سرجه، فأتيح حمامه لاشتغاله بذلك، بطعنة من يد المسمّى النّبيه النصرانى، أحد فرسان الموالى العامريين؛ فسقط لفيه، و انتظمته رماح الموالى فأبادته؛ و حامى أخوه حبّوس، و بنو عمّه، و غيرهم من أنجاد البرابرة على جثته، فلم يقدروا على استنقاذها بعد جلاد طويل، و غلب عليه الموالى فاحتزّوا رأسه، و عجّلوا به إلى قصر السلطان، و أسلموا جسده للعامّة؛ فركبوه بكل عظيمة، و اجتمعوا إليه اجتماع البغاث على كبير الصّيقورة، فجرّوه فى الطرق و طافوا به الأسواق، و قطعوا بعض أعضائه، و أبدوا شواره و كبده بكل مكروه من أنواع الأذى، بأعظم ما ركب ميت، فلمّا سئموا تجراره، أوقدوا له نارا فحرقوه بها جريا على ذميم عادتهم، فى قبح المثلة، و لؤم القدرة. و انجلت الحروب فى هذا اليوم لمصابه، عن أمر عظيم، و بلغ من جميع البرابرة الحزن عليه مناله، و رأت أن دماء أهل قرطبة جميعا لا تعدله.

من الكتاب «المتين».

حبيب بن محمد بن حبيب

من أهل النّجش ، من وادى المنصورة أخوه مالك النّجشى، دباب الحلقات، و مراد أذناب المقرّبين.

حاله: كان على سجيّة غريبة من الانقباض المشوب بالاسترسال، و الأمانة مع الحاجة، بادى الزّى و اللسان، يحفظ الغريب من اللغة، و يحرّك شعرا لا غاية وراءه فى الرّكاكة، و له قيام على الفقه و حفظ القرآن، و نغمة حسنة عند التّلاوة. قدم الحضرة غير ما مرة و كان

الأستاذ، إمام الجماعة، و سيبويه الصناعة، أبو عبد اللّه بن الفخّار، المعروف بإلبيرى، أبا مثواه و محطّ طيّته، يطلب منه مشاركته بباب السلطان فى جراية يرغب فى تسميتها، و حال يروم إصلاحها، فقصدنى مصحبا منه رقعة تتضمن الشّفاعة، و عرض علىّ قصيدة من شعره يروم إيصالها إلى السلطان، فراجعت الأستاذ برقعة أثبتها على جهة الإحماض و هى:

«يا سيدى الذى أتشرّف، و بالانتماء إلى معارفه أتميّز، و صل إلىّ عميد حصن النجش، و ناهض أفراخ ذلك العشّ، تلوح عليه مخايل أخيه المسمّى بمالك، و يترجّج به الحكم فى الغاية فى أمثال تلك المسالك، أشبه من الغراب بالغراب، و إنها لمن

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۵

عجائب الماء و التراب، فألقى من ثنائكم الذى أوجبته السيادة و الأبوّة، ما يقصر عن طيب الألوّة، و تخجل عند مشاهدته الغرر المجلوّة، و ليست بأولى برّ أسديتم، و مكرمة أعدتم و أبديتم، و الحسنات و إن كانت فهى إليكم منسوبة، و فى أياديكم محسوبة، و بلوت من الرجل طلعة نتفة، لم يغادر من صفات النبل صفة، حاضر بمسائل من الغريب، و قعد مقعد الذكى الأريب. و عرض علىّ حاجته و غرضه، و طلب منى المشاركة، و هى منى لأمثاله مفترضة، و وعدنى بإيقافى على قصيدة حبّرها، و أنسى بالخبر خبرها، و باكرنى بها اليوم مباكرة الساقى بدهاقه، و عرضها علىّ عرض التاجر نفائس أعلاقه، و طلب منى أن أهذّب له ما أمكن من معانيها و ألفاظها، و أجلو القذى عن ألحاظها، فنظرت منها إلى روض كثرت أثغابه، و جيش من الكلام زاحم خواصّه أو شابه، و رمت الإصلاح ما استطعت، فعجزت عن ذلك و انقطعت، و رأيت لا جدوى إلى ذلك الغرض، ما لم تبدّل الأرض غير الأرض. و هذا الفنّ، أبقى اللّه سيدى، ما لم يمتّ إلى الإجادة بسبب وثيق، و ينتمى فى الإحسان إلى مجد عريق، و كان رفضه أحسن و أحمد، و اطّراحه بالفائدة أعود، و إذا اعتبره من عدل و قسط، وجده طريقين لا- يقبل الوسط، فمنهما مالّ يقتنى و يدّخر، و سافل يهزأ به و يسخّر، و الوسط ثقيل لا يتلبّس به نبيل. قيل لبعضهم: ألا تقول الشعر؟ فقال: أريد منه ما لا يتأتّى لى، و يتأتّى لى منه ما لا أريده. و قال بعضهم: فلان كمغنّ وسط لا يجيد فيطرب، و لا يسىء فيسلّى. فاقتضى نظركم الذى لا يفارق السّداد و التوفيق، و إرشادكم الذى رافقه الهدى و نعم الرفيق، أن يشير عليه بالاستغناء عن رفعها، و الامتساك عن دفعها، فهو أقوى لأمته ، و أبقى على سكنته و سمته، و أستر لما لديه، قبل أن يمدّ أبو حنيفة رجليه، و إن أصمّت عن هذا العذل مسامعه، و هفت به إلى النجاح مطامعه، فليعتمد على الاختصار، فذو الإكثار جمّ العثار، و ليعدل إلى الجادة عن ثنيات الطّرق، و يجتزئ عن القلادة بما أحاط بالعنق، فإذا رتّبها و هذّبها، و أوردها من موارد العبارة أعذبها، تولّيت زفافها و إهداءها، و أمطت بين يدى الكفوء الكريم رداءها، و السلام».

حمدة بنت زياد المكتّب

من ساكنى وادى الحمّة بقرية بادى من وادى آش.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۶

حالها: قال أبو القاسم: نبيلة، شاعرة، كاتبة؛ و من شعرها و هو مشهور :

[الوافر]

أباح الدّمع أسرارى بوادىله فى الحسن آثار بوادى

فمن نهر يطوف بكلّ روضو من روض يطوف بكل وادى

و من بين الظّباء مهاة إنسسبت لبّى و قد سلبت فؤادى

لها لحظ ترقّده لأمرو ذاك الأمر يمنعنى رقادى

إذا سدلت ذوائبها عليهارأيت البدر فى جنح السّواد

كأنّ الصّبح مات له شقيقفمن حزن تسربل فى الحداد

و من غرائبها : [الطويل]

و لمّا أبى الواشون إلّا قتالنا و ما لهم عندى و عندك من ثار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۷ و شنّوا على آذاننا كلّ غارةو قلّت حماتى عند ذاك و أنصارى

رميتهم من مقلتيك و أدمعىو من نفسى بالسّيف و السّيل و النار

و قال أبو الحسن بن سعيد فى حمدة و أختها زينب : شاعرتان، أديبتان، من أهل الجمال، و المال، و المعارف و الصّون، إلّا أن حبّ الأدب كان يحملهما على مخالطة أهله، مع صيانة مشهورة، و نزاهة موثّق بها.

حفصة بنت الحاج الرّكونى

من أهل غرناطة، فريدة الزمان فى الحسن، و الظّرف، و الأدب، و اللّوذعيّة؛ قال أبو القاسم: كانت أديبة، نبيلة، جيّدة البديهة، سريعة الشعر.

بعض أخبارها: قال الوزير أبو بكر بن يحيى بن محمد بن عمر الهمدانى:

رغبت أختى إلى حفصة أن تكتب شيئا بخطها فكتبت : [البسيط]

يا ربّة الحسن، بل يا ربّة الكرمغضّى جفونك عمّا خطّه قلمى

تصفّحيه بلحظ الودّ منعمةلا تحفلى بقبيح الخطّ و الكلم

قال أبو الحسن بن سعيد، و قد ذكر أنهما باتا بحوز مؤمّل فى جنّة له هنالك على ما يبيت عليه أهل الظّرف و الأدب، قال : [الطويل]

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۸ رعى اللّه ليلا لم يرع بمذمّمرعانا و وارانا بحوز مؤمّل

و قد نفحت من نحو نجد أريجة إذا نفحت هبّت بريح القرنفل

و غرّد قمرىّ على الدّوح و انثنىقضيب من الرّيحان من فوق جدول

يرى الرّوض مسرورا بما قد بدا له:عناق و ضمّ و ارتشاف مقبّل

فقالت: [الطويل]

لعمرك ما سرّ الرياض و صالنا و لكنه أبدى لنا الغلّ و الحسد

و لا صفّق النّهر ارتياحا لقربناو لا صدح القمرىّ إلّا لما وجد

فلا تحسن الظّنّ الذى أنت أهلهفما هو فى كل المواطن بالرّشد

فما خلت هذا الأفق أبدى نجومهلأمر سوى كى ما تكون لنا رصد

قال أبو الحسن بن سعيد: و باللّه ما أبدع ما كتبت به إليه و قد بلغها أنه علق بجارية سوداء أسعت له من بعض القصور، فاعتكف معها أياما و ليالى، بظاهر غرناطة، فى ظلّ ممدود، و طيب هوى مقصور و ممدود : [مخلع البسيط]

يا أظرف الناس قبل حالأوقعه نحوه القدر

عشقت سوداء مثل ليلبدائع الحسن قد ستر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۷۹ لا يظهر البشر فى دجاهاكلّا و لا يبصر الخفر

باللّه قل لى و أنت أدرىبكلّ من هام فى الصّور

من الذى هام فى جنان لا نور فيه و لا زهر؟

فكتب إليها بأظرف اعتذار، و ألطف أنوار: [مخلع البسيط]

لا حكم إلّا لأمر ناهله من الذنب يعتذر

له محيّا به حياتى‌أعيذ مجلاه بالسّور

كضحوة العيد فى ابتهاج‌و طلعة الشّمس و القمر

بسعده لم أمل إليه إلّااطّرافا له خبر

عدمت صبحى فاسودّ عشقى و انعكس الفكر و النّظر

إن لم تلح يا نعيم روحى‌فكيف لا تفسد الفكر؟

قال: و بلغنا أنه خلا- مع حاتم و غيره من أقاربهم، لهم طرب و لهو، فمرّت على الباب مستترة، و أعطت البوّاب بطاقة فيها مكتوب : [الخفيف]

زائر قد أتى بجيد غزال‌طامع من محبّه بالوصال

أتراكم بإذنكم مسعفيه‌أم لكم شاغل من الأشغال؟

فلمّا وصلت الرّقعة إليه، قال: و ربّ الكعبة، ما صاحب هذه الرّقعة إلّا الرّقيعة حفصة؛ ثم طلبت فلم توجد، فكتب إليها راغبا فى الوصال و الأنس الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۸۰

الموصول : [الخفيف]

أىّ شغل عن الحبيب يعوق‌يا صباحا قد آن منه الشّروق

صل و واصل فأنت أشهى إلينامن جميع المنى فكم ذا نشوق

بحياة الرّضى يطيب صبوح‌عرفا إن جفوتنا أو غبوق

لا و ذلّ الهوى و عزّ التلاقى‌و اجتماع إليه عزّ الطريق

و ذكرها الأستاذ فى «صلته»، فقال: و كانت أستاذة وقتها، و انتهت إلى أن علّمت النساء فى دار المنصور؛ و سألها يوما أن تنشده ارتجالا فقالت :

[المجتث]

امنن علىّ بصكّ يكون للدّهر عدّه

تخطّ يمناك فيه:الحمد للّه وحده

قال: فمنّ عليها، و حرّز لها ما كان لها من ملك.

وفاتها: قالوا: توفيت بحضرة مرّاكش فى آخر سنة ثمانين أو إحدى و ثمانين و خمسمائة .

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۸۱

الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبى العافية

من أهل غرناطة، يكنى أبا القاسم.

حاله: من كتاب «عائد الصلة» : كان، رحمه اللّه، صدرا من صدور القضاة، من أهل النظر و التقييد، و العكوف على الطّلب، مضطلعا بالمسائل، مسائل الأحكام؛ مهتديا لمظنّات النّصوص، نسخ بيده الكثير، و قيّد على الكثير من المسائل، حتى عرف فضله، و استشاره الناس فى المشكلات. و كان بصيرا بعقد الشروط، ظريف الخطاب ، بارع الأدب، شاعرا مكثرا، مصيبا غرض الإجادة.

و تصرّف فى الكتابة السلطانية، ثم فى القضاء، و انتقل فى الولايات الرفيعة النّبيهة.

و جرى ذكره فى «التّاج المحلّى» بما نصّه :

«فارس فى ميدان البيان، و ليس الخبر كالعيان؛ و حامل لواء الإحسان، لأهل هذا الشّان ؛ رفل فى حلل البدائع فسحب أذيالها، و شعشع

أكواس العجائب فأدار جريالها ، و اقتحم على الفحول أغيالها ، و طمح إلى الغاية البعيدة فنالها، و تذوكرت المعضلات فقال: أنا لها. عكف و اجتهد، و برز إلى مقارعة المشكلات و نهد، فعلّم و حصّل، و بلغ الغاية و توصّل؛ و تولّى القضاء، فاضطلع بأحكام الشّرع، و برع فى معرفة الأصل و الفرع، و تميّز فى المسائل بطول الباع، و سعة الذّراع؛ فأصبح صدرا فى مصره، و غرّة فى صفحة عصره. و سيمرّ فى بديع كلامه، و هتّات أقلامه، و غرر إبداعه، و درر اختراعه، ما يستنير لعلم الحليم، و تلقى له البلغاء يد التسليم».

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۲

شعره: قال فى غرض الحكمة و الأمثال : [الكامل]

عزّ الهوى نقصان و الرأى الذىينجيك منه، إذا ارتأيت مروما

فإذا رأيت الرأى يتّبع الهوىخالف وفاقهما تعدّ حكيما

و كيف تخاف من الحليم مداجيا خف من نصيحك ذى السّفاهة شوما

و احذر معاداة الرجال توقّيامنهم ظلوما كنت أو مظلوما

فالناس إما جاهل لا يتّقىعارا و لا يخشى العقوبة لوما

أو عاقل يرمى بسهم مكيدةكالقوس ترسل سهمها مسموما

فاحلم عن القسمين تسلم منهماو تسد فتدعى سيّدا و حليما

ودع المعاداة التى من شأنهاأن لا تديم على الصّفاء قديما

أبت المغالبة الوداد فلا تكنممّن يغالب ما حييت نديما

و إذا منيت بقربه فاخفض جناح الذّلّ و اخضع ظاعنا و مقيما

إنّ الغريب لكالقضيب محاير إن لم يمل للريح عاد رميما

وارع الكفاف و لا تجاوز حدّهما بعده يجنى عليك هموما

و ابسط يديك متى غنيت و لا تكنفيما يكون به المديح ذميما

و إذا بذلت فلا تبذّر إنّ ذا التبذير يومئذ أخوه رجيما

وعف الورود إذا تزاحم موردو احسب ورود الماء منه حميما

و اصحب كريم الأصل ذا فضل فمنيصحب لئيم الأصل عدّ لئيما

فالفضل من لبس الكرام فمن عرىعنه فليس لما يقول كريما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۳ (إنّ المقارن بالمقارن يفتدى) مثل جرى جرى الرياح قديما

و جماع كلّ الخير فى التّقوى فلاتعدم حلى التّقوى تعدّ عديما

و قال يصف الشّيب من قصيدة، و هى طويلة؛ أولها : [الكامل]

لاح الصباح، صباح شيب المفرقفاحمد سراك نجوت ممّا تتّقى

هى شيبة الإسلام فاقدر قدرهاقد أعتقتك و حقّ قدر المعتق

خطّت بفودك أبيضا فى أسودبالعكس من معهود خطّ مهرق

كالبرق راع بسيفه طرف الدّجىفأعار دهمته شتات الأبلق

كالفجر يرسل فى الدّجنّة خيطهو يجرّ ثوب ضيائه بالمشرق

كالماء يستره بقعر طحلبفتراه بين خلاله كالزّئبق

كالحيّة الرقشاء إلّا أنهلا يبرأ الملسوع منه إذا رقى

كالنّجم عدّ لرجم شيطان الصّبايا ليت شيطان الصّبا لم يحرق

كالزّهر إلّا أنه لم يستنم إلّا بغصن ذابل لم يورق

كتبسّم الزّنجىّ إلّا أنه يبكى العيون بدمعه المترقرق

و كذا البياض قذى العيون و لا ترى للعين أبكى من بياض المفرق

ما للغوانى و هو لون خدودها يجزعن من لألائه المتألّق

و أخلته لمع السّيوف و من يشم لمع السّيوف على المفارق يفرق

هو ليس ذاك و لا الذى أنكرته كن خائفا ما خفن منه و اتّق

داء يعزّ على الطبيب دواؤه و يضيع خسرا فيه مال المنفق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۴ لكنه و الحقّ أصدق مقول شين المسىء الفعل زين المتّقى

و من مقطوعاته قوله : [المتقارب]

أقلّى فما الفقر بالمرء عار و لا دار من يألف الهون دارا

و ما يكسب العزّ إلّا الغنى غنى النّفس فلتتّخذه شعارا

و ما اجتمع الشّمل فى غيره فيحسن إلّا و ساء انتشارا

فزهرة غيرك لا تنظرى فيألم قلبك منه انكسارا

و هزّى إليك بجذع الرّضى تساقط عليك الأمانى ثمارا

و قال أيضا: [المجتث]

العلم حسن و زين و الجهل قبح و شين

و المال عزّ و عيش و الفقر ذلّ و حين

و الناس أعضاء جسم فمنهم است و عين

هذى مقالة حقّ ما فى الذى قلت مين

و قال أيضا: [الخفيف]

إن أراك الزمان وجها عبوسا فستلقاه بعد ذلك طلقا

لا يهمّنك حاله إنّ فى طرفة عين ترتاح فيه و تشقى

أىّ عزّ رأيت أو أىّ ذلّ للذوى الحالتين فى الدهر يبقى

سل نجوم الدّجى إذا ما استنارت ما الذى فى وقت الظّهيرة تلقى

و تفكّر و قل بغير ارتياب كلّ شىء يفنى و ربّك يبقى

و قال أيضا : [الكامل]

لو أنّ أيام الشّباب تعود لى عود النّضارة للقضيب المورق

ما إن بكيت على شباب قد ذوى و بقيت منتظرا لآخر مونق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۵

و قال فى القلم : [الطويل]

لك القلم الأعلى الذى طال فخره و إن لم يكن إلّا قصيرا مجوّفا

تعلّم منه الناس أبدع حكمة فها هو أمضى ما يكون محرّفا

و قال فى التشبيه: [البسيط]

كأنما السّوسن الغضّ الذى افتتحت‌منه كمائمه المبيضّة اللون

بنان كفّ فتاة قطّ ما خضبت‌تلقى بها من يراها خيفة العين

و قال يعرّض بقوم من بنى أرقم: [المتقارب]

إذا ما نزلت بوادى الأشى فقل ربّ من لدغه سلّم

و كيف السلامة فى موطن‌به عصبة من بنى أرقم؟

و قال موريا بالفقه، و هو بديع : [الخفيف]

لى دين على الليالى قديم‌ثابت الرّسم منذ خمسين حجّه

أفأعدى بالحكم بعد عليها ؟أم لها فى تقادم الدّهر حجّه؟

و نختم مقطوعاته بقوله : [الطويل]

نجوت بفضل اللّه ممّا أخافه‌و لم لا و خير العالمين شفيع؟

و ما ضعت فى الدنيا بغير شفاعة‌فكيف إذا كان الشفيع أضيّع؟

و قال أيضا: [الطويل]

عليك بتقوى اللّه فيما ترومه‌من الأمر تخلص بالمرام و بالأجر

و لا ترج غير اللّه فى نيل حاجة‌و لا دفع ضرّ فى سرار و لا جهر

فمن أمّ غير اللّه أشرك عاجلا‌و فارقه إيمانه و هو لا يدرى

وفاته: توفى قاضيا ببرجة، و سيق إلى غرناطة، فدفن بباب إلبيرة عصر يوم الأربعاء آخر يوم من ربيع عام خمسة و أربعين و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۶

خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبى خالد البلوى

من أهل قنتورية ، من حصون وادى المنصورة.

حاله: هذا الرجل من أهل الفضل و السذاجة، كثير التواضع، منحطّ فى ذمّة التّخلّق، نابه الهيئة، حسن الأخلاق، جميل العشرة، محبّ فى الأدب؛ قضى ببلده و بغيره، و حجّ و قيّد رحلته فى سفر، وصف فيه البلاد و من لقى، بفصول جلب أكثرها من كلام العماد الأصبهانى، و صفوان و غيرهما، من ملح. و قفل إلى الأندلس، و ارتسم فى تونس فى الكتابة عن أميرها زمانا يسيرا؛ و هو الآن قاض ببعض الجهات الشرقية.

و جرى ذكره فى الرّحلة التى صدرت عنى فى صحبة الرّكاب السلطانى عند تفقّد البلاد الشرقية؛ فى فصل حفظه الناس، و أجروه فى فكاهاتهم و هو:

«حتى إذا الفجر تبلّج، و الصّبح من باب المشرق تولّج، عدنا و توفيق اللّه قائد، و كنفنا من عنايته صلة و عائد، تتلقّى ركابنا الأفواج، و تحيّينا الهضاب و الفجاج إلى قنتورية، فناهيك من مرحلة قصيرة كأيام الوصال، قريبة البكر من الآصال، كان المبيت بإزاء قلعتها السّامية الارتفاع، الشهيرة الامتناع؛ و قد برز أهلها فى العديد و العدّة؛ و الاحتفال الذى قدم به العهد على طول المدّة، صفوفا بتلك البقعة خيلا و رجلا كشطرنج الرّقعة، لم يتخلّف ولد عن والد، و ركب قاضيها ابن أبى خالد؛ و قد شهرته النّزعة الحجازيّة، و قد لبس من الحجازىّ، و أرخى من البياض طيلسانا، و تشبّه بالمشارقة شكلا و لسانا، و صبغ لحيته بالحنّاء و الكتم ، و لاث عمامته و اختتم، و البداوة تسمه على الخرطوم، و طبع الماء و الهواء يقوده قود الجمل المخطوم، فداعبته مداعبة الأديب للأديب؛ و الأريب للأريب، و

خيّرته بين خصلتين، و قلت: نظمت مقطوعتين، إحداهما مدح؛ و الأخرى قدح؛ فإن همت ديمتك، و كرمت شيمتك، فللذين أحسنوا الحسنى، و إلّا فالمثل الأدنى. فقال: أنشدنى لأرى على أىّ امرئ أتيت، و أفرق بين ما جنّيتنى و ما جنيت، فقلت: [الكامل]

قالوا و قد عظمت مبرة خالدقارى الضيوف بطارف و بتالد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۷ ما ذا تممت به فجئت بحجّةقطعت بكل مجادل و مجالد

أن يفترق نسب يؤلّف بيناأدب أقمناه مقام الوالد

و أما الثانية فيكفى من البرق شعاعه، و حسبك من شرّ سماعه. و يسير التنبيه كاف للنّبيه؛ فقال: لست إلى قراى بذى حاجة، و إذا عزمت فأصالحك على دجاجة؛ فقلت: ضريبة غريبة، و مؤنة قريبة؛ عجّل و لا تؤجّل، و إن انصرم أمد النهار فأسجل؛ فلم يكن إلّا كلّا و لا، و أعوانه من القلعة تنحدر، و البشر منهم بقدومها يبتدر، يزفّونها كالعروس فوق الرّءوس، فمن قائل يقول: أمّها يمانيّة، و آخر يقول: أخوها الخصىّ الموجّه إلى الحضرة العليّة، و أدنوا مرابطها من المضرب، بعد صلاة المغرب، و ألحفوا فى السؤال، و تشطّطوا فى طلب النّوال؛ فقلت: يا بنى اللّكيعة جئتم ببازى، بماذا كنت أجازى، فانصرفوا و ما كادوا يفعلون، و أقبل بعضهم على بعض يتلاومون؛ حتى إذا سلّت لذبحها المدى، و بلغت من طول أعمارها المدى، قلت: يا قوم، ظفرتم بقرّة العين، و أبشروا باقتراب اللقاء فقد ذبحت لكم غراب البين».

و لقد بلغنى أنه لهذا العهد بعد أن طال المدى، يتظلّم من ذلك، و ينطوى من أجله على الوجدة؛ فكتبت إليه: وصل اللّه عزّة الفقيه النّبيه، العديم النظير و النّشبيه؛ وارث العدالة عن عمّه و ابن أبيه، فى عزّة تظلّله، و ولاية تتوّج جاهه و تكلّله.

داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان ابن عمر بن حوط اللّه الأنصارى الحارثى الأندى

يكنى أبا سليمان.

أوّليته: قال الأستاذ أبو جعفر بن الزبير: من بيت علم و عفاف، أصله من أندة ، حصن بشرقى الأندلس، و انتقل أبو سليمان هذا مع أخيه أبى محمد إلى حيث يذكر بعد.

حاله: قال ابن عبد الملك: كان حافظا للقراءة، عارفا بإقراء القرآن بها، أتقن ذلك عن أبيه، ثم أخيه كبيره أبى محمد، محدّثا متّسع الرواية، شديد العناية بها، كثير

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۸

السّماع، مكثرا، عدلا، ضابطا لما ينقله، عارفا بطرق الحديث. أطال الرّحلة فى بلاد الأندلس، شرقها و غربها، طالبا العلم بها، و رحل إلى سبتة و غيرها من بلاد الأندلس العدوية . و عنى بلقاء الشيوخ كبارا و صغارا و الأخذ منهم أتمّ عناية، و حصل له بذلك ما لم يحصل لغيره. و كان فهيما بصيرا بعقد الشروط، حاذقا فى استخراج نكتها، تلبّس بكتبها زمانا طويلا بمسجد الوحيد من مالقة، و كان محبّا فى العلم و أهله، حريصا على إفادته إيّاهم، صبورا على سماع الحديث، حسن الخلق، طيّب النفس، متواضعا، ورعا، منقبضا، ليّن الجانب، مخفوض الجناح، حسن الهدى، نزيه النفس، كثير الحياء، رقيق القلب، تعدّد الثّناء عليه من الجلّة.

قال ابن الزّبير: كان من أهل العدالة و الفضل، و حسن الخلق، و طيب النفس و التّواضع، و كثرة الحياء. و قال ابن عبد المجيد: كان ممّن فضّله اللّه بحسن الخلق و الحياء على كثير من العلماء. و قال أبو عبد اللّه بن سلمة مثل ذلك. و قال ابن ...

بمثله.

مشيخته: قال الأستاذ: أقرأ بمرسية، و أخذ بها، و بقرطبة، و مالقة، و إشبيلية، و غرناطة و سبتة، و غيرها من بلاد الأندلس، و غرب العدوة، و اعتناؤه يعينه و أخاه بباب الرّواة، و الأخذ عن الشيوخ، حتى اجتمع لهما ما لم يجتمع لأحد من أهل عصرهما؛ فمن ذلك أبوهما أبو داود، و أبو الحسن صالح بن يحيى بن صالح الأنصارى، و أبو القاسم بن حسن، و أبو عبد اللّه بن حميد، و أبو زيد

السّهيلى، و أبو عبد اللّه محمد بن محمد بن عراق الغافقى، و أبو العباس يحيى بن عبد الرحمن المجريطى، و عن ابن بشكوال. و أخذ عن أبى بكر بن الجد، و أبى عبد اللّه بن زرقون، و أبى محمد بن عبد اللّه، و أبى عبد اللّه بن الفخّار الحافظ، و أبى العباس بن مضاء، و أبى محمد بن بونة، و أبى محمد بن عبد الصمد بن يعيش الغسّانى، و أبى بكر بن أبى حمزة، و أبى جعفر بن حكم الزاهد، و أبى خالد بن يزيد بن رفاعة، و أبى محمد عبد المنعم بن الفرس، و أبى الحسن بن كوثر، و أبى عبد اللّه بن عروس، و أبى بكر بن أبى زمنين، و أبى محمد بن جمهور، و أبى بكر بن النّيار، و أبى الحسن بن محمد بن عبد العزيز الغافقى الشّقورى، و أبى القاسم الحوفى القاضى، و أبى بكر بن بيبش بن محمد بن بيبش العبدرى، و أبى الوليد بن جابر بن هشام الحضرمى، و أبى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۸۹

بكر بن مالك الشّريشى، و أبى عبد اليسر الجزيرى، و أبى بكر بن عبد اللّه السكسكى، و أبى الحجاج ابن الشيخ الفهرى، و غيرهم ممّن يطول ذكرهم.

قضاؤه و سيرته فيه: قال ابن أبى الربيع: لازمت ابنى حوط اللّه، فكان أبو محمد يفوق أخاه و الناس فى العلم، و كان أبو سليمان يفوق أخاه و الناس فى الحلم.

و استقضى بسبتة و ألمريّة و الجزيرة الخضراء، و قام قاضيا بها مدة، ثم نقل منها إلى قضاء بلنسية آخر ثمان و ستمائة، ثم صرف بأبى القاسم بن نوح، و قدّم على القضاء بمالقة فى حدود إحدى عشرة و ستمائة، فشكرت أحواله كلها، و عرف فى قضائه بالنّزاهة. قال أبو عبد اللّه بن سلمة: كان إذا حضر خصوم، ظهر منه من التواضع، و وطأة الأكناف، و تبيين المراشد، و الصبر على المداراة، و الملاطفة، و تحبيب الحقّ، و تكريه الباطل، ما يعجز عنه. و لقد حضرته. و قد أوجبت الأحكام عنده الحدود على رجل، فهاله الأمر، و ذرفت عيناه، و أخذ يعتب عليه و يؤنّبه على أن ساق نفسه إلى هذا، و أمر بإخراجه ليحدّ بشهود فى موضع آخر لرقّة نفسه، و شدّة إشفاقه. و استمرّت ولايته بمالقة إلى أن توفى.

مولده: ببلدة أندة سنة ستين و خمسمائة .

وفاته: قال أبو عبد الرحمن بن غالب: توفى إثر صلاة الصبح من يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة إحدى و عشرين و ستمائة، و دفن إثر صلاة العصر يوم وفاته، بسفح جبل فاره ، فى الروضة المدفون بها أخوه أبو محمد، فأتبعه الناس ثناء جميلا؛ ذكر، و اختلفوا فى جنازته، و خرج إليها النساء و الصبيان داعين متبكّين.

رضوان النّصرى الحاجب المعظّم

اشارة

حسنة الدولة النصرية، و فخر مواليها.

أوّليّته: رومىّ الأصل، أخبرنى أنه من أهل القلصادة ، و أن انتسابه يتجاذبه القشتالية من طرف العمومة، و البرجلونيّة من طرف الخؤولة، و كلاهما نبيه فى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۹۰

قومه، و أن أباه ألجأه الخوف بدم ارتكبه فى محلّ أصالته من داخل قشتالة إلى السّكنى بحيث ذكر. و وقع عليه سباء فى سنّ الطفوليّة، و استقرّ بسببه بالدار السلطانية، و محض إحراز رقّه، السلطان دايل قومه، أبو الوليد المارّ ذكره، فاختصّ به، و لازمه قبل تصيير الملك إليه، مؤثرا له مغتبطا بمخايل فضله، و تماثل استقامته، ثم صيّر الملك إليه فتدرّج فى معارج حظوته، و اختصّ بتربية ولده، و ركن إلى فضل أمانته، و خلطه فى قرب الجوار بنفسه، و استجلى الأمور المشكلة بصدقه، و جعل الجوائز السّنيّة لعظماء دولته على يده، و كان

يوجب حقّه و يعرف فضله، إلى أن هلك، فتعلّق بكنف ولده، و حفظ شمله، و دبّر ملكه، فكان آخر اللّخف، و سترا للحرم، و شجى للعدا، و عدّة فى الشّدة، و زينا فى الرّخاء، رحمة اللّه عليه.

حاله وصفته: كان هذا الرجل مليح الشّيبة و الهيئة، معتدل القدّ و السّحنة، مرهب البدن، مقبل الصورة، حسن الخلق، واسع الصدر، أصيل الرأى، رصين العقل، كثير التجمّل، عظيم الصبر، قليل الخوف فى الهيعات ، ثابت القدم فى الأزمات، ميمون النّقيبة ، عزيز النّفس، عالى الهمّة، بادى الحشمة، آية فى العفّة، مثلا فى النزاهة، ملتزما للسّنّة، دؤوبا على الجماعة، جليس القبلة؛ شديد الإدراك مع السكون، ثاقب الذّهن مع إظهار الغفلة؛ مليح الدّعابة مع الوقار و السكينة، مستظهرا لعيون التاريخ، ذاكرا للكثير من الفقه و الحديث، كثير الدّالّة على تصوير الأقاليم و أوضاع البلاد، عارفا للسياسة، مكرما للعلماء، متركا للهوادة، قليل التصنّع، نافرا من أهل البدع؛ متساوى الظاهر و الباطن، مقتصدا فى المطعم و الملبس.

مكانته من الدين: اتّفق على أنه لم يعاقر مسكرا قطّ و لا زنّ بهناة، و لا لطخ بريبة، و لا وصم بخلّة تقدح فى منصب، و لا باشر عقاب جاز، و لا أظهر شفاء من غائظ، و لا اكتسب من غير التّجر و الفلاحة مالا.

آثاره: أحدث المدرسة بغرناطة، و لم تكن بها بعد، و سبّب إليها الفوائد، و وقف عليها الرّباع المغلّة، و انفرد بمنقبها ، فجاءت نسيجة وحدها بهجة و صدرا و ظرفا و فخامة، و جلب الماء الكثير إليها من النهر، فأبّد سقيه عليها، و أدار السّور

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۹۱

الأعظم على الرّبض الكبير المنسوب للبيّازين، فانتظم منه النّجد و الغور، فى زمان قريب، و شارف التمام إلى هذا العهد. و بنى من الأبراج المنيعة فى مثالم الثّغور و روابى مطالعها المنذرة، ما ينيف على أربعين برجا، فهى ماثلة كالنجوم ما بين البحر الشرقى من ثغر بيرة ، إلى الأحواز العربية. و أجرى الماء بجبل مورور، مهتديا إلى ما خفى على من تقدّمه، و أفذاذ أمثال هذه الأنقاب يشقّ تعداده.

جهاده: غزا فى السادس و العشرين من محرم عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة بجيش مدينة باغة ، و هى ما هى من الشّهرة، و كرم البقعة، فأخذ بمخنّقها، و شدّ حصارها، و عاق الصريخ عنها، فتملّكها عنوة، و عمّرها بالحماة، و رتّبها بالمرابطة، فكان الفتح فيها عظيما. و فى أوائل شهر المحرم من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة غزا بالجيش عدو المشرق، و طوى المراحل مجتازا على بلاد قشتالة، لورقة، و مرسية، و أمعن فيها.

و نازل حصن المدوّر، و هو حصن أمن غائلة العدو، مكتنف بالبلاد، مدّ بالبسينى ، موضوع على طيّة التجارة، و ناشبه القتال، فاستولى عنوة عليه منتصف المحرم من العام المذكور، و آب مملوء الحقائب سبيا و غنما.

و غزواته كثيرة، كمظاهرة الأمير الشهير أبى مالك على منازلة جبل الفتح، و ما اشتهر عنه فيه من الجدّ و الصبر، و أوثر عنه من المنقبة الدّالة على صحة اليقين، و صدق الجهاد، إذ أصابه سهم فى ذراعه و هو يصلّى، فلم يشغله عن صلاته، و لا حمله توقع الإغارة على إبطال عمله.

ترتيب خدمته و ما تخلّل عن ذلك من محنته:

لمّا استوثق أمر الأمير المخصوص بتربيته، محمد، ابن أمير المسلمين أبى الوليد نصر، و قام بالأمر وكيل أبيه الفقيه أبو عبد اللّه محمد بن المحروق، و وقع بينه و بين المترجم عهد على الوفاء و المناصحة، و لم يلبث أن نكبه و قبض عليه ليلة كذا من رجب عام ثمانية و عشرين و سبعمائة، و بعثه ليلا إلى مرسى المنكّب، و اعتقله فى المطبق من قصبتها بغيا عليه، و ارتكب فيه أشنوعة أساءت به العامّة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۹۲

و أنذرت باختلال الحال، ثم أجازه البحر، فاستقرّ بتلمسان، و لم يلبث أن قتل المذكور، و بادر سلطانه الموتور بفرقته عن سدّته، فاستدعاه، فلحق محلّه من هضبة الملك متملّيا ما شاء من عزّ و عناية، فصرفت إليه المقاليد، و نيطت به الأمور، و أسلم إليه الملك، و

أطلقت يده فى المال. و استمرّت الأحوال إلى عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة، و التأث الأمر، و ظهر من سلطانه التنكّر عليه، فعاجله الحمام فخلّصه اللّه منه، و ولى أخوه أبو الحجاج من بعده، فوقع الإجماع على اختياره للوزارة أوائل المحرم من عام أربعة و ثلاثين و سبعمائة، فرضى الكلّ به، و فرحت العامّة و الخاصّة للخطة، لارتفاع المنافسات بمكانه، و رضى الأضداد بتوسّطه، و طابت النفوس بالأمن من غائلته، فتولّى الوزارة و سحب أذيال الملك، و انفرد بالأمر، و اجتهد فى تنفيذ الأحكام، و تقدّم الولاة، و جواب المخاطبات و قوّاد الجيوش، إلى ليلة الأحد الثانى و العشرين من رجب عام أربعين و سبعمائة، فنكبه الأمير المذكور نكبة ثقيلة البرك، هائلة الفجأة من غير زلّة مأثورة، و لا سقطة معروفة، إلّا ما لا يعدم بأبواب الملوك من شرور المنافسات، و دبيب السّعايات الكاذبة. و قبض عليه بين يدى محراب الجامع من الحمراء إثر صلاة المغرب، و قد شهر الرّجال سيوفهم فوقه يحفّون به، و يقودونه إلى بعض دور الحمراء، و كبس ثقات السلطان منزله، فاستوعبوا ما اشتمل عليه من نعمة، و ضمّ إلى المستخلص عقاره، و سوّغ الخبر عظيم غلاته. ثم نقل بعد أيام إلى قصبة ألمرية محمولا على الظّهر، فشدّ بها اعتقاله، و رتّب الحرس عليه إلى أوائل شهر ربيع الثانى من عام أحد و أربعين و سبعمائة، فبدا للسلطان فى أمره و اضطر إلى إعادته. و وجد فقد نصحه، و أشفق لما عدم من أمانته، و الانتفاع برأيه، و عرض عليه بما لنوم الكفّ و الإقصار عن ضرّه، فعفا عنه، و أعاده إلى محلّه من الكرامة، و صرف عليه من ماله، و عرض الوزارة فأباها، و اختار بردّ العافية، و أنس لذّة التخلّى، فقدم لذلك من سدّ الثغور، فكان له اللفظ، و لهذا الرجل المعنى، فلم يزل مفزعا للرأى، محلّى فى العظة على الولاية، كثير الآمل و الغاشى، إلى أن توفى السلطان المذكور غرّة شوّال من عام خمسة و خمسين و سبعمائة، فشعب الشّأى ، و حفظ البلوى، و أخذ البيعة لولده سلطاننا الأسعد أبى عبد اللّه، و قام خير قيام بأمره، و جرى على معهود استبرائه، و قد تحكّمت التجربة، و علت السّنّ، و زادت أنّة الخشية، و قربت من لقاء

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۹۳

اللّه الشّقّة، فلا تسأل عمّا حطّ من خل، و أفاض من عدل، و بذل من مداراة. و حاول عقد السلم، و سدّ أمور الجند على القل، و دامت حاله متصلة على ما ذكر، و سنّه تتوسّط عشر التسعين إلى أن لحق بربّه. و قد علم اللّه أنى لم يحملنى على تقرير سيرته، و الإشادة بمنقبته داعية، و إنما هو قول بالحق، و تسليم لحجّة الفضل، و عدل فى الوصف، و اللّه، عزّ و جلّ، يقول: وَ إِذا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا .

وفاته: فى ليلة الأربعاء الثامن و العشرين من رمضان من عام ستين و سبعمائة، طرق منزله بعد فراغه من إحياء ثلث الليل، متبذّل اللّبسة، خالص الطويّة، مقتضيا للأمن، مستشعرا للعافية، قائما على المسلمين بالكلّ، حاملا للعظيمة، و قد بادره الغادرون بسلطانه، فكسروا غلقه بعد طول معالجة، و دخلوا عليه و قتلوه بين أهله و ولده، و ذهبوا إلى الدايل برأسه، و فجعوا الإسلام، بالسائس الخصيب المتغاضى، راكب متن الصبر، و مطوق طوق النزاهة و العفاف، و آخر رجال الكمال و الستر، الضافى على الأندلس، و لوثم من الغد بين رأسه و جسده، و دفن بإزاء لحود مواليه من السبيكة ظهرا. و لم يشهد جنازته إلّا القليل من الناس، و تبرّك بعد بقبره. و قلت عند الصلاة عليه، أخاطبه دون الجهر من القول لمكان التقية: [الطويل]

أ رضوان، لا توحشك فتكة ظالمفلا مورد إلّا سيتلوه مصدر

و للّه سرّ فى العباد مغيّبيشهّد بخافيه القضاء المقدّر

سميّك مرتاح إليك مسلّمعليك و رضوان من اللّه أكبر

فحثّ المطا ليس النعيم منغّصو لا العيش فى دار الخلود مكدّر

زاوى بن زيرى بن مناد الصّنهاجى

اشارة

الحاجب المنصور، يكنى أبا مثّنى.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۹۴

أوّليّته: قد مرّ ما حدث بين أبيه زيرى و بين قرابته من ملوك إفريقية، و باديس بن منصور من المشاحنة التى أوجبت مخاطبة المظفر بن أبى عامر فى اللّحاق بالأندلس، و إذنه فى ذلك، فدخل الأندلس منهم على عهده جماعة وافرة من مساعير الحروب و آثار الحتوف، مع شيخهم هذا و أميرهم، و دخل منهم معه أبناء أخيه ماكسن و حباسة و حبّوس، و قاموا فى جملة المظفّر، و زاوى مخصوص باسم الحجابة؛ فلمّا اختلّ بناء الخلافة، بمحمد بن عبد الجبار الملقّب بالمهدى، أذلّهم و تنكّر لهم، و أشاع بينهم و بين أمثالهم من البرابر، المغايرة، فكان ذلك سبب الفتنة التى يسمّيها أهل الأندلس بالبربرية؛ فانحاشوا، و نفروا عهده، و بايعوا سليمان بن الحكم، و استعانوا بالنصارى، و حرّكوا على أهل قرطبة خصوصا، و على أهل الأندلس عموما، ما شاء اللّه من استباحة، و إهلاك النفوس، و غلبوا على ملك الأندلس، و ما وراء البيضة، و اقتسموا أمّهات الأقطار، و انحازوا إلى بلاد تضمّهم، فانحازت صنهاجة مع رئيسهم المذكور إلى غرناطة، فأووا إليها، و اتخذوها ملجأ، و حماها زاوى المذكور، و أقام بها ملكا، و أثّل بها سلطانا لذويه، فهو أوّل من مدّن غرناطة، و بناها و زادها تشييدا و منعة، و اتصل ملكه بها، و ارتشحت عروقه، إلى أن كان من ظهوره بها و أحوازها، على عساكر الموالى، الراجعين بإمامهم المرتضى إلى قرطبة، البادين بقتاله، و الآخذين بكظمه، بما تقرّر و يتقرّر فى اسم المرتضى، من باب المحمّدين.

و كان زاوى كبش الحروب، و كاشف الكروب، خدم قومه شهير الذّكر أصيل المجد، المثل المضروب فى الدهاء، و الرأى، و الشجاعة، و الأنفة، و الحزم.

قال بعضهم: أحكم التدبير، و الدولة تسعده، و المقادر تنجده، و حكيت له فى الحروب حكايات عجيبة.

بعض أخباره فى الرأى: قال أبو مروان: و قد مرّ ذكر الفتنة البربرية؛ لمّا خلص ملأ القوم، لتشاور أميرهم، و هم فرض فى خروجهم من قرطبة، عندما انتهوا إلى فحص هلال، و اجتمعوا على التّأسّى، و ضرب لهم زعيمهم زاوى بن زيرى بن مناد الصّنهاجى، مثلا بأرماح خمسة جمعها مشدودة، و دفعها لأشدّ من حضره منهم، و قال: اجهد نفسك فى كسرها كما هى و أغمزها، فعالج ذلك فلم

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۹۵

يقدر عليه، فقال له: حلّها و عالجها رمحا رمحا، فلم يبعد عليه دقّها، فأقبل على الجماعة، فقال: هذا مثلكم يا برابرة، إن جمعتم لم تطاقوا، و إن تفرّقتم لم تبقوا، و الجماعة فى طلبكم، فانظروا لأنفسكم و عجّلوا، فقالوا: نأخذ بالوثيقة، و لا نلقى بأيدينا إلى التهلكة، فقال لهم: بايعوا لهذا القرشى سليمان، يرفع عنكم الأنفة فى الرياسات، و تستميلون إليه العامّة بالجنسية، ففعلوا، فلمّا تمّت البيعة قال: إن مثل هذا الحال لا يقوى على أهل الاستطالة، فيقيّد له رئيس كل قبيلة منكم، قبيلة يتكفّل السلطان بتقويمهم، و أنا الكفيل بصنهاجة، قال: و امتارت بطون القبائل على أرحامها، و قبائلها إلى أفخاذها و فصائلها، فاجتمع كل فريق منهم على تقديم سيّده، فاجتمعت صنهاجة على كبيرها زاوى، و لم تزل تلك القبائل المتألّفة بالأندلس لطاعة أميرها، المنادين له إلى أن أورثوهم الإمارة.

التوقيع: قالوا : و لمّا نازله المرتضى الذى أجلب به الموالى العامريين بظاهر غرناطة، خاطبه بكتاب يدعوه فيه إلى طاعته، و أجمل موعده فيه؛ فلما قرىء على زاوى قال لكاتبه: اكتب على ظهر رقعته: قُلْ يا أَيُّهَا الْكافِرُونَ (۱) السورة . فلمّا بلغت المرتضى أعاد عليه كتابا يعده فيه بوعيده، فلمّا قرىء على زاوى، قال: ردّ عليه: أَلْهاكُمُ التَّكاثُرُ (۱) إلى آخرها، فازداد المرتضى غيظا، و ناشبه القتال، فكان الظّهور لزاوى.

قال المؤرّخ : و اقتتلت صنهاجه مع أميرهم مستميتين لما دهمهم من بحر العساكر، على انفرادهم و قلّة عددهم، إلى أن انهزم أهل الأندلس، و طاروا على وجوههم، مسلموهم و إفرنجهم، لا يلوون على أحد، فأوقع البرابر بهم السيف، و نهبوا تلك المحلّات، و احتووا على ما لا كفاء له اتساعا و كثرة؛ ظلّ الفارس يجىء من أتباع المنهزمين و معه العشرة، و لا تسل عمّا دون ذلك من فاخر النّهب، و

خير الفساطيط، و مضارب الأمراء و الرؤساء.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۹۶

قال ابن حيّان : فحلّ بهذه الوقيعة على جماعة الأندلس مصيبة أنست ما قبلها، و لم يجتمع لهم جمع بعدها و فرّوا بإدبار ، و باؤوا بالصّغار.

منصرفه عن الأندلس:

قال المؤرّخ : و لهول ما عاينه زاوى من اقتدار أهل الأندلس فى أيّام تلك الحروب و جعاجعهم، و إشرافهم على التغلّب عليه، هان سلطانه عنده بالأندلس، و خرج عنها نظرا إلى عاقبة أمره، و دعا بجماعة من قومه لذلك فعصوه، و ركب البحر بجيشه و أهله، فلحق بإفريقية وطنه. قال: فكان من أغرب الأخبار فى الدولة الحمّودية انزعاج ذلك الشيخ زاوى عن سلطانه بعد ذلك الفتح العظيم الذى ناله على أهل الأندلس، و عبوره البحر بعد أن استأذن ابن عمّه المعز بن باديس، فأذن له.

و حرص بنو عمّه بالقيروان، على رجوعه لهم لحال سنّه، و تقريبهم يومئذ من مثله من مشيختهم لمهلك جميع إخوتهم، و حصوله هو على مقرّر بنى مناد، الغريب الشأن ، فى أن لا تحجب عنهم نساؤهم و كنّ زهاء ألف امرأة فى ذلك الوقت، هنّ ذوات محرم من بنات إخوته و بناتهنّ و بنى بنيهنّ. و كان رحيل زاوى عن الأندلس سنة عشر و أربعمائة. قال ابن حيّان : و أخبار هذا الداهية كثيرة، و أفعاله و نوادره مأثورة.

زهير العامرىّ، فتى المنصور بن أبى عامر

حاله: كان شهما داهية، سديد المذهب، مؤثرا للأناة، ولى بعد خيران صاحب ألمريّة، و قام بأمره أحمد قيام، سنة تسع عشرة و أربعمائة، يوم الجمعة لثلاث

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۹۷

خلون من جمادى الأولى. و كان أميرا بمرسية، فوجّه عنه خيران حين أحسّ بالموت، فوصل إليه، و كان عنده إلى أن مات. فخرج زهير مع ابن عباس إلى الناس، فقال لهم: أمّا الخليفة خيران فقد مات، و قد قدّم أخاه زهيرا هذا، فما تقولون؟ فرضى الناس به، فدامت مدة ولايته عشرة أعوام و نصف عام إلى أن قتل.

مناقبه: قال أبو القاسم الغافقى : و كان حسن السّيرة جميلها؛ بنى المسجد فى ألمريّة، و دار فيه من جهاته الثلاث، المشرق و المغرب و الجوف؛ و بنى مسجدا ببجّانة، و شاور الفقهاء، و عمل بقولهم؛ و ملك قرطبة، و دخل قصرها، يوم الأحد لخمس بقين من شعبان سنة خمس و عشرين و أربعمائة، و دام سلطانه عليها خمسة عشر شهرا و نصف شهر.

قال ابن عذارى : و أما زهير الفتى فامتدّت أطناب مملكته من ألمريّة إلى قرطبة و نواحيها، و إلى بيّاسة، و إلى الفجّ من أول طليطلة. و قالوا : قرّ ما بينه و بين باديس فأرسل باديس إلى زهير رسوله مكاتبا مستدعيا تجديد المحالفة، فسارع زهير، و أقبل نحوه، و ضيّع الحزم، و اغترّ بالعجب، و وثق بالكثرة، أشبه شىء بمجىء الأمير الضخم إلى عامل من عمّاله، قد ترك رسم الالتقاء بالنّظراء و غير ذلك من وجوه الحزم، و أعرض عن ذلك كله؛ و أقبل ضاربا بسوطه، حتى تجاوز الحدّ الذى جرت العادة بالوقوف عنده من عمل باديس دون إذنه؛ و صيّر الأوعار و المضايق خلف ظهره، فلا يفكّر فيها، و اقتحم البلد، حتى صار إلى باب غرناطة. و لمّا وصل خرج باديس فى جمعه، و قد أنكر اقتحامه عليه، و عدّه حاصلا الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج ۱ ؛ ص۲۹۷

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۲۹۸

فى قبضته؛ فبدأه بالجميل و التّكريم، و أوسع عليه و على رجاله فى العطاء و القرى و التعظيم بما مكّن اغترارهم، و ثبّت طمأنينتهم. و

وقعت المناظرة بين زهير و باديس ، و من حضرهما من رجال دولتيهما، فنشأ بينهما عارض الخلاف لأول وهلة، و حمل زهير أمره على التّشطّط، فعزم باديس على اللقاء و وافقه عليه قوم من خدّامه، فأقام المراتب، و نصب الكتائب، و قطع قنطرة لا محيد عنها لزهير، و الحائن لا يشعر؛ و غاداه عن تعبئة محكمة، فلم يرعه إلّا رجّة القوم راجعين، فدهش زهير و أصحابه، إلّا أنه أحسن تدبير الثبات لو استتمّه، و قام فنصب الحرب، و ثبت فى قلب العسكر، و قدّم خليفته هذيلا فى وجوه أصحابه إلى الموالى، فلمّا رأتهم صنهاجة، علموا أنهم الحماة و الشّوكة ، و متى حصدوا لم يثبت من وراءهم، فاختلطوا بهم ، و اشتدّ القتال، فحكم اللّه لأقلّ الطائفتين من صنهاجة ليرى اللّه قدرته، فانهزم زهير و أصحابه و تقطّعوا، و عمل السيف فيهم فمزّقوا، و قتل زهير، و جهل مصرعه؛ و غنم رجال باديس من المال و المرافق و الأسلحة و الحلية و العدّة و الغلمان و الخيام ، ما لا يحاط بوصفه. و كانت وفاة زهير يوم الجمعة عقب شوّال، سنة تسع و عشرين و أربعمائة بقرية ألفنت خارج غرناطة.

طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة

يكنى أبا محمد.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۲۹۹

حالهم: كانوا عيونا من عيون الأدب بالأندلس، ممّن اشتهروا بالظرف، و السّرو و الجلالة. و قال أبو الحسن بن بسّام و قد ذكر أبا بكر منهم، فقال : أحد فرسان الكلام ، و حملة السيوف و الأقلام، من أسرة أصالة، و بيت جلالة، أخذوا العلم أولا عن آخر، و ورثوه كابرا عن كابر. ثلاثة كهقعة الجوزاء، و إن أربوا عن الشهر فى السّنا و السناء . كتب أبو محمد عبد العزيز و أخواه عن ملك لمتونة، و دخلوا معه غرناطة. ذكر ذلك غير واحد. و اجتزأت بذكر أبى محمد، و أتبعه أخويه اختصارا.

شعره: من شعر أبى محمد، قوله فى الاستدعاء : [المتقارب]

هلمّ إلى روضنا يا زهر ولح فى سماء المنى يا قمر

و فوّق إلى الأنس سهم الإخاءفقد عطّلت قوسه و الوتر

إذا لم تكن عندنا حاضرافما بغصون الأمانى ثمر

وقعت من القلب وقع المنىو حزت من العين حسن الحور

قال أبو نصر : بات مع أخويه فى أيام صباه، و استطابة جنوب الشّباب و صباه، بالمنية المسمّاة بالبديع، و هى روض كان المتوكل يكلف بموافاته، و يبتهج بحسن صفاته، و يقطف ريحانه و زهره، و يقف عليه إغفاءه و سهره، و يستفزّه الطرب متى ذكره، و ينتهز فرص الأنس فيه روحاته و بكره، و يدير حميّاه على ضفة نهره، و يخلع سرّه فيه لطاعة جهره، و معه أخواه، فطاردوا اللذّات حتى أنضوها، و لبسوا برود السرور فما نضوها، حتى صرعتهم العقار، و طلّحتهم تلك

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۰۰

الأوقار ؛ فلمّا همّ رداء الفجر أن يندى، و جبين الصبح أن يتبدّى ، قام الوزير أبو محمد فقال : [الخفيف]

يا شقيقى وافى الصّباح بوجه ستر اللّيل نوره و بهاؤه

فاصطبح، و اغتنم مسرّة يومٍلست تدرى بما يجىء مساؤه

ثم استيقظ أخوه أبو بكر فقال: [الخفيف]

يا أخى، قم تر النّسيم عليلاباكر الرّوض و المدام شمولا

فى رياض تعانق الزّهر فيهامثل ما عانق الخليل خليلا

لا تنم و اغتنم مسرّة يومإنّ تحت التّراب نوما طويلا

ثم استيقظ أخوهما أبو الحسن و قد ذهب من عقله الوسن، فقال: [البسيط]

يا صاحبىّ ذرا لومى و معتبتىقم نصطبح قهوة من خير ما ذخروا

و بادرا غفلة الأيّام و اغتنمافاليوم خمر و يبدو فى غد خبر

و قال أبو بكر فى بقرة أخذها له الرنق صاحب قلمورية، و قد أعاد أرضه : [الطويل]

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۰۱ و أفقدنيها الرّنق أمّا حفيّةإذا هى ضفّت ألّفت بين رفدين

تعنّفنى أمّى على أن رثيتهابشعرى و أن أتبعتها الدّم من عينى

لها الفضل عندى أرضعتنى أربعا و بالرغم ما بلّغتنى رأس عامين

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر

الرئيس المتوثّب على الملك، و حىّ كرسى الإمارة، و عاقد صفقة الخسران المبين، يكنى أبا عبد اللّه.

أوّليّته: معروفة.

حاله: «من نفاضة الجراب» و غيره: كان شيطانا، ذميم الخلق، حرفوشا، على عرف المشارقة، مترامیا للخسائس، مألفا للدّعرة و الأجلاف و السّوّار و أولى الريب، خبيثا كثير النّكر، منغمسا فى العهن، كلفا بالأحداث، متقلبا عليهم فى الطرق، خليع الرّسن، ساقط الحشمة، كثير التّبذّل، قوّاد عصبة كلاب، معالجا لأمراضها، مباشرا للصّيد بها، راجلا فى ثياب منتاب الشّعر من الجلود و السوابل و الأسمال؛ عقد له السلطان على بنته لوقوع القحط فى رجال بيتهم، و نوّهه بالولاية، و أركبه، و أغضى له عن موبقات تقصر به، إلى أن هلك؛ و حاد الأمر عن شقيق زوجه، و استقرّ فى أخيه، و ثقل على الدولة، لكراهة طلعته، و سوء الأحدوثة به، فأمر بترك المباشرة، و الدخول للقلعة، و أذن له فى التّصرف فى البلد و الفحص، و أبقيت عليه النعمة، فداخل أمّ زوجه، و ضمن لها تمام الأمر لولدها، و أمدّته بالمال، فنظر من المساعير شيعة، من كسرة الأغلاق، و قتلة الزقاق، و مختلسى البضائع، و مخيفى السّابلة، و استضاف من أسافلة الدولة، من آسفته بإقصار قصد، أو مطل وعد، أو حطّ رتبة، أو عزل عن ولاية، فاستظهر منهم بعدد و لا، كالشّقىّ الدّليل المورورى، الغريب الطّور، و إبراهيم بن أبى الفتح المنبوذ بالإضليع، قريع الجهل، و مستور العظيمة، و ارتادوا عورة القلعة فاهتدوا منها إلى ما شاؤوا و تألّفوا بخارج. ثم تسلّلوا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۰۲

ببطن الوادى المعروف ب «هدارّه»، إلى أن لصقوا بجناح السّور الصّاعد، الراكبة قوسه جرية النهر، و صعدوا مساوقين جناحه المتّصل بسور القلعة، و قد نقص كثير من ارتفاعه، لحدثان إصلاح فيه، فتسوّروه عن سلّم، و دافع بعض محاربيهم بعضا فى استباق أدراجه، فدخلوا البلد فى الثّلث الأخير من ليلة الأربعاء الثامن و العشرين لرمضان عام ستين و سبعمائة، ثم استغلظوا بالمشاعل، و قتلوا نائب الملك رضوانا النّصرى، سايس الأمر، و بقيّة المشيخة، و استخرجوا السلطان الذى هو يزيفه، فنصبوه للناس، و تمّ الأمر، بما دلّ على احتقار الدنيا عند اللّه؛ و انخرط هذا الخبّ فى طور غريب من التنزّل للسلطان، و الاستخدام لأمّه، و التهالك فى نصحه، و خلط نفسه فيه، و تبذّل فى خدمته؛ يتولّى له الأمور، و يمشى فى زىّ الأشراط بين يديه، و يتأتّى لشهواته، و يتظاهر بحراسته. و لمّا علم أن الأمر يشقّ تصيّره إليه من غير واسطة، بغير انقياد الناس إليه، من غير تدريج كاده ، فألطف الحيلة فى مساعدته على اللذّات، و إغرائه بالخبائث، و شغله بالعهر، و قتله بالشّهوات المنحرفة، و جعل يتبرّأ من دنّيته و ينفق بين الناس من سلع اغتيابه، و يرى الجماهير الإنكار لصنيعه، و يزيّن لهم الاستعاضة منه بعد ما غلظت شوكته، و ضمّ الرجال إلى نفسه موريا بحفظه؛ و الاستظهار على صونه. و فى الرابع من شعبان عام أحد و ستين و سبعماية، ثار به فى محلّ سكناه فى جواره، و استجاش أولياء غدره؛ و كبس منزله، مداخلا للوزير المشؤوم، عاقدا معه صفقة الغدر. و امتنع السلطان بالبرج الأعظم، فاستنزله و قتله، كما مرّ فى اسم المذكور قبل، و استولى على

الملك، فلم يختلف عليه اثنان. و اشتغل طاغية الروم بحرب، كان بينه و بين القطالنيّين ، فتمالأ لمسالمته، فاغتبط الصنيع و تهنّا المنحة، و تشطّط على الروم فى شروط غير معتادة، سامحوه بها مكيدة و استدراجا، و اجتاز أمير المسلمين المصاب بغدره إلى الأندلس، طالبا لحقّه، و مبادرا إلى ردّ أمره، فسقط فى يده، و وجّه الجيش إليه بمثواه من بلد رندة، فانصرف عنها خائبا، و رجع أدراجه، يشكّ فى النجاة، و تفرّغ إليه الطاغية، ففضّ عليه جمّه؛ و قد أجرت عليه شوكته وقيعة نصر اللّه فيها الدّين، و أملى لهذا الوغد، فلم يقله العثرة بعدها، و نازل حصونه المهتضمة، و استولى على كثير منها، و حام فلم يصحر غلوة، و أكذب ما موّه به من البسالة، و ظهر للناس بلبس الصوف، و أظهر التّوبة على سريرة دخلة، و فسق مبين، و قلّ ما بيده، و نفد بيت ماله، فلم يجد شيئا يرجع إليه، من بعد ما سبك الآنية و الحلية، و باع العقار لتبذيره، و سحّه المال سحّا، فى أبواب الأراجيف

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۰۳

و الاختلاف، و البهج بالغنا، فشرف الإنقاب إلى الفرار، و أزمع إلى الانسلال. و عندما تحرّك السلطان إلى غربى مالقة، و نجع أهلها بطاعته و دخلوا فى أمره، و سقط عليه الخبر، اشتمل على الذخيرة جمعاء، و هى التى لم تشتمل خزائن الملوك مطلقا على مثلها، من الأحجار و اللؤلؤ و القصب، و التفّ عليه الجمع المستميت، جمع الضلال و مردّ الغىّ، و خرج عن المدينة ليلة الأربعاء السابع عشر من جمادى الآخرة، و صوّب وجهه إلى سلطان قشتالة؛ مكظوم تجنيه، و موتور سوء جواره، من غير عهد، إلّا ما أمل من التبقّى عنده من التّذميم به، و ضمان إتلاف الإسلام، و استباحة البلاد و العباد بنكرته.

و لمّا استقرّ لديه نزله، تقبّض عليه، و على شرذمته المنيفة على ثلاثمائة فارس من البغاة، كشيخ جنده الغربى إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد اللّه بن عبد الحق، و من سواه؛ تحصّل بسببهم بيد الطّاغية، كلّ ما تسمو إليه الآمال، من جواد فاره، أو منطقة ثقيلة، و سلاح محلّى، و جوشن رفيع، و درع حصينة، و بلبلة منيعة، و بيضة مذهّبة، و بزّة فاخرة، و صامت عتيد، و ذخيرة شريفة، فتنخّل منهم متولّى التسوّر، فجعلهم أسوة رأسهم فى القتل، خرّ بعضهم يومئذ على بعض، فى القتل، و أخذتهم السيوف، فحلّوا بعد الشّهرة، و التمثيل فى أزقّة المدينة، و إشاعة النداء فى الجزيرة، ثانى رجب من العام المؤرّخ به، و ركب أسوق سائرهم الأداهم، و استخلصهم الإسار، و بادر بتوجيه رؤوسهم، فنصبت من فوق العورة التى كان منها تسوّرهم القلعة، فمكثت بها إلى أن استنزلت و وريت؛ و انقضى أمره على هذه الوتيرة مشؤوما دبيرا، لم يمتّعه اللّه بالنعيم، و لا هنّاه سكنى المحلّ الكريم، و لا سوّغه راحة، و لا ملأه موهبة، و لا أقام على فضله حجّة، و لا أعانه على زلفة. إنما كان رئيس السرّاق و عريف الخراب، و إمام الشّرار، ندر يوما فى نفسه، و قد رفعت إلى امرأة من البدو تدّعى أنها سرقت دارها، قال: إن كان ليلا بعد ما سدّ باب الحمراء علىّ و على ناسى، فهى و اللّه كاذبة، إذ لم يبق سارق فى الدنيا، أو فى البلاد، إلّا و قد تحصل خلفه، وقانا اللّه المحن، و ثبّتنا على مستقرّ الرّشد، و لا عاقنا عن جادة الاستقامة.

وزراء دولته: استوزر الوزير المشؤوم ممدّه فى الغىّ، الوغد، الجهول، المرتاش من السرقة، الحقود على عباد اللّه لغير علّة عن سوء العاقبة، المخالف فى الأدب سنن الشريعة، البعيد عن الخير بالعادة و الطبيعة، دودة القزّ، و بغل طاحونة الغدر، و زقّ القطران، محمد بن إبراهيم بن أبى الفتح الفهرى، فانطلقت يده على الإبشار، و لسانه على الأعراض، و عينه على النظر الشّزر، و صدره على التأوّه و الرّين؛

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۰۴

يلقى الرجل كأنه قاتل أبيه، محدّقا إلى كمّيه، يحترش بهما خبيئة، أو يظنّ بهما رشوة، فأجاب اللّه دعاء المضطرين، و رغبات السّائلين، و عاجله بالأخذة الرّابية، و البطشة القاضية؛ فقبض عليه فى ليلة السبت العاشر لرمضان من العام المذكور، و على ابن عمّه العصر فوط و على الحيرا من نواهض بيتهما، و أنفذ الأمر بتعريضهم، فمضى حكم اللّه بهذه المنيّة الفرعونية فيهم، لا تبديل لكلمات اللّه، قاهر الجبابرة، و غالب الغلاب، و جاعل العاقبة للمتّقين.

و استوزر بعده، أولى الناس و أنسبهم إلى دولته، و أحقّهم بمظاهرته، المسوس الجبّار اليأس و الفطرة، المختبل الفكرة، القيل، المرجّس، الحول، الشهير، الضّجر، محمد بن على بن مسعود؛ فيما بلى الناس على طول الحمرة، و انفساح زمان التجربة، أسوأ تدبيرا، و

لا أشرّ معاملة، و لا أبذأ لسانا، و لا أكثر شكوى و معاتبة، و لا أشحّ يدا، و لا أجدب خوانا، من ذلك المشؤوم، بنعق البوم، ينعق بما لا يسمع، و يسرد الأكاذيب، و يسيء السّمع، فيسيء الإجابة، و يقود الجيش فيعود بالخيبة، إلى أن كان الفرار، فصحبه إلى مصرعه؛ و كان ممّن استؤثر به القيد الثقيل، و الأسر الشديد، و العذاب الأليم، عادة بذلك عبد «المالاخوينا»، التى كان يحجب سمتها، زمان ترفيهه، فقضت عليه سيّىء الميتة، مطّرح الجثّة. سترنا اللّه بستره و لا سلبنا فى الحياة و لا فى الممات ثوب عنايته.

كاتب سرّه: صاحبنا الفقيه الأهوج، قصب الريح، و شجرة الخور، و صوت الصّدى، أبو محمد عبد الحق بن عطية، المستبدّ بتدبير الدّبير، خطا فوق الرّقاع الجاهلة، و مسارّة فى الخلوات الفاسقة، و صدعا فوق المنابر الكبيبة، بحلّة لثّ الراية، و يذبّ عنه ذبّ الوالدة، ينتهى فى الاعتذار عن هناته إلى الغايات القاصرة.

قضاته: شيخنا أبو البركات، قيس ليلى القضاء، المخدوع بزخرف الدنيا على الكبرة و العناء، لطف اللّه به، و ألهمه رشده.

شيخ الغزاة على عهده: إدريس بن عثمان بن إدريس بن عبد الحق بن محيو، بقية بيت الدّبرة، و وشيجة الشجرة المجتثّة، عذّب فى الجملة من أهل بيته عند القبض عليهم، و استقرّ فى القبض الأشهب من قبيله بالمغرب، مطلق الإقطاع، مرموقا بعين التجلّة، مكنوفا بشهرة الأدب، إلى أن سعى به إلى السلطان، نسيج وحده، فارس بن على، و استشعر البثّ فطار به الذّعر لا يلوى عنانا، حتى سقط بإفريقيّة، و عبر البحر

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۰۵

إلى ملك برجلونة ، ثم اتّصل بالدولة النصرية، بين إدالة الغدر، و إيالة الشّرّ، فقلّده الدائل مشيخة الغزاة، و نوّه به، فاستراب معزله يحيى بن عمر، ففرّ إلى أرض الروم حسبما يذكر فى اسمه؛ فقام له بهذا الوظيف، ظاهر الشّهرة و الأبّهة، مخصوصا منه بالتجلّة، إلى أن كان ما كان من إزمانه و فراره؛ فوفّى له و صحبه ركابه، و قاسمه المنسجة شقّ الأبلة، و استقرّ بعد قتله أسيرا عانيا علق الدهر، لضنانة العدوّ بمثله، إلى أن أفلت من دون الأغلاق، و شدّ الوثاق. و لحق بالمسلمين فى خبر لم يشتمل كتاب الفرج بعد الشدّة على مثله، و الإغراب منه، يستقرّ فى اسمه إلماع به؛ ثم استقرّ بالمغرب معتقلا، ثم مات رحمه اللّه.

من كان على عهده من الملوك: و أولا- بمدينة فاس دار ملك المغرب، السلطان، الخيّر، الكريم الأبوّة، المودود قبل الولاية، الليّن العريكة، الشهير الفضل فى الحياة، آية اللّه فى إغراب الصّنع، و إغراب الإدبار، أبو سالم إبراهيم بن على بن عثمان بن يعقوب بن عبد الحق، أمير المسلمين، المترجم به فى حرف الألف. و لمّا قتل يوم الحادى و العشرين لذى قعدة من عام اثنين و ستين، قام بالأمر بعده أخوه المتحيّل أبو عامر تاشفين بن على إلى أواخر صفر عام ثلاثة و ستين؛ و لحق بالبلد الجديد، الأمير أبو محمد زيان بن الأمير أبى عبد الرحمن بن على بن عثمان المترجم به فى بابه، ثم المتولّى من عام ثمانية و ستين و سبعمائة السلطان أبو فارس عمّه المؤمّل للمّ الشّعث، و ضمّ النّشر، و تجديد الأمر بحول اللّه، ابن السلطان الكبير المقدّس، أبى الحسن بن سعيد بن يعقوب بن عبد الحق، و هو بعد متّصل الحال إلى اليوم.

و بتلمسان الأمير أبو حمّو، موسى بن يوسف بن عبد الرحمن بن يحيى بن يغمراسن بن زيان.

و بإفريقية الأمير الخليفة على عرفهم، إبراهيم بن أمير المؤمنين أبى يحيى بن حفص.

و بقشتالة، بطره بن الهنشه بن هرانده بن شانجه المصنوع له، ولىّ النعمة منه، و مستوجب الشكر من المسلمين لأجله، بإراحته منهم.

و برغون، بطره بن شانجه.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۰۶

و برندة، مزاحمه بالملك الفخم، أمير المسلمين حقيقة، المرتّب الحقّ، المعقود البيعة، و صاحب الكرّة، و ولىّ حسن العاقبة، مجتثّ شجرته الخبيثة، و صارخ إيالته الدّنيّة، أبو عبد اللّه محمد بن أمير المسلمين أبى الحجاج بن أمير المسلمين أبى الوليد بن نصر.

مولده: مولد هذه النّسمة المشؤومة أول يوم من رجب عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة.

وفاته: توفى قتيلا ممثّلا به بطيلاطة من ظاهر إشبيلية، فى ثانى يوم من رجب عام ثلاثة و ستين و سبعمائة، و سيقت رؤوس أشياعه، الغادرين مع رأسه إلى الحضرة فصلبت بها. و فى ذلك قلت: [السريع]

فى غير حفظ اللّه من هامةهام بها الشّيطان فى كل واد

لا خلّفت ذكرا و لا رحمةفى فم إنسان و لا فى فؤاد

محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف ابن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجى

اشارة

أمير المسلمين بالأندلس بعد أبيه، رحمه اللّه.

أوّليّته: معروفة.

حاله: كان معدودا فى نبلاء الملوك ، صيانة، و عزّا و شهامة، و جمالا، و خصلا؛ عذب الشمائل، حلوا لبقا، لوذعيّا، هشّا، سخيّا؛ المثل المضروب به فى الشجاعة المقتحمة حدّ التهوّر حلس ظهور الخيل، و أفرس من جال على ظهورها ، لا تقع العين، و إن غضّت الميادين، على أدرب بركض الجياد منه، مغرما بالصّيد، عارفا بسمات السّقار و شتات الخيل؛ يحبّ الأدب، و يرتاح إلى الشعر، و ينبّه على العيون، و يلمّ بالنادرة الحارّة. أخذت له البيعة يوم مهلك أبيه، و هو يوم الثلاثاء السابع و العشرين لرجب

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۰۷

من عام خمسة و عشرين و سبعمائة، و ناله الحجب، و اشتملت عليه الكفالة إلى أن شبّ و ظهر، و فتك بوزيره المتغلّب على ملكه، و هو غلام لم يبقل خدّه، فهيب شأنه، و رهبت سطوته، و برز لمباشرة الميادين، و ارتياد المطارد، و اجتلاء الوجوه، فكان ملء العيون و الصدور.

ذكاؤه: حدّثنى القائد أبو القاسم ابن الوزير عبد اللّه بن عيسى وزير جدّه، قال: تذوكر يوما بحضرته تباين قول المتنبى : [المتقارب]

ألا خدّد اللّه ورد الخدودو قدّ قدود الحسان القدود

و قول امرئ القيس : [الطويل]

و إن كنت قد ساءتك منّى خليقةفسلّى ثيابى من ثيابك تنسل

و قول إبراهيم بن سهل : [البسيط]

إنّى له من دمى المسفوك معتذر أقول حمّلته فى سفكه تعبا

فقال، رحمه اللّه، بديهة : بينهما ما بين نفس ملك عربى و شاعر ، و نفس يهودى تحت الذّمّة، و إنما تتنفّس بقدر همّتها ، أو كلاما هذا معناه. و لما نازل مدينة قبرة و دخل جفنها عنوة ، و نال قصبتها، و رماها بالنّفط، و تغلّب عليها، و هى ما هى عند المسلمين، و عند النصارى ، من الشّهرة و الجلالة، بادرناه نهنّئه بما

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۰۸

نسّق له، فزوى وجهه عنّا، و قال: ما ذا تهنّوننى به، كأنكم رأيتم تلك الخرقة بكذا - يعنى العلم الكبير- فى منار إشبيلية ، فعجبنا من بعد همّته، و مرمى عزمه .

شجاعته: أقسم أن يغير على باب مدينة بيّانة فى عدّة قليلة عيّنها الميمن ، فوقع البهت و توقّعت الفاقرة، لقرب الصّريخ، و منعة الحوزة، و كثرة الحامية، و اتصال تخوم البلاد، و وفور الفرسان بذلك الصّقع؛ و تنخّل أهل الحفاظ، و هجم على باب الكفّار نهارا، و انتهى إلى باب المدينة، و قد برزت الحامية، و توقع فرسان الرّوم الكمناء، فأقصروا عن الإحصار، و حمى المسلمون فشدّ عليهم، فأعطوهم

الضّمّة و دخلوا أمامهم المدينة؛ و رمى السلطان أحد الرجال النّاشبة بمزراق كان بيده محلّى السّنان رفيع القيمة، و تحامل يريد الباب فمنع الإجهاز عليه، و انتزاع الرّمح الذى كان يجرّه خلفه، و قال: اتركوه يعالج به رمحه إن كان أخطأته المنيّة، و قد أفلت من أنشوطة خطر عظيم.

جهاده و مناقبه: كان له وقائع فى الكفّار، على قلّة أيامه، و تحرّك و نال البلاد، و فتح قبرة، و مقدّم جيش العدو الذى بيّت بظاهرها و أثخن فيه، و فتح اللّه على يده مدينة باغوة، و تغلب المسلمون على حصن قشتالة، و نازل حصن قشرة بنفسه لدى قرطبة، فكاد أن يتغلّب عليه، لو لا مدد اتّصل للنصارى به. و أعظم مناقبه تخليص جبل الفتح، و قد أخذ الطاغية بكظمه، و نازله على قرب العهد من تملّك المسلمين إياه، و ناخ بكلكله، و هدّ بالمجانيق أسواره، فدارى الطّاغية، و استنزل

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۰۹

عزمه و تحفه ، و لحق فى موضع اختلاله، إلى أن صرفه عنه، و عقد له صلحا، ففازت به قداح الإسلام، و تخلّصه من بين ناب العدو و ظفره؛ فكان الفتح عظيما لا كفاء له.

بعض الأحداث فى دولته: و فى شهر المحرم من عام سبعة و عشرين و سبعمائة، نشأت بين المتغلّب على دولته، وزيره، و بين شيخ الغزاة و أمير القبائل العدوية، عثمان بن أبى العلاء، الوحشة و ألحقت ريحها السعايات، فصبّت على المسلمين شؤبوب فتنة عظم فيهم أثرها معاطبا، و سئم الانصراف عن الأندلس، فلحق بساحل ألمريّة، و أحوزته المذاهب و تحامت جواره الملوك، فداخل أهل حصن أندرش، فدخل فى طاعته، ثم استضاف إليه ما يجاوره، فأعضل الدّاء، و تفاقمت اللأواء، و غامت سماء الفتنة ، و استنفد خزائن الأموال المستعدة لدفاع العدو، و استلحق الشيخ أبو سعيد عمّ السلطان، و قد استقرّ بتلمسان، فلحق به، و قام بدعوته فى أخريات صفر عام سبعة و عشرين و سبعمائة؛ و اغتنم الطاغية فتنة المسلمين فنزل ثغر بيرة ، ركاب الجهاد، و شجى العدو، فتغلّب عليه، و استولى على جملة من الحصون التى تجاوره، فاتّسع نطاق الخوف ، و أعيا داء الشّر، و صرف إلى نظر ملك المغرب، فى أخريات العام، رندة و مربلّة و ما يليهما ، و تردّدت الرسائل بين السلطان و بين شيخ الغزاة، فأجلت الحال عن مهادنة، و معاودة للطاعة، فصرف أميرهم أدراجه إلى العدوة، و انتقلوا إلى سكنى وادى آش على رسم الخدمة و الحماية على شروط مقرّرة؛ و أوقع السلطان بوزيره، و أعاد الشيخ إلى محلّه من حضرته؛ أوائل عام ثمانية و عشرين بعده، و استقدم القائد الحاجب أبا النعيم رضوان من أعاصم حباليه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۱۰

قتيله، فقام بأمره أحسن قيام. و عبر البحر بنفسه بعد استقرار ملكه فى الرابع و العشرين من شهر ذى حجة من عام اثنين و ثلاثين و سبعمائة، فاجتمع مع ملك المغرب السلطان الكبير أبى الحسن بن عثمان، فأكرم نزله، و أصحبه إلى الأندلس، و حباه بما لم يحب به ملك تقدّمه، من مغربيّات الخيل، و خطير الذخيرة، و مستجاد العدّة؛ و نزل الجيش على أثره جبل الفتح؛ و توجّه الحاجب أبو النعيم بأكبر إخوة السلطان، مظاهرا على سبيل النّيابة، و هيّأ اللّه فتحه. ثم استنقاذه بلحاق السلطان، و محاولة أمره كما تقدّم، فتمّ ذلك يوم الثلاثاء الثانى عشر لذى حجة من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة.

وزراء دولته: وزر له وزير أبيه ، و أخذ له البيعة، و هو مثخن بالجراحات التى أصابته يوم الفتك بأبيه السلطان أبى الوليد، و لم ينشب أن أجهز جرح تجاوز عظم الدماغ، بعد مصابرة ألم العلاج الشديد، حسبما يأتى فى اسمه، و هو أبو الحسن على بن مسعود بن يحيى بن مسعود المحاربى. و ترقى إلى الوزارة و الحجابة وكيل أبيه محمد بن أحمد المحروق، من أهل غرناطة، يوم الاثنين غرّة شهر رمضان من عام خمسة و عشرين و سبعمائة، و يأتى التعريف بهم. ثم اغتيل بأمره، عشىّ ثانى يوم من محرم فاتح تسعة و عشرين و سبعمائة. ثم وزر له القائد أبو عبد اللّه بن القائد أبى بكر عتيق بن يحيى بن المول من وجوه الدولة، و صدور من يمتّ بوصله، إلى السابع عشر من رجب من العام؛ ثم صرف إلى العدوة. و أقام رسم الوزارة و الحجابة و النيابة أبو النعيم مولى أبيه، إلى آخر مدته، بعد أن التأث أمره

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١١

لديه، و زاحمه بأحد المماليك المسمى بعصام حسبما يأتى ذكره فى موضعه إن شاء اللّه.

رئيس كتّابه: كتب له كاتب أبيه قبله، و أخيه بعده، شيخنا نسيج وحده، أبو الحسن على بن الجيّاب الآتى ذكره فى موضعه إن شاء اللّه.

قضاته: استمرّت الأحكام لقاضى أبيه، أخى وزيره، الشيخ الفقيه أبى بكر بن مسعود، رحمه اللّه، إلى عام سبعة و عشرين و سبعمائة، و وجّهه رسولا عنه إلى ملك المغرب، فأدركته وفاته بمدينة سلا، فدفن بمقبرة سلا . رأيت قبره بها، رحمه اللّه. و تخلّف ابنه أبا يحيى مسعود عام أحد و ثلاثين و سبعمائة؛ و تولّى الأحكام الشرعية القاضى أبو عبد اللّه محمد بن يحيى بن بكر الأشعرى ، خاتمة الفقهاء، و صدر العلماء، رحمه اللّه، فاستمرّت له الأحكام إلى تمام مدة أخيه بعده.

أمه: روميّة اسمها «علوة» و كانت أحظى لدّاتها عند أبيه، و أمّ بكره، إلى أن نزع عنها فى أخريات أمره، لأمر جرّته الدّالّة، و تأخّرت وفاتها عنه إلى مدة أخيه.

من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصارى:

فبفاس ، السلطان الكبير، الشهير، الجواد، خدن العافية، و حلف السعادة، و بحر الجود، و هضبة الحلم، أبو سعيد عثمان بن أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق، الذى بذل المعروف، و قرّب الصلحاء و العلماء، و أدنى مكانهم، و أعمل إشارتهم، و أوسع بأعطيته المؤمنين المسترفدين، و عظم قدره، و اشتهر فى الأقطار صيته، و فشا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٢

معروفه، و عرفت بالكفّ عن الدماء و الحرمات عفّته، إلى أن توفى يوم الجمعة الخامس و العشرين من شهر ذى القعدة عام أحد و ثلاثين و سبعمائة. ثم صار الأمر إلى ولده السلطان، مقتفى سننه فى الفضل و المجد، و ضخامة السلطان، مبرّا عليه بالبأس المرهوب، و العزم الغالب، و الجدّ الذى لا يشوبه هزل، و الاجتهاد الذى لا تتخلّله راحة، الذى بعد مداه، و أذعن لصولته عداه، و اتصلت ولايته مدته، و معظم مدة أخيه الوالى بعده.

و بتلمسان الأمير عبد الرحمن بن موسى بن يغمراسن، من بنى عبد الواد، مشيّد القصور، و مروّض الغروس، و متبنّك الترف، و اتّصل إلى تمام مدته، و صدرا من مدة أخيه بعده.

و بتونس الأمير أبو يحيى، أبو بكر بن الأمير أبى زكريا بن الأمير أبى إسحاق لبنة تمام قومه، و صقر الجوارح من عشّه، و سابق الجياد من حلبته، إلى تمام المدة، و صدرا كبيرا من دولة أخيه بعده.

و من ملوك النصارى ، ملك على عهده الجفرتين القنيطية و التاكرونية، الطاغية المرهوب الشّبا، المسلط على دين الهدى، ألهنشة بن هرانده بن شانجه بن ألفنش بن هرانده، الذى احتوى على كثير من بلاد المسلمين حتى الجفرتين. و اتصلت أيامه إلى أخريات أيام أخيه، و أوقع بالمسلمين على عهده، و تملّك الجزيرة الخضراء و غيرها.

و برغون، ألفنش بن جايمش بن ألفنش بن بطره بن جايمش الذى استولى على بلنسية، و دام إلى آخر مدته، و صدرا من مدة أخيه. و قد استقصينا من العيون أقصى ما سحّ به الاستقصاء، و ما أغفلناه أكثر، و للّه الإحاطة.

مولده: فى الثامن من شهر المحرم من عام خمسة عشر و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣١٣

وفاته: و إلى هذا العهد مات؛ و غرت عليه من رؤوس الجند، من قبائل العدوة، الصّدور، و شحنت عليه القلوب غيظا؛ و كان شرها لسانه، غير جزوع و لا هيّاب ، فربما يتكلّم بملء فيه من الوعيد الذى لا يخفى على المعتمد به. و فى ثانى يوم من إقلاع الطاغية من

الجبل ، و هو يوم الأربعاء الثانى عشر من ذى حجة، و قد عزم على ركوب البحر من ساحل مربلة ، فهو مع وادى ياروا من ظاهر جبل الفتح، تخفيفا للمؤونة، و استعجالا للصّدور، و قد أخذت على حركته المراصد؛ فلمّا توسّط كمين القوم، ثاروا إليه و هو راكب بغلا أثابه به ملك الروم، فشرعوا فى عتبه بكلام غليظ، و تأنيب قبيح، و بدأوا بوكيله فقتلوه، و عجّل بعضهم بطعنه، و ترامى عليه مملوك من مماليك أبيه، زنمة من أخابيث العلوج يسمّى زيانا، صونع على مباشرة الإجهاز عليه، فقضى لحينه بسفح الربوة الماثلة، يسرة العابر للوادى ممّن يقصد جبل الفتح ، و تركوه بالعراء بادى البوار، مسلوب البزّة، سيىء المصرع، قد عدت عليه نعمه، و أوبقه سلاحه، و أسلمه أنصاره و حماته.

و لمّا فرغ القوم من مبايعة أخيه السلطان أبى الحجاج، صرفت الوجوه يومئذ إلى دار الملك، و نقل القتيل إلى مالقة، فدفن على حاله تلك برياض تجاور منية السّيد، فكانت وفاته ضحوة يوم الأربعاء الثالث عشر لذى حجة من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة. و أقيمت على قبره بعد حين قبّة، و نوّه بقبره. و هو اليوم ماثل رهن غربة، و جالب عبرة، جعلنا اللّه للقائه على حذر و أهبة، و بلوح الرخام الماثل عند رأسه مكتوب:

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۱۴

هذا قبر السلطان الأجلّ، الملك الهمام، الأمضى الباسل، الجواد ذى المجد الأثيل، و الملك الأصيل، المقدّس، المرحوم، أبى عبد اللّه محمد بن السلطان الجليل؛ الكبير، الرفيع، الأوحد، المجاهد، الهمام، صاحب الفتوح المسطورة ، و المغازى المشهورة، سلالة أنصار النبى، صلى اللّه عليه و سلّم، أمير المؤمنين ، و ناصر الدين، الشهيد، المقدّس، المرحوم أبى الوليد بن فرج بن نصر، قدّس اللّه روحه و برّد ضريحه. كان مولده فى الثانى لمحرم عام خمسة عشر و سبعمائة، و بويع فى اليوم الذى استشهد فيه والده رضى اللّه عنه السادس و العشرين لرجب عام خمسة و عشرين و سبعمائة، و توفى رحمه اللّه فى الثالث عشر لذى حجة من عام ثلاثة و ثلاثين و سبعمائة، فسبحان من لا يموت: [الكامل]

يا قبر سلطان الشجاعة و النّدىفرع الملوك الصيد أعلام الهدى

و سلالة السّلف الذى آثارهو ضّاحة لمن اقتدى و من اهتدى

سلف لأنصار النبىّ نجارهقد حلّ منه فى المكارم محتدا

متوسّط البيت قد أسّسته سادة الأملاك أوحد أوحدا

بيت بناه محمّدون ثلاثةمن آل نصر أورثوه محمّدا

أودعت وجها قد تهلّل حسنهبدرا بآفاق الجلالة قد بدا

و ندّا يسحّ على العفاة مواهبامثنى الأيادى السابغات و موحدا

يبكيك مذعور بك استعدى علىأعدائه فسقيتهم كأس الردى

يبكيك محتاج أتاك مؤمّلافغدا و قد شفعت يداك له اليدا

أمّا سماحك فهو أسنى ديّةأما جلالك فهو أسمى مصعدا

جادت ثراك من الإله سحابة لرضاه عنك تجود هذا المعهدا

[و شرّ ما تبع هذا السلطان تواطؤ قتلته من بنى أبى العلاء و أصهارهم و سواهم من شيوخ خدّامه، كالوكيل فى مدة أخيه بعد، الشيخ الذهول مسافر بن حركات و سواه، على اكتتاب عقد بعد وفاته، بأمور من القول تقدح فى أصل الديانة، و أغراض تقتضى إلى الوهن فى الدّين، و هنات تسوّغ إراقة دمه الذى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۱۵

توفّرت الدواعى على حياطته، و الذّبّ عنه، تولّى كبرها شيخنا أبو الحسن بن الجيّاب، مرتكبا منها وصمة محت على غرر فضله إلى

كثير من خدّامه و مماليكه، و بعثوا بها إلى ملك المغرب، فاقتطعت جانب التمهيل و التأخير و اللبث عن الحكم، و التعليل عن السّماع، و بروز الأغراض، و اتّباع السيئة أمثالها. و قد كان، رحمه اللّه، من الجهاد و إقامة رسم الدين، بحيث تزلّ عن هذه الهنات صفاته، و تنكر هذه المذمّات صفاته، و كان بمكان من العزّ، و إرسال السّجية، ربما عذله الشيخ فى بعض الأمر، فيسجم إضجارا و تمليحا بإخراجه؛ و لم يمرّ إلّا الزمان اليسير؛ و أوقع اللّه بالعصبة المتمالئة عليه من أولاد عبد اللّه، فسفتهم رياح النّكبات، و استأصلت نعمهم أيدى النّقمات، و لم تقم لهم من بعد ذلك قائمة، و اللّه غالب على أمره] .

و تبعت هذا السلطان نفوس أهل الحرية، ممّن له طبع رقيق، و حسّ لطيف؛ و وفاء كريم، ممّن كان بينه و بين سطوته دفاع؛ و فى جوّ اعتقاده له صفاء؛ فصدرت مراث مؤثرة، و أقاويل للشجون مهيجة، نثبت منها يسيرا على العادة. فمن ذلك ما نظمه الشيخ الكاتب القاضى أبو بكر بن شبرين؛ و كان على فصاحة ظرفه، و جمال روايته، غراب قربه، و نائحة مأتمه، يرثيه و يعرّض ببعض من حمل عليه من ناسه و خدّامه: [مجزوء الرمل]

استقلّا و دعانىطائفا بين المغانى

و انعما بالصبر إنىلا أرى ما تريان

و من قوله : [الخفيف]

عين بكى لميّت غادروهفى ثراه ملقى و قد غدروه

دفنوه و لم يصلّ عليهأحد منهم و لا غسّلوه

إنما مات يوم مات شهيدافأقاموا رسما و لم يقصدوه

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۱۶

محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد ابن محمد بن نصر بن قيس الخزرجى

اشارة

ثالث الملوك من بنى نصر، يكنى أبا عبد اللّه.

أوّليّته: معروفة.

حاله: كان من أعاظم أهل بيته، صيتا و همّة، أصيل المجد، مليح الصورة، عريق الإمارة، ميمون النّقيبة، سعيد النّصبة، عظيم الإدراك؛ تهنّأ العيش مدة أبيه، و تملّى السياسة فى حياته، و باشر الأمور بين يديه، فجاء نسيج وحده إدراكا، و نبلا، و فخارا، و شأوا . ثم تولّى الأمر بعد أبيه فأجراه على ديدنه؛ و تقيّل سيرته، و نسج على منواله. و قد كان الدهر ضايقه فى حضّته، و نغّصه ملاذّ الملك بزمانة سدكت بعينيه لمداخلة السّهر، و مباشرة أنوار ضخام الشمع، إذ كانت تتّخذ له منها جذوع فى أجسادها مواقيت تخبر بانقضاء ساعات الليل، و مضىّ الرّبع ، و على التزامه لكنّه و غيبوبته فى كسر بيته، فقد خدمته السّعود، و أمّلت بابه الفتوح، و سالمته الملوك، و كانت أيامه أعيادا. و كان يقرض الشعر و يصغى إليه و يثيب عليه، فيجيز الشعراء، و يرضخ للندماء، و يعرف مقادير العلماء، و يواكل الأشراف و الرؤساء، ضاربا فى كل إصلاح بسهم، مالئا من كل تجربة و حنكة، حارّ النّادرة، حسن التوقيع، مليح الخطّ، تغلب عليه الفظاظة و القسوة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۱۷

شعره: كان له شعر مستظرف من مثله، لا- بل يفضل به الكثير ممّن ينتحل الشعر من الملوك. و وقعت على مجموع له، ألّفه بعض خدّامه، فنقلت من مطوّلاته: [السريع]

واعدنى وعدا و قد أخلفاأقلّ شيء فى المليح الوفا

و حال عن عهدى و لم يرعهما ضرّه لو أنّه أنصفا

ما بالها لم تتعطّف علىصبّ لها ما زال مستعطفا

يستطلع الأنباء من نحوهاو يرقب البرق إذا ما هفا

خفيت سقما عن عيون الورىو بان حبّى بعد ما قد خفا

للّه كم من ليلة بتّهاأدير من ذاك اللّمى قرقفا

متّعتنى بالوصل منها و ماأخلفت وعدا خلت أن يخلفا

و منها:

ملّكتك القلب و إنى امرؤعليّ ملك الأرض قد وقّفا

أوامرى فى الناس مسموعةو ليس منّى فى الورى أشرفا

يرهف سيفى فى الوغى مصلتا و يتّقى عزمى إذا ما أرهفا

و ترتجى يمناى يوم النّدىتخالها السّحب غدت و كفا

نحن ملوك الأرض من مثلناحزنا تليد الفخر و المطرفا

نخاف إقداما و نرجى ندىللّه ما أرجى و ما أخوفا

لى راية فى الحرب كم غادرتربع العدا قاعا بها صفصفا

يا ليت شعرى و المنى جمّةو الدّهر يوما هل يرى منصفا

هل يرتجى العبد تدانيكمأو يصبح الدهر له مسعفا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۱۸

مناقبه: و أعظم مناقبه المسجد الجامع بالحمراء، على ما هو عليه، من الظرف و التنجيد، و التّرقيش، و فخامة العمد، و إحكام أتوار الفضة، و إبداع ثراها ، و وقف عليه الحمّام بإزائه، و أنفق فيه مال الجزية ، و أغرمها لمن يليه من الكفّار، فدوا به زرعا، نهد إليه صائفته لانتسافه، و قد أهمّتهم فتنة، فظهر بها منقبة يتيمة، و معلوّة فذّة، فاق بها من تقدّمه، و من تأخّره من قومه.

جهاده: أغزى الجيش لأول أمره مدينة المنظر، فاستولى عليها عنوة، و ملك من احتوت عليه المدينة، و من جملتهم الزّعيمة صاحبة المدينة، من أفراد عقائل الروم، فقدمت الحضرة فى جملة السّبى ، نبيهة المركب، ظاهرة الملبس، رائقة الجمال، خصّ بها ملك المغرب، فاتّخذها لنفسه، و كان هذا الفتح عظيما، و الصّيت بمزايه عظيما بعيدا. أنشدنى.

ما نقل عنه من الفظاظة و القسوة :

هجم لأول أمره على طائفة من مماليك أبيه، و كان سيّيء الرأى فيهم، فسجنهم فى مطبق الأرىّ من حمرائه، و أمسك مفتاح قفله عنده، و توعّد من يرمقهم بقوت بالقتل، فمكثوا أياما، و صارت أصواتهم تعلو بشكوى الجوع، حتى خفتت ضعفا بعد أن اقتات آخرهم موتا من لحم من سبقه؛ و حملت الشفقة حارسا كان برأس المطبق، على أن طرح لهم خبزا يسيرا، تنقص أكله، مع مباشرة بلواهم، و نمى إليه ذلك، فأمر بذبحه على حافة الجبّ، فسالت عليهم دماؤه؛ وقانا اللّه مصارع السّوء، و ما زالت المقالة عنها شنيعة، و اللّه أعلم بجريرتهم لديه.

وزراؤه: بقى على خطة الوزارة وزير أبيه أبو سلطان عزيز بن على بن عبد المنعم الدانى، الجارى ذكره بحول اللّه فى محلّه، متبرّما، بحياته [إلى أن توفى،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۱۹

فأنشد عند موته: [السريع]

مات أبو زيد فواحسرتاإن لم يكن قد مات من جمعه

مصيبة لا غفر اللّه لىأن كنت أجريت لها دمعه]

و تمادى بها أمره، [يقوم بها حاشيته، و قد ارتاح إليها متولّيها بعده، المترفّع بدولته، القائد الشهير، البهمة أبو بكر بن المول. حدّث قارىء العشر من القرآن بين يدى السلطان، و يعرف بابن بكرون، و كان شيخا متصاونا ظريفا، قال: عزم السلطان على تقديم هذا الرجل وزيرا، و كان السلطان يؤثر الفأل، و له فى هذا المعنى و ساوس ملازمة، فوجّه إلىّ الفقيه الكاتب صاحب القلم الأعلى يومئذ، أبو عبد اللّه بن الحكيم المستأثر بها دونه، و المتلقّف لكرتها قبله، و خرج لى عن الأمر، و طلب منى أن أقرأ آيا يخرج فألها عن الغرض؛ قال: فلمّا غدوت لشأنى تلوت بعد التعوّذ قوله، عزّ و جلّ: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطانَةً مِنْ دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبالًا وَدُّوا ما عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضاءُ مِنْ أَفْواهِهِمْ إلى قوله: بَيَّنَّا ، فلما فرغت الآية، سمعته حاد عن رأيه الذى كان أزمعه] ، و قدّم للوزارة كاتبه أبا عبد اللّه بن الحكيم فى ذى قعدة من عام ثلاثة و سبعمائة، و صرف إليه تدبير ملكه، فلم يلبث أن تغلّب على أمره، و تقلّد جميع شؤونه، حسبما يأتى فى موضعه إن شاء اللّه.

كتّابه: استقلّ برئاسته وزيره المذكور، و كان ببابه من كتّابه جملة تباهى بهم دسوت الملوك، أدبا و تفنّنا و فضلا و ظرفا، كشيخنا تلوه و ولى الرّتبة الكتابية من بعده، و فاصل الخطبة على أثره، و غيره ممّن يشار إليه فى تضاعيف الأسماء، كالشيخ الفقيه القاضى أبى بكر بن شبرين، و الوزير الكاتب أبى عبد اللّه بن عاصم، و الفقيه الأديب أبى إسحاق بن جابر، و الوزير الشاعر المفلق أبى عبد اللّه اللّوشى ،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۲۰

من كبار القادمين عليه، و الفقيه الرئيس أبى محمد الحضرمى، و القاضى الكاتب أبى الحجاج الطرطوشى، و الشاعر المكثر أبى العباس القرّاق و غيرهم.

قضاته: استمرّت ولاية قاضى أبيه الشيخ الفقيه أبى عبد اللّه محمد بن هشام الألشى ، قاضى العدل، و خاتمة أولى الفضل، إلى أن توفى عام أربعة و سبعمائة. و تولّى له القضاء القاضى أبو جعفر أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى المنبوز بابن فركون، و تقدّم التعريف به، و التنبيه على فضله، إلى آخر أيامه.

من كان على عهده من الملوك بالأقطار :

و أول ذلك بفاس؛ كان على عهده بها السلطان الرفيع القدر، السامى الخطر، المرهوب الشّبا، المستولى فى العزّ و بعد الصّيت على المدى، أبو يعقوب يوسف بن يعقوب المنصور بن عبد الحق، و هو الذى وطّد الدولة المرينيّة ، وجبا الأموال العريقة ، و استأصل من تتّقى شوكته من القرابة و غيرهم. و جاز إلى الأندلس فى أيام أبيه و بعده، غازيا، ثم حاصر تلمسان، و هلك عليها فى أوائل ذى قعدة عام ستة و سبعمائة، [فكانت دولته إحدى و عشرين سنة و أشهرا] . ثم صار الأمر إلى حافده أبى ثابت عامر بن الأمير أبى عامر عبد اللّه بن يوسف بن يعقوب بعد اختلاف وقع و نزاع انجلى عن قتل جماعة من كبارهم ؛ منهم الأمير أبو يحيى بن السلطان أبى يوسف، و الأمير أبو سالم بن السلطان أبى يعقوب. و استمرّ الأمر للسلطان أبى ثابت إلى صفر من عام ثمانية و سبعمائة. و صار الأمر إلى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۲۱

أخيه أبى الربيع سليمان تمام مدّة ملكه و صدرا من دولة أخيه نصر ، حسبما يذكر فى موضعه إن شاء اللّه.

و بتلمسان الأمير أبو سعيد عثمان بن يغمراسن، ثم أخوه أبو عمران موسى، ثم ولده أبو تاشفين عبد الرحمن إلى آخر مدة أخيه .

و بتونس السلطان الفاضل، الميمون النّقيبة، المشهور الفضيلة، أبو عبد اللّه محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبى عبد اللّه بن الأمير أبى زكريا بن أبى حفص، من أولى العفّة، و النزاهة ، و التؤدة، و الحشمة، و العقل، عنى بالصالحين ، و اختصّ بأبى محمد المرجانى، [فأشار بتقويمه] ، و ظهرت عليه بركته، [و كان يرتبط إليه، و يقف فى الأمور عنده، فلم تعدم الرعيّة بركة و لا صلاحا فى أيامه] ، إلى أن هلك فى ربيع الآخر عام تسعة و سبعمائة، و وقعت بينه و بين هذا الأمير المترجم به المراسلة و المهاداة.

و بقشتالة هرانـدة بن شانجه بن أدفونش بن هرانـدة، [المستولى على إشبيليّة و قرطبة، و مرسية، و جيّان، و لا حول و لا قوة إلّا باللّه] . هلك أبوه و تركه صغيرا، مكفولا على عادتهم، فتنفّس المخنّق و انعقدت السلم، و اتصل الأمان مدة أيامه، و هلك فى دولة أخيه.

و برغون؛ جايمش بن ألفنش بن بطره.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٢

الأحداث : فى عام ثلاثة و سبعمائة، نقم على قريبه الرئيس أبى الحجاج بن نصر الوالى بمدينة وادى آش، [أمرا أوجب عزله عنها، و كان مقيما بحضرته فاتخذ الليل جملا، و كان أملك بأمرها؛ و ذاع الخبر، فاستركب الجيش، و قد حدّ ما ينزل فى استصلابه، و جدّد الصكوك بولايته خوفا من اشتعال الفتنة، و قد أخذ على يديه، و أغرى أهل المدينة بحربه، فتداعوا لحين شعورهم باستعداده و أحاطوا به، فدهموه و عاجلوه، فتغلبوا عليه، و قيد إلى بابه أسيرا مصفّدا، فأمر أحد أبناء عمّه فقتله صبرا، و تملّا فتحا كبيرا، و أمن فتنة عظيمة] . و فى شهر شوّال من عام خمسة و سبعمائة قرع الأسماع النبأ العظم ، الغريب، من تملّك سبتة و حصولها فى قبضته ، و انتزاعها من يد رئيسها أبى طالب عبد اللّه بن أبى القاسم، الرئيس الفقيه، ابن الإمام المحدّث أبى العباس العزفى حسبما يتقرّر فى اسم الرئيس الفقيه أبى طالب إن بلّغنا اللّه ذلك؛ و استأصل ما كان لأهلها من الذخائر و الأموال، و نقل رؤساءها، و هم عدّة، إلى حضرته غرناطة فى غرّة المحرم من العام، فدخلوا عليه، و قد احتفل بالملك، و استركب فى الأبّهة الجند، فلثموا أطرافه، و استعطفه شعراؤهم بالمنظوم من القول، و خطباؤهم بالمنثور منه، فطمأن روعهم و سكّن جأشهم، و أسكنهم فى جواره، و أجرى عليهم الأرزاق الهلالية، و تفقّدهم فى الفصول إلى أن كان من أمرهم ما هو معلوم.

اختلاعه: فى يوم عيد الفطر من عام ثمانية و سبعمائة أحيط بهذا السلطان، و أتت الحيلة عليه، و هو مصاب بعينيه، مقعد فى كنّه، فداخلت طائفة من وجوه الدولة أخاه، و فتكت بوزيره الفقيه أبى عبد اللّه بن الحكيم، و نصبت للناس الأمير أبا الجيوش نصرا أخاه، و كبست منزل السلطان، فأحيط به، و جعل الحرس عليه ، و تسومع بالكائنة فكان البهت، و سال من الغوغاء البحر، فتعلّقوا

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ١، ص: ٣٢٣

بالحمراء، يسألون عن الحادثة، فشغلوا بانتهاب دار الوزير، و بها من مال اللّه ما يفوت الوصف، و كان الفجع فى إضاعته على المسلمين، و إطلاق الأيدى الخبيثة عليه عظيما. و فى آخر اليوم عند الفراغ من الأمر، دخل على السلطان المخلوع، الشهداء عليه بخلعه، بعد نقله من دار ملكه إلى دار أخرى، فأملى، رحمه اللّه، زعموا، وثيقة خلعه، مع شغب الفكر، و عظم الداهية، و انتقل، رحمه اللّه، بعد، إلى القصر المنسوب إلى السيد بخارج الحضرة؛ أقام به يسيرا، ثم نقل إلى مدينة المنكّب. و كان من أمره ما يذكر إن شاء اللّه.

[و مما يؤثر من ظرفه؛ حدّث من كان منوطا به من خاصّيته، مدة أيام إقامته بقصر نجد، قبل خلعه، قال: أرسل اللّه الأغربة على سقف القصر، و كان شديد التطيّر و القلق لذلك حسبما تقدّم من الإشارة إلى ذلك بحديث العشر؛ و كان من جملتها غراب، شديد الإلحاح، حادّ النّعيب و الصياح، فأغرى به الرّماة من مماليكه بأنواع القسىّ؛ فأبادوا من الغربان أمّة؛ و تخطّأ الحتف ذلك الغراب الخبيث العبقان؛ فلمّا انتقل إلى سكنى الحمراء ظهر ذلك الغراب على سقفه؛ ثم لما أهبط مخلوعا إلى قصر شنيل تبعه، و قام فى بعض السّقف أمامه، فقال يخاطبه رحمه اللّه: يا مشؤوم، يا محروم بين الغربان، قد خلّصت أمرنا، و لم يبق لك علينا طلب، و لا بيننا و بينك كلام؛ ارجع إلى هؤلاء المحارم فاشتغل بهم؛ قال: فأضحكنا على حال الكآبة بعذوبة منطقه، و خفّة روحه] .

وفاته: قد تقدّم ذكر استقراره بالمنكّب. و فى أخريات شهر جمادى الآخرة عام عشرة و سبعمائة، أصابت السلطان نصرا سكتة، توقّع منها موته، بل شكّ فى حياته؛ فوقع التفاوض الذى تمخّض إلى التوجيه عن السلطان المخلوع الذى بالمنكّب ليعود إلى الأمر، فكان ذلك، و أسرع إلى إيصاله إلى غرناطة فى محفّة، فكان حلوله بها فى رجب من العام المذكور. و كان من قدر اللّه، أن أفاق

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۲۴

أخوه من مرضه، و لم يتمّ للمخلوع الأمر، فنقل من الدار التى كان بها إلى دار أخيه الكبرى، فكان آخر العهد به. ثم شاعت وفاته أوائل شوّال من العام المذكور، فذكر أنه اغتيل غريقا فى البركة فى الدار المذكورة لما توقع من عادية جواره؛ و دفن بمقبرة السّبيكة، مدفن قومه، بجوار الغالب باللّه جدّه، و نوّه بجدثه، و عليه مكتوب ما نصّه :

«هذا قبر السلطان الفاضل، الإمام العادل، علم الأتقياء، أحد الملوك الصلحاء، المخبت الأوّاه، المجاهد فى سبيل اللّه، الرّضىّ الأورع، الأخشى للّه الأخشع، المراقب فى السرّ و الإعلان، المعمور الجنان بذكره و اللسان، السالك فى سياسة الخلق و إقامة الحقّ، منهاج التقوى و الرّضوان، كافل الأمّة بالرأفة و الحنان، الفاتح لها بفضل سيرته، و صدق سريرته، و نور بصيرته، أبواب اليمن و الأمان، المنيب الأوّاب، العامل بكلّ ما يجده نورا مبينا يوم الحساب، ذى الآثار السّنيّة، و الأعمال الطاهرة العليّة ، القائم فى جهاد الكفّار بماضى العزم و خالص النيّة، المقيم قسطاس العدل، المنير منهاج الحلم و الفضل، حامى الذّمار، و ناصر دين المصطفى المختار، المقتدى بأجداده الأنصار، المتوسّل بفضل ما أسلفوه من أعمال البرّ و الجهاد، و رعاية العباد و البلاد، إلى الملك القهّار، أمير المسلمين، و قامع المعتدين، المنصور بفضل اللّه، أبى عبد اللّه ابن أمير المسلمين الغالب باللّه؛ السلطان الأعلى، إمام الهدى، و غمام النّدى، محيى السّنّة، حسن الأمّة ، المجاهد فى سبيل اللّه، الناصر لدين اللّه، أبى عبد اللّه ابن أمير المسلمين الغالب باللّه أبى عبد اللّه بن يوسف بن نصر، كرّم اللّه وجهه و مثواه، و نعّمه برضاه. ولد رضى اللّه عنه يوم الأربعاء الثالث لشعبان المكرم من عام خمسة و خمسين و ستمائة. و توفى، قدّس اللّه روحه، و برّد ضريحه، ضحوة يوم الاثنين الثالث لشوّال عام ثلاثة عشر و سبعمائة، رفعه اللّه إلى منازل أوليائه الأبرار،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۲۵

و ألحقه بأئمّة الدين ، لهم عقبى الدّار، و صلّى اللّه على سيّدنا محمد المختار، و على آله، و سلّم تسليما».

و من الجانب الآخر: [الطويل]

رضى الملك الأعلى يروح و يغتدىعلى قبر مولانا الإمام المؤيّد

مقرّ العلى و الملك و البأس و النّدىفقدّس من مغنى كريم و مشهد

و مثوى الهدى و الفضل و العدل و التّقىفبورك من مثوى زكى و ملحد

فيا عجبا طود الوقار جلالةثوى تحت أطباق الصفيح المنضّد

و واسطة العقد الكريم الذى لهمآثر فخر بين مثنى و موحد

محمد الرّضىّ سليل محمدإمام النّدى نجل الإمام محمد

فيا نخبة الأملاك غير منازعو يا علم الأعلام غير مفنّد

بكتك بلاد كنت تحمى ذمارها بعزم أصيل أو برأى مسدّد

و كم معلم للدين أوضحت رسمهبنى لك فى الفردوس أرفع مصعد

كأنّك ما سست البلاد و أهلهابسيرة ميمون النّقيبة مهتد

كأنك ما قدت الجيوش إلى العدافصيّرتهم نهب القنا المتقصّد

و فتحت من أقطارهم كلّ مبهمفتحت به باب النّعيم المخلّد

كأنك ما أنفقت عمرك فى الرّضىبتجديد غزوات و تشييد مسجد

و إنصاف مظلوم و تأمين خائفو إصراخ مذعور و إسعاف مجتد

كأنّك ما أحييت للخلق سنّةتجادل عنها باللسان و باليد

كأنّك ما أمضيت فى اللّه عزمةتدافع فيها بالحسام المهنّد

فإن تجهل الدنيا عليك و أهلهابذاك ثواب اللّه يلقاك فى غد

تعوّضت ذخرا من مقام خلافةمقيم منيب خاشع متعبّد

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۶ و كلّ الورى من كان أو هو كائنصريع الرّدى إن لم يكن فكأن قد

فلا زال جارا للرسول محمدبدار نعيم فى رضى اللّه سرمد

و هذى القوافى قد وفيت بنظمهافيا ليت شعرى هل يصيخ لمنشد

محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد ابن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى

اشارة

ثانى الملوك الغالبين من بنى نصر، و أساس أمرهم، و فحل جماعتهم.

أوّليته: تقرّر بحول اللّه فى اسم أبيه الآتى بعد حسب الترتيب المشترط.

حاله: من كتاب «طرفة العصر» من تأليفنا؛ كان هذا السلطان أوحد الملوك جلالة، و صرامة، و حزما. مهّد الدولة، و وضع ألقاب خدمتها، و قرّر مراتبها، و استجاد أبطالها. و أقام رسوم الملك فيها، و استدرّ جباياتها، مستظهرا على ذلك بسعة الذّرع، و أصالة السياسة، و رصانة العقل، و شدّة الأسر، و وفور الدّهاء، و طول الحنكة، و تملأ التجربة، مليح الصورة، تامّ الخلق، بعيد الهمّة، كريم الخلق، كثير الأناة. قام بالأمر بعد أبيه، و باشره مباشرة الوزير أيام حياته، فجرى على سنن أبيه، من اصطناع أجناسه، و مداراة عدوّه، و أجرى صدقاته، و أربى عليه بخلال، منها براعة الخطّ، و حسن التوقيع، و إيثار العلماء، و الأطباء ، و العدلين، و الحكماء، و الكتّاب، و الشعراء، و قرض الأبيات الحسنة ، و كثرة الملح، و حرارة النّادرة.

و طما بحر من الفتنة لأول استقرار أمره، و كثر عليه المنتزون و الثّوّار، و ارتجّت الأندلس، وسط أكلب الكفّار، فصبر لزلزالها رابط الجأش ثابت المركز، و بذل من الاحتيال و الدّهاء المكنوفين بجميل الصبر، ما أظفره بخلوّ الجوّ . و طال الإحاطة فى أخبار غرناطة ؛ ج۱ ؛ ص۳۲۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۷

عمره، وجدّ صيته، و اشتهر فى البلاد ذكره، و عظمت غزواته، و سيمرّ من ذكره ما يدلّ على أجلّ من ذلك إن شاء اللّه.

شعره و توقيعه: وقفت على كثير من شعره، و هو نمط منحطّ بالنسبة إلى أعلام الشعراء، و مستظرف من الملوك و الأمراء. من ذلك، يخاطب وزيره :

[المتقارب]

تذكّر عزيز ليال مضتو إعطاءنا المال بالرّاحتين

و قد قصدتنا ملوك الجهاتو مالوا إلينا من العدوتين

و إذ سأل السّلم منّا اللّعينفلم يحظ إلّا بخفّى حنين

و توقيعه يشذّ عن الإحصاء ، و بأيدى الناس إلى هذا العهد كثير من ذلك؛ فمما كتب به على رقعة كان رافعها يسأل التصرّف فى

بعض الشهادات و يلحّ عليها:

[الوافر]

يموت على الشّهادة و هو حيّ إلهى لا تمته على الشهاده

و أطال الخطّ عند إلهى إشعارا بالضّراعة عند الدعاء و الجدّ. و يذكر أنه وقع بظهر رقعة لآخر اشتكى ضرر أحد الجند المنزلين فى الدّور، و نبزه بالتّعرّض لزوجه:

«يخرج هذا النّازل ، و لا يعوّض بشيء من المنازل».

بنوه: ثلاثة؛ وليّ عهده أبو عبد اللّه المتقدّم الذّكر، و فرج المغتال أيام أخيه، و نصر الأمير بعد أخيه .

بناته: أربع، عقد لهنّ، جمع أبرزهنّ إلى أزواجهنّ، من قرابتهنّ، تحت أحوال ملوكية، و دنيا عريضة، و هنّ: فاطمة، و مؤمنة، و شمس، و عائشة، منهنّ أمّ حفيدة إسماعيل الذى ابتزّ ملك بنيه عام ثلاثة عشر و سبعمائة.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۸

وزيره : كان وزيره، الوزير الجليل الفاضل، أبو سلطان ، لتقارب الشّبه، زعموا فى السّن و الصورة، و فضل الذّات، و متانة الدين، و صحّة الطبع، و جمال الرّواء، أغنى و حسنت واسطته، و رفعت إليه الوسائل ، و طرّزت باسمه الأوضاع، و اتصلت إلى أيامه أيام مستوزره، ثم صدرا من أيام وليّ عهده.

كتّابه: ولّى له خطّة الكتابة و الرياسة العليا فى الإنشاء جملة، منهم كاتب أبيه أبو بكر بن أبى عمرو اللّوشى، ثم الأخوان أبوا على الحسن و الحسين، ابنا محمد بن يوسف بن سعيد اللّوشى؛ سبق الحسن و تلاه الحسين، و كانا توأمين؛ و وفاتهما متقاربة. ثم كتب له الفقيه أبو القاسم محمد بن محمد بن العابد الأنصارى، آخر الشيوخ، و بقية الصّدور و الأدباء ، أقام كاتبا مدة إلى أن أبرمه انحطاطه فى هوى نفسه، و إيثاره المعاقرة، حتى زعموا أنه قاء ذات يوم بين يديه. فأخّره عن الرّتبة ، و أقامه فى عداد كتّابه إلى أن توفى تحت رفده . و تولّى الكتابة الوزير أبو عبد اللّه بن الحكيم ، فاضطلع بها إلى آخر دولته.

قضاته: تولّى له خطّة القضاء قاضى أبيه الفقيه العدل أبو بكر بن محمد بن فتح الإشبيلى الملقّب بالأشبرون. تولّى قبل ذلك خطة السّوق، فلقى

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۲۹

سكران أفرط فى قحته، و اشتدّ فى عربدته ، و حمل على الناس، فأفرجوا عنه؛ فاعترضه و اشتدّ عليه حتى تمكّن منه بنفسه، و استنصر فى حدّه، و بالغ فى نكاله؛ و اشتهر ذلك عنه، فجمع له أمر الشرطة و خطّة السوق، ثم ولّى القضاء، فذهب أقصى مذاهب الصّرامة، إلى أن هلك؛ فولى خطّة القضاء بعده الفقيه العدل أبو عبد اللّه محمد بن هشام من أهل ألش، لحكاية غبطت السلطان بدينه ، و دلّته على محلّه من العدل و الفضل، فاتّصلت أيام قضائه إلى أيام مستقضيه، رحمه اللّه.

جهاده: و باشر هذا السلطان الوقائع، فانجلت ظلماتها عن صبح نصره، و طرّزت مواقعها بطراز جلادته و صبره؛ فمنها وقيعة المطران و غيرها، مما يضيق التأليف عن استقصائه. و فى شهر المحرّم من عام خمسة و تسعين و ستمائة، على تفئة هلاك طاغية الروم، شانجه بن أذفونش، عاجل الكفّار لحين دهشهم، فحشد أهل الأندلس، و استنفر المسلمين، فاغتنم الداعية، و تحرّك فى جيش يجرّ الشّوك و الشجر ، و نازل مدينة قيجاطة و أخذ بكظمها، ففتحها اللّه على يديه، و تملّك بسببها جملة من الحصون التى ترجع إليها؛ و كان الفتح فى ذلك عظيما، و أسكنها جيشا من المسلمين، و طائفة من الحامية، فأشرقت العدوّ بريقه.

و فى صائفة عام تسعة و تسعين و ستمائة، نازل مدينة القبذاق فدخل جفنها، و اعتصم من تأخّر أجله بقصبتها، ذات القاهرة العظيمة الشأن، الشهيرة فى البلدان، فأحيط بهم، فخذلوا و زلزل اللّه أقدامهم؛ فألقوا باليد، و كانوا أمنع من عقاب الجو؛ و تملّكها على حكمه، و هى من جلالة الوضع، و شهرة المنعة، و خصب السّاحة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۰

و طيب الماء، و الوصول إلى أفلاذ الكفر، و الاطّلاع على عوراته، بحيث شهر.

فكان تيسّر فتحها من غرائب الوجود، و شواهد اللّطف، و ذلك فى صلاة الظهر من يوم الأحد الثامن لشهر شوّال عام تسعة و تسعين و ستمائة؛ و أسكن بها رابطة المسلمين ، و باشر العمل فى خندقها بيده، رحمه اللّه، [فتساقط الناس، من ظهور دوابّهم إلى العمل، فتمّ ما أريد منه سريعا.

و أنشدنى شيخنا أبو الحسن الجيّاب يهنّئه بهذا الفتح: [الطويل]

عدوّك مقهور و حزبك غالبو أمرك منصور و سهمك صائب

و شخصك مهما لاح للخلق أذعنتلهيبته عجم الورى و الأعارب

و هى طويلة] .

من كان على عهده من الملوك:

كان على عهده بالمغرب، السلطان الجليل، أبو يوسف يعقوب بن عبد الحق، الملقّب بالمنصور؛ و كان ملكا صالحا، ظاهر السذاجة، سليم الصدر، مخفوض الجناح، شارعا أبواب الدّالّة عليه منهم؛ أشبه بالشيوخ منه بالملوك، فى إخمال اللّفظ، و الإغضاء عن الجفوة، و النداء بالكنية. و هو الذى استولى على ملك الموحّدين، و اجتثّ شجرتهم من فوق الأرض، و ورث سلطانهم، و اجتاز إلى الأندلس، كما تقدّم مرّات ثلاثا أو أزيد منها، و غزا العدوّ، و جرت بينه و بين السلطان المترجم به أمور، من سلم و مناقضة ، و إعتاب، و عتب، [حسبما تدلّ على ذلك القصائد الشّهيرة المتداولة؛ و أولها ما كتب به على عهده، الفقيه الكاتب الصّدر، أبو عمرو بن المرابط، فى غرض استنفاد للجهاد: [السريع]

هل من معينى فى الهوى أو منجدىمن متهم فى الأرض أو منجد؟

] و توفى السلطان المذكور بالجزيرة الخضراء فى عنفوان وحشة بينه و بين هذا السلطان فى محرم خمسة و ثمانين و ستمائة؛ و ولى بعده

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۱

ولده ، العظيم الهمّة، القوى العزيمة ، أبو يعقوب يوسف، و جاز إلى الأندلس على عهده، و اجتمع به بظاهر مربلّة ، و تجدّد العهد، و تأكّد الودّ؛ ثم عادت الوحشة المفضية إلى تغلب العدوّ على مدينة طريف، فرضة المجاز الأدنى، و استمرّت أيام السلطان أبى يعقوب إلى آخر مدة السلطان المترجم به، و مدة ولده بعده.

و بوطن تلمسان، أبو يحيى يغمور ، و هو يغمراسن بن زيّان بن ثابت بن محمد بن بندوس بن طاع اللّه بن على بن يمل، و هو أوحد أهل زمانه جرأة و شهامة، و دهاء، و جزالة، و حزما. مواقفه فى الحروب شهيرة، و كانت بينه و بين بنى مرين وقائع، كان عليه فيها الظهور، و ربما ندرت الممانعة؛ و على ذلك فقوىّ الشكيمة، ظاهر المنعة. ثم ولّى بعده ولده عثمان إلى تمام مدة السلطان المترجم به، و بعضا من دولة ولده.

و بوطن إفريقية، الأمير الخليفة، أبو عبد اللّه بن أبى زكريا بن أبى حفص، الملقّب بالمستنصر، المثل المضروب، فى البأس و الأنفة، و عظم الجبروت ، و بعد الصّيت، إلى أن هلك سنة أربع و سبعين و ستمائة؛ ثم ولده الواثق بعده، ثم الأمير أبو إسحاق و قد تقدّم ذكره. ثم كانت دولة الدّعىّ ابن أبى عمارة المتوثّب على ملكهم؛ ثم دولة أبى حفص مستنقذها من يده، و هو عمر بن أبى زكريا بن عبد الواحد، ثم السلطان الخليفة الفاضل، الميمون النّقيبة، أبو عبد اللّه محمد بن الواثق يحيى بن المستنصر أبى عبد اللّه بن الأمير زكريا .

و بوطن النّصارى، بقشتالة، ألفنش بن هرانده، إلى أن ثار عليه ولده شانجه، و اقتضت الحال إجازة سلطان المغرب، و استجار به؛ و

كان من لقائه بأحواز الصّخرة من كورة تاكرنّا ما هو معلوم. ثم ملك بعده ولده شانجه، و اتّصلت

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۲

ولايته مدة أيام السلطان، و جرت بينهما خطوب إلى أن هلك عام أربعة و سبعين و ستمائة. و ولّى بعده ولده هراندة سبعة عشر عاما، و صار الملك إليه، و هو صبىّ صغير، فتنفّس مخنّق أهل الأندلس، و غزا سلطانهم و ظهر إلى آخر مدته.

و برغون، ألفنش بن جايمش بن بطره بن جايمش، المستولى على بلنسية. ثم هلك و ولّى بعده جايمش ولده، و هو الذى نازل مدينة ألمرية على عهد نصر ولده، و استمرّت أيام حياته إلى آخر مدته. و كان لا نظير له فى الدّهاء و الحزم و القوة.

و من الأحداث فى أيامه:

على عهده تفاقم الشّر ، و أعيا داء الفتنة، و لقحت حرب الرؤساء الأصهار من بنى إشقيلولة، فمن دونهم، و طنب سرادق الخلاف، و أصاب الأسر و فحول الثروة الرؤساء، فكان بوادى آش الرئيسان أبو محمد و أبو الحسن ، و بمالقة و قمارش الرئيس أبو محمد عبد اللّه، و بقمارش رئيس آخر هو الرئيس أبو إسحاق. فأما الرئيس أبو محمد فهلك، و قام بأمره بمالقة، ولده، و ابن أخت السلطان المترجم به. ثم خرج عنها فى سبيل الانحراف و المنابذة إلى ملك المغرب، ثم تصيّر أمرها إلى السلطان، على يد و اليها من بنى على . و أما الرئيسان، فصابرا المضايقة، و عزما على النطاق و المقاطعة بوادى آش زمانا طويلا؛ و كان آخر أمرهما الخروج عن وادى آش إلى ملك المغرب؛ معوّضين بقصر كتامة؛ حسبما يذكر فى أسمائهم؛ إن بلّغنا اللّه إليه.

و فى أيامه كان جواز السلطان المجاهد أبى يوسف يعقوب بن عبد الحق؛ إلى الأندلس؛ مغازيا و مجاهدا فى سبيل اللّه؛ فى أوائل عام اثنين و سبعين و ستمائة، و قد فسد ما بين سلطان النصارى و بين ابنه . و اغتنم المسلمون الغرّة،

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۳

و استدعى سلطان المغرب إلى الجواز؛ و لحق به السلطان المترجم به؛ و جمع مجلسه بين المنتزين عليه و بينه؛ و أجلت الحال عن وحشة. و قضيت الغزاة؛ و آب السلطان إلى مستقرّه.

و فى العام بعده، كان إيقاع السلطان ملك المغرب بالزعيم «ذنّونه»، و استئصال شأفته، و حصد شوكته. ثم عبر البحر ثانية بعد رجوعه إلى العدوة؛ و احتلّ بمدينة طريف فى أوائل ربيع الأول عام سبعة و سبعين و ستمائة؛ و نازل إشبيلية؛ و كان اجتماع السلطانين بظاهر قرطبة؛ فاتصلت اليد؛ و صلحت الضمائر؛ ثم لم تلبث الحال أن استحالت إلى فساد، فاستولى ملك المغرب على مالقة، بخروج المنتزى بها إليه، يوم الأربعاء التاسع و العشرين لرمضان عام سبعة و سبعين و ستمائة. ثم رجعت إلى ملك الأندلس بمداخلة من كانت بيده و لنظره، حسبما يأتى بعد إن شاء اللّه.

و على عهده نازل طاغية الروم الجزيرة الخضراء، و أخذ بمخنّقها، و أشرف على افتتاحها، فدافع اللّه عنها، و نفّس حصارها ، و أجاز الرّوم بحرها على يد الفئة القليلة من المسلمين، فعظم المنح ، و أسفر الليل، و انجلت الشّدة، فى وسط ربيع الأول من عام ثمانية و سبعين و ستمائة .

مولده: بغرناطة عام ثلاثة و ثلاثين و ستمائة. و أيام دولته ثلاثون سنة و شهر واحد، و ستة أيام.

وفاته: من كتاب «طرفة العصر» من تأليفنا فى التاريخ، قال: و استمرّت الحال إلى أحد و سبعمائة، فكانت فى ليلة الأحد الثامن من شهر شعبان فى صلاة العصر، و كان السلطان، رحمه اللّه فى مصلّاه، متوجّها إلى القبلة لأداء فريضته، على أتمّ ما يكون عليه المسلم من الخشية و التأهّب، زعموا أن شرقا كان يعتاده لمادة كانت تنزل من دماغه، و قد رجمت الظنون فى غير ذلك لتناوله عشيّة يومه كعكا اتخذت له بدار

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج ۱، ص: ۳۳۴

ولىّ عهده، و اللّه أعلم بحقيقة ذلك. و دفن منفردا، عن مدفن سلفه، شرقىّ المسجد الأعظم، فى الجنان المتّصل بداره . ثم ثنى بحافده السلطان أبى الوليد، و عزّز بثالث كريم من سلالته، و هو السلطان أبو الحجاج بن أبى الوليد، تغمّد اللّه جميعهم برحمته ، و شملهم بواسع مغفرته و فضله.

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۵

فهرس المحتويات

اشارة

إهداء ۱

مقدمة المحقّق ۳

أولا- مؤلّفاته التاريخية ۱۴

ثانيا- مؤلّفاته فى الجغرافيا و الرحلات ۱۵

ثالثا- مؤلّفاته فى التراجم ۱۶

رابعا- المؤلّفات الأدبية (شعرا و نثرا) ۱۷

خامسا- مؤلّفاته فى الشريعة و التّصوّف و الحثّ على جهاد النفس ۲۰

سادسا- مؤلّفاته فى السياسة ۲۲

سابعا- مؤلّفاته فى الطّبّ و الأغذية ۲۴

ثبت بأسماء مصادر و مراجع الدراسة و التحقيق ۲۷

مقدمة المؤلّف ۳

القسم الأوّل فى حلى المعاهد و الأماكن و المنازل و المساكن فصل فى اسم هذه المدينة و وضعها على إجمال و اختصار ۱۳

فصل فى فتح هذه المدينة و نزول العرب الشاميين من جند دمشق بها و ما كانت عليه أحوالهم، و ما تعلق بذلك من تاريخ ۱۸

ذكر ما آل إليه حال من ساكن المسلمين بهذه الكورة من النصارى المعاهدين على الإيجاز و الاختصار ۲۱

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۶

ذكر ما ينسب إلى هذه الكورة من الأقاليم التى نزلتها العرب بخارج غرناطة، و ما يتصل بها من العمالة ۲۵

فصل فيما اشتمل عليه خارج المدينة من القرى و الجنّات و الجهات ۲۵

فصل ۲۸

فصل ۳۱

فصل ۳۶

فصل فيمن تداول هذه المدينة من لدن أصبحت دار إمارة باختصار و اقتصار ۴۰

القسم الثانى فى حلى الزّائر و القاطن و المتحرّك و السّاكن أحمد بن خلف بن عبد الملك الغسانى القليعى ۴۵

أحمد بن محمد بن أحمد بن يزيد الهمدانى اللخمى ۴۷

أحمد بن محمد بن أضحى بن عبد اللطيف بن غريب ابن يزيد بن الشّمر بن عبد شمس بن غريب الهمدانى الإلبيرى ۴۷

أحمد بن محمد بن أحمد بن هشام القرشى ۴۹

أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن عبد اللّه بن يحيى بن عبد الرحمن بن يوسف بن سعيد بن جزيّ الكلبى ۵۲

أحمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن بن على بن محمد بن سعدة بن سعيد بن مسعدة بن ربيعة بن صخر بن شراحيل بن عامر بن الفضل بن بكر بن بكّار بن البدر بن سعيد بن عبد اللّه العامرى ۵۶

أحمد بن محمد بن أحمد بن قعنب الأزدى ۵۸

أحمد بن محمد بن سعيد بن زيد الغافقى ۵۹

أحمد بن أبى سهل بن سعيد بن أبى سهل الخزرجى ۵۹

أحمد بن عمر بن يوسف بن إدريس بن عبد اللّه بن ورد التميمى ۶۰

أحمد بن محمد بن على بن أحمد بن على الأموى ۶۰

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن الحسن بن عميرة المخزومى ۶۲

أحمد بن عبد الحق بن محمد بن يحيى بن عبد الحق الجدلى ۶۶

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۷

أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الصقر الأنصارى الخزرجى ۶۸

أحمد بن أبى القاسم بن عبد الرحمن ۷۱

أحمد بن إبراهيم بن الزّبير بن محمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسين بن الزبير بن عاصم بن مسلم بن كعب الثّقفى ۷۲

أحمد بن عبد الولى بن أحمد الرعينى ۷۵

أحمد بن على بن أحمد بن خلف الأنصارى ۷۶

أحمد بن عبد النور بن أحمد بن راشد رحمه اللّه ۷۷

أحمد بن محمد بن على بن محمد بن يحيى بن محمد بن مصادف بن عبد اللّه ۸۰

أحمد بن حسن بن باصة الأسلمى المؤقّت بالمسجد الأعظم بغرناطة ۸۱

أحمد بن محمد بن يوسف الأنصارى ۸۲

أحمد بن محمد الكرنى ۸۳

أحمد بن محمد بن أبى الخليل، مفرّج الأموى ۸۳

أحمد بن عبد الملك بن سعيد بن خلف بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسن بن عثمان بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن عمّار بن ياسر صاحب رسول اللّه، صلى اللّه عليه و سلم ۸۸

غريبة فى أمره مع حفصة ۹۲

أحمد بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أحمد القرشى، المعروف بابن فركون ۹۲

أحمد بن إبراهيم بن أحمد بن صفوان ۹۳

أحمد بن أيوب اللّمائى ۱۰۱

أحمد بن محمد بن طلحة ۱۰۴

أحمد بن على بن محمد بن على بن محمد بن خاتمة الأنصارى ۱۰۸

أحمد بن عباس بن أبى زكريا ۱۲۵

أحمد بن أبى جعفر بن محمد بن عطيّة القضاعى ۱۲۷

أحمد بن محمد بن شعيب الكريانى ۱۳۴

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۸

أحمد بن عبد اللّه بن محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن محمد بن حسين بن على بن سليمان بن عرفة اللخمى ۱۳۸

أحمد بن على المليانى ۱۴۳

أحمد بن محمد بن عيسى الأموى ۱۴۴

أحمد بن الحسن بن على بن الزيّات الكلاعى ۱۴۵

إبراهيم بن محمد بن مفرّج بن همشك ۱۵۱

انخلاعه للموحدين عمّا بيده و جوازه للعدوة، و وفاته بها ۱۵۵

إبراهيم بن أمير المسلمين أبى الحسن بن أمير المسلمين أبى سعيد عثمان بن أمير المسلمين أبى يوسف يعقوب بن عبد الحقّ ۱۵۵

إبراهيم بن يحيى بن عبد الواحد بن أبى حفص عمر بن يحيى الهنتانى، أبو إسحاق ۱۵۹

إدبار أمره بهلاكه على يد الدّعيّ الذى قيّضه اللّه لهلاك حينه ۱۶۳

إبراهيم بن محمد بن أبى القاسم بن أحمد بن محمد بن سهل بن مالك بن أحمد بن إبراهيم بن مالك الأزدى ۱۶۵

إبراهيم بن فرج بن عبد البر الخولانى ۱۶۶

إبراهيم بن يوسف بن محمد بن دهاق الأوسى ۱۶۸

إبراهيم بن أبى بكر بن عبد اللّه بن موسى الأنصارى ۱۶۸

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الأنصارى الساحلى ۱۷۰

إبراهيم بن عبد اللّه بن محمد بن إبراهيم بن أسد بن موسى بن إبراهيم بن عبد العزيز بن إسحاق بن أسد بن قاسم النميرى ۱۷۸

إبراهيم بن خلف بن محمد بن الحبيب بن عبد اللّه بن عمر بن فرقد القرشى العامرى ۱۹۱

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن عبيدس بن محمود النفزى ۱۹۳

إبراهيم بن عبد الرحمن بن أبى بكر التّسولىّ ۱۹۶

إبراهيم بن محمد بن على بن محمد بن أبى العاصى التّنوخى ۱۹۷

إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر بن قيس الأنصارى الخزرجى ۲۰۰

إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن فرج بن نصر ۲۱۴

الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۳۹

الملوك على عهده ۲۱۸

أبو بكر بن إبراهيم، الأمير أبو يحيى المسوفى الصحراوى ۲۱۸

إدريس بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن على، أمير المؤمنين، الملقب بالمأمون، مأمون الموحدين ۲۲۲

تصيّر الأمر إليه، و جوازه إلى العدوة ۲۲۳

أسباط بن جعفر بن سليمان بن أيوب بن سعد السعدى سعد بن بكر بن عفان الإلبيرى ۲۲۸

أسلم بن عبد العزيز بن هشام بن خالد بن عبد اللّه بن خالد بن حسين بن جعفر بن أسلم بن أبان ۲۲۹

أسد بن الفرات بن بشر بن أسد المرّى ۲۳۱

أبو بكر المخزومى الأعمى المورورى المدوّرى ۲۳۱

أصبغ بن محمد بن الشيخ المهدى ۲۳۵
أبو على بن هدية ۲۳۶
أم الحسن بنت القاضى أبى جعفر الطّنجالى ۲۳۷
بلكّين بن باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۳۸
باديس بن حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۴۰
ذكر مقتل اليهودى يوسف بن إسماعيل بن نغرالة الإسرائيلى ۲۴۳
مكان باديس من الذكاء و تولّعه بالقضايا الآتية ۲۴۴
بكرون بن أبى بكر بن الأشقر الحضرمى ۲۴۶
بدر مولى عبد الرّحمن بن معاوية الداخل ۲۴۶
تاشفين بن على بن يوسف أمير المسلمين بعد أبيه بالعدوة ۲۴۷
ثابت بن محمد الجرجانى ثم الأسترآباذى ۲۵۳
جعفر بن أحمد بن على الخزاعى ۲۵۵
جعفر بن عبد اللّه بن محمد بن سيدبونة الخزاعى ۲۵۷
الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن أبى الأحوص القرشى الفهرى ۲۵۹
الحسن بن محمد بن الحسن النباهى الجذامى ۲۶۰
حسن بن محمد بن حسن القيسى ۲۶۱
حسن بن محمد بن باصة ۲۶۱
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۴۰
الحسن بن محمد بن على الأنصارى ۲۶۲
الحسين بن عتيق بن الحسين بن رشيق التغلبى ۲۶۴
حبّوس بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۶۷
الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد اللّه بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية ۲۶۸
الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن أمية ۲۶۹
حكم بن أحمد بن رجا الأنصارى ۲۷۱
حاتم بن سعيد بن خلف بن سعيد بن محمد بن عبد اللّه بن سعيد بن الحسين بن عثمان بن سعيد بن عبد الملك بن سعيد بن عمّار بن ياسر ۲۷۲
حباسة بن ماكسن بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۷۳
حبيب بن محمد بن حبيب ۲۷۴
حمدة بنت زياد المكتّب ۲۷۵
حفصة بنت الحاج الرّكونى ۲۷۷
الخضر بن أحمد بن الخضر بن أبى العافية ۲۸۱
خالد بن عيسى بن إبراهيم بن أبى خالد البلوى ۲۸۶
داود بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن بن سليمان بن عمر بن حوط اللّه الأنصارى الحارثى الأندى ۲۸۷

رضوان النّصرى الحاجب المعظّم ۲۸۹
ترتيب خدمته و ما تخلّل عن ذلك من محنته ۲۹۱
زاوى بن زيرى بن مناد الصّنهاجى ۲۹۳
منصرفه عن الأندلس ۲۹۶
زهير العامرىّ، فتى المنصور بن أبى عامر ۲۹۶
طلحة بن عبد العزيز بن سعيد البطليوسى و أخواه أبو بكر و أبو الحسن بنو القبطرنة ۲۹۸
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن نصر ۳۰۱
محمد بن إسماعيل بن فرج بن إسماعيل بن يوسف بن محمد بن أحمد بن خميس بن نصر الخزرجى ۳۰۶
الإحاطة فى أخبار غرناطة، ج۱، ص: ۳۴۱
من كان على عهده من الملوك بأقطار المسلمين و النصارى ۳۱۱
محمد بن محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن نصر بن قيس الخزرجى ۳۱۶
ما نقل عنه من الفظاظة و القسوة ۳۱۸
من كان على عهده من الملوك بالأقطار ۳۲۰
محمد بن محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد بن محمد بن خميس بن نصر الأنصارى الخزرجى ۳۲۶
من كان على عهده من الملوك ۳۳۰
و من الأحداث فى أيامه ۳۳۲

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).
قالَ الإمامُ علىّ ُبنُ موسَى الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فى تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).
مؤسّس مُجتمَع "القائميّة" الثّقافيّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله "الشمس آباذى" – "رَحِمَهُ اللهُ" – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذى قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبىّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علىّ بن موسَى الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فى سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَى و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.
مركز "القائميّة" للتحرِّى الحاسوبىّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة) تحتَ عناية سماحة آية الله الحاجّ السيّد حسن الإماميّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّيجى الحوزات العلميّة و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، فى مجالاتٍ شتّى: دينيّة، ثقافيّة و علميّة...
الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثَقافة الثَّقَلَين (كتاب الله و اهل البيت عليهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزيز دوافع الشّباب و عموم الناس إلى التّحَرِّى الأدَقّ للمسائل الدّينيّة، تخليف المطالب النّافعة – مكانَ البَلاتيثِ المبتذلة أو الرّديئة – فى المحاميل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوتريّة)، تمهيد أرضيّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافيّةٍ على أساس معارف القرآن و أهل البيت –عليهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطّلاّب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم

الإسلاميّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهيل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرة فى الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعيّة: التى يُمكِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أنّه يُمكِن تسريعُ إبراز المَرافِق و التسهيلاتِ– فى آكناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلاميّة و الإيرانيّة – فى أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَى.

– من الأنشطة الواسعة للمركز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ كتبٍ، كتيبة، نشرة شهريّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقيقيّة و مكتبية، قابلة للتشغيل فى الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّـُلاثيّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّكة و... الأماكن الدينيّة، السياحيّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتى "القائميّة "www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضيّة، الخَطابات و... للعرض فى القنوات القمريّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمىّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعيّة، الاخلاقيّة و الاعتقاديّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسيم النظام التلقائىّ و اليدوىّ للبلوتوث، ويب كشك، و الرّسائل القصيرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵–۲۳۵۷۰۲۳– (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم – فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مرکز القائمیة للبحوث والتخریبات الکمبیوتریة
اصبهان
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹